



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: 05/PG/D/LMD/HIS/20

سياسة تجنيد المتطوعين في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ

التخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إشراف الأستاذ:

أ.د/ عباس كحول

إعداد الطالب:

عبد الرؤوف بن قاصير

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
سالم كربوعة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	رئيسا
عباس كحول	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا مقررًا
ميسوم بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مناقشا
علي عيادة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	مناقشا
عبد الكامل عطية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا
علي قنايزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 05/PG/D/LMD/HIS/20

سياسة تجنيد المتطوعين في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ

التخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إشراف الأستاذ:

أ.د/ عباس كحول

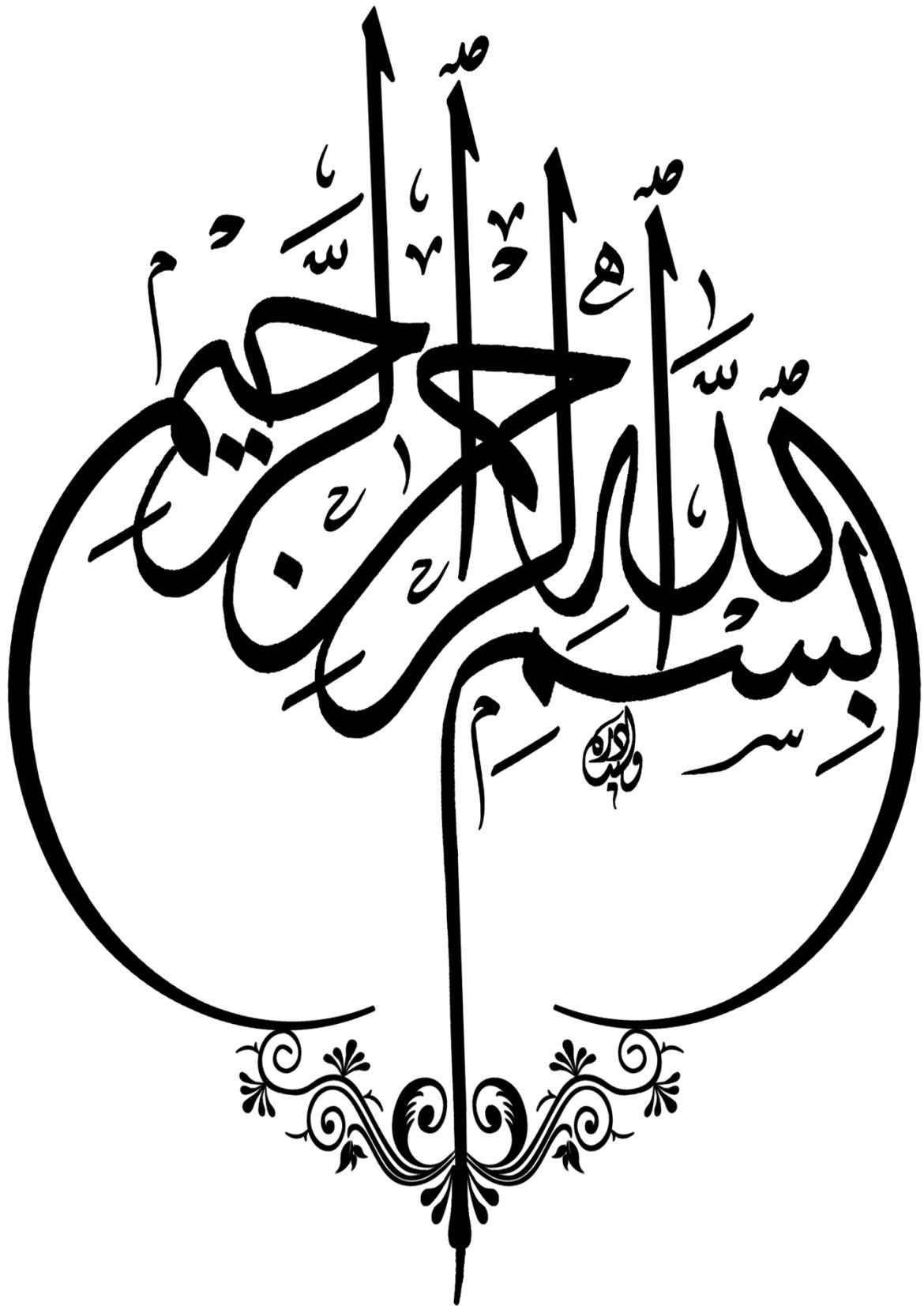
إعداد الطالب:

عبد الرؤوف بن قاصير

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
سالم كربوعة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	رئيسا
عباس كحول	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا مقررًا
ميسوم بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مناقشا
علي عيادة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	مناقشا
عبد الكامل عطية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا
علي قنايزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023



قال الله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِّن
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن
شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تُظَلَمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنفال / الآية 60.

إهداء

إلى روح الغالية والظاهرة

أمّي

أهدي هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الذي منحني القوة لإكمال هذه الأطروحة، وألهمني الصبر في كل لحظة يأس راودتني فيها نفسي بالاستسلام.

إذا كان هناك شخص يُشكر بعد الله، على مساعدتي ودعوتي لإخراج هذه الأطروحة لتري النور،

أقدم شكري وأمتناني لأستاذي المشرف البروفيسور عباس كحول الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته القيمة، دون أن أنسى أخي وليد وأختي ريمة وفطيمة، وصديقي جمال جحيش على تشجيعهم المستمر لي طيلة السنوات التي قضيتها في إنجاز هذه الأطروحة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى بعض الموظفين على مستوى المكتبات الجامعية والبلدية والوطنية ومركز الأرشيف الوطني بالجزائر العاصمة والولائي بقسنطينة على رحابة صدرهم وخدمتهم لي فيما يتعلق بإمدادي بالكتب والوثائق التي خدمت موضوعي البحثي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل أيضًا إلى الدكتور أمين محرز الذي ساعدني في قراءة بعض الوثائق العثمانية التي استعصت علي، وجميع أساتذتي في قسي التاريخ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02 وجامعة محمد خيضر بسكرة على تعاونهم معي طيلة مساري الجامعي.

المختصرات:

-باللغة العربية:

- درا : دراسة.
- تح : تحقيق.
- مرا : مراجعة.
- تق : تقديم.
- تعر : تعريب.
- تنق : تنقيح
- تعل : تعليق.
- (د.ن) : دون ناشر.
- (د.ت) : دون تاريخ.
- (المج) : المجلد.
- (م.و.ج) : المكتبة الوطنية الجزائرية.
- (ط.خ) : طبعة خاصة.
- (أ.و.ج) : الأرشيف الوطني الجزائري.
- (أ.و.ت) : الأرشيف الوطني التونسي.
- (أ.و.ق) : الأرشيف الولائي قسنطينة.
- (د.م.ج) : ديوان المطبوعات الجامعية.
- (ع.خ) : عدد خاص.
- (ش.و.ن.ت) : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- (و) : ورقة.

-باللغة الأجنبية:

- Tr : Traduction
- R.A : Revue Africaine
- V : Volume
- (s.d) : Sans date

مقدمة

يُعد الجيش سندًا أساسيًا لكل دولة من الدول، بحيث تُوكل إليه مهمة الحفاظ على استتباب الأمن داخل البلاد من جهة، وكذا الدفاع عنها ضد أي عدوان خارجي من جهة أخرى، ولا يتأتى هذا الأمر إلا بإقامة آلية عسكرية تُعرف بنظام التجنيد، ومن هذا المنطق فقد بدأ نظام التجنيد في العصور الأولى من التاريخ وذلك عند مُختلف الحضارات ومنها الحضارة المصرية ثم الحضارة الإغريقية ومن بعدها الحضارة الرومانية، ليتطور من بعدها خاصة في العصور الحديثة من التاريخ.

لقد تمكن العثمانيون مع بداية القرن السادس عشر (16) ميلادي من الدخول إلى المغرب الأوسط، وقد كان ذلك عبارة عن نتيجة حتمية بالنظر إلى الصراعات التي عرفتها منطقة الحوض الغربي للمتوسط، حيث شهدت العلاقات الدولية في تلك الأثناء تأزمًا حقيقيًا بفعل اشتداد التنافس بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية حول اقتسام مناطق النفوذ، وبالتالي فقد كانت منطقة شمال إفريقيا وبالتحديد منطقة المغرب الأوسط محل أطماع العديد من الدول الأوروبية، بحيث لم يكن بوسعها الدفاع عن نفسها بسبب ضعفها وافتقارها للوحدة السياسية من جهة والقوة العسكرية من جهة أخرى، لذلك كان لزامًا عليها الاستعانة بالدولة العثمانية باعتبارها القوة الإسلامية الوحيدة القادرة على الوقوف أمام مشروع المدّ الأوروبي المسيحي.

لقد اعتبر الوجود العثماني بالجزائر (1519-1830) مرحلة هامة في مسارها التاريخي، وذلك من خلال ارتباطها بالدولة العثمانية الذي مثل بدوره نقطة تحول في تغير موازين القوى في الحوض الغربي للمتوسط، وذلك عندما أنشأت السُلطة الحاكمة في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني مؤسسة عسكرية عملت على تجنيد المُتطوعين للانضمام إلى الجيش الجزائري بقسميه النظامي وغير النظامي (الاحتياطي)، وذلك لكي يتسنى لها مواجهة كل الأخطار المُحدقة بها سواء كانت من الداخل أو الخارج على حد سواء.

من خلال ما تم ذكره فقد جاءت هذه الدراسة بعنوان: "سياسة تجنيد المُتطوعين في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م".

تكمن أهمية موضوع الدراسة من خلال ما يُعالجه من جوانب مُختلفة حول ما يتعلق بنظام التجنيد بالجزائر خلال العهد العثماني، وبالتالي فإن هذه الدراسة تعالج حقبة زمنية هامة من تاريخ الجزائر العثمانية، كما تتجلى أهمية هذا الموضوع من خلال تسليط الضوء على جانب من جوانب قوة إيالة الجزائر خلال العهد العثماني والذي يتمثل في القوة العسكرية (الجيش الجزائري)، وهو بدوره لا يقل أهمية عن (الجيش البحري) أو البحرية الجزائرية الذي ذاع صيتها في جميع بقاع العالم أُنذاك.

أسباب اختيار الموضوع:

لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع وليد الصدفة، بل كان راجع إلى جُملة من العوامل التي دفعتنا إليه ومن أهمها:

أ- الأسباب الذاتية:

-مُيولنا للمواضيع التي تخص الجوانب السياسية والعسكرية على وجه الخُصوص.

-الفضول والميول الشخصي قصد التعرف أكثر على طبيعة نظام التجنيد المعمول به في الجزائر خلال العهد العثماني.

ب- الأسباب الموضوعية:

-نقص الدراسات الأكاديمية من أطروحات الدكتوراه في تخصص التاريخ العثماني بالجامعات الجزائرية بحسب إطلاعنا من المواضيع التي تُعالج نظام التجنيد في الجزائر خلال العهد العثماني، لذلك رأيت بأن هذا الموضوع يُعد من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة، وذلك للمساهمة في كتابة التاريخ العسكري للجزائر خاصة في الفترة العثمانية.

- كشف وإبراز استراتيجية السُلطة العثمانية بالجزائر في تطبيقها لسياسة تجنيد المُتطوعين سواء ما تعلق الأمر بالمُجندين من خارج الإيالة (أقاليم الدولة العثمانية) أو من داخل الإيالة (الفرق المحلية).

الإطار الزمني والمكاني للموضوع:

لصياغة هذا الموضوع فقد توجب علينا تحديد دقيق لإطاره الزمني والذي كان بين (1519-1830م)، بحث لم يكن هذا التحديد اعتباطيًا بل راجع لمجموعة من المقومات، وذلك من خلال أن التاريخ الأول قد مثل تاريخ وُصول أول دُفعة من المُجندين إلى الجزائر بحيث قام بإرسالها السلطان العثماني سليم الاول (1512-1520) بمناسبة تأسيس الإيالة الجزائرية بقيادة خير الدين بربروس (1519-1535)، أما التاريخ الأخير فإنه يمثل تاريخ آخر دفعة من المُجندين قدمت من المشرق (أقاليم الأناضول) وبالتحديد في شهر ماي سنة 1830م، هذا وبالإضافة إلى الفرق المحلية المُجندة في سبيل التصدي للحملة الفرنسية على مدينة الجزائر في جوان 1830م، أما الإطار المكاني للموضوع فقد كان يشغل الحيز الجُغرافي الذي كان يشمل إيالة الجزائر وكل الأقاليم التابعة للدولة العثمانية.

إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول السياسة التي إنتهجتها السلطنة العثمانية بالجزائر فيما يخص تجنيد المُتطوعين للجيش الجزائري وكيف تعاملت هاته الأخيرة مع المهام المُوكلة إليها، وبالتالي فإن الإشكالية الرئيسية تتمثل في ما يلي: هل نجحت السلطنة العثمانية بالجزائر في سياستها الرامية إلى تجنيد المُتطوعين لصالح الجيش الجزائري؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي على النحو التالي: كيف أصبحت الجزائر إيالة عثمانية؟ ماهية نظام التجنيد؟ ماهي الهيئات التي كانت فاعلة في عملية تجنيد المتطوعين؟ ماهي العوامل التي تحكمت في عملية تجنيد المُتطوعين؟ فيما تمثلت الفرق النظامية والغير نظامية للجيش الجزائري؟ ماهي الآثار المُترتبة عن سياسة تجنيد المُتطوعين على الصعيد السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي لإيالة الجزائر؟.

إن هذه التساؤلات تشكل في نظرنا أبعادًا حقيقية لمعرفة مدى نجاح السلطنة العثمانية بالجزائر في سياستها العسكرية والمُتمثلة في تجنيد المُتطوعين لصالح الجيش الجزائري.

منهج الدراسة:

إن طبيعة الدراسة ونوعية المصادر المُعتمدة في مباحثها هي التي فرضت علينا استعمال منهج تاريخي مُتعدد الأوجه، فاعتمدنا فيه على المنهج الوصفي في مباحث عديدة تطلب مني وصف أولئك المُجندين ووصف مواطنهم ومُختلف الهيئات الفاعلة في تسيير عملية تجنيد المُتطوعين مع التطرق أيضًا إلى وصف المنشآت العُمرانية التي كانت تتكفل بمبيت أولئك المُجندين على مستوى الإيالة ويتعلق الأمر هنا بتكنات الإنكشارية وإلى نحو ذلك من المواطن التي استدعت الوصف.

كما اعتمدنا على المنهج المُقارن الذي بانته قيمته من خلال المقارنة بين مُختلف أنظمة التجنيد التي كانت عبر العصور التاريخية انطلاقًا من نظام التجنيد عند الفراعنة ومرورًا بالفترة الوسيطة ووصولًا إلى الفترة الحديثة، وكذا المقارنة بين مُختلف الرُتب العسكرية الخاصة بالجيش النظامي وغير النظامي في إيالة الجزائر.

ومن أوجه المنهج التاريخي أيضًا اعتمادنا على التحليل، وقد كان ذلك في جُل القضايا التي عالجتها على مستوى هذه الدراسة، وقد تجسد ذلك بالخصوص في تحليل بعض الجزئيات التي تشمل الظروف والأسباب والعوامل والنتائج التي لها علاقة بسياسة تجنيد المُتطوعين في الجيش الجزائري على مستوى الإيالة.

أما الوجه الأخير فقد كان المنهج الإحصائي، وقد أستخدم بدرجة أقل بحيث وظفناه أساسًا في استخراج بعض النسب المئوية والجداول التي تعلق في مُحملها بأعداد المُجندين في إيالة الجزائر، وذلك من أجل اعطاء صورة أوضح عن تلك الفرق العسكرية التي تم تجنيدها عن طريق التطوع في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني.

هيكل الدراسة:

قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وخمسة فصول رئيسية، بالإضافة إلى خاتمة استخلصنا من خلالها نتائج هذه الدراسة، حيث خصصت مقدمة لتعريف بالموضوع والمناهج العلمية المتبعة، والإشكالية التي بنيت عليها الدراسة مع ذكر أهم الصُعوبات التي اعترضتنا في هذا البحث.

حيث تناولنا في الفصل التمهيدي الذي حمل عنوان: "الإخوة بربروس ودورهم في انضمام الجزائر للدولة العثمانية"، وقد عالجت فيه ثلاثة عناصر رئيسية وهي على التوالي:

تناولنا في العنصر الأول قضية الترحشات الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط مُرورًا بالحديث عن الأسباب التي دفعت لإسبان إلى شن تلك الترحشات مع التطرق إلى ذكر عديد المُدن التي تم إحتلالها من طرف الإسبان آنذاك، أما في العنصر الثاني فقد تحدث فيه عن قيام أهالي المغرب الأوسط بالاستنجاد بالأخوة بربروس مُرورًا إلى التعريف بأصل ونشأة الأخوة بربروس وكذا نشاطهم بسواحل الحوض المتوسط، مع التطرق إلى ذكر مُختلف المُدن الساحلية التي عملوا على تحريرها من قبضة الإسبان، أما في العنصر الثالث فقد تحدث فيه بشكل عام عن انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية مبررًا دوافع ذلك الإنضمام وظروفه، وفي الأخير تنصيب القائد خير الدين بربروس على رأس السُلطة العثمانية بالجزائر.

في حين تناول الفصل الأول الذي حمل عنوان: "عملية تجنيد المُتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح إيالة الجزائر"، وقد عالجت فيه ثلاثة عناصر رئيسية وهي كالآتي:

تناولنا في العنصر الأول ماهية نظام التجنيد وتطوره عبر العصور التاريخية مروراً بالفترة القديمة ووصولاً إلى الفترة الحديثة، بالإضافة إلى ذكر أنواع أنظمة التجنيد المعمول بها في مختلف دول العالم خلال الفترة الحديثة، أما في العنصر الثاني فقد تحدث فيه على وُكلاء إيالة الجزائر في مُختلف أقاليم الدولة العثمانية ودورهم في عملية تجنيد المُتطوعين لصالح الجيش الجزائري، وذلك إنطلاقاً من التعريف بمُصطلح الوكيل وكذا التطرق إلى مختلف المهام التي أنيطت بأولئك الوُكلاء بمختلف الأقاليم العُثمانية، مع شرح سَير عملية تجنيد المُتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية بشكل متسلسل زمنياً، أما في العنصر الثالث فقد تناولنا فيه المناطق التي كان يُجند منها أولئك المُتطوعين، مع التطرق إلى عملية نقلهم إلى إيالة الجزائر والظروف المحيطة بها، وفي الأخير تكلمت عن مصير أولئك المُتطوعين بعد وُصولهم إلى مدينة الجزائر، وذلك من خلال تسجيلهم في مجموعة من الدفاتر الخاصة بالمُجندين بواسطة موظف كان يُدعى بـ "المقاطعي".

وقد تناولنا في الفصل الثاني الذي حمل عنوان: "العوامل المُتحكمة في تَجْنيد المُتطوعين لصالح الإيالة"، ثلاثة عناصر أساسية وهي كالآتي:

حيث تطرقنا في العنصر الأول إلى ذكر مُختلف العراقل الداخلية والخارجية، التي ساهمت بدورها في تراجع عدد المُجندين على مستوى الإيالة، وبعبارة أخرى وجدت بأنها قد أثرت على عملية تَجْنيد المُتطوعين من مختلف أقاليم الدولة العثمانية، أما في العنصر الثاني فقد تناولت فيه مختلف التسهيلات التي ساهمت بشكل كبير في تزويد الإيالة بالمُجندين القادمين من مختلف أقاليم الدولة العثمانية، أما العنصر الثالث والأخير فقد جاء في شكل إحصائيات مُتعلقة بعدد المُجندين سواء النظاميين أو الاحتياطيين الذين تطَّوعوا في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، حيث عملنا على تقسيمها إلى مجموعة من الفترات التاريخية إبتداءً من بداية القرن السادس عشر (16) ميلادي وإلى غاية العُقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر (19) ميلادي.

أما في الفصل الثالث الذي حمل عنوان: "الجيش النظامي وهياكله على مستوى إيالة الجزائر"، فقد تناولنا فيه ثلاثة عناصر أساسية وهي كالآتي:

حيث تطرقنا في العنصر الأول إلى التعريف بفرقة الإنكشارية النظامية مُورراً بشرح المُصطلح وأصل الفرقة وتنظيماتها على مستوى الإيالة، بالإضافة إلى الإشارة إلى مجموعة الخصائص التي كانت تتميز بها

تلك الأخيرة، أما في العنصر الثاني فقد تطرقنا بالحديث عن فرقة الطوبجية موضحاً أصلها التاريخي وكذا الحديث عن عناصر تلك الفرقة مع الإشارة إلى مختلف المهام العسكرية التي أوكلت إلى أفرادها، أما فيما يخص العنصر الثالث فقد تطرقنا فيه إلى التعريف بفرقة فرسان الصبايحية مع توضيح الطريقة التي كان يُجنَّد بها أفراد تلك الفرقة وأنواعها، وفي الأخير قمت بالإشارة إلى مجموعة المهام التي أوكلت إلى أفراد تلك الفرقة النظامية في الجيش الجزائري.

أما بخصوص الفصل الرابع الذي حمل عنوان: "الجيش الإحتياطي وهياكله على مستوى إيالة الجزائر"، فقد تناولنا فيه ثلاثة عناصر أساسية وهي كالآتي:

تناولنا في العنصر الأول فرقة الكراغلة من خلال التعريف بالمصطلح، وكذا الوسيلة التي أنشأت لنا هذه الفرقة على مستوى إيالة الجزائر، مع التطرق إلى مختلف الدوافع التي أدت بالسلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر إلى تجنيد فرقة الكراغلة ضمن الجيش الجزائري، بالإضافة إلى الإشارة إلى دورها العسكري، أما في العنصر الثاني فقد تطرقنا بالحديث عن فرقة زاوارة من خلال التعريف بالمصطلح والأصل التاريخي، مع التطرق إلى دوافع تجنيد هذه الفرقة في الجيش الجزائري، وفي الأخير أشرت إلى مختلف المهام العسكرية التي أوكلت لفرقة زاوارة، أما العنصر الثالث فقد تطرقنا فيه بالحديث عن فرقة قبائل المخزن إنطلاقاً من التعريف بالمصطلح والأصل التاريخي للمخزنية، مع الإشارة إلى دوافع التجنيد وعوامله ومختلف المهام العسكرية الموكلة إليها، وفي الأخير ذكرت مختلف القبائل المخزنية التي كانت تابعة للبايلكيات الثلاثة على مستوى إيالة الجزائر.

أما فيما يتعلق بالفصل الخامس الذي حمل عنوان: "آثار سياسة تجنيد المتطوعين على الأوضاع العامة لإيالة الجزائر"، فقد تناولنا فيه عنصرين رئيسيين وهما كالآتي:

تناولنا في العنصر الأول جملة الآثار الإيجابية الناجمة عن سياسة تجنيد المتطوعين لصالح الجيش الجزائري، وذلك من خلال التطرق إلى مجموعة المكاسب العسكرية التي تحققت بفضل سياسة تجنيد المتطوعين ومن بينها: تحرير المُدن والحُصون التابعة للجزائر، بالإضافة إلى توحيد الإيالة من التشتت الداخلي وحماية الثغور البرية من التدخلات الأجنبية، أما في الجانب الديني فنجد مثلاً مجموعة من الإحسانات والتبرعات قام بحبسها أولئك المُجندين لفائدة العامة من الناس، أما في العنصر الثالث فقد تطرقنا فيه إلى ذكر مختلف الآثار السلبية الناجمة عن سياسة تجنيد المتطوعين لصالح الجيش الجزائري، وذلك

من خلال تأثيرها على مختلف الجوانب، ففي الجانب السياسي نجد الانقلابات العسكرية التي قادها أولئك المُجَنِّدين (الإنكشارية) ضد السُلطة الحاكمة، بالإضافة إلى ظاهرة الاغتيالات التي طالت الحكام العثمانيين في إيالة الجزائر من طرف المُجَنِّدين (الإنكشارية)، أما في الجانب الاقتصادي فنجد العجز المالي الذي طال خزينة الإيالة من جراء النفقات التي كانت ترافق سياسة التَّجْنيد بشكل عام، أما فيما يخص الجانب الاجتماعي، فإنه يمثل الحيز الأكبر من تلك الآثار، وذلك من خلال سوء العلاقة التي جمعت بعض المُجَنِّدين (الإنكشارية) وفئة الأهالي طوال الفترة العثمانية بالجزائر، هذا وبالإضافة إلى ظهور مُشكلة تتعلق بالفئة الجديدة التي برزت في المجتمع وهي الكراغلة، وأخيراً وجدت بدوري أنه بعد قُدم أولئك المُجَنِّدين إلى الإيالة برزت الآفات الإجتماعية وانتشرت الأوبئة بشكل كبير، وذلك لمجموعة من العوامل التي ساهمت فيها سياسة تجنيد المُتطوعين سواء من قريب أو من بعيد.

وختمنا هذه الدراسة بجملة من الاستنتاجات ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الإجابة على كل التساؤلات المطروحة في الإشكالية، كما عززت هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق المُختلفة والمتنوعة من صور ووثائق أرشيفية وخرائط تخدم الموضوع وتُكمِّله، مع وضع قائمة للمصادر والمراجع المُعتمدة باللغة العربية واللغات الأجنبية الأخرى، مع توظيف جملة من الفهارس تخص كل الشخصيات والأماكن والقبائل المذكورة في هذه الدراسة.

التعريف بأهم المصادر والمراجع المُعتمدة في الدراسة:

لقد اعتمدنا في إنجازنا لهذه الدراسة على جملة من الوثائق الأرشيفية والمخطوطات، وحتى المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وعددًا كبيرًا من المقالات المُتخصصة سواء العربية أو الأجنبية، وبدوري لم أكتفي بذلك، بحيث اعتمدت أيضًا على مجموعة كبيرة من رسائل وأطروحات جامعية خادمة لموضوع الدراسة، وعليه يمكن تقسيم هذه المصادر والمراجع على الشكل التالي:

أولاً: المصادر الأولية الغير منشورة (الأرشيف):

يكتسب الأرشيف مكانة بالغة الأهمية في كتابة التاريخ بشكل عام، ذلك لأنه يُمثل تراث الأمة بكل إيجابياته وسلبياته، حيث أن الوثائق الأرشيفية تُعد بمثابة كنوز في حد ذاتها، والأرشيف أحد الأسس الصلبة التي تقوم عليها البحوث والدراسات الأكاديمية الجادة، وذلك بالوصول من خلاله إلى فهم أعمق وأدق للواقع القائم وقضاياها الرَّهنة، وعليه فقد تطلب مني من أجل إعداد موضوع دراستي البحث في دور المحفوظات

والأرشيف عن المادة التاريخية داخل الوطن وخارجه، وذلك قصد الاطلاع على الوثائق التي تتصل بموضوع البحث وهي موجودة في دور المحفوظات التالية:

1- الأرشيف الوطني الجزائري ببئر خادم (أ.و.ج):

أ- دفتر خط همايون:

يحتوي دفتر خط همايون على مجموعة من المراسلات التي كانت بين مسؤولي الإيالة الجزائرية والباب العالي، وبعد الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1246هـ/1830م، نجد بأن تلك المراسلات قد استمرت مع الحاج أحمد باي قسنطينة، كما يحتوي هذا الرصيد على مراسلات الدولة العثمانية مع سفرائها في العديد من الدول الأوروبية مثل: إنجلترا والنمسا وذلك من أجل استعادة الجزائر من الفرنسيين.

أما بخصوص استغلالي لرصيد دفتر خط همايون فقد كان بشكل كبير نوعاً ما، حيث استفدت منه بحوالي خمسون (50) وثيقة تصب في مجملها في صالح موضوع الدراسة، ومن أبرز المواضيع التي تناولتها نجد قضية العراقيين التي كانت تمثل العائق الذي صعّب من عملية تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة وغيرها من المواضيع الأخرى.

ب- فرمانات مهمة دفترية:

وهو عبارة عن دفتر يحتوي على عدد كبير من الأوامر السلطانية الصادرة من قبل السلاطين العثمانيين إلى حكام الإيالة ومسؤوليها الساميين، وعددها هو تسعمائة وإحدى عشر (911) فرمان، تتعلق في مجملها بشؤون الجهاز الوظيفي، في حين تغطي فترة القرن السادس عشر (16) ميلادي فقط، ومن أبرز المواضيع التي تطرقت إليها نذكر: التعيينات والترقيات وحركات العزل وإعطاء المكافآت وتقديم علاوات ورواتب وأوامر سلطانية للمشاركة في المعارك العثمانية البحرية ونحو ذلك.

وقد أفادتني فرمانات " مهمة دفترية " في التعرف على بعض التعيينات والرواتب والمكافآت التي شملت المؤسسة العسكرية بالجزائر، وكذا التعرف على مدى مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية.

ج- سجلات المحاكم الشرعية:

وتضم سجلات المحاكم الشرعية حوالي مئة وثلاثة وخمسون (153) علبة، وتحتوي معظمها على أكثر من مئة (100) وثيقة، ومجموع ما تحويه العلب يُقدر بحوالي خمسة وعشرون الف (25000) وثيقة،

وكلها مكتوبة باللغة العربية وبالخط المغربي، بحيث تغطي جميع تعاملات المحكمة الشرعية (بيع، شراء، زواج، طلاق، حبوس...لخ)، وهي تُغطي بذلك مدينة الجزائر والمناطق المُجاورة لها في الفترة الممتدة بين سنتي (1592-1856م)، وتكمن صعوبة البحث في هذه السجلات بسبب عدم خضوع مُحتويات تلك العُلب للترتيب الكرونولوجي (الزمني).

وقد أفادتني هذه السجلات في التعرف على وثائق الحُبوس أو الأوقاف التي تركها مجموعة كبيرة من أفراد فرقة الإنكشارية للصالح العام، حيث تم توظيفها في دراستي.

2-الأرشيف الوطني التونسي (أ.و.ت):

لقد تحصلت على وثيقتين من الأرشيف الوطني التونسي وهي تخص قضية هُروب الجُند من إيالة الجزائر باتجاه إيالة تونس وطرابلس الغرب سواء للإقامة فيها أو اتخاذها بمثابة طريق بري للعبور من خلالها إلى مناطق الأناضول وبالتالي العودة إلى أهاليهم، وسعي السلطة العثمانية بالجزائر إلى إتخاذ الإجراءات اللازمة في ذلك الأمر وهذا بتقديم مجموعة من الشكاوي إلى الباب العالي، خاصة في عهد الداوي حسين باشا (1818-1830).

3-الأرشيف الولائي بقسنطينة (أ.و.ق):

يضم الأرشيف الولائي بقسنطينة الوثائق التي تعود إلى الفترة العثمانية إلى نوعين أو قسمين وهما:

أ-وثائق المراسلات الأرشيفية:

وهي عبارة عن مُراسلات أرشيفية تخص مجموعة الرسائل التي قام بإرسالها بايات قسنطينة إلى دايات الجزائر، وبعضها إلى بايات تونس، وأخرى من دايات الجزائر إلى بايات تونس، ومصدر هذه الوثائق هو الأرشيف التونسي، حيث قام بفهرستها أحمد بوزيد في 15 فيفري 1989م، في حين أن العدد الإجمالي لهذه الوثائق هو مئة وأربعة وأربعون (144) وثيقة، حيث أن ما يعيبها أنها غير متسلسلة كُرونولوجيًا (زمنياً)، حيث استفدت منها من خلال الوثائق التي تخص المواضيع العسكرية وبالتحديد قضية تجنيد المُتطوعين لصالح إيالة الجزائر.

ب- سجلات المحاكم الشرعية:

حتوي الأرشيف الولائي بقسنطينة على مجموعة كبيرة من سجلات المحاكم الشرعية، وهي في مجملها عشرة (10) سجلات تتضمن مختلف المعاملات الشرعية والإقتصادية كعقود البيع والشراء والهبات والتركات وعقود الزواج والطلاق وغيرها وهي مسجلة وفق التسلسل التاريخي لوقوعها، بحيث تغطي الفترة من (1202-1249هـ/1787-1833م).

حيث اعتمدت في دراستي على السجل الثالث الخاص بالزواج والطلاق الذي يغطي الفترة من (1211هـ/ 1218هـ)، حيث استندت من عقود الزواج والطلاق التي تدل على علاقة المصاهرة التي كانت تمت بين أفراد الإنكشارية مع نساء محليات ليتولد من بعدها فئة جديدة على المجتمع عُرفت بالكراغلة والتي تمثل عنصراً لا يقل أهمية في موضوع دراستي.

4- أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة-الجزائر العاصمة (م.و.ج):

أ- الوثائق العثمانية:

يحتوي قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية في الحامة على وثائق عددها ألف وستمائة واثان وأربعون (1642) وثيقة من العهد العثماني، تمثل أربعمائة وثمان وثلاثون (438) وثيقة منها الرصيد القديم بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وهي موزعة على خمس مجموعات تشكل كل واحدة منها ملفاً مستقلاً وهي تحمل الأرقام التالية: 1641، 1642، 1903، 2316، 3203.

وتمثل ألف وست وثمانون (1086) وثيقة الرصيد الجديد الذي حصلت عليه المكتبة الوطنية، أو بالأحرى أُعيد إليها مؤخراً، وهو رصيد دلفان، وهي موزعة على اثني عشر (12) ملفاً توجد ضمن خمس مجموعة تحمل الأرقام التالية: المجموعة 3190 (ملفان)، والمجموعة 3204 (ملفان)، والمجموعة 3205 (ثلاثة ملفات)، والمجموعة 3206 (ثلاثة ملفات)، والمجموعة 3207 (ملفان)، وتمثل المائة والعشرون (120) وثيقة الباقية المجموعتين التونسييتين ورقمهما 37 و3180 بالمكتبة الوطنية التونسية¹.

¹- نقلا عن خليفة حماس، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، ط1، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2012، ص 12.

وقد اعتمدت على العديد من مجموعات هذه الوثائق بما يخدم موضوع دراستي وهي على النحو التالي:

-المجموعة رقم 1641: هذه المجموعة هي عبارة عن رسائل أغلبها من بايات الشرق في قسنطينة وبعض شيوخ القبائل إلى وكيل الباستيون الفرنسي في القالة، وبها أيضًا بعض الرسائل من الباشوات في الجزائر إلى أغاوات النوبة في القل وعنابة¹.

حيث كان استعمال لوثائق هذه المجموعة مقتصرًا على وثيقتين فقط لا غير، وهذه الوثائق اقتصرت على معالجة الأوضاع الاجتماعية في بايلك الشرق قسنطينة.

-المجموعة رقم 1642: هذه المجموعة هي عبارة عن رسائل باللغة العربية أرسلها محمد باي وأحمد باي في قسنطينة إلى الداوي حسين باشا في الجزائر بين عامي 1232-1245هـ/1817-1830م، وعددها ثلاثون رسالة مرقمة من واحد (01) إلى ثلاثون (30)².

لقد اعتمدت من جهتي على خمسة وثائق من هذه المجموعة، حيث تناولت مواضيع مختلفة تخص عملية تجنيد المتطوعين وغيرها من المواضيع الأخرى التي تتعلق بشكل كبير بموضوع دراستي.

-المجموعة رقم 1903: تحتوي هذه المجموعة في مجملها على الوثائق التي تتطرق لموضوع الوكلاء الخاصين بإيالة الجزائر ودورهم في تجنيد المتطوعين لصالح إيالة الجزائر من جهة، وبعض التقارير الاستخباراتية التي كان ينقلونها أولئك الوكلاء إلى مقر السلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر.

في حين اقتصر في اعتمادي على هذه المجموعة على الوثائق التي تخص موضوع تجنيد المتطوعين من مختلف أقاليم الدولة العثمانية لصالح إيالة الجزائر.

-المجموعة رقم 3190: هذه المجموعة هي عبارة عن وثائق مختلفة، ولكن في أغلبها مراسلات إلى باشوات الجزائر من الباب العالي ومن وكلائهم في عدد من مدن وأقاليم الدولة العثمانية، وهي بذلك تغطي بشكل عام الفترة الممتدة بين عامي 1162-1245هـ/1748-1830م، في حين أن أغلب هذه الوثائق تعود إلى فترة الداوي حسن باشا (1818-1830) آخر ولاية الجزائر العثمانيين، في حين تحتوي هذه

¹- المرجع نفسه، ص 26.

²- المرجع نفسه ص 36.

المجموعة على ملفين الأول ويحتوي على كم هائل من الوثائق مرقم من واحد (01) إلى أربعمئة وأربعة وستون (464)، أما الملف الثاني فهو مرقم من واحد (01) إلى ستة عشر (16)¹.

لقد اعتمدت في إنجاز موضوع دراستي بشكل كبير على وثائق هذه المجموعة، وذلك لعدة اعتبارات ومن بينها: لقد تطرقت جُلُّ وثائق هذه المجموعة إلى موضوع دراستي وهو تجنيد المُتطوعين بجميع عناصره تقريباً، إنطلاقاً من التعريف بالوكلاء والدائيات المُكلفين بعملية التجنيد ومن ثم الشروع في نقلهم إلى مدينة الجزائر وأخيراً توزيعهم على مختلف مناطق الإيالة لمباشرة مهامهم العسكرية.

-**المجموعة رقم 3204**: هذه المجموعة هي عبارة عن مُراسلات وصل أغلبها إلى باشاوات الجزائر من الباب العالي ووكلائهم في المدن العثمانية، وبعضها من البايات وقواد المدن في إيالة الجزائر، وهي بذلك تغطي الفترة من علم 1183-1245هـ/1769-1830م².

في حين كان استعمال لوثائق هذه المجموعة بشكل قليل نوعاً ما، وذلك راجع إلى محدودية ونوعية الوثائق التي تطرقت لموضوع التجنيد وما يخدمه.

-**المجموعة رقم 3206**: وثائق هذه المجموعة هي عبارة عن مُراسلات وصل أغلبها إلى الباشا ووكيل الحرج من البايات والقواد وكبار الموظفين في الجزائر ومن وكلاء الجزائر في إيالة تونس وإستانبول، وبعضها الآخر وصل إليهما من جهات أخرى داخل إيالة الجزائر وخارجها³.

في حين اعتمدت في هذه المجموعة على وثائق قليلة لكنها ذات أهمية بالغة، وذلك فيما يخص بعض الوثائق التي تطرقت لقضية تجنيد المُتطوعين، وكذا الحديث عن الوكلاء الخاصين بإيالة الجزائر.

ب-المخطوطات:

تظم المكتبة الوطنية الجزائرية في مصلحة قسم المخطوطات الذي يتواجد في الطابق الأرضي على العديد من المخطوطات النادرة، حيث قام المُشرفين على المكتبة الوطنية بوضع قائمة لبعض المخطوطات

¹- خليفة حمّاش، المرجع السابق، ص 54.

²- المرجع نفسه، ص 106.

³- المرجع نفسه، ص 136.

الموجودة على مستوى هذه المصلحة على شكل فهرس (كتاب) وهي تقدر بنحو أربعة آلاف وثلاثمائة وعشرة (4310) مخطوط مُصور¹.

لقد استقدت من هذا القسم الخاص بالمخطوطات من أجل إنجاز موضوع دراستي على خمسة (05) مخطوطات وهي على الشكل التالي:

- **مخطوط قاموس الألفاظ العسكرية:** وهو عبارة عن مخطوط مجهول المؤلف، يحمل رقم: 249 في الفهرسة الخاصة بقسم المخطوطات، بحيث يحتوي هذا المخطوط على خمسة (05) ورقات فقط، وتتضمن هذه الأوراق مجموعة من المصطلحات والمفردات العسكرية وما يُقابلها من التعريف والشرح المناسب لها، حيث أن يميز هذا المخطوط وضوح الخط الذي خط به وهو الخط المغربي.

- **مخطوط تاريخ بايات وهران:** ويعود تأليف هذا المخطوط إلى حسان خوجا، يحمل رقم: 1634 في الفهرسة الخاصة بقسم المخطوطات، فإنه يضم أربعة عشر (14) ورقة، حيث يُعرف هذا المخطوط بمجموعة من البايات الذين حكموا مدينة وهران (بايلك الغرب) وأهم إنجازاتهم، إبتداءً من الباي محمد بن عثمان الكردي (1779-1797) الذي قام بتحرير مدينة وهران من الإسبان سنة 1792م إلى غاية آخر باي وهو حسن باي (1827-1831)، حيث ما يُمز هذا المخطوط وضوح الخط الذي خط به، وقد خط بالخط المغربي أيضاً.

- **مخطوط أسماء حُكام الجزائر:** يعود تأليف هذا المخطوط لمؤلف مجهول، يحمل رقم: 1637 في الفهرسة الخاصة بقسم المخطوطات، حيث يضم حوالي ستة (06) ورقات ورقة، حيث يُعرف هذا المخطوط بأسماء بعض حُكام الإيالة وبعض إنجازاتهم، إبتداءً بخليل أغا (1659-1660) ووصولاً إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) آخر حكام الجزائر العثمانية، حيث ما يميز هذا المخطوط هو قدم أوراقه وتمزقها في بعض الأحيان، أما بخصوص الخط الذي كتب به فهو خط مغربي واضح نوعاً ما.

- **مخطوط ألبوم بأشعار الإنكشارية:** يعود تأليف هذا المخطوط إلى إبراهيم خوجا، يحمل رقم: 1817 في الفهرسة الخاصة بقسم المخطوطات، فإنه يضم حوالي ثلاثون (30) ورقة، بحيث يضم هذا المخطوط على العديد من الأبيات الشعرية الخاصة بالإنكشارية تصف بدورها الأوضاع التي كانوا يعيشونها خلال

¹ - الطيب لسوس، قائمة مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2021،

مدة تجنيدهم في الإيالة، حيث أن ما يميز هذا المخطوط أنه مُدون باللغة العثمانية مع قدم أوراقه وتآكلها في بعض الأحيان.

-مخطوط تاريخ مجيئ الإسبانيين في المرة الثانية والثالثة إلى الجزائر: يعود تأليف هذا المخطوط إلى مؤلف مجهول، يحمل رقم: 2285 في الفهرسة الخاصة بقسم المخطوطات، فإنه يضم حوالي ستة(06) ورقات، حيث جاء في هذا المخطوط ذكر الحملتين الإسبانييتين على مدينة الجزائر عامي 1783-1784م بقيادة أنطونيو دي بارسيلو مع التطرق إلى أهم الأحداث التاريخية التي جرت في تلك الحملتين الشهريتين، حيث ما يميز هذا المخطوط تماسك أوراقه لكن توجد بينهما ورقة ممسوحة، أما بخصوص الخط الذي كتب به فهو خط مغربي واضح نوعاً ما.

ثانياً: المصادر الاولية المنشورة (المطبوعة):

كما حتم علي طبيعة موضوع الدراسة الرجوع إلى العديد من المصادر الأولية المنشورة سواء ما تعلق الأمر بالمصادر العربية أو الأجنبية والتي وجدنا من خلال اطلاعي عليها أنها تحتوي على مادة خبرية هامة خدمت موضوع دراستي في العديد من الجوانب وهي على الشكل التالي:

1-المصادر العربية:

-مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار" نقيب أشرف الجزائر" (1196-1289هـ/1781-1872م): قام بتحقيق هذا المصدر أحمد توفيق المدني ونشره لأول مرة عام 1972م، وقد أُعيد طبعه في سنة 1980م بالمؤسسة الوطنية للكتاب، وهو بذلك يُعد من أهم المصادر المتأخرة التي تؤرخ للعهد العثماني بالجزائر، حيث قام الحاج أحمد الشريف الزهار بتسجيل كل الأحداث السياسية والعسكرية التي جرت بالجزائر إبتداءً من عهد الداوي علي بوصباغ باشا (1754-1766) ووصولاً إلى آخر الدايات حسين باشا (1818-1830)، أما فيما يخص العناوين فقد كانت كلها من وضع المحقق¹.

¹ - الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974، مقدمة المحقق، ص ص 09-10.

وقد اعتمدت على هذا الكتاب في دراسة مختلف الأوضاع السياسية والعسكرية التي حدثت في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر، بالإضافة إلى التعريف ببعض الدايات الذين حكموا الإيالة خاصة الداوي علي باشا (1817-1818) والداوي الأخير حسين باشا (1818-1830).

- "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة (1187-1259هـ/1773-1842م): لقد سلم كتاب "المرآة" من التدمير والتخريب لأن حمدان خوجة نشره بباريس باللغة الفرنسية سنة 1833م¹، وهو كذلك يُعد من أهم المصادر المحلية المتأخرة للعهد العثماني بالجزائر، حيث قام حمدان خوجا بالتعريف بمختلف الفئات الاجتماعية التي كانت تقطن بمدينة الجزائر من جهة والمناطق الجبلية من جهة أخرى، وكذا التنظيم العسكري للجزائر خلال العهد العثماني مع التفصيل في مراحل الإحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر، وتوقيع الداوي حسين باشا (1818-1830) لمعاهدة الإستسلام يوم 05 جويلية 1830م.

وقد أفادني هذا المصدر الغني بالمعلومات في جُل فصول موضوع الدراسة وبصفة أكبر الفصل الخاص بالتنظيم العسكري للفرق النظامية والفرق الغير نظامية في الجيش الجزائري.

2-المصادر الأجنبية:

-دون ديغو دو هايدو (Don Diego de Haëdo): وله مؤلفين الأول وعنوانه "طبوغرافية تاريخ الجزائر العام" (Topographie et histoire Générale d'Alger)، والثاني بعنوان "تاريخ ملوك الجزائر" (histoire des rois d'alger)، وهذه الكتب تمثل إحدى المرجعيات في كتابة تاريخ الجزائر العثماني كون أن المؤلف كان سجيناً بمدينة الجزائر خلال سنتي: (1578-1581م)، في حين اعتمدتُ على هذان المصدران لأنهما يحتويان على العديد من المادة الخبرية التي تتعلق خصوصاً بموضوع دراستي في الجانب العسكري، حيث أفادي الكتاب الأول في التعريف بمختلف الفرق العسكرية التي كانت مُجندة في الجيش الجزائري خلال القرن السادس عشر (16) ميلادي، أما الكتاب الثاني الذي تطرق إلى الحديث عن جميع حكام الإيالة في عهد البيلربايات إبتداءً من خير الدين بربروس (1519-1535).

¹- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق، تعر، تح: محمد العربي الزبييري، منشورات (ANEP)، الجزائر، 2005، مقدمة المحقق، ص 04.

- توماس شاو (Thomas Shaw): وله مؤلف بعنوان: " Voyage dans la régence d' "

Alger

" مؤلف هذا الكتاب هو الطبيب الإنجليزي " توماس شاو"، وهو مصدر في غاية الأهمية خاصة فيما يتعلق الأمر بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، ذلك لأن صاحبه قد أقام بالجزائر خلال الفترة 1720-1732م أي حوالي اثني عشر (12) سنة وذلك بصفته قسيساً للوكالة الإنجليزية وخلال هذه الفترة صال وجال بالجزائر وقد جمع عنها معلومات غزيرة ودقيقة في العديد من الميادين أمثال: الجغرافيا والحياة الثقافية والإجتماعية، والنظم الإدارية والعسكرية للجزائر خلال العهد العثماني.

-فانتور دو بارادي: (Venture de Paradis): وله مؤلفان الأول وعنوانه " Alger au "

XVIIe siècle"، أما الثاني " Tunis et Alger au XVIII Siècle"، وهو المستشرق الفرنسي "فانتور دو بارادي" والذي يُعتبر من أهم المصادر التاريخية الأجنبية التي أرخت للفترة الاخيرة من العهد العثماني بالجزائر، وذلك لما يتميز به من دقة الملاحظة والمعلومات الغزيرة التي يقدمها عن الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) وأعضاء حُكومتها والنظام الإداري وعن الجيش والأسطول، وقد اعتمدت عليه من خلال الجزء الذي يتعلق بالجيش وتنظيماته على مستوى إيالة الجزائر.

ومن أهم المراجع العامة التي اعتمدت عليها في موضوع دراستي، نذكر كتاب "الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)" للمؤلف صالح عباد الذي أفادني في بعض العناصر المهمة من الأطروحة، وكذلك كتاب " تاريخ المغرب الحديث من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453-1837م)" للمؤلف كمال فيلاللي الذي أفادني في التعريف بفرقة الإنكشارية وتنظيماتها العسكرية على مستوى مدينة الجزائر، وكتاب "الجيش الجزائري في العصر الحديث" للمؤلف علي خلاصي، وكتاب "بنيّة الجيش الجزائري خلال العهد العثماني" للمؤلف حنيفي هلايلي، وكتاب "الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني" للمؤلف محمد بوشنافي.

أما فيما يخص المراجع الأجنبية فقد اعتمدت على كتاب " Histoire d'alger sous la domination turque (1515-1830) " للمؤلف دوغرامون (De grammont)، وكتاب " la ville d'alger vers la fin du XVIIIe siècle " للمؤلف تال شوفال (Tal Shuval)، وكتاب " TACHRIFAT Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger " للمؤلف ألبرت دوفو (Devoulx.A).

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات أكاديمية بحجم أطروحة دكتوراه أو رسالة ماجستير سابقة مختصة حول الموضوع بعينه، إلا أن هناك بعض البحوث نجد أنها قد تناولت موضوع الدراسة في بعض الجوانب وهي عبارة عن مقالات علمية ومنها:

دراسة الباحث خليفة حماش بعنوان " تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، بمجلة الآداب والحضارة الإسلامية، العدد 20، جانفي 2017 وقد تطرقت هذه الدراسة عن الحديث عن أولئك المتطوعين الذين كانت السلطة العثمانية بالجزائر تقوم بتجنيدهم من أقاليم الدولة العثمانية المختلفة لصالح الجيش الجزائري بالإيالة، ونجد أيضًا دراسة الباحث محمد بوشنافي بعنوان " تجنيد المتطوعين للجيش الإنكشاري الجزائري أثناء العهد العثماني من خلال الوثائق"، بمجلة عصور جديدة، العدد 13، السنة 2014. وقد جاءت هذه الدراسة أيضًا بمعالجة قضية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح إيالة الجزائر، وذلك بالاعتماد على مجموعة كبيرة من الوثائق الأرشيفية التي تخص الموضوع، أما من جهة أخرى نجد دراسة تخص التجنيد باللغة الأجنبية وهي دراسة مارسيل كولومب (Marcel Colombe) بعنوان: « contribution à L'étude du Recrutement de L'odjak D'Alger Dans les derniers années de la régence »

وهي المنشورة في المجلة الأفريقية العدد رقم 87، الجزائر، 1943. وهي عبارة عن دراسة قيمة، حيث عالجت موضوع تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية مع الإشارة إلى العديد من الإحصائيات التي تتعلق بأعداد المجندين وأماكن تجنيدهم.

أما بما يتعلق بالدراسات الأكاديمية التي تطرقت إلى جوانب مهمة من موضوع الدراسة نذكر مثلاً: أطروحة دكتوراه للباحثة جميلة معاشي التي جاءت بعنوان: " الإنكشارية والمجتمع ببابيك قسنطينة في نهاية العهد العثماني"، وقد عالجت من خلالها عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية، وقد تطرقت أيضًا إلى التعريف بفرقة الإنكشارية وكل ما كان يتعلق بالتنظيمات التي شملتها في إيالة الجزائر، وفي دراسة أكاديمية أخرى للباحث ميم داود بعنوان: " الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية " تنظيمه وعده" (1830-1518)، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه تطرق من خلالها الباحث إلى ذكر مختلف الفرق العسكرية التي كانت موجودة في إيالة الجزائر، سواء ما تعلق الأمر بالفرق النظامية أو الفرق الغير نظامية (الاحتياطية)، مع ذكر أهم الخصائص المتعلقة بكل فرقة عسكرية.

الصعوبات:

أما بخصوص الصعوبات فنجد أنها كانت الرفيق الذي لازمنا طيلة فترة إنجاز هذه الدراسة وقد كان من أهمها:

- وفاة والدتي (رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه)، وهذا ما أثر على نفسيتي بشكل كبير وبالتالي ما سبب لي في حالة انقطاع طويلة عن البحث بخصوص الأطروحة.

- ضيق الفترة الزمنية الممنوحة لنا لاختيار الموضوع التي بدورها أدت إلى اضطرابنا منذ البداية في تحديد دقيق لموضوع الدراسة، والذي قمت بتعديله فيما بعد وفق متطلبات إشكالية الدراسة.

- مشكلة التنقل إلى مركز الأرشيف الوطني الجزائري والمكتبة الوطنية المتواجدان بالجزائر العاصمة، مما حتم علي التنقل إليهما بشكل مستمر طيلة مسار البحث في الأطروحة.

- العراقيل الإدارية على مستوى (مركز الأرشيف الوطني-المكتبة الوطنية) والتي حالت دون تحصلنا على مختلف الوثائق والمخطوطات التي لها صلة وطيدة بموضوع الدراسة.

- صعوبة قراءة الوثائق والمراسلات العثمانية التي تخدم موضوع الدراسة، والتي أخذت مني الكثير من الجهد والوقت من أجل التدريب على قراءتها وفهمها، وهذا من خلال المشاركة في الدورات التدريبية المخصصة لذلك سواء تلك المتعلقة بالمخطوطات أو الوثائق العثمانية.

على الرغم من كل هذه الصعوبات التي واجهتنا في مسارنا البحثي، فقد حاولت قدر الإمكان الإلمام بالجوانب الرئيسية لموضوع الدراسة، وبالتالي تقديمه في الوقت المحدد، تاركين الباب مفتوحًا لدراسات وأبحاث أخرى تستكمل ما قد يظهر على الموضوع من نقائص أو ما قد يفتحه من آفاق جديدة للبحث.

الفصل التمهيدي

الإخوة بربروس ودورهم في انضمام

الجزائر للدولة العثمانية

سقطت إمارة غرناطة سنة 1492م¹، وعليه فقد مثل ذلك السقوط انهياراً أكبر سد سمح من خلاله للمسيحيين الإسبان التخلص من المورسكيين في شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث تم تهجيرهم إلى بلدان الشمال الإفريقي، وعليه فقد أُعتبر هذا الحدث مُعرجاً حاسماً مكن المسيحيين من نقل ساحة الصراع لأول مرة إلى الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وبالتالي فقد أصبحت على إثرها منطقة شمال إفريقيا مسرحاً للحروب الدينية وعرضةً للتحرشات الكاثوليكية، وعليه فقد عمل ملوك الكاثوليك ومؤيديهم من عامة الإسبان إلى إعلان الحرب على بلدان المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، وذلك بغية منهم في جعل المنطقة (شمال إفريقيا) بحيرة مسيحية كما كانت عليه من قبل ظهور الدين الإسلامي وانتشاره في جُل المناطق التي تعرف اليوم بتسمية " منطقة الشمال الإفريقي"².

لكن بالرجوع إلى الضفة الجنوبية للبحر المتوسط في تلك الفترة أي أثناء سُقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس (غرناطة)، فقد شهدت دول المغرب الإسلامي صراعات عسكرية مع بعضها البعض، وقد كان ذلك في الفترة الممتدة من أواخر القرن الخامس عشر (15) وبداية القرن السادس عشر (16) ميلادي³، وزيادة على ذلك نجد قيام مجموعة من الصراعات الداخلية التي نشبت بين أفراد الأسرة الحاكمة على مستوى منطقة المغرب الأوسط (الدولة الزيانية)، فقد تميزت في تلك الفترة بالصراعات الداخلية على الحكم، مما أدى إلى تشتتها وُضعفها، وبالتالي تفرقت كلمتهم وطمع بهم الأعداء من كل جانب، وقد انقلب خوف الأعداء منهم إلى الجرأة عليهم⁴، لهذا عمل الإسبان على شُن مجموعة من التحرشات على سواحل هذه

¹ - حيث يمثل هذا التاريخ 1492م سقوط آخر معقل من معاقل الأندلس وهي غرناطة المدينة الصامدة لعدة قرون في وجه الغزو الإسباني، وبالتالي أصبح سقوط غرناطة هو سقوط الأندلس، وهذا بالرغم من أن سقوط المدن والحواضر الأندلسية قد بدأ من القرن الحادي عشر (11) للميلاد، وذلك عندما سقطت أولى هذه المدن وهي طليطلة عاصمة إمارة ذي النون سنة 1085م ... للمزيد راجع: جمال يحيوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492-1610م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011، ص 25.

² - كمال فيلالي، تاريخ المغرب الحديث من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453-1837)، ط3، دار ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2018، ص 49.

³ - الطيب بن نادر، الجزائر حضارة وتاريخ (الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف)، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 44.

⁴ - شهد المغرب الأوسط مرحلة عصيبة خاصة مع نهاية القرن الخامس عشر (15) ميلادي وبداية القرن السادس عشر (16) ميلادي، وقد تمثلت هذه المرحلة في التدخلات الأجنبية الكثيرة في شؤون الحكم بالنسبة للدولة الزيانية، فنجد الحفصيين في الجهة الشرقية والمرينيين ثم الوطاسيين في الجهة الغربية، في حين لم يتوقف الوضع عند هذا الحد بل تعداه إلى السيطرة على عاصمة الدولة الزيانية تلمسان نفسها في العديد من المرات، وعليه فقد ساهمت تلك الأحداث وغيرها في تردي أوضاع

المنطقة (المغرب الأوسط)¹، ومن هذا المنطلق نطرح السؤال التالي: ماهي جُملة الأسباب والدوافع الحقيقية وراء شن الإسبان لتلك التحرشات؟ وفيما أفضت نتائجها؟.

أولاً: التحرشات الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط:

1- الأسباب والدوافع:

1-1- الأسباب الدينية:

اختلفت دوافع الاعتداءات الأوروبية على السواحل الجنوبية للبحر المتوسط، ونقصد هنا مملكة إسبانيا على وجه الخصوص²، ويُعد العامل الديني حسب رأينا هو المُتحكم الأول في مجريات تلك التحرشات، وذلك راجع إلى العداوة التقليدية بين المسلمين من جهة والمسيحيين من جهة أخرى، والتي ترجع في تاريخها إلى بداية الدعوة المُحمدية، وانتشار الدين الإسلامي في مختلف بقاع العالم³، وبالتالي نجد أن ما زاد الأمر سوءًا هو فتح القُسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح (1451-1481)⁴ سنة 1453م، وهذا ما خلف أثرًا كبيرًا في نفوس المسيحيين عُمومًا وكبار رجّال الدين بشكل

الدويلات المغاربية بشكل عام والدولة الزيانية بشكل خاص... للمزيد راجع: مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، منشورات دار الحضارة، الجزائر، 2009، ص 49.

¹ - لقد حصل تنافس كبير ما بين الإسبان والبرتغال حول من يستحوذ أكثر على مناطق النفوذ، والتي تمثلت في دويلات المغرب الإسلامي الضعيفة والمتناحرة مع بعضها البعض، مما أدى بالإسبان والبرتغال في الأخير الإتفاق على اقتسام تلك المناطق على شكل وثيقة رسمية تعرف بمعاهدة تورديسيلاس سنة 1494م، حيث عدَّ حجر باديس بمثابة الحدِّ الفاصل بين المملكتين، فكان للبرتغال حرية التصرف في الجزء الغربي من الحجر، والإسبان حرية التصرف في مملكة تلمسان والسواحل الشرقية منها... للمزيد راجع: الحواس غربي، محاضرات في مادة تاريخ الجزائر العثماني، مطبوعة جامعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، ص 20.

² - كانت إسبانيا خلال القرن الخامس عشر (15) ميلادي مقسمة إلى إمارات متناحرة فيما بينها، وهي على النحو التالي: قشتالة وأراغون، نافارة، ليون، البرتغال، في حين فقد كانت أقوى هذه الإمارات المتصارعة هي مملكة قشتالة ومملكة أراغون... للمزيد راجع: علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، ط1، دار قوباء، القاهرة، مصر، 2001، ص 61.

³ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط1، (د.م.ج)، بن عكنون، الجزائر، 1999، ص 43.

⁴ - وهو السلطان العثماني السابع، تولى الحكم خلفا لأبيه مراد خان الثاني، يعد أكبر أنجاز حققه هو فتح القسطنطينية عاصمة البيزنطيين في أسيا الصغرى سنة 1453م ... للمزيد راجع: أبي مصعب السوري، مُختصر تاريخ الدولة العثمانية، ط1، بيت المقدس للنشر، (د.ب)، 2019، ص 23.

خاص¹، ويُعدّ رجال الدين المسيحيين من القساوسة والرهبان هم السَّباقون إلى إشعال لهيب ذلك الصراع الديني من جديد أي بعدما خمدت نيرانه لعدة قرون من الزمن، وزيادة على ذلك فقد عمل الباباوات من أجل الإعداد لهذه الحرب الدينية من خلال تدعيم الجيوش المسيحية بالمال والعتاد العسكري، فاستجابت إسبانيا للنداء لكونها زعيمة العالم المسيحي وحامية دينه آنذاك²، في حين نجد بأن الحقد الديني قد تعزز وتغلغل من خلال الزواج السياسي الذي جمع ما بين الملك فرديناند والملكة إيزابيلا سنة 1474م، وقد تم ذلك الزواج بمباركة البابوية ورعايتها، وقد منحتهم الكنيسة لقب الملوك الكاثوليك، ونتيجة لهذا الزواج السياسي ظهرت مملكة إسبانيا الموحدة، وهذا باتحاد مملكتي أرغون وقشتالة³.

عُرف عن الملكة إيزابيلا حقدًا الدفين تجاه الدين الإسلامي وللمسلمين، حتى أطلق عليها تسمية " النمرة الوعة "، لكن الملكة لم تعيش طويلاً لكي تُشبع حقدًا للمسلمين، وهذا من خلال وفاتها سنة 1504م، مما عطل تحقيق المشروع الذي كانت تطمح إليه، لكن هذا لا يعني أن المشروع الذي رسمته الملكة قد تبخر في أدراج الرياح، بل العكس من ذلك، وهذا لأنها أنها تركت وصية تدعو فيها إلى مواصلة ذلك المشروع وجاء فيها: " يجب ألا نوقف غزو إفريقيا، ولا إنهاء الصراع ضد الكفار المسلمين - وهذا كله من أجل خدمة العقيدة"⁴.

1-2- الأسباب السياسية:

تجسد الدوافع السياسية من خلال الانتصار الذي حققه الملكان فرديناند وإيزابيلا على مسلمي الأندلس، وذلك بإسقاط آخر معقل للمسلمين في المنطقة وهي غرناطة سنة 1492م، وطرد جميع المسلمين والتكثير بهم، حيث من البديهي أن تراودهم فكرة توسيع ملكهما لبناء إمبراطورية مترامية الأطراف في

¹ - عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 910-1206هـ / 1505-1792م، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 18.

² - أسماء أبلالي، "التحريشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م - قراءة في الدوافع والنتائج"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع02، جامعة غرداية، 2017، ص 36.

³ - نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر 10هـ - السادس عشر ميلادي 16، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2001/2002، ص 18.

⁴ - جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر، تع: أبو القاسم سعد الله، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 25.

الحوض الغربي للمتوسط¹، في حين أن ذلك المشروع لا يكتمل إلا بالتوسع على منطقة الشمال الإفريقي التي عرفت آنذاك تمزقاً سياسياً ومرحلة ضعف سادت كامل ممالكها، وعليه فقد استغل الإسبان ذلك الضعف لاحتلال سواحلهم وذلك بدافع التملك والجشع الاستعماري، بالإضافة إلى ذلك تهجير المسلمين الأندلسيين إلى سواحل المغرب الإسلامي، وبالتالي تعد العامل الحاسم، وهذا من خلال أن إسبانيا اتخذتها ذريعة لملاحقتهم إلى سواحل المغرب الإسلامي وبالتالي اتخذوه العامل الذي يُبرر وجودهم في المنطقة².

1-3- الأسباب الاقتصادية:

تعرضت إسبانيا إلى انهيار اقتصادي رهيب بعدما طردت المسلمين واليهود من بلاد الأندلس، وذلك لأنهم كانوا يُشكلون الركيزة الأساسية لاقتصاد البلاد، وبذهابهم تعطل الإنتاج وغابت وسائل التصنيع، وعلى إثر هذا الوضع المزري توجه الزعماء الإسبان إلى التفكير في اكتساح بلاد المغرب الإسلامي، وعلى وجه الخصوص منطقة المغرب الأوسط، كإجراء احترازي ووقائي وسلوك يُراد منه الرغبة في وضع حد لهذه الأزمة الخانقة، وذلك عن طريق الاستفادة من الموارد الاقتصادية المتنوعة التي تزخر بها هذه الأخيرة³.

وفي جانب آخر لا يقل أهمية عن سابقه ينطوي تحت الدافع الاقتصادي، وهو رغبة إسبانيا في إحكام السيطرة على الحوض البحر المتوسط من خلال احتلال مينائي المرسي الكبير ووهران، وهما أقرب الموانئ إلى إسبانيا، لأن ذلك الإجراء سيمكنها من تأمين تجارتها في البحر الأبيض المتوسط، وكذلك يضمن الأمن الدائم والمستمر لمضيق جبل طارق، وهو بدوره المنفذ الوحيد للبحر الأبيض المتوسط من الجهة الغربية، وكذلك إحكام السيطرة على مسار السفن المُبحرة عبره وفرض مجموعة من الرسوم الجمركية عليها مقابل ذلك العبور⁴، ونجد أيضا أن إسبانيا بعد الكشوفات الجغرافية أصبحت بحاجة ماسة إلى أسواق

1- لقد اشتق اسم الحوض المتوسط أو البحر المتوسط من كلمتين لاتينيتين هما: (Médius) أي المتوسط و(Terra) أي الأرض، ويعتبر من أهم البحار في العالم، وذلك من خلال أنه يربط ثلاث قارات هي: أوروبا، إفريقيا وآسيا، ويكتسب أهمية كونه يمثل مهد الحضارات الراقية مثل: الفرعونية، اليونانية والفينيقية، الرومانية، والعربية الإسلامية، ويشكل حوض المتوسط بدوره طريقاً عالمياً للتجارة والعبور بالنسبة للسفن، ويجمع كذلك عدداً لا متناهياً من القوميات واللغات والثقافات المطلة على ضفتيه الشمالية والجنوبية. راجع: مريم رزاق بكرة، " أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 1، ع03، نوفمبر 2015، ص152.

2- أسماء أبلالي، المرجع السابق، ص 39.

3- عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص 18.

4- صبرينة الواعر، " الغزو الإسباني للمدن والموانئ الجزائرية ووهران والمرسي الكبير أنموذجاً 1505-1792"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 04، ع01، مارس 2020، ص ص 38-39.

لتصدير الفائض من الإنتاج المحلي إلى ثغور ساحلية تستقبل أساطيلها المحملة بمختلف السلع الاستهلاكية أو المعادن، وكذلك القضاء على تجارة العرب المسلمين الواسعة فيما وراء البحار، خاصة تجارة التوابل في بلاد الهند التي كانت قائمة منذ الفترة الوسيطة¹.

وخلاصة لما تم ذكره بخصوص دوافع وأسباب تلك التحرشات الإسبانية على السواحل المغاربية التي اختلفت من حيث الطبيعة منها ما هو ديني وسياسي واقتصادي، يتأكد لي جلياً أن الهدف الأسمى كان يتمثل في إرجاع ضفتي الحوض المتوسط بحيرة مسيحية، لأن البحر الأبيض المتوسط كان في الفترة القديمة يطلق عليه تسمية "بحر الروم"، وذلك لأن الحضارة الرومانية كانت تسيطر على ضفتيه الشمالية والجنوبية، وهذا ما سعت إلى تحقيقه إسبانيا، وبالتالي أصبح يُطلق على تلك الحروب التي نشأت في شمال إفريقيا بحروب الاسترداد التي باركتها ودعمتها الكنيسة الكاثوليكية.

2- احتلال إسبانيا لبعض مدن المغرب الأوسط:

لقد شجع تفكك ممالك المغرب الإسلامي الإسبان على القيام بعزو الموانئ والمُدن الساحلية للمغرب الأوسط بالتحديد والسيطرة عليها الواحدة تلو الأخرى وذلك ضمن مشروع استعماري، ممهدين ذلك بعملية جوسسة واسعة النطاق، فكلف على إثرها الكاردينال "كزيميناس" شخصاً يُدعى "لور أندودي باديان" و"جيرو نيمو فينالي" بمهمة التجسس بمملكة بني زيان²، وقد بقيا فيها قرابة عام من الزمن، وهذا من أجل جمع مختلف الاستخبارات المتعلقة بطبيعة مجتمع المغرب الإسلامي، وكذا جغرافية المُدن والمناطق الضعيفة من حيث التحصين، وعليه شرعت إسبانيا في إعداد خطة لهذا الغزو معتمدة في ذلك على ما جمعه أولئك الجواسيس فيما يخص المنطقة والمجتمع الزياني على حد سواء³.

¹ - أسماء أبلالي، المرجع السابق، ص 40.

² - قامت مملكة بني زيان في القرن الثالث عشر (13) ميلادي وهذا بعد أن استغل يغمراسن بن زيان ضعف الموحدين في منطقة المغرب الأوسط وغزا تلمسان وأسس السلالة الزيانية، وقد كانت حدود هذه المملكة تتغير باستمرار بسبب التدخلات المستمرة من طرف جيرانها الأقوياء الحفصيين من جهة الشرق والمرينيين من جهة الغرب... للمزيد راجع:

- Eloy Martín Corrales, Muslims in Spain 1492-1814 Living and Negotiating in the Land of the Infidel, Tr: Consuelo López- Morillas, V03, brill, Boston, USA, 1683, p.110.

³ - عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني (1520-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2017/2018، ص 07.

مهما اختلفت تلك الأسباب فإن النتيجة واحدة وهي حقيقة احتلال الإسبان بعض مدن المغرب الأوسط¹، وقد كان في مقدمتها المرسى الكبير² في أواخر شهر أوت سنة 1505م، وذلك هذا بعد أن قام الماركيز قوماريس (le Marquis Gomares) بحملة بحرية كبيرة من خمسة آلاف (5000) رجل، وقد استطاع الدخول إلى قرية المرسى الكبير واحتلالها بعد أن فرض عليها حصار عسكري دام قرابة خمسون (50) يوماً، وقد عمل الماركيز قوماريس فور دخوله إلى ارتكاب مجازر كبيرة في حق الأهالي المسلمين³، بالإضافة إلى ذلك قام بتحويل مساجدها إلى كنائس، وبعد ذلك أخذ جنوده في تحصين مواقعهم، وذلك من أجل التحكم في المدينة بأكثر قوة وصلابة⁴.

وبطبيعة الحال فإنه بعد أن احتل الإسبان لمدينة المرسى الكبير سنة 1505م وأكمل تحصينها، أخذ يتهيا مرة أخرى للاستيلاء على مدينة وهران أيضاً، وهذا ما تحقق فعلاً بعد أربع (04) سنوات، حيث وجه الإسبان ضربتهم الثانية إلى مدينة وهران سنة 1509م، حيث قاموا بإعداد حملة كبيرة خرجت من قرطاجنة يوم 16 ماي 1509م، وجهزها الكاردينال خيمينيس أسقف طليطلة، في حين اشتملت على خمسة عشر ألف (15000) من أشد المقاتلين بقيادة القائد بيدرو نافارو (Pedro Navarro)⁵، وقد وصلت تلك الحملة إلى المرسى الكبير يوم 16 ماي 1509م، في حين تعززت الحملة بقوات الحامية الإسبانية التي كانت

¹ - في مطلع القرن السادس عشر (16) ميلادي، اشتدت تحرشات الإسبان على المرسى الكبير سنة 1505م، ووهران سنة 1509م، وقد كان ذلك على شكل امتداد حلقة من حلقات الحروب الصليبية التي كانت في المشرق العربي، تم نقلها إلى بلدان المغرب وشعوبها الإسلامية، وجاء هذا بعد أن حققوا هدفهم في طرد بقايا المسلمين من البلاد الأندلسية... للمزيد راجع: يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 40.

² - هو عبارة عن مدينة صغيرة أسسها ملوك بني زيان على ساحل البحر المتوسط، تبعد عدة أميال عن مدينة وهران، ومعنى لفظ المرسى الكبير هو الميناء الكبير، لأنه حسب حسن الوزان الذي اعتبره أكبر ميناء في الدنيا، حيث يمكن أن ترسو فيه مئات المراكب والسفن الحربية، وهو مأمّن من كل عاصفة أو إعصار، ويعود تاريخ إنشاء هذا الميناء إلى العهد الفينيقي سنة 480ق.م. راجع: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 31. وراجع أيضاً: كريم مقنوش: "الصراع الجيوستراتيجي على قاعدة المرسى الكبير في البحر الأبيض المتوسط - قراءة تاريخية-، دورية كان التاريخية، ع37، السنة العاشرة، سبتمبر 2017، ص 39.

³ - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص 08.

⁴ - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 89.

⁵ - قائد إسباني قاد حملة على مدينة وهران عام 1509م، وحملة أخرى على مدينة طرابلس وبجاية عام 1510م، حيث عُزل عن ولايته في مدينة بجاية بعد خيبتة في إحتلال مدينة الجزائر فغادر مدينة بجاية نهائياً يوم 07 جوان 1511م ... للمزيد راجع: أسماء ابلالي، المرجع السابق، ص 44.

موجودة هناك¹، وعند وصول الحملة إلى مدينة وهران قاموا بشن بمجموعة من الهجمات العسكرية بواسطة المدافع، فانهالوا عليها بقصف مكثف، في حين كان هناك داخل أسوار المدينة مجموعة من العملاء الإسبان كانوا قد دخلوا إلى المدينة منذ مدة ليست بالقصيرة من أجل زرع الشكوك والبلبل، وذلك من خلال أنهم كانوا يُضرمون النار في أماكن مُختلفة لإيهام الأهالي بأن العدو موجود بأعداد كبيرة ومسيطر على المدينة ولا أمل في مقاتلته²، وفي هذا الصدد يذكر ابن المفتي في تقييداته حول دخول الإسبان إلى وهران فيقول: "... واحتل الإصبيول مدينة وهران، وهجرها المسلمون دون أن ينتظروا أن يكونوا مُحاصرين، إذ أنهم ما إن رأوا الإصبيول ينزلون غير بعيد عن المدينة حتى هَجروها..."³.

وجدير الذكر أن أوضح بدوري بأن الإسبان تمكنوا من دخول المدينة بفضل بعض ضُعفاء أهل الذمة، وهو اليهودي الذي نظم عملية فتح باب المدينة ليتمكن الإسبان من الدخول، وفي هذا الصدد يذكر صاحب أنيس الغريب والمسافر أن احتلال مدينة وهران كان سنة 915هـ الموافق لـ1509م، وهذا بتدخل خائن من رجل يهودي غدر بالمسلمين، يُقال له زاهو بن كبيسة المعروف بابن زاهو، حيث قام بفتح أبواب مدينة وهران للجيش الإسباني وأدخلهم للمدينة على حين غلظة من أهلها، وقد استطاع بعد ذلك جيش الإسبان أن يفتك بالمسلمين، حيث نجد بدورنا أن من بعد تلك الحادثة كُبر شأن اليهود عند الإسبان⁴.

وقد كان من نتائج هذا اليوم أن الإسبان تمكنوا من إخضاع موقع استراتيجي آخر من بلاد المغرب الأوسط، كما أن حكام بنو زيان استسلموا للوضع الراهن أنذاك للإسبان واعترفوا بالتبعية لهم، وزيادة على ذلك فقد تعهد "أبو حمو الزباني" بدفع ضريبة مقدارها اثنا عشر ألف (12000) دوقة، واثنا عشر (12) من جيات الخيل، وفي الجهة المقابلة تمكن الإسبان من فك العديد من الأسرى المسيحيين والذي قارب نحو الثلاثمئة (300) أسير⁵.

ومن النتائج المترتبة أيضًا على سقوط مدينة وهران نذكرها على النحو التالي:

¹ - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط1، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، (د.ت)، ص 110.

² - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط1، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 30.

³ - ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، دراهن: تح: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 62.

⁴ - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تح: تق: رابح بونار، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974، ص 11.

⁵ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 114.

-استشهاد أكثر من أربعة آلاف (4000) مُجاهد وأسر قرابة ثمانية آلاف (8000) شخص، كما سُبيت النساء وانتزع الأطفال من عائلاتهم.

-قُدرت الغنائم التي سلبها الإسبان بحوالي خمسة آلاف (5000) أوقية ذهبية.

-إنشاء أول محكمة تفتيش على المستوى المغربي الأوسط بوجه خاص والمغرب الإسلامي عمومًا على يد الكاردينال خمينيس.

-تحويل جُل المساجد الموجودة على تراب المدينة إلى كنائس.

-الاستحواذ على المخطوطات والتحف الثمينة ونقلها إلى طليطلة (Toledo).

- اعتراف حاكم تلمسان أبي عبد الله محمد عبد الواد (1505-1516) بالتبعية للإسبان وذلك بتقديم ضريبة سنوية مقدارها اثني عشر ألف (12000) دوكة ذهبية¹.

-تعين بدرو نافارو حاكمًا عامًا على مدينة وهران.

-إعلان بعض القبائل تحالفها وإبداء الطاعة للسلطات الإسبانية ممثلة في قائدها بيدرو نافارو وعلى رأسها قبيلة بني عامر، وغيرها من القبائل الواقعة ضمن دائرة وهران للحكم الإسباني وما يترتب على ذلك من أشكال التحالف وتقديم العون²، وحسب المشرفي الذي اعتبر أنها قد وجدت ضالتها المنشودة في الاحتلال الإسباني، وهذا من أجل الانتقام من القبائل العربية الأخرى التي كانت تحت سيطرتها، مما أدى بهذه الأخيرة إلى الهجرة الجماعية إلى المناطق الداخلية (المناطق الجبلية)³.

ولا يفوتني التنويه بأن الإسبان لم يحتلوا وهران والمرسى الكبير بين عشية أو ضحاها، بل على العكس من ذلك فقد أخذ منهم ذلك الأمر وقت طويل من التخطيط المستمر، حيث ذكرت بأنهم وضعوا مجموعة من العيون والجواسيس في الدولة الزيانية من أجل معرفة مواطن الضعف فيها، وفي الأخير وقع اختيارهم على المرسى الكبير في البداية سنة 1505م، من أجل السيطرة على مينائها الاقتصادي المهم، أما عندما أحتل الإسبان مدينة وهران سنة 1509م، جعلوا منها قاعدة عسكرية ينطلق منها الإسبان لاحتلال

¹ - سمير عبد الرسول العبيدي، " الحملات الإسبانية على الموانئ الجزائرية (1505-1510) "، مجلة العميد، المجلد 08، ع31، السنة الثامنة، 2019، ص 153.

² - خديجة دوالي، " الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية (911-917هـ / 1505-1511م) "، مجلة القرطاس، ع06، جوان 2017، ص 29-30.

³ - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهران من الأعراب كبنّي عامر، تح، تق: محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص 14.

مواقع أخرى على سواحل المغرب الإسلامي، وذلك ما تم فعلاً أي بعد سنة واحدة فقط أخضعوا العديد من المدن: بجاية¹ وعنابة وطرابلس.

لقد تمكن الإسبان من إفشال مقاومة أهالي مدينة بجاية والسيطرة الكلية على مينائها الجيوستراتيجي في 25 ماي 1509م، وقد تم ذلك بقيادة بيدرو نافارو²، واحتلوا المرسى وتحصنوا فيه، وبهذا فقد بنى الإسبان دفاعات قوية في مدينة بجاية، وقد ترك القائد بيدرو نافارو مجموعة عسكرية من أجل حراسة المدينة ثم أبحر إلى مدينة طرابلس من أجل إخضاعها سنة (1510م) وهذا بعد معركة دامية للغاية³، وبهذا تمكن الإسبان من السيطرة على جميع المواقع الحساسة للبحر الأبيض المتوسط، وبالتالي الاستحواذ على التجارة والملاحة البحرية ومحاولة إطفاء شُعلة الإسلام في منطقة الشمال الإفريقي⁴، لكن يبقى التساؤل مطروح: هل سار الوضع على ذلك النحو؟ أم طرأ تغيير على الساحة الإقليمية؟ وكيف تم ذلك؟

ثانياً: استنجد أهالي المغرب الأوسط بالأخوة بربروس:

لقد قامت دولة في الناحية الشرقية من العالم على أساس حماية الدين الإسلامي ونصره، وقد عُرفت بإسم الدولة العثمانية، حيث دخلت مسرح الأحداث السياسية عندما وصل العثمانيين⁵ إلى آسيا الصغرى

1- اسم بجاية أطلق على المدينة في تاريخ غير معلوم، ولعله متأخر العهد عن اسم صلداي الفينيقي أو سلايا الرومانية، أو الناصرية الحمادية الإسلامية، أما في فترة الاستعمار الفرنسي أطلق عليها اسم بوجي "Bougie" أي الشمعة نسبة إلى تجارة الشمع لدى أهلها منذ زمن بعيد، ويقول عنها الرحالة المغربي التمكروتي الذي عاش خلال العهد العثماني: "... بجاية مدينة عظيمة وفي القديم كانت دار علم وعمل ومستقر العلماء والصالحين...". راجع: علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تح، تق: محمد الصالحي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2007، ص 43. وراجع أيضاً: ابراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، ط1، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 37.

2- محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ضل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، ط1، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 308.

3- E.Cat, histoire de l'Algérie Tunisie- Maroc, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1889, p.234.

4- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد سماعي، الجزائر، 1972، ص 63.

5- وهم من الترك وهي عبارة عن أمة أرية تتارية، وهم فرع من فروع الجنس الشيشي، أي الجنس المغولي (ذوي البشرة الصفراء أبناء يافت بن نوح عليه السلام)، الذي يضم معظم القارة الآسيوية من الصينيين واليابانيين والمغول، والتتار والملايو وغيرهم، في حين أن تسمية الترك فقد ظهرت أول مرة في التاريخ خلال القرن السادس (06) ميلادي، وهذا من خلال حديث المدونات الصينية عن إمبراطورية قوية في آسيا الوسطى، والتي أسسها شعب يدعى بـ "توكيو" (Tukiu)، وعليه مع مرور الزمن فقد بدأ الأتراك بالظهور على المسرح الأحداث السياسية في زمن الخلافة العباسية، حيث أتخذ منهم الخلفاء العباسيين

في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (13) ميلادي، وقد كان هذا الدخول على شكل فترات متباعدة حيناً ومقاربة حيناً آخر¹ وعليه يُرجع أغلب المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ الدولة العثمانية أنها تأسست مع مطلع القرن الرابع عشر (14) ميلادي، وقد كانت في البداية نشأتها مُجرد إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي تعتمد على فكرة الغزو ضد الإمارات المسيحيين²، وجدير الذكر هنا بأن العثمانيون يرجع أصلهم إلى قبيلة من قبائل الغز التركية كانت تُسمى " قايي"³، حيث خرجت من منطقة أواسط آسيا قبل الغزو الماغولي متجهة بذلك ناحية الغرب، عابرةً بذلك نهر الفرات إلى آسيا الصغرى الذي تُعرف أيضاً بتسمية

حرساً وجنوداً، وقد سيطروا على مقاليد الحكم في بغداد تحت السلطة الإسمية للخليفة العباسي... للمزيد راجع: عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحديث إلى الاحتلال الفرنسي، تق ومرا: أبو القاسم سعد الله وأخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003، ص 267. وراجع أيضاً: ابراهيم محمد حسنين، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2013، ص 06. وراجع أيضاً: أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1986، ص 11. وراجع أيضاً: أحمد عبد العزيز علي عيسى، تاريخ العرب الحديث، ط1، مكتبة بستان المعرفة، مصر، 2012، ص 07. وراجع أيضاً: برنارد لويس، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تعر، تع: سيد رضوان علي، ط2، الدر السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 1982، ص 27.

¹ - إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1998، ص 09.

² - خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد م. الأرنؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ص 01.

³ - وهم العنصر الصغير من الغزو المعروفين بإسم القايي، حيث وفدوا على بلاد الأناضول أيام الفتوحات السلجوقية، وسكنوا في أماكن مختلفة منه، ومن هذه القبلية جاء أرطغرل ومن بعده من السلاطين العثمانيين. راجع: محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، تر، تق: أحمد السعيد سليمان، أحمد عزت عبد الكريم، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ب)، (د.ت)، ص 180.

بلاد الأناضول¹ وقد تمت هذه الهجرات تحت قيادة أرطغرل²، في حين كان ذلك خلال النصف الثاني من القرن السابع هجري الموافق للقرن الثالث عشر ميلادي 7/13م³.

وتماشياً مع ما تم ذكره فقد ظهر على مسرح الأحداث الدولية أنذاك إخوة بحارة عُرفوا بتسمية "الإخوة بربروس"، حيث رفعوا راية الجهاد ضد المسيحيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ومن هذا المنطلق حري بنا طرح التساؤل التالي: إلى أين يرجع أصل الأخوة بربروس؟، وكيف تمت تنشئتهم؟، وفيما تمثل دورهم في الحوض المتوسط؟.

1- أصل ونشأة الإخوة بربروس:

1-1- أصلهم:

لقد تعددت المصادر واختلفت الآراء حول أصل الأخوة بربروس (Barberousse)⁴، حيث تُرجع أغلب المصادر التاريخية أن والدهم كان يُدعى يعقوب الإسكافي (pabuççu yakub)، الذي توطن في

¹ - يطلق اسم الأناضول اليوم على الأراضي التركية الواقعة في قارة آسيا، وقد كان يطلق عليها قديماً تسمية آسيا الصغرى، ويفصل بلاد الأناضول من الشمال الغربي بحر مرمرة ومدينة " جنق قلعة"، وقناة استانبول (البوسفور) عن الأراضي " تراقيا" (القسم الأوربي من تركيا)، ويحده من الشمال البحر الأسود، ومن الغرب بحر إيجه، ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط أما من الشرق فيتصل بمرتفعات جبلية واسعة، وهي تشكل نسبة 97 بالمائة من أراضي تركيا في الوقت الحالي... للمزيد راجع: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مرا: عبد الرزاق محمد حسن بركات، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 39.

² - هو قائد عشيرة " قايي" أبوه هو سليمان شاه ابن "كندر ألب"، بعد توليه القيادة ارتحل مع عشيرته إلى مدينة إرزينجان وقد كانت مسرحاً للقتال بين الإمارات السلجوقية والخوارزميين، فألتحق بخدمة السلطان علاء الدين السلجوقي (سلطان قونية)، وقد ظل أرطغرل حليفاً للسلاجقة حتى أقطعه السلطان السلجوقي منطقة في أقصى الشمال الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية، وقد توفي سنة 699هـ / 1299م، وقد خلفه من بعده على ابنه عثمان الذي سار على نهج أبيه في التوسع في أراضي الروم البيزنطيين... للمزيد راجع: سامي بن عبد الله بن أحد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، الكويت، 2014، ص 73.

³ - هشام سوادى هاشم، تاريخ العرب الحديث (1516-1918) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن، 2010، ص 16.

⁴ - هي كلمة فرنسية أطلقها الأوروبيون على عروج وخير الدين، وذلك بسبب أن لحيتهما كانت حمراء مائلة إلى الصفرة، وفيما بعد عُرف خير الدين باسم بربروسا، وقد كان أصدقاء عروج ينادونه بابا عروج إحتراماً له وتقديراً لشرف الأبوة التي منحت له... راجع: عزيز سامح التتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص 41.

جزيرة ميديلي (Midili)¹، وجدير بالذكر هنا بأنه توجد قصة حول وجود يعقوب على هذه الجزيرة، حيث تعود إلى زمن السلطان العثماني محمد الفاتح (1451-1481) الذي فتح جزيرة ميديلي سنة 1457م، وقد أمر بإبقاء حامية عسكرية فيها، وكلفها بالمحافظة على القلعة، وقد ترك السلطان خربة البقاء لمن يرغب من العساكر، وقد كان من جملة هؤلاء العساكر رجل يدعى يعقوب بن يوسف من منطقة الرُّوملي، وقد كان من فرقة الخيالة، وبما أن هذه الجزيرة جديدة، فقد كُلفوا بأن ينشروا الدين الإسلامي والبقاء هناك بصورة دائمة²، وفي هذه النقطة بالذات نجد في مذكرات خير الدين أن أبوه يعقوب كان أحد المستوطنين الأوائل في الجزيرة وبنًا لأحد فرسان السبائية وكان يعقوب كذلك سبائيا أيضا، وقد كان له في منطقة واردة (VARDAR) المجاورة لسيلانيك (SELANIK) أرض إقطاع وهبت له بأمر من السلطان محمد الفاتح (1451-1481) عندما استقر بالجزيرة³.

في حين كان شرط هؤلاء الجنود من أجل البقاء على تلك الجزيرة هو الزواج من فتياتها⁴، أما فيما يخص الشاب يعقوب فقد اختلفت عديد الروايات حول زواجه، فمنهم من يقول بأن زوجة يعقوب كانت من النصارى اليونانيين⁵، وما يُلاحظ أيضًا أن بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك، بحيث جاء في روايتهم بأن زوجة يعقوب هي فتاة أوروبية مسلمة أي من بلاد الأندلس، هربت بدينها من محاكم التفتيش⁶، وشاء الله أن تتجوا تلك الفتاة البطلة من مُعسكرات التعذيب في الأندلس إلى جزيرة ميديلي⁷، وقد كان لها الأثر على

1 - خير الدين سعدي، "دراسة تحليلية لكتاب مرآت الجزائر لعللي رضا ياشا الجزائري من العهد العثماني إلى الاحتلال الفرنسي"، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، ع27، السنة 2018، ص 156.

2 - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 27.

3- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر. تعل: محمد دراج، ط2، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 23-24.

4 - سالم جوامع، "الأخوة بربروس بين شرق وغرب المتوسط مطلع القرن 16م - قراءة جديدة في النشأة والمنجزات -"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 03، ع03، جوان 2020، ص 135.

5 - علي خلاصي، البحرية الجزائرية عبر التاريخ، المتحف المركزي للجيش، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، (د.ت)، ص 28.

6 - جاءت هذه المحاكم بعد إصدار قنون محاكم التفتيش عام 1501م، وبذلك تبدأ الحلقة المظلمة من تاريخ الأندلس، وتتلخص مهام هذه المحاكم في الإجراءات التعسفية، وهذا في إرغام مسلمي الأندلس المغلوب على أمرهم على اعتناق الديانة المسيحية عنوة، وقد كان ذلك الإجراء يتم بمجموعة من طرق التعذيب المختلفة... للمزيد راجع: كمال فيلاللي، المرجع السابق، ص 53.

7 - محمد عبد المالك الزغبى، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، ط1، دار التقوى، مصر، 2010، ص 53.

أولادها في تحويل نشاطهم شطر بلاد الأندلس التي كانت تنن في ذلك الوقت من بطش المسيحيين الإسبان¹. ما يُلاحظ حول هذه الرواية الأخيرة نوع من الخيال وغياب المنطق، لأننا كما نعلم أن الأندلسيين المُضطهدين من محاكم التفتيش الإسبانية فقد تم إجلاءهم إلى السواحل المغربية على ما ذكرته غالبية المصادر التاريخية، ولهذا نرجح بأن الرواية الصحيحة هي القائلة بأن زوجة يعقوب من نصارى اليونان، وهذا الترجيح جاء بعد جملة من الاعتبارات، ومنها: بُعد المسافة التي تفصل بين الأندلس وجزيرة مديلي، ولابد من التأكيد على أن جُل المصادر المتخصصة مثل مذكرات خير الدين، والتي تذكر بأن يعقوب تزوج من إحدى بنات الجزيرة المسيحيات وهذا بعد استقراره بها².

لكن عند الرجوع إلى الرّواية المُنتق عليها من قبل أغلب المصادر التي تطرقت إلى هذا الموضوع، تقول بأن يعقوب تزوج بنت مسيحية يونانية الأصل تقطن على جزيرة مديلي، وهي أرملة قس يوناني³، فرزق منها ست بنات وأربعة ذكور: إسحاق، وعروج⁴، الخضر⁵ ومحمد إلياس⁶، أما فيما يخص ترتيبهم فقد جاء على حسب ذكركم⁷، وتجدر الإشارة إلى أن الأب يعقوب كان يشتغل في حرفة الخزافين (صناعة

1- عيسى الحسن، الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الإنهيار، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009، ص 142.

2- خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 25.

3- نيفين مصطفى حسن سعد، دور الاخوين خير الدين باربروس وعروج في مقاومة الاستعمار الإسباني في شمالي إفريقيا، المؤتمر الدولي الخامس بعنوان "العرب والترك عبر العصور"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، مارس 2013، ص 763.

4- هو أول من حمل لقب بربروسا، وبالتالي أول الاتراك الذين حكموا مدينة الجزائر، قد كتان يونانيًا من جزيرة ميتيلين (التي كانت تسمى ليسبوس في العصور القديمة)، في قرية صغيرة تُسمى "مولا" التي تقع في الجهة الشمالية من تلك الجزيرة، والده إسمه يعقوب. للمزيد راجع:

- Don Diego de Haëdo, histoire des rois d'alger, Tr : De grammont, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1881, p.03.

5- واسمه الكامل خير الدين، وهو الابن الثالث ليعقوب، يعود أصله مع أخوته إلى جزيرة مديلي، وهي إحدى جزر اليونان، والتي تسمى قديما جزيرة ليسبوس، وقد كان ميلاده حوالي سنة 1483م، وتوفي سنة 1546م، وقد دفن بمنطقة بشكتاش على شاطئ البوسفور عن عمر يناهز 63 سنة. راجع: محمد السعيد عقيب، "دور خيرالدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر"، مجلة البحوث والدراسات، ع13، السنة 09، شتاء 2012، ص 291. وراجع أيضا:

6 - Mouloud Gaid, L'Algérie sous les turcs, 2eme édition Mimouni, Alger, 1994, P34.

وللمزيد حول مكان تواجد ضريح القائد خير الدين بربروس فقد قمت بالذهاب إلى منطقة بشكتاش خصيصا لالتقاط صور حول مكان دفنه وهي موجودة في الملحق رقم (01) و(02).

7 - نورالدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص 47.

الفخار) المتواضعة من أجل إعالة عائلته وهذا بعد أن استوطن في تلك الجزيرة كما ذكرنا سابقاً¹، وكثيراً ما كان الأب يعقوب يمارس تجارة بحرية صغيرة ضمن الأرخبيل الموجود فيه جزيرة مديلي، وهذا ما دفع أبناءه إلى تعلم حرفة الملاحة، وقد كان هذا في عهد السلطان العثماني بايزيد الثاني (1481-1512)².

1-2-نشأتهم:

استطاع الأب يعقوب من أن ينشأ عروج وأخوته في بيئة إسلامية مشبعة بالإيمان، وذلك ما جعلهم منذ الصغر يتصفون بالجرأة والشجاعة، وقد أظهر أولئك الإخوة منذ حداثة سنهم استعدادات عجيبة لممارسة المغامرة البحرية، والتي كان يُطلق عليها في المصادر العثمانية بإسم "الغزوات"، وقد أُل الأمر إلى عروج بسبب كثرة انتصاراته في البحر جعلته يتّراس سفينة حيث جهزها بالرجال والعتاد، ومن بعدها لحقه أخوته الواحد تلو الآخر، فخير الدين ثم إلياس ثم إسحاق الذي هو أكبرهم، فأخذوا يجوبون البحار حتى دأب صيتهم في البلاد المغربية من تونس والرباط وسلا، وقد أُسرى عروج في إحدى معاركه ضد فرسان رودس³.

لقد تطرق دوغرامون (De grammont) إلى هذه الحادثة فذكر بأن الأخ الأكبر إلياس لقي حتفه في المعركة التي دارت بين عروج بربروس وفرسان القديس يوحنا من أورشليم وأُسرى على إثرها عروج، ويقول خير الدين في مذكراته بأنه عندما وصل إليه خبر إستشهاد أخيه إلياس وأُسر عروج قد حزن وبكى كثيراً لكن هذا الوضع لم يمنعه من الشروع في البحث عن أخيه وإنقاذه من الأسر⁴، لكن بعد مدة من الزمن تمكن عروج بالفرار من قبضة فرسان رودس⁵، ومن ذلك الوقت صار الإخوة الثلاثة الباقين على قيد الحياة

1 - شارل أندري جليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 326.

2 - Sander Rang, Ferdinand Denis, fondation de la régence d'alger, histoire des Barberousse, J. anglé, éditeur, et la librairie orientale de Mme dondy-dupré, paris, 1837, p.02.

3- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص ص 40-41.

4- خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 27.

5- حيث تعود مجريات هذه الحادثة أنه في إحدى سفرات عروج البحرية قامت سفن فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودس بهجوم على سفينة عروج قتل على إثرها أخوه الأكبر إلياس بينما وقع عروج أسيراً لديهم، وبعد ذلك اشتغل عروج كسائر الأسرى جاداً في سفن المسيحيين، كما قد عرض عليه أن يعتنق النصرانية مقابل أن يفك أسر غير أنه رفض ذلك، أما في الجهة المقابلة عمل أخوه خير الدين في سبيل تحريره من الأسر بشتى الطرق والوسائل لكن دون جدوى، إلى غاية أن تمكن عروج من الفرار حينما كانت سفن محتجزيه بالقرب من أنطاليا إحدى مدن جنوب الساحل التركي... للمزيد راجع: سالم جوامع، المرجع السابق، ص 136.

يمارسون نشاط القرصنة ضد السفن المسيحية¹، لكن مع الوقت أصبحت تعرف تسميتها بالقرصنة عند الكُتاب المسيحيين والجهاد البحري عند الكُتاب المسلمين²، وعليه فقد ذهب يحي بوعزيز إلى القول بأن القرصنة وما تدعيه الدول الأوروبية، فهي وجدت عندهم أول مرة، فقاموا بإلصاقها للجزائر على أنها تعني لُصوصية البحر، وذلك من أجل الدعاية المغرضة لتشويه تاريخ الجزائر الحديث بصفة خاصة والتاريخ العثماني بصفة عامة³.

2- نشاطهم بسواحل الحوض المتوسط:

2-1- الجهاد البحري ضد الأساطيل المسيحية:

بعد أن بلغ عروج وخير الدين مرحلة الشباب قرراً في الأخير أن يسيراً على خُطى شقيقهما الأكبر إلياس وأصبحا بذلك يجوبان البحار، حيث خاضوا العديد من المعارك البحرية ضد الأساطيل البحرية المسيحية، وقد كان يتميزان بالشجاعة والذكاء حتى أصبحا ملاحين شهيرين، وقد تمكناً من اكتساب ثقافة واسعة في مختلف المجالات إضافة إلى تعلم اللغات خاصة عندما كان عروج في الأسر، حيث نجد بأنه قد تعلم الفرنسية والإيطالية واطلع على سير إدارة الجزيرة وسياستها مما جعله على بصيرة من الأمور الإدارية⁴، بالإضافة إلى الإيطالية والفرنسية فقد كانا يتكلمان العربية والعثمانية بطلاقة وهذا بحكم تعارفهم على مجموعة من الأمم الذين كانوا معهم في سفنهم البحرية⁵.

ومع حُلُول سنة 1504م وصل الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط، وقد كانت تحدهم رُوح الانتقام من المسيحيين، وذلك من جراء معاملتهم لمسلمي الأندلس على إثر سقوط غرناطة سنة

¹-De grammont, Histoire d'alger sous la domination turque (1515-1830) Erneste le toux, éditeur 28, rue Bonaparte, paris, 1887, p.p.20-21.

²- كمال فيلالي، تاريخ المغرب الحديث من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453-1837م)، ط3، دار الكسندر، قسنطينة، الجزائر، 2018، ص 81.

³- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830)، ط.خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 26.

⁴- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص 42.

⁵- نيقولاوي إيقانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، تر: يوسف عطا الله، مرا وتق: مسعود ظاهر، ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1988، ص 96.

1492م¹، مما دفع عروج وأخوته إلى شن سلسلة من الحملات الجريئة على شواطئ جنوة وفرنسا وإسبانيا وسردينيا ومايورقة ومينورقة وفي شرقي البحر المتوسط في فينسيه وصقلية وقبرص ورودرس وكثيراً ما كانوا يتفوقون على أعداءهم من المسيحيين، حيث سمح لهم ذلك الوضع بتكوين أسطول بحري قوي²، حيث مكثهم فيما بعد من أسر العديد من السفن والمراكب التجارية التي تعود ملكيتها إلى البابا وأخذ كافة ما بها من بضائع وبيع رُكابها وملاحياها بصفتهم رقيق، ومن تم تفرغوا بشكل واسع في نقل المُورسكيين إلى موانئ الشمال الإفريقي³.

2-2- نقل المورسكيين إلى الضفة الجنوبية للمتوسط:

مع بداية سنة 1510م، أصبح عروج وأخوته يملكون حوالي اثنا عشر (12) سفينة، وقد ساقته الظروف إلى جزيرة جربة، حيث اتفق عروج مع السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد⁴ على جعل موانئ تونس مركزاً لغاراتها البحرية⁵، وقد أخذ عروج من بعض الجزر الساحلية قواعد لأسطوله فمنحهم السلطان الحفصي مكاناً في حلق الواد يسمى (جالطة) للإقامة فيه بشكل دائم، فأختار الأخوة مكاناً مناسباً لهم، وكان ميناء تونس صالحاً لممارسة أعمال القرصنة، لكونه تتوفر فيه كافة الشروط المناسبة لهم، وقد وُجد في حلق الواد برج مراقبة صغير، في حين كان كل هذا مقابل خُمس الغنائم التي يتحصل عليها عروج من الجهاد البحري⁶، حيث يقول صاحب الخلاصة النقية في هذا الصدد: "... قدما الحضرة في بعض غزواتهم على السلطان أبي عبد الله بن الحسن بن محمد المسعود فقابلها بالجميل واعنهما على قصدهما من غزو

¹ - وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعر: عبد القادر زياديه، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 38.

² - عبد الحميد بن أشنهو، " الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط"، مجلة الأصالة، ع08، السنة الثانية ماي - جوان، 1972، ص 296.

³ - محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981، ص 230.

⁴ - وهو الأمير الحادي والعشرون في قائمة الحكام الذين حكموا الدولة الحفصية، وقد ورث إرثاً ثقيلاً لم يكن بوسعهم أن يقوم به، ولا أن يصلح ما أفسده أسلافه من قبله، في فترة حكمه نزل بجزيرة جربة الأخوان خير الدين وعروج بربروس، وقد توطدت الصلة بينهما وبين الأمير أبي عبد الله محمد، الذي أباح لهما الاستمرار في نشاطهما القرصني في الحوض المتوسط مقابل دفع الخمس له.. راجع: أحمد بن عامر، الدولة الحفصية (صفحات خالدة من تاريخنا المجيد)، ط1، دار الكتب الشرقية، سوسة، تونس، 1972، ص ص 54-55.

⁵ - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 23.

⁶ - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 43.

الكفار على أن يحملوا له الخمس...¹، وهذا معناه أن الأخوة بربروس اتخذوا ميناء حلق الواد قاعدة عسكرية لسفنهم الحربية وذلك من أجل تسهيل عملية الجهاد البحري ضد السفن البابا من جهة وإنقاذ المورسكيين الفارين من محاكم التفتيش الإسبانية من جهة أخرى، وهو بذلك أنقدهم من موت محقق وعذاب أليم، وتم في الأخير نقل أعداد كبيرة منهم إلى سواحل الشمال الإفريقي².

من خلال ما تم التطرق إليه سابقا يتضح لنا جلياً أن البداية الفعلية لنشاط الإخوة بربروس في غرب الحوض المتوسط هي عند إتخاذ جزيرة جربة ثم ميناء حلق الواد مركزاً استراتيجياً لسفنهم الحربية، حيث يعود سبب اختيارهم لهذه الجزيرة هو قربها من الأراضي المسيحية كصقلية ومالطة والجنوب الإيطالي، وبذلك بدأ عهد جديد بمنطقة الشمال الإفريقي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة.

3- تحرير بعض مدن المغرب الأوسط:

3-1- تحرير مدينة جيجل:

بعد مرور سنتين على احتلال بجاية من قبل الإسبان أي في سنة 1512م، قام علماء وأعيان مدينة بجاية بتشكيل وفد لمقابلة عروج وأخوته، حيث كان في مقدمتهم أبو العباس أحمد ابن القاضي³ حاكم زاووة، والذي خاطب القائد عروج مُستعظماً إياه لأنقاده بلاده من الإسبان⁴، وفي هذا الصدد يذكر هايدو فيقول بأنه بعد أن استولى الكونت بيدرو نافارو على مدينة بجاية سنة 1510م، فرَّ حاكمها إلى الجبال، لكنه بعد ذلك رأى نفسه محروماً من ممتلكاته وسلطته، وذلك الوقت علم بمأثر الأخوة بربروس على مستوى البحر المتوسط

¹ الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تق، تح، تعل: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2013، ص 203.

² صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993، ص 19.

³ هو أحمد ابن القاضي حفيد ومن سلالة أبي العباس الغبريني العالم البجائي المشهور صاحب كتاب عنوان الدراية، ولقبه هذا إنما استمدته من مهنة جده الغبريني الذي كان يعمل قاضياً ببجاية قبل إغتياله، كان قد عينه السلطان الحفصي حاكماً على مدينة عنابة قبل أن يرسله في حدود سنة 1512م إلى بجاية لمساعدة الأخوة بربروس في تحريرها من الإسبان. للمزيد راجع: سالم جوامع، عبد الحق زريوح، "أل بربروس وأل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16م (مقاربة تاريخية أنثروبولوجية)"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 16، ع02، جوان 2020، ص 103.

⁴ مقالتي عبد الله، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ط1، (د.م.ج)، الجزائر، 2013، ص 17.

فقرر أخيراً الاستتجاد بهم وبعث على إثر ذلك وفد سنة 1512م، وقد وعده بجعل ميناء بجاية قاعدة بحرية لسفن الأخوة بربروس¹.

لقد ذكر أحمد بن أبي الضياف أن أعيان وعلماء بجاية الذين كان يقودهم ابن القاضي التقوا في حلق الواد مع عروج وأخوته، فقال في هذا الصدد: "... علماء وأعيان بجاية يسترخونهم لانقاد البلاد من يد العدو..."² وفي هذا الصدد أيضاً يذكر الوفراي صاحب كتاب نزهة الحادي فيقول: "... ولما رأى أبو العباس المذكور قوة شوكة النصارى الكفار وانتشارهم في بلاد المغرب وضعف المسلمون عن مقاومتهم كاتب الترك وعرفهم عزة هذه البلاد لما يسمع من شدة الأتراك في المعارك ونجدتهم في الحروب والمضايق وارهابها للكفرة فقصده بحسن نيته أن يرفعوا من عزة الإسلام ما انخفض ويقووا من امره ما ضعف وقال ان بلادنا بقيت لك او لآخيك أو للذئب فأقبل الترك نحوه مسرعين..."³.

وتفسير ذلك أن ابن القاضي سعى طالباً النجدة من الأخوة بربروس في إنقاد المدينة ومساعدة الأمير عبد الرحمان على استرجاعها، وعلى إثر ذلك وافق عروج وأخوته على تلبية النداء نظراً لرابطة الدين المشتركة بينهم⁴، حيث تعد الدافع الرئيسي الذي مثل هذا الرضا والقبول، خاصة إذا علمنا أن الصراع - أناداك - كان على أشده بين المسلمين والمسيحيين⁵، وعلى العكس من ذلك فقد ذكر ديغو دي هايدو (Don Diego de Haëdo) أن عروج كان سعيداً للغاية على أثر الفرصة التي أوتحت له، وهذا لتحقيق طموحه

¹ - De Haëdo, op. cit, p.10.

² - أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان، ج2، ط1، دار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص 10.

³ - الوفراي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تصحيح: السيد هوداس، تم طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي سنة 1888، ص 17.

⁴ - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، (ط.خ)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 20.

⁵ - صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، 2003، ص 78.

في أن يكون سيّد الجزائر على حد قوله، وهذا ما جعله يساعد أهالي مدينة جيجل¹ على طرد الأعداء²، وعلى خلاف ذلك يذهب المزاري الأغا بن عودة إلى القول بأن سبب مجيء الترك إلى أرض الجزائر هو الغيرة الشديدة على البلاد الإسلامية، لأن النصارى تغلبوا على السواحل، ومن أجل ذلك كتب أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)، يسأله النجدة والإقدام، فما كان من السلطان إلى أن بعث بالأخوة بربروس لهذه المهمة وهي نجدة المسلمين المغلوب على أمرهم من النصارى الإسبان المدفوعين بالحق والانتقام من المسلمين في شتى بقاع العالم³.

وإذا تمعنا جيّدًا فيما ذهب إليه هايدو نلاحظ أنه قام بنزع الدافع الديني للأخوة بربروس في تلبيتهم لنداء أهالي مدينة جيجل، ويرجعها إلى دوافع براغماتية ونرجسية تصب في مجملها في حب التملك والسلطة، وقد عزز موقفه هذا خاصة إذا علمنا أن المشروع الذي كان الأخوة بربروس بصدد تحقيقه هو تكوين مملكة قوية في شمال إفريقيا، أو كما يسميها هايدو مملكة باباريا (بلاد البربر)، ولتوضيح هذا الأمر أكثر فأكثر، فقد حاولنا ربط سبب مجيء الأخوة بربروس إلى الجزائر بمجموعة من الظروف والعوامل المختلفة، فمنها الدينية والسياسية والاقتصادية والتي من شأنها يمكن أن تزيل اللبس الحاصل في هذه القضية بالذات وهي⁴:

أ/ العامل الديني: ويُعد من أقوى العوامل من دون أدنى شك في نظر أغلب الباحثين في التاريخ، وذلك راجع إلى أن الإسبان قد استغلوا الضعف والانحطاط الذي كانت تعاني منه جُل إمارات المغرب الأوسط من جهة، والدولة الزيانية في أواخر عهدها من جهة أخرى، وقد حدث هذا بعد أن دخل أمراؤها في حالة من الصراع والمنازعة حول العرش، وزيادة على ذلك لا ننسى الحقد الديني الذي كان يكنه النصارى

¹ - لقد جاء ذكر إيجيل في النقوش اللاتينية على أن تسميتها ترجع إلى أصل مغربي، وهناك مؤرخون آخرون يرون أن اسمها له جذور فينيقية، وعليه يظهر لنا أن نشأة محطة جيجل جرت على يد الفنيقيين، وكانت تربطها علاقة متينة مع قرطاج، وفي العصور اللاحقة كان بحارة المتوسط يسمونها زيري ثم جيجري، وأخيرا جيجري (بتشديد الراء)، ثم في العصر الحديث أطلق عليها إسم جيجل وجيجلي، وهذا يعني أن اشتقاق الاسم القديم لإيجيلجلي من الصعب تحديده... راجع: شارل فيرو، تاريخ جيجلي، تر: عبد الحميد سرحان، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2010، ص 09. وراجع أيضا: أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، ط1، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 47.

² - Don Diego de Haëdo, Topographie et histoire générale d'alger, imprime a Valladolid en 1612 Traduit de l'espagnol par : MM. le Dr. Monnereau et A. Berbrugger en 1870, p. 20.

³ - الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: درا: يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص ص 249-250.

⁴ - الطاهر بخدة، " دور العثمانيين الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة"، مجلة عصور جديدة، ع11-12، خريف- شتاء (فبراير)، 2013-2014، ص 198.

للمسلمين، وقد تعززت هذه الرغبة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وملاحقة المورسكيين إلى مدن الشمال الإفريقي¹، وعليه يمكن القول بأن الدين هو المبرر الأول لظهور العثمانيين في منطقة الشمال الإفريقي وهذا دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وبالتالي فلولا التحرشات الإسبانية على المنطقة لما وجدنا العثمانيين، أي علاقة سببية تخص الصراع الإسلامي المسيحي²، وعليه ما يسعني هنا إلا أن نختم هذا العنصر بهذا التساؤل العكسي الذي يوضح ما نرمي إليه وهو : لماذا لم يتواجد العثمانيين في منطقة الشمال الإفريقي قبل القرن السادس عشر (16) ميلادي؟.

ب/ العامل الاقتصادي: ويتجسد هذا من خلال نشاط الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط بالنسبة للأخوة بربروس، وهو النشاط الاقتصادي الذي ألفوه منذ نعومة أظافرهم، ومن جهة أخرى نلاحظ أنهم جعلوا من هذا النشاط (الجهاد البحري) كرد فعل تجاه النصارى بصفة عامة والإسبان بصفة خاصة اللذين ألحقوا الضرر بالمسلمين في الأندلس وأقاموا محاكم التفتيش في حقهم، وعليه فإنهم وجدوا في المغرب الأوسط فرصة سانحة لأجل إنشاء قاعدة عسكرية قريبة من الإسبان، وهذا ما يسهل عليهم ضرب العدو بكل دقة وفاعلية أكبر³.

ج/ العامل السياسي: وهو يتعلق بدرجة كبيرة بأهالي مدينة الجزائر وشعورهم بالخطر الإسباني الداهم إليهم، وهذا بعد أن أرسل الشيخ سالم التومي سنة 1510م وفدًا إلى فرديناند الكاثوليكي لإقامة معاهدة سلام، وتم على أثرها فرض الجزية على الأهالي⁴، وهذا ما اعتبره الأخوة بربروس مبررًا للتدخل من أجل إعادة السلطان الشرعي إلى منصبه (الشيخ سالم التومي)⁵.

وعلى كل حال فقد إلتحق عروج وخير الدين بنواحي بجاية بتاريخ 01 أوت 1512م، وقد كان بتعداد صغير يقدر بخمس (05) سفن، في حين قرراً الاستقرار قريباً من المدينة، وذلك من أجل جمع

1- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر، الجزائر، 2002، ص 88.

2- علي لعبيدي، الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 02، السنة الجامعية: 2019/2018، ص 14.

3- الطاهر بخذة، المرجع السابق، ص 198.

4- كرميش عزوز، الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 1، السنة الجامعية: 2016/2015، ص 40.

5- الطاهر بخذة، المرجع السابق، ص 199.

المعلومات الكافية والتي تمكنهما من رسم خطة مُحكمة للانقضاض على العدو وطرده¹، وبعد مدة ليست بطويلة أقام عروج وأخوته حصار قصير حول المدينة²، وقد دام ذلك الحصار ثمانية (08) أيام من القصف المدفعي، في الأخير أصدر عروج أمر الاقتحام العام، وفي ذلك الوقت سقطت قذيفة على ذراعه الأيسر³ وهذا نتيجة حماسه المتهور الذي كان يتصف به عروج دون أخوته⁴، وعلى أثرها أوقفت هذه العمليات وتفرق الجيشان البري والبحري، وبالتالي انسحب خير الدين وتم نقل أخاه عروج المصاب بشكل سريع إلى تونس للمعالجة، وقد كانت من نتائج هذه المعركة القاسية:

- فقدان قسم كبير من سفن الإخوة بربروس وبترت يد عروج على إثر الجرح البليغ الذي أصابه⁵ وأصبح يُكنى بالتشلولاق أي مبتور اليد (Le manchot).

- تألق صورة البطل الرمز في أذهان أهالي بلاد القبائل، وبالتالي ظهور الإخوة بربروس كحماة للدين الإسلامي.

-توطيد العلاقة بين شيوخ بلاد القبائل والقراصنة الأتراك⁶.

-تزعزع مكانة الإسبان في منطقة بلاد القبائل (مدينة بجاية) وخوفهم ومن إعادة الكرة ومحاصرة المدينة لمدة أطول، وعليه شرع القائد البحري أندري دوريا في تحصين مينائها الاستراتيجي⁷.

وعلى إثر هذا الإنسحاب الذي قام به خير الدين يُمكننا أن نقول حسب اطلعنا على مجريات الأحداث التي وقعت بأن الهجوم الذي قام به الأخوة بربروس على مدينة بجاية سنة 1512م كان ناجحاً

1 - الحاج موسى بن عمر، " محطات تاريخية حول الانتقال السياسي للجزائر من الحكم الزياني إلى النظام العثماني"، مجلة الباحث، ع16، (د.ت)، ص 157.

2-Ernest Mercier, histoire de constantine, J.Marle et f. biron , imprimeurs-editeurs, constantine, 1903, p.184.

3- يقول خير الدين بربروس في مذكراته بأنه عندما أصيب أخيه عروج بقذيفة على ذراعه الأيسر عرض على الأطباء انه من يستطيع أن ينقد ذراع أخيه سيكافئه بوزنه ذهباً ويهب له عشرة أسرى لكنه في الأخير لم ينجح الأطباء في هذا المسعى وقطعت ذراع عروج وهذا بموافقة خير الدين... راجع: خيرالدين بربروس، المصدر السابق، ص ص 52-53.

4 - Sander Rang, Ferdinand Denis, op.cit, p.36.

5 - أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2011، ص 87.

6 - كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 83.

7 - موسى بن عمر الحاج، المرجع السابق، ص 157.

جدًا، وذلك من منطلق أنه يعتبر نجاح ذهني أكثر منه عسكري، حيث أن هذا الهجوم عزز ثقة الأهالي بالإخوة بربروس من جهة ومن جهة أخرى لقد أحدث هذا الهجوم الخوف والهلع في نفوس الإسبان.

وعندما استعاد القائد عروج عافيته بدأ هو وأخوته في البحث عن منطقة قريبة من بجاية تكون نقطة إسناد وقاعدة عمليات ينطلقون منها للهجوم على بجاية وتحريرها من الإسبان، فوجدوا في مدينة جيجل ضالته المنشودة، والتي كانت في تلك الفترة محتلة من طرف الجنويين¹، وبعد مقاومة بسيطة من طرف عروج وأخوته، وبالإضافة إلى إعانة أهالي تلك النواحي تم تحرير المدينة سنة 1514م²، وبهذا تُعد جيجل أول مدينة يقوم بتحريرها الأخوة بربروس في منطقة المغرب الأوسط³.

وجدير بالذكر هنا أن عروج بعد تحريره لمدينة جيجل من الجنويين، فقد قام بإسقاط عصفورين بحجر واحد، وهذا من خلال أنه أوجد موقع استراتيجي للانطلاق في تحرير بجاية من جهة، ومن جهة أخرى جلب انتباه جميع حكام العالم الإسلامي، بما في ذلك السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)⁴، الذي تتبّه بدوره إلى الأحداث التي تجري في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

1 - نورالدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 49.

2 - تجدر الإشارة هنا أن المصادر قد اختلفت فيما بينها حول تاريخ دخول العثمانيين إلى مدينة جيجل، فبعضها يرجعه إلى سنة 1513م، وبعضها إلى سنة 1514م، فيما ذهب البعض الآخر إلى أبعد من ذلك فيقول أنها سنة 1515م، في حين يرجع سبب الاختلاف الحاصل بين المؤرخين إلى الخطأ بين المحاولات الفاشلة لتحرير بجاية لأن الأولى وقعت سنة 1513م، وجرح فيها عروج جرحًا بليغًا ومن تم يستحيل الهجوم على جيجل في السنة نفسها، ولهذا فالراجح فإن الهجوم وقع بين سنة 1514-1515م. راجع: علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط1، دار منشورات الأنيس، الجزائر، 2011، ص 58.

3 - المرجع نفسه، ص 60.

4 - هو السلطان التاسع من جملة السلاطين العثمانيين، ولد عام 875هـ / 1480م، وهو ابن السلطان بايزيد الثاني، وقد جلس على كرسي الحكم سنة 918هـ / 1512م، وقد نازعه في الملك ابن أخيه علاء الدين، وعند تولية السلطان سليم العرش كان في الأربعين من عمره، وهو بدوره قائد حربي ممتاز، يشارك شخصيًا في المعارك على رأس جيشه، وقد عُرف عنه الاستقامة في عقيدته ولم يكن متطرفًا، وكان قليل الميل إلى الترف واللهو والمجون، وأصبح يُعرف لدى الكثير بإسم البياووز باللغة التركية التي تعني القاطع، أخضع الكثير من المناطق وفاز في العديد من المعارك أهمها: معركة جالديران ضد الصفويين سنة 1514م، ومعركة مرج دابق ضد المماليك سنة 1516م في حلب وكذلك معركة الريدانية قرب سيناء مصر سنة 1517م، توفي سنة 1520م. راجع: روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993، ص ص 207-215. وراجع أيضا: حضرة عزتو يوسف بك أصفاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1995، ص 56.

3-2- محاولة تحرير مدينة بجاية للمرة الثانية:

بعد تحقيق الأخوة بربروس لهدفهم والمتمثل في جعل ميناء جيجل نقطة تجمع للأسطول البحري من جهة، وقاعدة عمليات الجهاد البحري ومخزناً لغنائمهم من جهة أخرى، والتي منها أراد عروج أن يُحقق رغبته في تحرير مدينة بجاية من الإسبان¹، وهذا ما تم التخطيط له فعلاً سنة 1514م، حيث ترك في مدينة جيجل حوالي خمسين (50) من رجاله مُزودين بثلاثة (03) سفن لحمايتها ثم من بعدها جهز أسطولاً لمحاصرة بجاية للمرة الثانية²، وعند وُصوله إلى مشارف مدينة بجاية شكل مع ابن القاضي وغيره من مرابطي بلاد القبائل جيشاً تعداده عشرون ألف (20000) رجل³، وبعد وُصول السفن الحربية قرب المدينة (بجاية) اخترق وادي الصومام الذي كانت مياهه غزيرة تساعد على الإبحار، كما قامت جيوش القبائل المحلية بحصار المدينة من جهة البر، وبهذا تم تطبيق الحصار على مدينة بجاية بكاملها، وقد استمر ذلك الحصار مدة أربعة وعشرين (24) يوماً، غير أن نفاذ الذخيرة والبارود حال دون فتح المدينة واضطر عروج ومن معه على الإنسحاب وفك الحصار⁴.

في حين أورد "عزيز سامح التر" أن المدة الكبيرة والتي تقدر بأربعة وعشرين (24) يوماً في الحصار أفضت في الأخير إلى نفاذ الذخيرة، ضف إلى ذلك أن عروج وأخوته لم تصلهم المساعدات التي طلبوها من سلطان تونس، وزيادة على ذلك انسحبت القبائل المحلية بعد حُصولهم على الغنائم، كل هذه العوامل وغيرها أجبرت عروج على الإنسحاب وفك الحصار التي لم يكن سهلاً عليه فقال لنفسه: "هنا تركت ذراعي، وها أنا سأترك قلعتي أيضاً، والله لن أعود قبل أخذها" لكنه في نهاية المطاف نجد بأنه قد أُجبر على الخُضوع للأمر الواقع وفك الحصار عن مدينة بجاية⁵، كما اضطر عروج إلى إحراق السفن لكي لا تبقى غنيمة للأعداء فالسفن التي تركها في وادي الصومام جفت مياهها وغدت على اليابسة وهذا ما دفعه لإحراقها والتخلص منها، وذهب سيراً على الأقدام حتى وصل إلى أسوار مدينة جيجل⁶.

1 - علي خلاصي، جيجل تاريخ وحضارة، ط1، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2011، ص 175.

2- محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، ط1، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر، 2017، ص 132.

3 - شارل فيرو، المرجع السابق، ص 97.

4- سالم جوامع، المرجع السابق، ص 139.

5- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 48.

6- بلبروات بن عتو، "بجاية من الاحتلال الإسباني إلى التحرير العثماني 1510-1554"، مجلة عصور الجديدة، ع7-

8، خريف- شتاء 2012-2013، ص 183.

وتماشياً مع ما تم ذكره نقول بأن عروج وأخوته صحيح أنهم حققوا انتصارات كبيرة على القوات الإسبانية في عرض البحر المتوسط وكذا في البر بمساعدة القبائل البربرية، لكن كل تلك الانتصارات لم تشفع لهم بتحقيق هدفهم المنشود وهي تحرير مدينة بجاية من سيطرة الإسبان، وذلك بسبب جملة من العوامل سابقة الذكر، وعليه فإن تحرير مدينة بجاية سوف يتحقق على يد صالح رايس (1552-1555) سنة 1555م¹.

3-3- تحرير مدينة الجزائر:

في مُستهل الحديث عن العنصر الأبرز وهو الذي يتعلق بتحرير مدينة الجزائر من الإحتلال الإسباني يجب الإشارة إلى ما ذكره مارمول كربخال إلى أن مدينة الجزائر² قُيِّل الدُخول العثماني إليها على أنها كانت تُسَّير من طرف عائلة حاكمة وعلى رأسها الشيخ سالم التومي الثعالبي³، أما في الجهة المقابلة فإن الملك الإسباني ثارت ثائرتة بسبب ما كان يقوم به البحارة المسلمين من عمليات عسكرية على سواحل إسبانيا وسواحل الجزر المجاورة، وعلى إثر ذلك أمر ببناء حصن في جزيرة صغيرة قبالة المرسى المعروف بإسم البنيون (صخرة الجزائر)، ومن هناك كانت توجه الضربات المدفعية إلى منازل المدينة، مما أضطر أمير الجزائر سالم التومي إلى عقد هُدنة مع ملك إسبانيا، وتم أداء الضريبة له⁴.

¹- Robin. N « note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie», in R.A, N°17, Alger, 1873, p.131.

²- يعود تاريخ نشأة مدينة الجزائر إلى زمن بعيد أي فترة ظهور الفنيقيين المعروفين بالتجارة البحرية، الذين خرجوا من فينقيه باحثين عن المعادن ومنشئين للمستعمرات التجارية على الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، لكن مع وصول الأتراك إلى مدينة الجزائر استبدلوا كلمة الجزائر بني مزغنة وجزائر الثعالبة في العهد الإسلامي بجزائر الغرب في عهدهم، وقد أطلقوا عليها تسميات أخرى لبث الرعب لدى الأعداء مثل: المحروسة، ودار الجهاد. راجع: علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، (ط.خ)، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013، ص ص 137، 219.

³- لقد كان الشيخ سالم التومي يحكم مدينة الجزائر سنة 1510م، حيث يرجع أصله إلى قبيلة الثعالبة فرع بني تومي، وعند سقوط مدينة بجاية سنة 1510م في يد الإسبان حتى دب الخوف في أهالي مدينة الجزائر وحاكمها سالم التومي، وهذا ما جعله يوقع معاهدة الاستسلام بدل الوقوع في الحصار وضياع ملكه، وقد تم هذا الإتفاق بعد أن ذهب الشيخ سالم التومي بصفته شيخ مجلس أعيان مدينة الجزائر إلى بجاية وإعلان ولائه للقائد الإسباني بيدرو نافارو، وقبل كذلك دفع ضريبة سنوية لإسبانيا، كما تخل عن إحدى الجزيريات الصغيرة التي تحمي الميناء، وقد بنى نافارو على تلك الجزيرة قلعة أطلق عليها اسم " البنيون". راجع: كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، تر: جمال حمادنة، (د.م.ج)، الجزائر، 2007، ص 23. وراجع أيضا: وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 35.

⁴- مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ص 364.

وبحلول سنة 1516م، استجد أهالي مدينة الجزائر وبما في ذلك حاكمها الشيخ سالم التومي بالأخوة بربروس، حيث في ذلك الوقت كان عروج وأخوته متواجدون في مدينة جيجل التي بايع أهلها عروج بربروس أميراً عليهم عام 1514م¹، فستجاب لهم عروج لأنه رأى أن مدينة الجزائر كانت تحظى بموقع استراتيجي غاية في الأهمية، وذلك من خلال أنها تتوسط مدينة بجاية شرقاً ووهران غرباً الخاضعتين للسيطرة الإسبانية، وهذا من أجل نقل قاعدة عملياته من مدينة جيجل إلى مدينة الجزائر، وبالتالي ما يسمح له بمباغثة الإسبان بكل سرعة وأكثر جاهزية²، وعليه فقد جهز الأخوان عروج وخير الدين أسطولاً حربياً يتكون من واحد وعشرون (21) سفينة تحمل على متنها ألف وخمسمائة (1500) مجاهد مسلح بالمدفعية، وحسب ما جاء في "الزهرة النائرة" أنه عند وصول عروج إلى مدينة الجزائر حتى استقبلوه بحفاوة كبيرة، وفرح به أهلها وأكرموه غاية الإكرام³، وعلى نفس المنوال فقد ذهب حمدان بن عثمان خوجا إلى التطرق إلى حرارة ذلك الاستقبال الذي لقيه الأخوة من طرف أهالي مدينة الجزائر فقتال: "... فإن هؤلاء السكان عندما رؤا أن القائد المسلم جاء لنجدة الأندلسيين، ولمنع الإسبانيين من أن يقتلوهم أو يغرقوهم، استقبلوه بالعرفان والحماس، وعينوا له القسبة ليتخذها مقراً..."⁴.

وعلى العكس من ذلك، يتطرق هايدو بالحديث حول طريقة دخول عروج وأخوته مدينة الجزائر فقال أن عروج حرص على إظهار نواياه الحسنة لأهالي مدينة الجزائر فقام على الفور بتوجيه مدافعه نحو قلعة البنيون، لكن محاولته باءت بالفشل بسبب ضعف المدفعية التي كان يستخدمها⁵، فتوجه بعد ذلك إلى مدينة شرشال فحررها من الحامية الإسبانية المتواجدة هناك، ثم رجع إلى مدينة الجزائر واجتمع بوجهائها، فقاموا بتتصيب عروج على قيادة مدينتهم، وأعطوه لقب "أمير الجهاد"، أما في الجهة المقابلة فقد أحس الشيخ

¹ - رزايقية حنان، "العلاقات الجزائرية- التركية بين الإرث التاريخي والتحديات الراهنة"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع10، جانفي 2017، ص 332.

² - أسماء أبلالي، المرجع السابق، ص 50.

³ - ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، ضبط وتعل: خير الدين سعدي الجزائري، ط1، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 85.

⁴ - حمدان بن عثمان خوجا، المرأة، تق، تعر، تح: محمد العربي الزبيري، منشورات (ANEP)، الجزائر، 2005، ص ص 71-70.

⁵ - De Haëdo, Topographie... ,op.cit, p.21.

سالم التومي بالندم الشديد على طلبه للمساعدة من الأخوة بربروس وهذا لأن إمارة الجزائر أصبحت مهددة بالخروج من يده، فقام بالاتصال بالإسبان لمساعدته للقضاء على عروج وأخوته¹.

لكن عند سماع عروج بالأمر إعتبرها خيانة فقام بإعدام الشيخ سالم التومي²، والتكليف بجثته من خلال تعليق رأسه في مدخل أحد أبواب المدينة (باب عزون)، ويمكن تفسير تلك اللقطة التي قام بها عروج بأنها عبارة عن رسالة مشفرة بعث بها عروج لكل من تأمره نفسه بالخيانة؟³، وهنا نطرح تساؤل بسيط في قضية خيانة الشيخ سالم التومي هل كانت هذه الخيانة لعروج أم للبلد؟

وعليه يمكننا الإجابة على هذا السؤال من خلال أن الشيخ سالم التومي قد اعتبر وجود الأخوين عروج وخير الدين في مدينة الجزائر ضياعاً لحُكمه ومُلْكه، الأمر الذي جعله يتصل مباشرة بالإسبان من أجل مساعدته في القضاء على الأخوين وبالتالي استرجاع حكمه من جديد، ولهذا يمكن اعتبارها خيانة من وجهة نظرنا تجاه عروج وأخوه فقط، دون المساس بمصلحة البلد والأهالي القاطنة فيه.

وبعدها نصب عروج نفسه ملكاً على الجزائر وهذا بتاريخ 30 سبتمبر 1516م، وفي نفس السنة تصدى لحملة إسبانية بقيادة ديغوا دي فيرا (Diego de Vera) التي كانت تتألف من حوالي ثمانون (80) سفينة حربية على متنها ثمانية آلاف (8000) مقاتل، وما أن نزلت الجيوش الإسبانية على شاطئ باب الواد حتى إنهار عليها أهالي مدينة الجزائر ومعهم قوات الأخوة بربروس بالقتل وقد ضربت عاصفة هوجاء فاجأت مراكب الإسبان فتحطمت غالبيتها في البحر وبذلك تم قتل حوالي ثلاثة آلاف (3000) من جنود

¹ - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، ط1، شركة دار الأمة للطباعة، الجزائر، 2013، ص 371.

² - وترجع تفاصيل إعدام الشيخ سالم التومي من طرف القائد عروج بربروس، عندما أدرك هذا الأخير خيانة الشيخ سالم التومي وتحالفه مع الإسبان من أجل الحفاظ على ملكه في مدينة الجزائر، وعليه لما أدرك عروج ذلك عمل على إرجاع سالم التومي إلى مدينة الجزائر مظهرًا له الولاء ثم قام بشنقه بقماس عمامة وهو في الحمام عندما كان الشيخ سالم التومي يتهيأ للوضوء لأداء صلاة الظهر وقد ساعد عروج تركي آخر جلبه من أجل هذه المهمة وفي الأخير تركاه ملقيا على الأرض... راجع: وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 41. وراجع أيضا:

- Sander Rang, Ferdinand Denis, op.cit, p.81.

³ - علي أجقو، "الدولة الجزائرية الأولى" PEA " (1830-1514) دراسة مؤسسية - الوضعية العامة للمغرب الأوسط قبل قيام ال PEA وحتى مغادرة خير الدين الجزائر سنة 1533"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، ع02، السنة 1994، ص 141.

الإسبان وأسر أربعمائة (400) منهم وبالتالي انتهت الحملة في الأخير بهزيمة الإسبان¹، وعليه فإن ذلك الانتصار قد عزز من مكانة عروج لدى الأهالي، وبالتالي زيادة هيبة الأخوة بربروس في نفوس أهالي مدينة الجزائر، ونتيجة لذلك الوضع القائم استجد كذلك بالأخوة بربروس أهالي مدن أخرى مثل: دلس، وتيس والمدية ومليانة، وسرعان ما خضعت لحكمه قبائل متيجة وسهول شلف والظهرة².

بعدما أخضع عروج وأخوته المناطق المحيطة بمدينة الجزائر، قام بصك العملة وتحصين القصبية، وكذا العمل على تقوية وسائل الدفاع في المدينة مما يوحي أنه فرض مظاهر السيادة الكاملة على المدينة، وشرع في قنبلة حصن البنيون وفرض حصار شديد على منبع الماء بحيث لا يسمح لحامية الحصن والسفن بالتزود بالماء، مما اضطر الإسبان للتزود من جزر البليار أو مايوركا³.

لقد ضعفت مملكة بني زيان بسبب النزاعات الدموية للأسرة الحاكمة، حيث كان جميع أمراء بني زيان أعداء لبعضهم البعض، وقد أطاحوا ببعضهم البعض بدعم من الإسبان المتواجدين في مدينة وهران منذ 1509م⁴، حيث نجد بعد انتصار الأخوة بربروس على الإسبان في مدينة الجزائر وضواحيها، قرر عروج التوجه إلى مدينة تلمسان⁵ براً سنة 1517م، وذلك من أجل مقاتلة أبو حمو الثالث وحلفائه الإسبان، فحاصر عروج المدينة وقتل من أهل "أبو حمو" سبعة (07) من المرشحين للملك، وقضى كذلك على نحو ألف (1000) من المعارضين، ثم خرج بنفسه لملاقات عدوه أبي حمو ومن معه من الإسبان، فقاتلهم قتالاً شديداً وهذا بالرغم من أن عروج مبتور الذراع إلى أن أستشهد هو ومن معه من جماعته في الميدان قرب

¹- لخضر بوطبة، " الصراع المسيحي الإسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16 م- الإحتلال الإسباني للمدن الساحلية نموذجاً"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع10، ديسمبر 2018، ص 127.

² - لياس بوكراع، الجزائر الرعب المقدس، تق: إرقيه بوجرج، تر: خليل أحمد خليل، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2003، ص 50.

³- نجيب دكاني، المرجع السابق، ص 54.

⁴- E.Cat, op.cit, p.241.

⁵- ويتألف اسمها من كلمتين بربريتين هما: "تلم" ومعناها تجمع و"سان" ومعناها اثنان، ليشكل لنا لفظ "تجمع اثنان" وهي الصحراء والتل، بمعنى أنها تجمع بين طبيعة التل والصحراء لوقوعها في مكان ملائم لذلك، فهي تقع في سفح جبل طرارة، وقد كانت عاصمة للمغرب الأوسط (الدولة الزيانية) أكثر من ثلاثة قرون، ازدهر خلالها الفكر والثقافة والتطور العمراني مما جعلها مدينة الفن والحضارة والتاريخ. راجع: يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ط1، طبع بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 15.

مقطع الوادي المالح (Rio Salado) على مسافة قريبة ما بين وهران وتلمسان شهر ماي 1518م¹، وقد كان عمره حين أستشهد نحو أربعة وأربعون (44) عاماً²، وقطع الإسبان رأسه الذي أرسل إلى وهران في المرة الأولى، ومن تم إلى إسبانيا، والتي دقت بها أجراس الكنائس احتفالاً كلما مرَّ رأس القائد "الكابوس" الذي كان يذيقهم ألوان الذل والهوان لعدة سنوات³.

لكن نار الانتقام لم تنطفئ بالنسبة للإسبان، وهذا من خلال أنهم أخذوا ملابسهم التي كانت من قطيفة حمراء مزركشة بالذهب، وسلموها بدورهم إلى كنيسة القديس جيروم بقرطبة، فصنع منها رجال الدين هناك شعاراً سُمي "شارة بربروس"⁴، ويقول في هذا الصدد خير الدين بربروس في مذكراته: "... عندما وصل خبر إستشهاد أخي إلى الجزائر قررت أن أعيش لغاية واحدة وهي التضيق على الكفار في إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط فما قيمة الحياة بعد مقتل أخي؟..."⁵، من خلال هذا يتضح لنا أن خير الدين قام باتخاذ خطوة جريئة نحو الأمام، وهذا في قضية محاربة الأعداء في الداخل والخارج والقضاء عليهم بالرغم من أنه بقي وحيداً دون أخوته الذين استشهدوا جميعهم قبله.

ثالثاً: الجزائر إيالة عثمانية:

1- دوافع خير الدين في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

استشهد عروج في معركة قرب تلمسان كما ذكرنا أنفاً⁶، وعلى إثرها قرر الجند وأعيان مدينة الجزائر مبايعة خير الدين بالإجماع خلفاً لأخيه على رأس الدولة الفتية، ولكننا نجد بأن خير الدين قد وضع نفسه

¹ - Berbrugger. A , « la mort du fondateur de la régence d'Alger», in R.A, N°04, Alger, 1860, p.26.

² - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، (د.م.ج)، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص ص 43-44.

³ - محمد بن عبد الملك الزغبى، جهاد الترابي، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، ط1، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 2010، ص 56.

⁴ - مبارك بن محمد الهاللي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، ط1، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت)، ص 51.

⁵ - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 87.

⁶ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 54.

في موقف صعب للغاية¹، حيث أنه كان مدرّكًا لمدى الخطر الذي سوف يواجهه، خاصة وأن الأعداء يحيطون به من كل جانب، حيث أن هذا الخطر يأتي على جبهتين، الجبهة الأولى والتي تتمثل في الإسبان الذين لن يكتفوا بقتل عروج، بل سوف يَسْعَوْنَ إلى احتلال السواحل الجزائرية مرة أخرى، والقضاء على خير الدين، حيث أنهم كانوا مُدركين مدى هشاشة البناء الذي أقامه خير الدين بسبب ضيق الوقت الذي أصبح يَمُرُّ به بعد وفاة أخوته²، أما الجبهة الثانية والتي تتمثل في مجموعة القبائل المتمردة على سُلطته، لهذا فكر في وسيلة يقوي بها مركز حُكومته، ويُوَطِّد سياسة دولته³، فوجد في الدولة العثمانية ضالته، فسعى إلى إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية⁴.

وتماشياً مع ما تم ذكره يتضح لنا أن قرار خير الدين في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، جاء في ظل ضرورة حتمية، وهي موت أخيه عروج واستمرار الصراعات الداخلية حول السلطة، خاصة القبائل المتمردة على خير الدين، وفي الجهة الأخرى التهديدات الخارجية المتمثلة في الإسبان، وعليه فإن كل تلك العوامل وغيرها جعلت خير الدين يقف أمام الأمر الواقع، وهو البحث عن حليف استراتيجي في المنطقة، وهذا ما وجده في الدولة العثمانية ذات النزعة العسكرية القوية والفكر الديني الذي يتوافق مع مشروع خير الدين وطموحه في تكوين دولة قوية يهابها الأعداء سواء في الداخل أو الخارج.

2- بعثة الحاج حسين إلى السلطان العثماني:

يرى مؤلف الغزوات، وهو بدوره يعتبر من المؤلفات التي تنتهي كثيراً بل وتُجمد دور الأخوة بربروس عروج وخير الدين في مَدِّ النفود العثماني في الجزائر، وأن بقاء خير الدين في الجزائر بعد نكبة أخويه في تلمسان عروج وإسحاق كان بإلحاح من الجزائريين، وقد جاء في كتاب الغزوات: "...ثم عزم خير الدين على السفر إلى الروم لإجل الغزو ومواصلة الجهاد، وجمع أهل الجزائر من العلماء والصلحاء وقال لهم: "إني قد

¹- كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الاوسط، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية: 2006/2007، ص 106.

²- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)، تصدير: ناصر الدين سعيدوني، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 228.

³- رايح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ت)، ص 338.

⁴- بلقاسم صديقي، " بدايات الوجود العثماني بالجزائر (1505-1519)", مجلة مشكلات الحضارة، المجلد 08، ع02، جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2020، ص 09.

عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت عندكم من العدة، لأنني تركت في بلادكم أكثر من أربع مائة مدفع، ولم يكن في بلادكم ولو مدفع واحد... ومن جملة ما خاطبه العلماء به أن قالوا له: "يا أيها الأمير، يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذود عن ضُعاء أهلها، ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو..."¹.

وحسب ما جاء في تحفة الكبار أنه خاطبهم قائلاً لهم: "أنني حميتكم حتى الآن، وعمرت القلعة وأصلحتها، ووضعت فيها أربع مائة مدفع، وقد أذهب بعد ذلك إلى بلاد أخرى، فعينوا من تريدونه واليا عليكم. وحينما سمعوا ذلك، أخذوا كلهم يرجونه ويتوسلون إليه قائلين: لا تتركنا. فقال لهم (خيرالدين بك) إن حاكم (تلمسان) و(تونس) من أعدائي أما إذا أصبحت الخطبة بإسم أبناء عثمان أبقي، فقبلوا بذلك"².

ومن البديهي أن يقبلوا بما أتى به خير الدين، لأن الوضع كان يسير من السيئ إلى الأسوء، وهذا بالنظر إلى أن الأعداء كانوا يحيطون بهم من كل جانب، وأن في مصلحتهم الانضمام إلى الدولة العثمانية³ وذلك من أجل الاحتماء والتقوي بها⁴، ومن هذا المنطلق فقد جاء في كتاب الزهرة النائرة أنه بعد الموافقة على طلب خير الدين أمرهم بأن يكتبوا على لسانهم كتاباً⁵ إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)، يخبرونه بصرف طاعتهم إليه، وقد كتب خير الدين أيضاً كتاباً يتضمن مفهوم ما كتبه، وقد عين لهذا السفر إلى حضرة السلطان أربعة (04) أجنان (السفن)، وقدم عليهم رجلاً يُسمى الحاج حسين⁶، في

¹ - مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصدير: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934، ص 41.

² - حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تح، تر: محمد حرب، تسنيم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، إسطنبول، تركيا، 2017، ص 93.

³ - يطلق على الدولة العثمانية باللغة العثمانية "دولت عليه عثمانية" وباللغة التركية الحديثة تكتب على هذا النحو (Yüce Osmanlı Devleti) أو الخلافة العثمانية، وهي بدورها إمبراطورية إسلامية ممتدة الأطراف على ثلاث قارات (أوروبا، آسيا، إفريقيا)، حيث أسسها عثمان الأول ابن أرطغرل، واستمرت قائمة لما يقرب من 600 سنة، أي من سنة 1299-1923م، وقد بلغت ذروتها من القوة والانتساع خلال القرنين السادس عشر (16) والسابع عشر (17).. للمزيد راجع: عبد الله نبيل علي، الدولة العثمانية، ج2، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2018، ص 03.

⁴ - جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، (ط.خ)، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1987، ص 52.

⁵ - تعد الرسالة التي كتبها أهل الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول أول وثيقة في تاريخ العلاقات بين الطرفين... للمزيد راجع: عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص 25.

⁶ - وهو بمنزلة كاهية أو نائب لخير الدين بربروس، وهو تركي بالمولد ورفيقه الوفي... للمزيد راجع: صالح عباد، المرجع السابق، ص 49.

حين وجه معهم هدية عظيمة¹، في حين نجد في نص الوثيقة التي قام بترجمتها الأستاذ عبد الجليل التميمي إلى العربية، وهي عبارة عن رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والأئمة والتجار والأمناء وكافة أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)، وقد جاء فيها الثناء والتعظيم لحضرة السلطان ومقامه، ثم ذكر مجموعة من الحوادث التي حصلت في المنطقة جراء تحرشات الإسبان، وأنهم مستعدون لتقديم الولاء للسلطان والدعاء له على المنابر².

لكن لا يفوتني التنويه بأنه يوجد تضارب كبير بين المؤرخين حول سفر هذه الأجناف (السنن) فمنهم من يقول أنها ذهبت إلى إسطنبول في شهر ماي من عام 1519م³، لكن الموقف الآخر يرجعها إلى مصر، لأن السلطان سليم الأول (1512-1520)، كان قد ضم مصر إلى الدولة العثمانية بعد معركة الريدانية سنة 1517م ضد المماليك⁴، لكن الراجح هو إسطنبول، لأن حاجي خليفة ذكر بأن في طريق عودة السفن من إسطنبول قامت باعتراض طريقها السفن الحربية التابعة لإمارة البندقية، حيث قامت هذه الأخير بحجزها، فقام الحاج حسين بالذهاب إلى مقر السلطان العثماني في إسطنبول من أجل أخذ ورقة من سفير البندقية في إسطنبول لكي يسمح له باسترجاع جميع السفن المحجوزة من طرف البنادقة في البحر، ثم عاد بدوره إلى الجزائر⁵.

لكن بالعودة إلى ما تطرق إليه يلامز أروتونا في كتابه تاريخ الدولة العثمانية، الذي ذكر بأن السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)، كان قد عاد إلى إسطنبول يوم 25 جويلية 1518م من حملته على مصر التي اعتبرت أطول حملة في التاريخ العثماني والتي استمرت قرابة سنتين وشهرين⁶، وعليه ويتوفر

¹ ابن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص 108.

² عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، ع06، تونس، جويلية/يوليو 1976، ص ص 119-120.

³ بهاء الأمير، الدولة العثمانية والمغرب، ط1، (د.ن)، (د.ب)، 2020 ص 09.

⁴ بسام العسيلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470-1547)، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980، ص 108.

⁵ حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 93.

⁶ يلامز أروتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مرا، تنق: محمود الأنصاري، المحج01، منشورات مؤسسة فيصل لتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988، ص 235.

مجموعة من الدلائل والشواهد التاريخية يتضح لنا أن إتجاه السفن التي نقلت هدية خير الدين ورسالته ورسالة أهالي مدينة الجزائر كانت نحو مقر الدولة العثمانية في إسطنبول دون غيرها من المُدن العثمانية.

3-تنصيب خير الدين على رأس السُلطة العثمانية بالجزائر:

لقد اطّلع السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520) على فحوى الرسالة التي بعثها خير الدين، ورَّحب السلطان بدوره بطلبات الوفد، وبطبيعة الحال فقد وافق على ما جاء فيها دون تردد، وبهذا فقد نجحت مساعي البعثة التي أرسلها خير الدين وأهالي مدينة الجزائر¹، وهذا لعدة أسباب يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

-رابطة الدين الإسلامي التي تجمع بين المسلمين سواء كانوا في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"².

-مد حُدود الدولة العثمانية إلى أقصى نقطة من العالم.

-الموقع الاستراتيجي للجزائر جعلها قاعدة عسكرية جد هامة للدولة العثمانية من أجل تأمين حدودها الغربية من الإسبان والبرتغال³.

كما قام السلطان سليم الأول (1512-1520) ببعث فرمان⁴ إلى خير الدين يقضي بدعم وحماية الجزائر من قبل الدولة العثمانية، وقد أرسل كذلك مع الحاج حسين بالسيف والخلعة والراية وهي عبارة عن

¹- سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية: 2011/2012، ص 24.

²- سورة الحجرات، الآية/10.

³- غراف هجيرة، "مسار العلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية من خلال أنموذج إيالة الجزائر العثمانية"، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 2، ع04، ديسمبر 2020، ص 381.

⁴- لفظ فارسي معناه: أمر أو حكم أو دستور موقع من الملك، استعمله الأتراك في العصر العثماني بمعنى الأوامر السلطانية أو ما يسمى بعصرنا الحالي المراسيم الملكية. راجع: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996، ص 338.

رموز الولاية¹ وإشارة تدل على حاكميته على الولاية الجديدة التابعة للخلافة العثمانية² لكن مقابل ذلك هو الدعاء للسلطان العثماني على المنابر، وصك العملة بإسم السلطان، وبذلك أعلنت تبعية الجزائر رسمياً للدولة العثمانية بمنح خير الدين لقب (بيكر بيك) أي بايلرباي، مما يعني أمير الأمراء، وهو بمثابة نائب السلطان العثماني على الأقليم أو الولاية، وبذلك تكونت ما يسمى "بإيالة"³ جزائر الغرب العثمانية⁴، وزيادة على ذلك فقد أرسل السلطان سليم الأول (1512-1520) الفتي (2000) عسكري من الإنكشارية مسلحين وأربعة آلاف (4000) من المتطوعين، كما سمح وفتح باب التجنيد على مصرعيه في وجه الرعايا العثمانيين⁵، وقد قام على إثرها السلطان العثماني بمنح الإنكشارية الموجودة بالجزائر نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها أولئك الذين يعيشون في مقر الدولة العثمانية بإستانبول⁶، ولاشك أن تلك المساعدة العسكرية التي قُدمت لخير الدين بربروس كانت ذات فائدة كبيرة لأنها ساهمت بشكل كبير في إحكام السيطرة على البلاد والعباد⁷، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الجزائر من بين الأقاليم التابعة للدولة العثمانية⁸.

-
- 1- كانت الجزائر تملك حق الانتساب للباب العالي، ولا يتم هذا إلا بتوفر رموز السلطة وهي:
 - القفطان، وهو عبارة عن عباءة يلبسها الحاكم في الولاية العثمانية.
 - الفرمان، وهو الأمر السلطاني.
 - الطفرة وهي عبارة عن إمضاء وخاتم السلطنة سنة السلطان سليم الأول (1512-1520).
 - الراية وهي السنجاق، وهو العلم الذي يميز كل ولاية عثمانية عن الأخرى. راجع: كمال فيلاي، المرجع السابق، ص 142.
 2- حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 93.
 3- أيالة أو أيالت (EYALET): هي أكبر وحدات التقسيم الإداري في الدولة العثمانية، حيث يحكمها وال أو بكربكي أي أمير الأمراء، وتتمتع بقدر كبير من الإستقلال في الإدارة عن المركز، وقد استخدمت كلمة أيالة بهذا المفهوم بعد عام 1591م، وفي أوائل القرن السادس عشر ميلادي كانت الدولة العثمانية تضم أربع أيالات وهي: الروملي والأناضول وأيالة الروم، وقرمان، لكن مع الفتوحات التي حققها السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520) وإبنه السلطان سليمان القانوني (1520-1566)، ظهرت أيالات أخرى مثل: أيالة مصر، بغداد، اليمن، الحبش، البصرة، الأحساء، جزائر الغرب، طرابلس الغرب، تونس. للمزيد راجع: صالح سعادوي صالح، مصطلحات التاريخ العثماني معجم موسوعي مصور، المجلد 01، دار الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة السعودية، 2016، ص 199.
 4- مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج05، ع16، مارس 2013، ص 417.
 5- زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2010، ص 177.
 6- De Haëdo, histoire..., op.cit, p.36.
 7- أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص 21.
 8- أندري ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1991، ص 21.

واستنادًا إلى ما سبق فقد ترتب عن القرارات التي أصدرها السلطان سليم الأول (1512-1520)

نتائج عديدة من بينها:

- دخول الجزائر رسميًا تحت السيادة العثمانية اعتبارًا من عام 1519م، والدعاء للسلطان العثماني سليم الأول (1512-1520) على المنابر في المساجد وضربت السكة باسمه.

- إن إرسال القوات العثمانية جاء نتيجة استغاثة أهالي مدينة الجزائر بالدولة العثمانية واستجابة لرغبته فلم يكن دخول غزوا أو فتحًا عسكريًا ضد رغبة أهل البلد.

- إن إقليم الجزائر كان أول أقاليم في شمال إفريقيا يدخل تحت تبعية الدولة العثمانية وأصبحت بذلك الجزائر ركيزة أساسية لحركة جهاد الدولة العثمانية في البحر المتوسط (وضع حد للحملات الإسبانية)، وكانت حريصة على امتداد نفوذها بعد ذلك إلى كل أقاليم الشمال الإفريقي لتوحيده تحت راية الإسلام.

- كما حقق انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أهدافًا سياسية وعسكرية كثيرة أهمها تأمين حدود مصر الغربية، وتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية دون أن تتحمل أية تبعات عسكرية أو مالية كبيرة كما تحملت ذلك في مصر والشام¹.

وبحسب اطلاعي على مجريات الواقع السياسي الذي كانت تعيشه الإمارات المتفرقة في المغرب الأوسط يُمكننا القول بأن العثمانيين عندما ضموا الجزائر إلى حضيرة الولايات التابعة إلى الدولة العثمانية قد أوجدوا سلطة مركزية في الجزائر وهذا منذ زمن بعيد يصل إلى عهد الموحدين عاصمتها مدينة الجزائر وهذا بعد سنة 1519م، وهذا ما يطرح التساؤل التالي: فيما تمثلت الآلية الأساسية التي سمحت بموجبها باستمرار التواجد العثماني في الجزائر لمدة تزيد عن ثلاثة قرون من الزمن؟.

في حين أن هذا التساؤل الرئيسي المطرح بين أيدينا سوف نجيب عليه وبالتفصيل الدقيق في الفصول

اللاحقة...

¹ - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 50.

الفصل الأول

عملية تجنيد المُتطوعين من أقاليم
الدولة العثمانية لصالح إيالة الجزائر

تميز القرن السادس عشر ميلادي (16م) ببناء الدولة الجزائرية القوية والموحدة، وذلك من خلال سعي خير الدين بربروس (1519-1535) على جعل إيالة الجزائر قوة سياسية وعسكرية واقتصادية هامة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وبالتالي الوقوف نداً للند في وجه كل الأطماع الأوروبية، ولا يتأتى ذلك إلا بإقامة مشروع سياسي وعسكري يتمحور حول سياسة التجنيد والتي تتمثل غايتها الأولى في حماية الحدود الجغرافية وتثبيت السيادة الجزائرية على وحدتها الترابية¹.

وتماشياً مع ما تم ذكره في الفصل السابق حول إعلان خير الدين تبعيته إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)، وإرسال هذا الأخير ألفي (2000) إنكشاري من خيرة جنوده النظاميين مسلحين بالبنادق وعدد من رجال المدفعية مع مدافعهم، وكما سمح أيضاً لقرابة أربعة آلاف (4000) متطوع آخرين منحوا نفس امتيازات الإنكشارية بالانتقال إلى الجزائر²، والسبب في ذلك هو رغبة خير الدين بربروس (1519-1535) في استرجاع المدن المحتلة من قبل الإسبان، وفي نفس الوقت إخضاع كل القبائل المحلية المتمردة على سلطته التي هي قيّد التأسيس ولاسيما تلك القبائل الواقعة في غرب الإيالة³، وعلى ذلك الأساس بدأت السلطة العثمانية بالجزائر في تكوين المؤسسة العسكرية الخاصة بها، وفي هذا الخصوص تم في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566)⁴، افتتاح باب التجنيد الرسمي بالنسبة لإيالة الجزائر بخصوص تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية سنة 1525م، وقد جاء ذلك نتيجة ضرورة حتمية بهدف تدعيم الجانب العسكري للإيالة⁵، وفي هذا الإطار وجب علينا طرح مجموعة

¹ - عبد الكريم شوقي، "الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي"، المجلد 12، ع01، مجلة الحوار المتوسطي، أبريل 2021، ص 399.

² - أمين محرز، الجزائر في عهد الأغاوات (1659-1671)، ط1، البصائر الجديدة، باب الزوار، الجزائر، 2013، ص 26.

³ - أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (1519-1830)، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016، ص ص 11-12.

⁴ - هو السلطان العاشر في قائمة السلاطين العثمانيين، هو ابن السلطان سليم الأول، تولى الحكم بعد وفاة أبيه (1520-1566)، قام بفتح العديد من الأقاليم، مثل بغداد، جزيرة رودس، أقام معاهدة مع الملك الفرنسي فرنسوا الأول سنة 1525م، ثم قام بفتح بلاد المجر، وتوسع نحو أوروبا الشرقية وصولاً إلى فيينا عاصمة النمسا... للمزيد راجع: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص 198-217.

⁵ - زهيرة سحابات، العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية (1518-1671)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2014/2015، ص 92.

من التساؤلات المتعلقة بالموضوع وهي على النحو التالي: ماهية مُصطلح التجنيد؟ وكيف نشأ وتطور نظام التجنيد عبر العصور التاريخية؟ وفيما تمثلت مراحل عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح إيالة الجزائر؟.

-أولاً: مُصطلح التجنيد: المفهوم والنشأة والتطور:

1- مفهوم التجنيد:

1-1- نُغَة:

لقد جاء في مُعجم اللغة العربية المُعاصرة بأن مُصطلح التجنيد من فعل جَنَدَ، يُجَنِّدُ، تَجَنِّدًا، فهو مُتَجَنِّدٌ والمفعول مُتَجَنِّدٌ له، حيث يقال: تَجَنَّدَ الشَّابُّ، أي إلتحق بالحيش وصَّار جُنْدِيًا، ويُقال كذلك تَجَنَّدَ لأمر مُعين أي تَأهَّب وتطوع، بمعنى تفرغ له¹، في حين نجد نفس الشرح للمُصطلح في معجم الرائد، ويُدلُّ مُصطلح جَنَدَ وهذا يعني: تَجَنِّدًا أي صيره جُنْدِيًا²، أما بالرجوع إلى المُصطلح الذي له علاقة وطيدة بالتجنيد، فنجد في المقام الأول مُصطلح الجُنْد الذي يُعرفه الفيروز آبادي في معجمه "القاموس المحيط"، فيقول: "الجُنْد: بالضم: وهو العسكر، والأعوان، والمدينة، وصنف من الخلق على حدة، وفي المثل: (إن لله جُنُودًا منها العسل)³، ويُعرف ابن المنظور الجُنْد في معجمه "لسان العرب" فيقول: "الجُنْد : معروف. والجُنْد الأعوان والأنصار، والجُنْد: العسكر، وفي الجمع يُقال أجناد، ويقال: هذا جُنْدٌ قد أقبل، وهؤلاء جُنُودٌ قد أقبلوا"⁴.

هذا وقد تَكَلَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن مُصطلح الجُنْد والجُنُود في آيات عديدة ومتنوعة، وهي تدل على التجمع والنصرة، مثل قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْتَدُّوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"⁵، وقوله تعالى أيضا: " وَإِنَّ

¹- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المُعاصرة، المجلد 1، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008، ص 423.

²- جبران مسعود، معجم الرائد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992، ص 282.

³- مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، المجلد 1، ط1، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008، ص 300.

⁴- محمد بن مكرم ابن المنظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 698.

⁵- سورة الفتح، الآية/04.

جُنْدًا لَهُمُ الْغَالِبُونَ"¹، من خلال هتتين الآيتين الكريمتين يتبين لنا أن الله له جُنُودًا مُجَنَّدَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وكذا جنودًا من المؤمنين، وذلك من أجل نصرته الدين الإسلامي ودحض الشرك والمشركين، لكن في قوله تعالى: "وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ"²، حيث يقصد الله تعالى بالجُنُودِ في هذا الموضع جُنُودَ الْكُفَّارِ مِنَ الْإِنْسِ والجن على حدٍ سواء، مع تبيان أن كَيْدَهُمْ ضَعِيفٌ جَدًّا، وبالتالي ليس لهم القدرة على مجارة المؤمنين، في أي زمان أو مكان.

1-2- إصطلاحًا:

يقصد بالتجنيد في الاصطلاح الشرعي والعسكري هي تلك العملية العسكرية التي تقوم على جمع وحشد الجنود وتأهيلهم تأهيلاً عسكرياً كاملاً لخوض العديد من المعارك في جبهات الحروب، وذلك من خلال إتقان مجموعة كبيرة من المهارات القتالية والممارسة القوية للأساليب الحربية المتنوعة، والتي تتم من خلالها شحذ الهمم لمقارعة الأعداء في أي ظرف زمان ومكان³، وعلى ضوء المفاهيم اللغوية والاصطلاحية السالفة الذكر يتضح لنا جلياً أن مُصطَلِحَ التَّجْنِيدِ هو عبارة عن تعبئة الأفراد أو الأشخاص في عمل ما أو مهمة معينة، ولا يتم هذا إلا ضمن مؤسسة محددة، في حين يكون مقيد بآجال محددة.

2- نشأة نظام التجنيد وتطوره عبر العصور:

في البداية يجب أن نوضح أمر غاية في الأهمية بمكان، وذلك من خلال أن ما يُميز المؤسسة العسكرية عن باقي المؤسسات الموجودة في بلد ما، هو باعتبارها المسؤول الأول والوحيد للدفاع عن كل تلك المؤسسات، وبالتالي تحقق لها الأمن والاستقرار⁴، وعليه من أجل هذا وذاك فإن التدوين في الميدان العسكري بشكل عام والتجنيد بشكل خاص فهو محاولة لاقتحام ميدان بحوث سسيولوجية القوات المسلحة من بناء وتنظيم ووظائف وفرق مُكونة وتجهيزات وعتاد عسكري وغيرها من الديناميكيات العسكرية، وفي هذا الجانب سنحاول تقديم معالجة تاريخية تحليلية لسيروية نظام التجنيد من بداية النشأة إلى تطوره عبر

¹ - سورة الصافات، الآية/173.

² - سورة الشعراء، الآية/95.

³ - عزالدين العبد، التجنيد الإلزامي في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير في الفقه الإسلامي، جامعة صباح الدين الزعيم، تركيا، (د.ت)، ص 6.

⁴ - غربية سمراء، "الشباب والتجنيد التطوعي دراسة في علم الاجتماع العسكري"، مجلة الحقيقة، ع34، (د.ت)، ص 436.

العُصور والفترات الزمنية الماضية¹، وبالتالي فقد بينت الدراسات التاريخية في الميدان العسكري، أن نظام التجنيد قد مرَّ بمراحل عديدة عبر العُصور التاريخية، إلى أن وصل مدلوله إلى ما نعيشه اليوم، وذلك راجع إلى طول الفترات الزمنية التي تعاقب عليها هذا النظام، لهذا يجب طرح التساؤل التالي: ماهي المراحل التاريخية التي مرَّ عليها نظام التجنيد؟ وكيف ساهمت تلك المراحل في تطوره؟.

2-1- التجنيد في الفترة القديمة:

نجد على مدار العصور القديمة البدائية التي تميزت بالقبلية بمعنى آخر أي قبل أن يعرف الناس التَّمُدُن، حيث كانوا يعيشون في شكل زُمر مُتفرقة هنا وهناك، مُشكلين في ذلك تجمعات قبلية، وكان جُند كل قبيلة مؤلفًا من جميع أفرادها، فإذا ما دعاهم داعي للغزو وشن الغارة، قاموا برئاسة شيخ القبيلة فيهاجمون العدو وهم غير مُتبعين في ذلك نظامًا، ولا خاضعين إلى قانون، فإذا ما انتهت الحرب، انكَبُوا على اقتسام الغنائم كلُّ حسب قوته وبلائه في القتال، إذ لم يكن هناك فئة خاصة تسمى " جنْدًا" للدفاع عن القبيلة².

لكن بمرور الزمن بدأ الناس بالتحضر وإنشاء المدن، وبالتالي بدأوا يستقرون في أوضاع مدنية واجتماعية، وفي ذلك الوقت بالذات أخذوا يُؤلفون مجموعات خاصة من الأفراد للدفاع عن البلاد، ويضعون لها من الأنظمة والقوانين فيما كانوا يرونه مناسبًا لجمعها وتنظيمها، ومن هذا المنطلق فقد كان الفراغ هم السبَّاقون إلى تحقيق هذه الفكرة، وقد تم هذا بعد توحيد الملك مينا³ لمصر القديمة، وقد كانت هناك حاجة شديدة لتوحيد الجيوش الصغيرة الخاصة بكل إقليم في جيش واحد قوي، بإعتبار أن مهمة الجيش في البداية كانت تتمثل في الدفاع عن البلاد فقط، لكن مع توافد المحتلين من الفُرس والهكسوس على بلاد مصر القديمة تتحول على إثرها مهمة الجيش من الدفاع إلى الهُجوم، وذلك من أجل الحفاظ على هيبة ومكانة

¹ - بوشناق خدوجة، " نظام التجنيد وحمل السلاح عبر التاريخ"، مجلة دراسات تراثية، ع05، ج1، السنة 2014، ص 218.

² - خالد محمود عبد اللطيف، نظام التجنيد وتطوره عبر العصور، جريدة الصدى الإلكترونية، صحيفة موريتانية مستقلة شاملة صدر أول عدد لها عام 1998، 25 دسمبر 2017، ص 1.

³ - كانت بلاد مصر القديمة تتشكل من مملكتين، مملكة في الشمال وتتمثل في الدلتا وعاصمتها مدينة " ب" بمعنى المقر أو العرش، وإلهها الصقر حورس وتاجها التاج الأحمر ورمزها النحلة، والمملكة الأخرى تقع في الجنوب وعاصمتها مدينة " نخن" بمعنى الحصن، وكان إلهها الصقر حورس وتاجها التاج الأبيض ورمزها نبات " السوت" (وهو البوص أو الخيزران)، وفي حوالي 3100(ق.م) قام الملك مينا بتوحيد المملكتين وبهذا العمل التاريخي أسست الأسرة الفرعونية، وبالتالي نصب نفسه أول فرعون مصري، في حين يدل اسمه بمعنى " الخالد" أو " المثبت"... للمزيد راجع: سمير أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط1، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص ص 45-46.

المملكة¹، أما في عهد الملك الفرعوني رمسيس الثاني² فنجد أنه كان مُولعًا بالحروب، مما جعله يُجنّد جنودًا من الأحباش وجنودًا من السودان لإخضاع مجموعة الأقباط القاطنين في سواحل البحر الأحمر، وقد رتب جنوده على شكل صفوف متراسة، مع تجهيزها بالأسلحة التي كانت معهودة في عصره، وتمكن بذلك من إخضاع أولئك الأقباط والتغلب عليهم³.

أما بخصوص الرومان فقد مرّ نظام الحكم عندهم بثلاث مراحل، وهذا منذ تأسيس روما سنة 753 (ق.م) حتى سقوطها سنة 476م، وهذه المراحل هي: العصر الملكي ثم الجمهوري وأخيرًا العصر الإمبراطوري، وعليه فقد اتخذ الجيش في كل مرحلة من هذه المراحل شكلًا مختلفًا من حيث نظام التجنيد وتنظيم الفرق العسكرية⁴، حيث كانت روما خلال العهد الملكي ذات نظام قبائلي أو عشائري، بحيث كانت كل قبيلة تُساهم في تجنيد حوالي مئة (100) رجل وعشرة (10) فرسان لصالح الملك الذي كان يقود بدوره الجيش الروماني بنفسه ويعقد أيضًا المعاهدات مع الممالك الأخرى⁵، لكن بعد سقوط النظام الملكي ومجيئ النظام الجمهوري الذي أصبح يحكم فيه فُصلان، وبدأت تظهر فيه ملامح روما التوسعية⁶، وهذا ما جعل نظام التجنيد يتطور إلى الأحسن من خلال إعداد جيش قوي قادر على حماية الأقاليم التي سوف تُخضع من طرف الرومان، وتُجسد هذا عندما قام القنصل ماريوس بتجنيد جيش نظامي، ويتقاضى المُجندين فيه رواتب مُحددة، وذلك نظير الحروب الكثيرة والمستمرة التي كانوا يُشاركون فيها، وقد حُددت مدة التجنيد في صفوف الجيش بستة عشرة (16) سنة، أي إلى غاية ما يصل الجندي إلى عدم قدرته على حمل الأسلحة وأدوات القتال⁷.

1- أميرة عبد الرزاق، تسلسل تاريخي حكايات التجنيد المصريين من الفراعنة لمحمد علي، موقع شبابيك الإلكتروني، الساعة 15:00 زوالاً، يوم الخميس 2022/03/31م.

2- الملك الفرعوني رمسيس الثاني (1304-1237) (ق.م)، هو أشهر ملوك الأسرة الفرعونية التاسعة عشر (19)، حيث تولى الحكم بعد وفاة والده سيتي الأول، وقد حكم ما يقارب سبعة وستون (67) عاماً... للمزيد راجع: سمير أديب، المرجع السابق، ص 203.

3- خالد محمود عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 01.

4- بديع العمر، الجيش الروماني البري في الفترة الإمبراطورية 31ق.م- 284م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2010، ص 49.

5- الطيب بوساحة، " نشأة وتطور الجيش الروماني من العهد الملكي إلى الإمبراطوري (التركيبية والتجنيد)"، مجلة الإحياء، مج21، ع28، جانفي 2021، ص 896.

6- بديع العمر، المرجع السابق، ص 53.

7 - الطيب بوساحة، المرجع السابق، ص 897.

لكن مع مجيء النظام الإمبراطوري نجد أن تجنيد الجيش تطور بشكل كبير ليشمل كل الأقاليم التابعة للإمبراطورية، وبالتحديد الأفراد الذين ترجع أصولهم إلى أكثر شعوب الإمبراطورية تخلّفاً في المجال الحضاري¹، وفي مُقابل ذلك يتم منحهم حق المواطنة الرومانية بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية، وقد سُميت الوحدات العسكرية المُشكلة من أولئك المُقاتلين بإسم الفرق المساعدة (Auxilia)، وأصبح بذلك الجيش الروماني النظامي يتكون من خمسة وعشرون (25) فيلقاً أي ما يُعادل مئة وخمسون ألف (150000) مقاتل، وعليه تقرر رفع مدة الخدمة العسكرية إلى عشرون (20) سنة ثم الحصول من بعدها على التقاعد، وأحياناً تصل مدة التجنيد إلى نحو خمسة وعشرون (25) سنة².

2-2- التجنيد في الفترة الوسيطة (الدولة الإسلامية):

في خضم ذلك التطور السريع الذي عرفه نظام التجنيد في الفترة القديمة من حيث التنظيم والجاهزية، فقد غلب على هذا النظام في الفترة الوسيطة الطابع الديني، وهذا من خلال الحروب الدينية التي قامت بين المسلمين والكُفار، وذلك منذ أن أشرقت شمس الإسلام على الجزيرة العربية، وبالتالي فقد اتخذ نظام التجنيد بالنسبة للمسلمين تسمية جديدة وهي "الجهاد"، فكانوا في بادئ الأمر كُلهم جُنُداً خاضعين لقيادة النبي صلى الله عليه وسلم³، والذي جمعهم تحت لواء الأخوة الإسلامية، مصداقاً لقوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"⁴.

وعلى إثرها فقد بدأ الجيش الإسلامي صغيراً في بداية تشكله، وهذا لأنه كان مؤلفاً من المهاجرين والأنصار، حيث جعلت قاعدته المدينة المنورة الأمانة بعد جلاء اليهود منها، أما فيما يخص نظام التجنيد

¹ - نورة مواس، " التجنيد عند الرومان أوائل العهد الإمبراطوري الثاني"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 05، ع02، جويلية 2021، ص 44.

² - الطيب بوساحة، المرجع السابق، ص 898.

³ - لم يكن النبي محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً مقاتلاً يطلب الحرب للحرب، ولكنه مع ذلك فقد كان نعم القائد البصير إذ وجبت الحرب ودعته عليها المصلحة اللازمة، حيث كان يعلم من فنونها بالإلهام ما لم يعلمه غيره بالدرس والمرانة، ويصيب في إختيار وقته وتسيير جيشه وترسيم خطته إصابة التوفيق وإصابة الحساب وإصابة الاستشارة، وقد كانت غزوة بدر الكبرى هي التجربة العسكرية الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم التي انطلق من خلالها التنظيم العسكري في الدولة الإسلامية... للمزيد راجع: عباس محمود العقاد، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2015، ص 49.

⁴ - سورة الحجرات، الآية/10.

في ذلك العهد فيمكن أن نطلق عليه بالنظام تجنيد الشبه إلزامي، حيث أنه كان مزيجًا ما بين التطوع والإلزام الذي يفرضه الدين للجهاد في سبيله وهو أرقى ما وصل إليه نظام الجندية في شتى عصوره¹، وعليه فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد الأعلى لجيش المسلمين، وبعد وفاته كانت الأحوال قد تطورت وميادين القتال قد كثرت، حيث تطور نظام التجنيد في عهد الخليفة الفاروق عُمر بن الخطاب الذي عمل بدوره على إنشاء ديوان خاص للإشراف على شؤون التجنيد، وذلك من خلال الحرص على تدوين كل ما يخص المُجندين من بيان أسماءهم وأوصافهم وأعمالهم وأرزاقهم في مجموعة من السجلات الخاصة بهم².

3- أساليب التجنيد وأنواعه:

جاء نظام التجنيد العسكري لضرورة حتمية بالنسبة للدول والممالك حول العالم، وذلك بغية الدفاع عن الحدود الجغرافية والإقليمية التابعة لها، ومنه يُمكننا تمييز نوعين رئيسيين من نظام التجنيد وهما: التجنيد القائم على أساس التطوع من جهة، والتجنيد المفروض القائم على الواجب (الإجباري) من جهة أخرى³، لكن هذا الطرح لا ينفي وجود أنواع وأشكال أخرى للتجنيد، وإنما سوف نتطرق في دراستنا هذه إلى هذين النوعين من نظام التجنيد الأكثر تداولاً في المنظومة العسكرية للبدان، سواء تعلق هذا الأمر في الفترة القديمة أو الوسيطة أو الحديثة، وعليه من هذا المنطلق نطرح السؤال التالي: ما المقصود بالتجنيد التطوعي؟ وفيما يتمثل التجنيد الإجباري (الإلزامي)؟.

3-1- التجنيد التطوعي:

لقد جاءت كلمة تطوع في العديد من المعاني، حيث نجدها في اللغة من مصدر يَتَطَوَّع، تطوعاً، فهو مُتَطَوِّع، والمفعول مُتَطَوِّع به، مثلاً: تَطَوَّعَ الشَّخْصُ: أي تقدم لعمل ما مُختاراً، قدم نفسه لإنجاز عمل أو مهنة بدون مكافأة أو أجر، حيث يقال: "تَطَوَّعَ الكثير من الشَّبَابِ للخدمة في الجيش"⁴، في حين نجد أن

¹ - غازي جاسم الشمري، "النظم العسكرية في صدر الإسلام والدولة الأموية"، مجلة عصور، المجلد 12، ع01، جوان 2013، ص ص 62-64.

² - راغب السرجاني، "الجيش وتطوره في النظام الإسلامي"، موقع قصة الإسلام الإلكتروني، تاريخ النشر 16 ماي 2010- 12:07، تاريخ الاطلاع 12 جوان 2022 - 11:34.

³ - بوشناق خدوجة، المرجع السابق، ص 219.

⁴ - أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 1422.

كلمة التَّطَوُّع في القرآن الكريم تحمل معنى التَّبَرُّع والزَّيَادَة في الخير كما في قول الله تعالى: " وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ"¹، وقوله تعالى أيضا: " فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ"².

أما مفهوم التَّطَوُّع في الاصطلاح فالمقصود به هو المَجْهُود القائم على مهارة أو خبرة معينة، والذي يُبْذَل عن طريق الرَّغْبَة والاختيار، بغرض أداء واجب اجتماعي، ويكون ذلك العمل في الكثير من الأحيان دون الحصول على جزاء مالي، لأن الغاية الأسمى من ذلك العمل هو التقرب من الله سبحانه وتعالى، لكن في بعض الأعمال يكون هناك مقابل ولو بالشيء البسيط، وهذا من أجل التشجيع والاستمرار في التطوع³.

وتماشياً مع ما تم ذكره يتضح أن التَّجْنِيد التَّطَوُّعِي هو الخدمة الطَّوُّعِيَّة في الجيش المُحْتَرَف، حيث يُنظَّم فيه كل شخص يرغب في أداء الخدمة العسكرية، ويتعهد فيه بالعمل في القوات المُسَلَّحة بمحض إرادته واختياره، ويكون هذا العمل خلال فترة محددة من الزمن⁴، ولقد كان التطوع هو المصدر الرئيس للحصول على المقاتلين عبر العصور التاريخية الماضية، وكذلك زيادة عدد الكوادر اللازمة والضرورية للجيش العامل، حيث يخدم الشخص المُتطوِّع في القوات المُسَلَّحة لمدة خمس (05) سنوات بعد توقيع عقد التطوع، ويتلقى خلال خدمته تلك راتباً شهرياً محدداً، ويحق له بعد انقضاء المدة تجديد عقده إذا لم يكن هناك ما يمنع ذلك، ولذلك يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط الأساسية للالتحاق وهي:

- أن يزيد عُمره عن 18 سنة.
- صحيح البنية وسليم التفكير والعقل.
- الرَّغْبَة وعدم الإكراه.
- وفي بعض البلدان أن لا يكون المُتطوِّع مُتزوج من أجنبية⁵.

¹ - سورة البقرة، الآية/158.

² - سورة البقرة، الآية/184.

³ - محمد هشام أبو القمير، جدد شبابك بالتطوع، النسخة الأولى 2006 - 2007، صيد الفوائد للنشر www.saaaid.net، ص 11.

⁴ - بوشناق خدوجة، المرجع السابق، ص 219.

⁵ - فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013، ص 51.

3-2-التجنيد الإجباري (الإلزامي):

لقد عُرف عن التجنيد الإجباري بأنه فرض دولة من الدول حول العالم ما يُعرف بـ "الخدمة العسكرية" على أفرادها، بهدف تكوين تعبئة عسكرية شاملة، وذلك لتعويض أي نقص قد يطرأ على أعداد المقاتلين أثناء الحرب، أي أن الجيش يلجأ إلى استدعاء أعداد من المُجندين عند الحاجة¹، لكن ما يُلاحظ حول هذا النوع من التجنيد أنه يأخذ طابع الإلزام، مع الأخذ بعين الاعتبار عامل السن المُحدد للأشخاص المُجندين، وكذا المدة الزمنية المحددة التي يتجنّدون خلالها²، وقد أخذ نظام التجنيد الإلزامي يختلف أسلوباً باختلاف المُجندين من جهة وباختلاف مُدة الخدمة من جهة ثانية، فكان يُصيب تارة طبقة معينة من الشعب، حتى أن بعض الدول سمحت بقبول دافعي البديل عوضاً عن الانخراط في الخدمة، كأن يدفع المطلوب تجنيده مبلغاً معيناً من المال فيُعفى تلقائياً نظير ذلك المال الذي دفعه، أو أن يتجنّد شخص آخر بدلاً عنه³.

ثانياً: وكلاء الجزائر ودورهم في عملية تجنيد المتطوعين:

لقد سمح السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566) لخير الدين بربروس (1519-1535) بتجنيد المتطوعين من جُل أقاليم الدولة العثمانية سنة 1525م، حيث عمّل السلطان على وضع شرط أساسي من أجل إتمام هذه العملية، التي لم يكن يُسمح بها إلا بعد الحصول على إذن رسمي من السلطان العثماني نفسه، الذي كان بدوره يُصدر فرماً لهذا الغرض، وقد كانت المراسيم تقتضي أن تقوم السلطة العثمانية بالجزائر على إرسال مبعوث خاص إلى حاكم مدينة أزمير والأقاليم العثمانية الأخرى، وكذلك إلى العلماء في تلك المُدن يحمل معه طلباً⁴، وبمجرد وصوله يُقدمه إلى القبطان باشا الذي يحمله بدوره إلى السلطة العثمانية بالإستانة (Asitane)⁵، ويتضمن هذا الطلب التماساً إلى السلطان العثماني بالسماح لوكلاء

¹ - سندس أبو سويلم، مفهوم التجنيد الإجباري، موقع موضوع الإلكتروني، التوقيت: 15:11، 2022/04/04.

² - بوشناق خدوجة، المرجع السابق، ص 219.

³ - فراس البيطار، المرجع السابق، ص 38.

⁴ - صرهودة يُوسفي، " وكلاء إيالة الجزائر في أواخر الحكم العثماني: دراسة في الأدوار والمهام"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 21، ع02، جامعة باتنة1، ديسمبر 2020، ص 265.

⁵ - أستانة هو الإسم القديم لإستانبول، ويعني عتبة الباب، والمركز والتكية الكبيرة... للمزيد راجع: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 15.

الإيالة للقيام بعملية التجنيد¹، وتتم تلك العملية بواسطة وكلاء الجزائر المقيمين بأقاليم الدولة العثمانية، لهذا نطرح التساؤلات الآتية: ماهية مُصطلح الوكيل؟ ومن هُم أولئك الوكلاء؟ وفيما تتمثل أدوارهم ومهامهم؟.

1- مفهوم الوكيل:

1-1- لغة:

إن مصطلح الوكيل من مصدر الفعل وَكَلَ، وهو من أسماء الله سبحانه وتعالى، والذي يعني المُقيم والكَفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقيل بأمر الموكول إليه، وقد قيل أن الوكيل هو الكفيل وبالتالي يعني الحافظ، وقال أبو إسحاق: الوكيل في صفة الله تعالى الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق، وقال بعضهم أن الوكيل هو الكفيل ونعم الكفيل بأرزاقنا، وقال في قولهم حسبنا الله ونعم الوكيل: كافينا الله ونعم الكافي²، وقد ذكرت لفظة الوكيل في مواضع عديدة من آيات القرآن الحكيم، وهذا تعظيماً لقدرته سبحانه وتعالى، حيث قال الله تعالى: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"³، وقوله أيضاً: "وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَمِنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً"⁴، ويُقال كذلك وكله بأمر كذا توكيلاً والاسم من الوكالة بفتح الواو وكسرهما، والتوكل في معناه الظاهري هو الاعتماد على الغير مع إظهار العجز، أي اتكل على فلان في أمر يعني اعتمد عليه ووكله في نفسه، وجمع لفظ وكيل هو "وكلاء"⁵.

1-2- اصطلاحاً:

أما الوكيل من حيث الاصطلاح فيُقصد به الشخص الذي يسعى في عمل غيره، وينوب عنه فيه، ومنه الوكيل لدى المحاكم، وفي الاقتصاد السياسي هو عبارة عن شخص يعمل لحساب شخص آخر

¹ محمد بوشنافي، "تجنيد المتطوعين للجيش الإنكشاري الجزائري أثناء العهد العثماني من خلال الوثائق"، مجلة عصور جديدة، ع13، ربيع (أبريل) 1435هـ/2014م، ص 130.

² محمد بن مكرم ابن المنصور، المصدر السابق، ص 4909.

³ سورة آل عمران/ الآية 173.

⁴ سورة النساء/ الآية 81.

⁵ ماييسة حراش، عبد المجيد قدور، "وكلاء الجزائر في مدن الأناضول خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق الأرشيفية"، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 08، ع01، جامعة أم البواقي، مارس 2021، ص 230.

بمقتضى عقد توكيل يبرمه مع الشخص الذي وُكِّل في الأمر¹، أي أنه الشخص الذي يقوم بمختلف التصرفات القانونية، وذلك بناء على توكيل رسمي من شخص آخر ولمصلحته، في حين تعتبر التصرفات الناجمة عن التوكيل مطابقة تمامًا وكأنه قد قام بها المُوَكَّل وذلك من ناحية الواجبات والالتزامات².

1-3- مفهوم مُصطلح الوكيل على ضوء الدراسة:

فالوَّكيل هو موظف سامي يُعين من طرف الباشا أو الداى في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، ليكون نائبًا عنه في مختلف الأقاليم والولايات العثمانية، وذلك بغية السهر على مختلف مصالح الإيالة السياسية والإقتصادية والاجتماعية وحتى العسكرية، بحيث يُسَلَّم له من طرف باشا الجزائر مخطوط بمثابة توكيل رسمي له، يذكر فيه تفاصيل الصلاحيات الموكلة له، ويعتبر ذلك المخطوط بمثابة اعتماد رسمي للوكيل الجديد لدى سلطات الإقليم أو الولاية الموجود بها³، وقد كان من أهم هؤلاء الوُكلاء وكيل الجزائر في إسطنبول والذي كان يطلق عليه تسمية "قبو كخداسي" أو قبوا كاهيه سي"، والذي يعني وكيل الباشا لدى الباب العالي⁴ خاصة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر⁵.

2- مهام وُكلاء الجزائر في بعض الأقاليم العثمانية:

1-2- المهام الاستخباراتية:

نجد من خلال اطلاعنا على مختلف الوثائق والمراسلات العثمانية أن دور الوُكلاء في هذا الجانب يتمثل في تقمص دور "عُملاء المُخابرات" أو "عُملاء دائرة الاستعلامات" كما يُعرف في وقتنا الحالي، وذلك

¹- المرجع نفسه، ص 230.

²- موقع مجلة الإلكتروني، <https://hbrarabic.com>، تاريخ الاطلاع: 13/جوان/2022، الساعة: 16:22.

³- سيد أحمد بن نعماني، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض الوثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر" مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 01، ع01، جانفي 2013، ص 187.

⁴- هو عبارة عن مبنى كبير وفخم، حيث لا يفصله عن قصر السلطان إلا شارع واحد، لقد تم إنشاء هذا المبنى في عهد السلطان العثماني محمد الرابع (1648-1687م)، حيث خصص جناح منه لإقامة الصدر الأعظم وأسرته وحرسه، وخصصت بقية أجنحه لاجتماع كبار موظفي الدولة الذين يقومون بتصريف شؤون البلاد... للمزيد راجع: حسان حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999، ص31.

⁵- صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص 262.

من خلال إعلام السلطة العثمانية بالجزائر بمعلومات عن ما هو جديد فيما يخص مختلف التعيينات الإدارية الجديدة في مركز السلطة العثمانية بالإستانة¹، وهذا ما جاء في الرسالة التي بعث بها السيد عبد الله في أزميز إلى الداى حسين باشا (1830-1818)² بتاريخ 01 رمضان 1242هـ الموافق لـ (28 مارس 1827م)، وقد ذكر فيها بعض المستجدات الحاصلة على مستوى سلطة الباب العالي، ومختلف التعيينات الجديدة في الباب العالي خاصة بعد النظام الجديد المستحدث من طرف السلطان محمود الثاني (1808-1839)³، والاستمرار في جمع الجنود للنظام العسكري الجديد في الدولة العثمانية⁴.

ونجد في هذا الصدد أيضا معلومات استخباراتية بعث بها الحاج خليل وكيل الجزائر بإزمير إلى الداى حسين باشا (1830-1818) بتاريخ 11 جمادى الأولى 1244هـ الموافق لـ (19 نوفمبر 1828م) وقد جاء فيها: "... دولتلوا⁵ عنايتلو أبهتلو مرحمتلو ولي النعم رحيم الشيم تام الكرم أفندم سلطانم... ومن شأن إطلاعكم عن الحوادث الواقعة واستخباركم، فإن لمصلحة قلعة وارنه مأمورية الصدر الأعظم من حضرته غالبا صدور الرخاوة والتكاسل، وبسبب ما ذكر نشأت رفع الوزارة منه وبالجمله أمواله وأملكه بالمصادرة صدارة...⁶"، ولا تتوقف استخباراتهم عند هذا الجانب فقط بل نجدهم يُطلعون الدايات على مختلف التطورات

¹ - م.و.ج، المجموعة: 1903، الوثيقة رقم 33.

² - هو حسين بن حسين ولد بقرية "فرله" (Vurla) الواقعة على الشاطئ الجنوبي لجنوب إزمير سنة 1764م، من عائلة تركية أصيلة، حيث نشأ بإستانبول وتلقى خلالها مبادئ القراءة والكتابة، وقد إكتسب تدريبًا عسكريًا في إحدى المدارس العسكرية أهله لأن يصبح من رجال المدفعية بالجيش العثماني، ثم انتقل إلى الجزائر، ومن تم ترقى إلى أن أصبح في منصب خوجا الخيل في عهد الداى عمر باشا (1815-1817)، ومن بعدها تولى حكم الإيالة سنة 1818م بعد أن توفى الداى علي خوجا (1817-1818) بوباء الطاعون، ويعد آخر داي حكم الجزائر وعقد معاهدة الإستسلام مع فرنسا سنة 1830م، توفى بالإسكندرية في 30 أكتوبر 1838 عن عمر ناهز الثالثة والسبعين (73) سنة... للمزيد راجع: أبو عمران الشيخ وأخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص ص 131-136.

³ - هو السلطان الثلاثون في قائمة السلاطين العثمانيين، هو ابن السلطان عبد الحميد الأول، ولد في 20 جويلية سنة 1785م، وقد تولى الحكم من (1808-1839)، في عهده قامت ثورة استقلال اليونان سنة 1821م، أهم عمل قام به فور توليته هو إلغاء الجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية سنة 1826م، وفي عهده احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م... للمزيد راجع: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص 398-448.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 206.

⁵ - بمعنى صاحب الدولة، وهو لقب تشريفي، حيث كان يخاطب به الوزراء وقواد الجيش ومشايخ الإسلام وأمراء مكة المكرمة. راجع: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 116.

⁶ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 46. راجع أيضا: م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم

العسكرية المستجدة في أقاليم الدولة العثمانية، حيث نجد في هذا الصدد أن وكيل الجزائر في إحدى المن العثمانية بتاريخ 15 جوان 1825م يقوم باطلاع الداى حسين باشا (1818-1830) بشأن مجريات الحرب اليونانية العثمانية والتي كانت من نتائجها احتراق سفينة جزائرية من نوع قريبط¹.

ونفس الدور الاستخباراتي نجده في رسالة السيد مصطفى كرموسى الذي يشتغل في وظيفة وكيل الجزائر بالإسكندرية إلى الداى حسين باشا (1818-1830)، وهذا بتاريخ 13 صفر 1245هـ الموافق لـ (13 أوت 1829م) بشأن قدوم مبعوث عثمانى إلى الإسكندرية الذي أخبر بهجوم الجيش الروسى على أراضي الدولة العثمانية في إطار الحرب الروسية العثمانية².

2-2- المهام الدبلوماسية:

تجدر الإشارة إلى أن المهام الدبلوماسية التي أنيطت إلى أولئك الوكلاء عديدة ومتنوعة ومنها تمثيل حكام الجزائر دبلوماسياً لدى السلطة العثمانية بالإستانة وهو ما يُطلق عليه اليوم بتسمية "السفراء أو القناصل"، وهذا بتقديم كُلى التوضيحات اللازمة والمُمكنة والتي تتعلق بإيالة الجزائر لفائدة رجال الدولة العثمانية من الوزراء والموظفين الذين يُهمهم الأمر³، كما جاء في رسالة سليم ثابت أفندي وكيل الجزائر لدى الباب العالي إلى موظفين على مستوى السلطة بالجزائر بتاريخ 09 جمادى الأولى 1225هـ الموافق لـ (11 جوان 1810م)، وقد جاء فيها تنظيم لقاءات دبلوماسية بين الوفد الجزائري مع بعض ولاة الأمور والرجال العظام في الباب العالي⁴.

2-3- المهام الإقتصادية:

لقد أُعتبر الوكيل الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية بمثابة وسيط تجاري بين إيالة الجزائر والدولة العثمانية، حيث كانت تجارة إيالة الجزائر مع الباب العالي في الفترة الأخيرة من العهد العثماني مثلاً تتم على يد الحاج خليل أفندي المقيم بإزمير، كما كان الوكلاء من جهتهم يقومون بإرسال تقارير في بعض

¹ - م.و.ج، المجموعة:3204/الملف01، الوثيقة رقم 18.

² - م.و.ج، المجموعة:3204/الملف01، الوثيقة رقم 58. وراجع أيضاً: م.و.ج، المجموعة:3204/الملف01، الوثيقة رقم 61.

³ - صرهودة يوسفى، المرجع السابق، ص263.

⁴ - م.و.ج، المجموعة:3206/الملف02، الوثيقة رقم 02.

مواضيع رسائلهم حول أسعار بعض المواد المختلفة وغيرها من أمور البيع والشراء¹، مثل ما جاء في رسالة "خليل سر قلق" وكيل الجزائر في أولكون إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 17 رمضان 1233هـ الموافق لـ (20 جويلية 1818م) بخصوص شراء الأخشاب وبعض التجهيزات البحرية لصالح إيالة الجزائر².

وفي جانب اقتصادي آخر نجد بأن دور الوكلاء في المقام الأول يتمثل أيضًا في الدفاع عن مصالح الرعايا الجزائريين وكمثال على ما نقول نجد في تقرير الذي بعث به السيد خليل مفتي الجزائر بإزمير بأن الجزائريين غير ملزمين بدفع الباج (Bac)³ عن الأمتعة التي يصحبونها معهم إلى الجزائر وهذا بمقتضى فرمان سلطاني كان قد أُصدر بهذا الخصوص⁴، وهي عبارة عن وثيقة من رصيد خط همايون⁵ المحفوظ في الأرشيف الوطني الجزائري ببئر خادم الجزائر العاصمة، وفي نفس السياق نجد أن رجال الجمارك بمدينة إزمير طالبوا الجزائريين بدفع الرسوم الجمركية عن البضائع التي يحملونها الأمر الذي أدى إلى تدخل السيد خليل مفتي الجزائر المقيم بمدينة إزمير لحل الموضوع وإرجاع المياه إلى مجاريها الطبيعية، بحيث أدت هذه الحادثة إلى إصدار فرمان سلطاني يأمر جميع أمناء الجمارك بإعفاء الجزائريين من دفع الرسوم الجمركية عن السلع الضرورية التي ينقلونها إلى الجزائر كالملابس وغيرها والتي لا تدخل في التجارة العامة، أما فيما يخص البضاعة التي ينقلها بعض التجار الجزائريين فيأخذ رجال الجمارك عليها رسوم وهذا شيء بديهي لا يحتاج إلى نقاش⁶.

كما نجد أيضا تدخل الحاج خليل أفندي مفتي الجزائر في إزمير في حادثة أخرى مشابهة والتي تتمثل في طلب رجال الجمارك من السيد أرناؤوط أحمد دفع رسوم جمركية، والذي بدوره كان قد كُلف من

¹ - مايسة حراش، عبد المجيد قدور، المرجع السابق، 234.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 76.

³ - كلمة فارسية مستخدمة في اللغة التركية ومعناها رسوم المبيعات أو الرسوم الجمركية، وقد وردت الكلمة في قانون نامء بمعنى رسم المبيعات، ويذكر أن أول من وضع هذه الضريبة من العثمانيين هو السلطان العثماني عثمان الأول (1280-1324). راجع: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 50.

⁴ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 11/العدد: 22531، التاريخ: 1240هـ.

⁵ - هو الإسم العام الذي كان يُطلق على الأوامر الصادرة من السلاطين بكتابة أيديهم أو ما حرره الكتاب وأمضى عليها السلطان العثماني. راجع: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 101.

⁶ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 11/العدد: 22559، التاريخ: 1240هـ.

طرف الداى حسين باشا (1818-1830) بجلب بعض الحاجات الضرورية من دار السعادة (سلطة الباب العالي)، الأمر الذي أدى بالحاج خليل أفندي باطلاع الباب العالي بهذه القضية لإصدار فرمان سلطاني شديد اللهجة بخصوص هذا الموضوع، وأمر السلطان العثماني على إثرها بالسماح لسيد أرناؤوط بعدم دفع الرسوم الجمركية بصفته ليس تاجرًا بل شخص مُكلف من قبل السلطة العثمانية بالجزائر لاغير¹.

نلاحظ من خلال ما تم ذكره أن دور الوكيل الجزائري في الجانب الاقتصادي يتمثل في خدمة مصالح الرعايا الجزائريين في أقاليم الدولة العثمانية، وهذا بالتدخل العاجل في حل جميع مشاكلهم سواء كان الأمر يتعلق بالجمركة أو غيرها، وعليه فقد حاولت السلطة الحاكمة بالجزائر توطيد علاقتها التجارية مع الباب العالي بواسطة أولئك الوكلاء، لكننا نجد أن حجم المبادلات التجارية لم يصل إلى مستوى مبادلاتها التجارية مع الدول الأوروبية، وذلك بالنظر إلى غياب شرط التكامل التجاري، وهذا معناه أنه يوجد تشابه كبير في المنتجات المحلية مع نظيرتها القادمة من الباب العالي، ومهما يكن فقد عمل وكلاء الجزائر على استرداد بعض السلع من ميناء سالونيك وإزمير مثل: القماش، القطن، الحرير، والتتورات²، وفي هذا الصدد نجد وصول سفينتان بحريتان قدمت من إسطنبول سنة 1789م، وذلك بمعية وكلاء الجزائر بإسطنبول، حيث قامت الإيالة باسترداد القطن من أقاليم الدولة العثمانية الغنية بهذه المادة الحيوية³، أما فيما يخص قائمة البضائع الموردة إلى الجزائر من مدن وأقاليم الدولة العثمانية، فقد كانت في الغالب تأتي عن طريق مينائي الإسكندرية وإزمير، فتضم ثمانية عشر (18) منتوجا مصنع في الدولة العثمانية⁴.

يتضح من خلال المعطيات السابقة أن المبادلات التجارية بين إيالة الجزائر والباب العالي كان يتوسط فيها الوكلاء، لكن هذه المبادلات لم تصل إلى المستوى المطلوب نوعًا ما نظرًا للبعد الجغرافي أولاً، وثانياً الضعف الذي شهده القطاع الاقتصادي في إيالة الجزائر، وعلى وجه الخصوص النشاط الصناعي فقد ظل متواضعًا لا يتعدى الصناعات المحلية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة، أما التبادل

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 11/العدد: 32928، التاريخ: 1240هـ.

² - بلبروات بن عتو، الباى محمد الكبير ومشروعه الحضاري، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 53-54.

³ - حلبي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 308.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، "النشاط العسكري والتجاري للجزائر في القرن 18م (12هـ)"، المجلة التاريخية المغربية، ع33-34، تونس، جوان 1984، ص 198.

التجاري مع الدول الأوروبية فقد كان كبيراً جداً، وذلك بالرغم من حالة العداوة والاضطراب الذي كان يسود العلاقة بين هذه الدول الأوروبية وإيالة الجزائر، خاصة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (18م) ميلادي.

2-4- المهام الدينية:

لقد شملت المهام المنوطة بالوكلاء الأمور الدينية كذلك، وذلك من خلال النظر في القضايا الدينية والفصل في الشكاوي التي تحصل هناك من قبل الرعايا الجزائريين المتواجدين في مدينة إزمير ومختلف المدن العثمانية، وتشمل كذلك قضايا تخص ممتلكات المتوفين من الجزائريين أو ما يُصطلح عليها تسمية "تركات"، وفي هذا الشأن نجد فرمان من الباب العالي إلى والي مصر بتاريخ 01 جمادى الأولى 1146هـ الموافق لـ (05 أكتوبر 1733م)، وقد جاء فيه الأمر بتسليم ممتلكات المتوفين من الجزائريين في مصر إلى وكيلهم الموجود في مختلف المدن مثل: القاهرة، الإسكندرية، رشيد، دمياط، مع تبيان أن سبب صدور ذلك فرمان كان بطلب من والي (باشا) الجزائر¹.

وتتعدى مهام الوكلاء في هذا الجانب إلى إيصال تلك "التركات" إلى أهاليها في إيالة الجزائر، وفي هذا الصدد نجد فرمان آخر أصدره الباب العالي إلى الحكام والعلماء والضباط في مختلف أقاليم الأناضول بتاريخ أواخر شعبان 1191هـ الموافق لـ (23 سبتمبر - 01 أكتوبر 1778م) وقد جاء فيه الأمر بتسليم جميع ممتلكات المتوفين من الجزائريين في أقاليم الأناضول إلى وكلائهم الموجودين على مستوى تلك الأقاليم، وأن تسلم شخصياً إلى الوكيل الذي يقوم بدور الوسيط، وذلك بإيصالها إلى الجزائر وتتم بعدها تقسيم التركة على ورثة المتوفي وفق الشريعة الإسلامية².

أما فيما يخص أشهر وكلاء الجزائر في أقاليم الدولة العثمانية، هو الحاج خليل أفندي الذي كان متواجداً بمدينة إزمير، ويلقب هذا الوكيل عادة في الوثائق الرسمية كما رأينا سابقاً "بمفتي الجزائر"، وقد كان أول من يتدخل لدى السلطات العثمانية وعلى رأسها السلطان وهذا دفاعاً على مصالح الجزائريين³، ومن المهام الدينية الأخرى التي يتكفلون بها الوكلاء هي استقبال ركب الحج الجزائري وتقديم جميع التسهيلات التي من شأنها أن توفر الراحة والسهولة في أداة هذه الشعيرة الدينية، كما جاء في رسالة وكيل الجزائر

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 41.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 18.

³ - مایسة حراش، عبد المجید قدور، المرجع السابق، ص ص 234-235.

بمدينة رشيد في مصر إلى الداى حسين باشا(1818-1830) بتاريخ 05 ذي الحجة 1243هـ الموافق لـ(17 جوان 1828م) خبر وصول وفود الحجاج الجزائريين إلى مصر، حيث قام هذا الوكيل بالسهر على رعاية شؤونهم¹.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحجاج الجزائريين كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة في البلاد المصرية والتي تتمثل في الإعفاء من دفع الرسوم الجمركية على البضائع التي يحملونها ذهاباً وكذلك عند العودة من الحج²، ومن مهام الوكلاء الدينية أيضاً هي جمع الأوقاف (صرة الحرمين الشريفين)³ ومتابعة وكلاء الأوقاف الذين كانوا موجودين في جميع أنحاء الإيالة⁴، ويشمل دور الوكيل أيضاً في إيصال (صرة الحرمين الشريفين) إلى مكة والمدينة والذي يُطلق عليه لقب " أمين الصرة"، كما جاء في رسالة شريف عبد الله قرمانلي المقيم بالمدينة المنورة إلى الداى حسين باشا(1818-1830) بتاريخ 03 صفر 1241 الموافق لـ(16 سبتمبر 1825م)، وقد جاء فيها وصول الحاج محمد أفندي أمين الصرة إلى المدينة المنورة وباشر توزيع تلك الصرة والتي كانت عبارة عن صدقات أهالي إيالة الجزائر على فقراء المدينة المنورة⁵.

2-5- المهام العسكرية:

لقد تمثلت المهام العسكرية المنوطة بالوكلاء تتجسد حول القيام بعملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح الإيالة بالدرجة الأولى، حيث كانوا يقفون حرصين على خدمة مصالح الجند المتطوع، حيث كان يُطلق على الوكيل الذي تولى هذه المهمة "الباش دائي" (Ebachday)⁶، حيث نجد في الفرمان

¹ - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 261.

² - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 104.

³ - الصرة في اللغة هي ما يجمع فيه الشيء ويُشَدُّ، وجمعها صرر، وهي كلمة عربية تعني كيس النقود، وهي عبارة عن مجموعة من الأموال كانت تُرسل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وتوزع على أشخاص معينين وفقاً لدفاتر خاصة وحصص محددة وهي أنواع (صرة أهالي مكة المكرمة، صرة أهالي المدينة المنورة، صرة أهالي القدس الشريف، صرة القبائل المعروفة بإسم العُربان)، وقد أُطلق على الصرة التي ترسل من عاصمة الدولة العثمانية إسم " صرة همايون" أو "الصرة السلطانية"، أما التي كانت تُرسل من قبل باشوات الإيالات أو الأقاليم العثمانية بإسم " صرة الحرمين الشريفين". للمزيد راجع: فاطمة بنت عبد الله المصعبي، الصرة: دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام(1171هـ/1758م)، ط1، مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2018، ص ص 18-19.

⁴ - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 89.

⁵ - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 151.

⁶ - مايسة حراش، عبد المجيد قدور، المرجع السابق، ص 233.

الذي قام ببعثه السلطان العثماني سليم الثالث (1789-1808)¹ إلى الحكام والعلماء والضباط في أقاليم الأناضول ونذكر منها مدينة إزمير ووصقله، وصاروخان بتاريخ أواسط شوال 1210 هـ الموافق لـ (18-27 أفريل 1796م) من أجل السماح للجزائريين بتجنيد المتطوعين وذلك استجابة لطلب وكيلهم في إستانبول والذي كان يُطلق عليه تسمية (قبوا كتخدا) وهو سليم ثابت أفندي²، ونجد أيضًا في رسالة الحاج أحمد وكيل الجزائر في إزمير إلى الداى حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 25 محرم 1240 هـ الموافق لـ (18 سبتمبر 1824م) وفي مضمونها إرسال عدد من الجنود المتطوعين إلى الجزائر على أن يكون هذا الأمر في أقصى سرعة مُمكنة³.

وفي رسالة أخرى بعث بها الحاج أحمد وكيل الجزائر بإزمير إلى الداى حسن باشا (1818-1830) بتاريخ 13 رجب 1242 هـ الموافق لـ (09 فيفري 1827م) بشأن تجنيد عدد من الجنود المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر⁴، وتجدر الإشارة إلى أن المهام العسكرية للوكلاء لم تقتصر على عملية التجنيد فقط، بل كانت لديهم مهام عسكرية أخرى والتي من بينها مثلاً: ربط الاتصالات والمراسلات العسكرية بين إيالة الجزائر والباب العالي، مثل ما جاء في رسالة الحاج عثمان وكيل الجزائر في إزمير إلى الداى محمد بن عثمان باشا (1766-1791)⁵ في 27 محرم 1203 هـ الموافق لـ (28 أكتوبر 1788م)، وقد جاء فيها طلب إرسال السفن الجزائرية إلى ميناء ليفورنه لاعتراض السفن التابعة للنمسا وروسيا والاستلاء عليها، وهذا في إطار حرب الدولة العثمانية مع النمسا وروسيا⁶.

¹ - هو السلطان الثامن والعشرون في قائمة السلاطين العثمانيين، هو ابن السلطان مصطفى الثالث، ولد سنة 1762م، وقد تولى الحكم من (1789-1808)، في عهده دخل الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت سنة 1798م... للمزيد راجع: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص 363-372.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 20.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 123.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 202.

⁵ - محمد بن عثمان باشا هو شخصية متعلمة، لقد انخرط في صفوف الأوجاق بمدينة الجزائر، وقد شارك في حصار لمدينة وهران وأصيب برصاصة في ركبته اليسرى، ثم تقلد عدة وظائف إدارية ليتم تعيينه دايًا للإيالة سنة (1766-1791) خلفًا للداى المتوفي علي باشا بالصباغ (1754-1766)، ويعتبر من أطول دايات الجزائر حكمًا على مستوى الإيالة بنحو 25 سنة، وله العديد من المواقف السياسية سواء داخل الإيالة أو مع الدول الأوروبية، توفي الداى محمد بن عثمان باشا يوم الثلاثاء 12 جويلية 1791م... للمزيد راجع: بلبروات بن عتو، " الداى محمد بن عثمان باشا وسياسته (1766-1791)، مجلة عصور، ع06-07، جوان - ديسمبر 2005، ص 81.

⁶ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 02.

وفي نفس الشأن نجد في سنة 1807م، أن وكيل الجزائر بميناء قرون باليونان السيد محمود بن حاتم خوجة بعث برسالة إلى الداوي أحمد باشا (1805-1808)، وقد جاء فيها توجه سفينة جزائرية إلى ميناء قرون بالمورة (اليونان) وذلك من أجل مساعدة الدولة العثمانية في حربها مع روسيا¹، وفي ذات السياق نجد رسالة من السيد أحمد وكيل الجزائر خرنه (جزيرة كريت) إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ عام 1237هـ الموافق لـ (1821-1822م)، وقد جاء في مضمونها أن القبودان باشا أمر بإرسال السفن الجزائرية إلى المياه الشرقية لمساعدة الأسطول العثماني في حربه الحرب ضد الثوار اليونانيين²، وفي تقرير أخر أرسله القبودان باشا إلى السيد وكيل الجزائر خليل أفندي المقيم بمدينة إزمير وذلك بتاريخ 1240هـ الموافق لـ 1824م، وذلك من أجل أخذ المعلومات اللازمة منه حول القوة البحرية التي تم إرسالها من قبل الأوجاقات الغربية الثلاث (تونس-الجزائر- طرابلس الغرب) لمساعدة الأسطول العثماني في الحرب العثمانية اليونانية، في حين كانت تلك القوة العسكرية البحرية موزعة على الأرقام التالية: خمسمائة جندي (500) بحري من أوجاق الجزائر، وخمسمائة (500) جندي بحري من أوجاق تونس، ومئتان وخمسون (250) جندي بحري من أوجاق طرابلس الغرب، وبهذا يكون المجموع ألف ومئتان وخمسون (1250) جندي بحري³.

ومن المهام العسكرية الأخرى المنوطة بالوكلاء أيضًا هو التكفل بإيصال التجهيزات والمساعدات العسكرية، والتي كانت مُتمثلة أساسًا في العتاد الحربي الذي يرسله السلاطين العثمانيين إلى حُكام إيالة الجزائر، وفي هذا الصدد نتطرق إلى بعض التجهيزات العسكرية التي أرسلها السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757-1774م)⁴ إلى الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) يوم 17 ديسمبر 1766م، وقد تكفل الوُكلاء في إسطنبول بعملية نقلها إلى مدينة الجزائر، وقد إشتملت هذه التجهيزات على: ثمانية (08) مدافع أربعة (04) حديدية وأربعة (04) نحاسية، إثنان (02) من الهاون عيار 200، إثنان (02) من نوع الهاون عيار 100، وإثنان (02) من نوع الهاون عيار 32، وإثنان (02) ذات عيار 14، وثمانية وثلاثون (38)

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 05.

² - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 09.

³ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 11/العدد 40066، التاريخ: 1240هـ.

⁴ - هو السلطان السادس والعشرون في قائمة السلاطين العثمانيين، هو ابن السلطان أحمد الثالث الذي حكم ما بين (1171-1187هـ/ 1774-1777م)، ومن أهم إنجازاته الحرب العثمانية الروسية... للمزيد راجع: محمد فريد بك المحامي، المصدر

صاريًا صغيرًا ومئتان وخمسون (250) مجدافًا صغيرًا ومئتان (200) مجداف كبير، وستون (60) عجلة للمدافع، وحوالي ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون (1577) قذيفة مدفع، ومئة (100) قنطار من العلك اليابس " السمك العربي"¹.

وفي يوم 26 مارس 1776م قام وكلاء الجزائر بإسطنبول بعملية نقل عتاد حربي آخر كان قد أرسله السلطان العثماني عبد الحميد الأول (1773-1789م)²، وقد تم نقل هذا العتاد على متن سفينة فرنسية، والذي كان يتمثل التجهيزات التالية: عشرة (10) قطع من الخشب لصنع مراكز الدفاع " المورتي"، وست (06) مراسن للسفن وستة وعشرون (26) قاعدة للسفن، وثلاثة آلاف وثلاثون (3030) رطلاً من الحديد وخمسمائة (500) قنبلة وإثنين وعشرون (22) صاريًا، وسبعة وثمانون (87) قاعدة خشب لعربات المدافع³.

ونجد أيضًا عام 1784م تكفل كذلك وكلاء الجزائر بعملية نقل مجموعة كبيرة من التجهيزات العسكرية والعتاد البحري التي قام بإرسالها السلطان العثماني عبد الحميد الأول (1773-1789)، وقد تسلمها الحاج مصطفى خوجة، وقد تمثلت في: خمسمائة (500) قنطار من النحاس، وثمانية عشر (18) عودا مثلثًا لصواري المؤخرة وست (06) صواري كبيرة ومئة وأربعة (104) قواعد للمدافع، وخمسمائة (500) قنطار من أسلاك الحديد ومئتان (200) قنطار من القار المعدني (الزفت)، وأربعمائة وإثنين وخمسون (452) مجدافًا ومئتان وخمسة (205) من أعواد للحمالين⁴، وقد قام السلطان العثماني عبد الحميد الأول (1773-1789) كذلك بإرسال مجموعة من الهدايا إلى الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791)، وهذا بتاريخ 1203 الموافق لـ (1788-1789م)، وقد تمثلت في بعض البطاقات والمصاحف ودلائل الخيرات وفرامين وأحزمة وخلع، وقد أسلها إلى قبطان باشا من أجل التكفل بإيصالهم إلى الجزائر

¹- جميل عائشة، المرجع السابق، ص ص 114-141. وللمزيد من المعلومات حول ما يشمل التجهيزات العسكرية التي أرسلها الباب العالي للسلطة العثمانية بالجزائر أنظر: م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثائق التي تحمل الأرقام التالية: 397،55،54،32،30.

²- هو السلطان السابع والعشرون في قائمة السلاطين العثمانيين، وهو ابن السلطان أحمد الثالث، الذي حكم ما بين (1187-1203هـ/1773-1789م)، ومن أهم أعماله توقيع الصلح مع روسيا، توفي سنة 1203هـ/1789م وكان عمره آنذاك 66 سنة... للمزيد راجع: إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1988، ص18.

³- جميل عائشة، المرجع السابق، ص 141.

⁴- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان ...، المرجع السابق، ص 178.

بإشراف وكيل الجزائر في إستانبول¹، وفي جانب آخر لا يقل أهمية وهو طلب الداى حسين باشا (1818-1830) من الباب العالي بواسطة وكيله سليم ثابت أفندي إرسال الطوب اللازم لبناء دار الصناعة الحربية (الكراسنة)² بمدينة الجزائر، وكذلك إرسال مهندس مختص لإدارتها³، وفي الرسالة التي بعدها نجد أن الباب العالي قد لبي طلب الداى حسين باشا (1818-1830) حيث قام بتعيين المدعو محمود أفندي المختص في الصناعة الحربية لإرساله إلى الجزائر⁴.

وخلاصة القول حول ما تم التطرق إليه في هذا العنصر نجد بأن وكلاء الجزائر في مختلف أقاليم الدولة العثمانية قد ساهموا بشكل كبير في ربط العلاقات السياسية والعسكرية بين إيالة الجزائر والباب العالي، وكذا رعايا شؤون الجزائريين في مختلف أقاليم الدولة العثمانية وذلك لمدة تزيد عن ثلاثة قرون من الزمن، وعليه فقد كانوا بمثابة وسطاء مُتعددي الخدمات، لأن من خلالهم كانت تُعبر جُل الاتصالات السياسية والإقتصادية والدينية والعسكرية بين الجانبين الجزائري والعثماني على حد سواء.

3- الخان (الوكالة) ودورها في عملية التجنيد:

بعد أن حوّل السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566) لخير الدين بربروس (1519-1535) حق التجنيد من مناطق الأناضول سنة 1525م، أصبح لإيالة الجزائر وكالات خاصة في أقاليم الدولة العثمانية⁵، وقد كانت هذه الوكالات أو ما كان يُطلق عليها أيضًا تسمية "الخانات" تتواجد بمحاذات المدن التي تقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وهذا من أجل تسهيل عملية نقل المتطوعين إلى الإيالة بواسطة المراكب البحرية، ونذكر من هذه المدن: إزمير، والإسكندرية وتونس ومناطق أخرى مثل: جزيرة مالطا وجبل طارق، وقد كانت هذه الوكالات تشبه إلى حد بعيد ما تقوم به القنصليات الأجنبية في

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 01/العدد 390، التاريخ: 1203 هـ.

² - يقصد بالكراسنة هي صناعة الأخشاب في الجزائر خلال العهد العثماني.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 137.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 138.

⁵ - عائشة التمالي، التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، السنة الجامعية: 2015/2016، ص 26.

مدينة الجزائر من مهام دبلوماسية واقتصادية ودينية¹، وعليه طرح السؤال التالي: فيما تتمثل هذه الخانات؟ ومن هم مسيروها؟ وكيف ساهمت تلك الخانات في عملية تجنيد المتطوعين لصالح إيالة الجزائر؟.

3-1- تعريف الخان (الوكالة):

لقد امتلكت السلطة الحاكمة بالجزائر على مستوى مدن وأقاليم الدولة العثمانية منشآت عمرانانية ضخمة أطلق عليها تسمية "الخان" في دول المشرق وتسمية "الوكالة"² بكسر الواو في دول المغرب، ومن أشهر هذه الخانات "خان الجزائر" بمدينة إزمير، والذي تكفلت ببنائه السلطة العثمانية بالجزائر بتمويل من قبل الخزينة التابعة للإيالة، وتجدر الإشارة هنا بأن ذلك الخان كان مُسجل بشكل رسمي بإسم ولاية جزائر الغرب لدى الإدارة العثمانية³، وعليه فإنه قد أُعتبر المقر الرسمي لإقامة الوكلاء، وعليه فقد كانت مهمة ودور ذلك الخان هو استقبال الجنود المتطوعين والتكفل بإقامتهم ريثما يتم نقلهم إلى الجزائر⁴.

تجدر الإشارة هنا إلى أن ذلك الخان كغيره من الخانات المنتشرة على مستوى أقاليم الدولة العثمانية كان يحتوي على عدة عُرف علوية وسُفلية، بمعنى أنه كان عبارة عن بناية من طابقين، وفيها غرف واسعة تستعمل كمخازن، وتحتوي أيضًا على كُلّ التجهيزات الضرورية للإقامة والمبيت بشكل يومي سواء ما تعلق الأمر بالجنود المتطوعين وكذا الموظفين في ذلك الخان، بالإضافة إلى ذلك فقد كان "الخان" مُجهز بمجموعة من الأسلحة على مختلف أنواعها مثل: الأسلحة النارية من البنادق والمسدسات والأسلحة البيضاء والتي تشمل بدرجة كبيرة السيوف والخناجر، وذلك من أجل حماية الموجودين في الخان من الاعتداءات الخارجية سواء ما تعلق الأمر باللصوص أو قطاع الطرق وغيرهم⁵.

¹ - عائشة جميل، المرجع السابق، ص 89.

² - هو عبارة عن مصطلح أطلق في العهدين المملوكي والعثماني على مكان شبيه بالفندق، حيث كان ينزل فيه التجار بما يحملونه من بضائع بقصد البيع والشراء والمتاجرة بشكل عام... للمزيد راجع: حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 231.

³ - عبد القادر فلوح، " دور وكلاء الجزائر في تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة"، المج 01، ع02، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جويلية 2019، ص 78.

⁴ - صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص 264.

⁵ - فلوح عبد القادر، المرجع السابق، ص 78.

وبما أن ذلك الخان كان يسكنه في غالبية الأمر طوائف مسلمة فإنه وبطبيعة الحال كان يُوجد بداخله مسجد صغير لإقامة الصلوات الخمس، أما بالنسبة للخان من الخارج فإنه كان يُرفع من أعلاه راية أو علم باللون الأحمر وهو خاص بولاية جزائر غرب، وذلك من أجل التعبير عن مظهر من مظاهر الاستقلالية وتمتعه بالحصانة الدبلوماسية، لأنه كان بمثابة قنصلية على أراضي أجنبية¹، وبالتالي كانت تقوم السلطة العثمانية بالجزائر بالتكفل التام بجميع تبعاته القانونية من خلال جرد محتوياته سنويًا، في حين كانت قائمة الجرد تلك تُرسل بدورها إلى السلطة العثمانية في الجزائر من أجل التكفل بجميع نفقاته ومصاريفه²، حيث نجد في الرسالة التي بعثها الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير إلى الداي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 19 رجب 1244هـ الموافق لـ (24 جانفي 1829م)، وقد جاء فيها جرد محتويات خان إزمير، وذلك بعد تخلي الحاج حسين عن منصب الوكيل وبالتالي إرسال قائمة الجرد إلى الجزائر مع الاحتفاظ صاحب الرسالة بنسخة منها، في حين وُضعت كل محتويات الخان تحت رعاية محمد جاش³.

وعلى غرار خان (وكالة) إزمير فإنه كان يوجد عدد كبير من الوكالات الجزائرية المنتشرة في مدن وأقاليم الدولة العثمانية وهي: تونس، طرابلس، الإسكندرية، القاهرة، ومدينة رشيد بمصر، أولكون، إسطنبول، ساقز، وقورون، جزيرة كريت، جبل طارق، مالطة⁴، وغيرهم كثير حيث أن تلك الوكالات كانت تقوم بدور القنصليات في تلك الأقاليم كما ذكرنا سابقًا، وعليه فقد لوحظ بأنه عندما تتعرض الأقاليم التي توجد بها هذه الوكالات إلى كوارث طبيعية أو حروب مدمرة كانت تطلب المساعدات والإعانات للأهالي المتضررين من السلطة العثمانية بالجزائر، وقد كان يتم هذا عن طريق الوكلاء الجزائريين الذين تواجدوا فيها⁵.

3-2- موظفي الخان (الوكالة) ومسيرتها:

لقد كان يُشرف على الخانات الموزعة على مستوى العديد من المدن وأقاليم الدولة العثمانية عدد من الموظفين القائمين على تسييره، وتتمثل مهمتهم الأساسية بالدرجة الأولى بالإشراف على تنظيم عمليات تجنيد

¹- صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص 264.

²- عبد القادر فلوح، المرجع السابق، ص 78.

³- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 295.

⁴- للمزيد من المعلومات حول ما يتعلق بالموقع الجغرافي لانتشار هذه الخانات أو الوكالات حول البحر الأبيض المتوسط يُرجى الاطلاع على الملحق رقم (03).

⁵- علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص 118.

المتطوعين لصالح إيالة الجزائر، وعليه فإن المشرفين على تسيير مكتب الخان يتكون من الأعضاء الأتية
أسماءهم:

-**الوكيل:** وقد كان المسؤول الأول والرئيسي على مصالح وأمور إيالة الجزائر السياسية والإقتصادية والعسكرية في الخان، بحيث كان يُعتبر سفير إيالة الجزائر أمام الباب العالي¹، وهو بدوره الشخص الذي كان تعيينه يتم من طرف السلطة العثمانية بالجزائر، وعليه فهو رئيس الخان أو الوكالة²، ولتوضيح هذا الأمر أكثر نجد ما جاء في الرسالة التي بعثها الحاج مصطفى جاوش في إزمير إلى الداوي حسين باشا (1830-1818) عام 1241 هـ الموافق لـ (1826-1827م) حيث يذكر صاحب هذه الرسالة وهو وكيل الجزائر المُعين في هذا المنصب، أنه قد وصل إلى مدينة إزمير وبدأ بمباشرة مهمته في رعاية شؤون الاوجاق³، وفي هذا الصدد أيضًا نجد رسالة الداوي حسين باشا (1830-1818) إلى السيد محمود باي تونس (1824-1814) بتاريخ أواسط جمادى الثانية 1239 هـ الموافق لـ (17 فيفري 1824م)، حيث يُعلمه فيها بأنه انتخب نقرًا يسمى محمود الحنفي الجزيري التاجر بسوق السلسلة بتونس وكيلًا للجزائر على العادة في ذلك⁴.

ونجد في سياق آخر أن بعض الوثائق الأرشيفية جاء فيها خبر وفاة الوكيل التابع للجزائر بالأقاليم العثمانية، وهذا ما أوردته الرسالة التي بعث بها محمد خسرو باشا قبودان دريا إلى الداوي عمر باشا (1815-1817) بتاريخ 14 شعبان 1231 هـ الموافق لـ (28 جوان 1817م) وقد جاء فيها خبر وفاة عثمان بولدانلي وكيل الجزائر في إزمير⁵، وفي رسالة تحمل نفس المضمون بعث بها سليمان في مصر إلى أحد الموظفين بالجزائر بتاريخ 01 جمادى الأولى 1243 هـ الموافق لـ (19 نوفمبر 1827م) جاء فيها خبر وفاة بلال أغا وكيل الجزائر في الإسكندرية بمصر⁶.

¹ - مريم بلال، محمد دراج، العلاقات العسكرية بين الدولة العثمانية وإيالة الجزائر (1520-1830) التجنيد العسكري أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04، ع02، سبتمبر 2021، ص 565.

² - عبد القادر فلوح، المرجع السابق، ص 79.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 150.

⁴ - أ.و.ق، مجموعة الوثائق والمراسلات العثمانية، نسخ الرسائل المأخوذة من الأرشيف التونسي، الرسالة رقم 12.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 74.

⁶ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 191. وتوجد رسالة أخرى من شقيق المرحوم بلال أغا وكيل الجزائر في الإسكندرية يعلن فيها وفاة أخيه إلى الداوي حسين باشا. م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 240.

في حين نجد بأنه بعد وفاة الوكيل مباشرة يطلب العديد من الأشخاص أصحاب المكانة المرموقة من السلطة العثمانية بالجزائر أن يُصبحوا وكلاء¹، وبالتالي حتى لا يتركوا تلك الوظيفة شاغرة لوقت طويل، مثل ما جاء في رسالة إبراهيم وكيل الحرج بباب الجهاد بالجزائر إلى الداوي حسين باشا (1818-1830)، وذلك بغية جعله وكيلاً عنه بتونس وذلك بتاريخ أوائل شوال 1239هـ الموافق لـ (30 ماي 1824م)²، وفي رسالة أخرى تحمل نفس المضمون، والتي بعثها خالد محمد في قلعة سلطان إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 15 جمادى الأولى 1243هـ الموافق لـ (03 ديسمبر 1827م) حيث يطلب فيها صاحب الرسالة تعيينه وكيلاً للجزائر في مكان الوكيل السابق الذي تُوفي وهو الحاج إبراهيم أغا³.

وعندما كان أولئك الوكلاء يجدون صعوبة في جمع المتطوعين بسبب نقص التمويل، نجدهم يُقدمون شكوة إلى السلطة العثمانية بالجزائر بهذا الخصوص، وفي حالة عدم إستجابة مطالبهم من قبل هذه الأخيرة، يهددوا بالاستقالة من منصبهم، وهذا ما نجده في رسالة الحاج خليل أفندي مفتي الجزائر في إزمير سنة 1826م⁴، أما عندما لا يقومون أولئك الوكلاء بالمهام المنوطة بهم على أكمل وجه يتم عزلهم وتنصيب وكيل آخر مكانهم، كما جاء في رسالة الداوي حسين باشا (1818-1830) إلى وكيل الجزائر المُعين حديثاً في الإسكندرية بتاريخ 1235 الموافق لـ (1819-1820)، وهذا ما جاء فيها: "...قد كان لنا وكيل سابقا ابراهيم الكرموسي هو وكيل الأوجاق لأنه قاصر عن القيام بذلك الوكيل المرقوم إستحق العزل فعزل..."⁵.

وفي سياق آخر فقد كان بعض وكلاء الجزائر في الأقاليم العثمانية يرتدون لباساً رسمياً يميزهم عن غيرهم من الأشخاص، وقد كان يُطلق عليه تسمية "لباس الوظيفة"، كما جاء في رسالة الحاج عثمان جنبلاط وكيل الجزائر في الإسكندرية إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بشأن طلبه من والي مصر محمد علي باشا (1805-1848) لباس الوظيفة الرسمي إليه وهذا ما جاء فيها: "... من حضرتكم بعث أحد قطعة توصية لحضرته على مقتضى طبع دولتكم موافقة وتنسيب وتصديرها صوب العاجز لديكم صحبة همة ملابس من كان سابقا بخدمة دولتكم من الوكلاء أسلافنا الأغه لار ووصول أطفاه وخلع فاخرة

¹ - للمزيد من المعلومات حول وثيقة تعيد طلب تعيين وكيل للجزائر يُرجى الاطلاع على الملحق رقم (04).

² - أ.و.ق، مجموعة الوثائق والمراسلات العثمانية، نسخ الرسائل المأخوذة من الأرشيف التونسي، الرسالة رقم 16.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 241. وللمزيد حول موضوع تنصيب وكيل خالفاً لسابقه المتوفي أنظر:

م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 249.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 183.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3206/الملف 02، الوثيقة رقم 16.

وتشريفكم للخدام...¹، والبعض الآخر من الوكلاء كان يطالب السلطة العثمانية بالجزائر بمنحه شهادة استحقاق نظير الخدمات التي قدمها للجزائر والتي كانت تصل إلى خمس أو عشر (10-05) سنوات².

من خلال الرسائل والوثائق التي توصلنا إليها وتمعنا فيها نستخلص بأن الوكيل هو بمثابة النائب للباشا أو الداى في أقاليم الدولة العثمانية، وتتمثل مهامه في معالجة العديد من القضايا سواء السياسية أو الإقتصادية أو العسكرية أو الدينية، في حين نجد من خلال الوثائق التي قمنا بالإطلاع عليها بأن مهامهم تنتهي بإحدى ثلاثة أشكال وهي إما بموت الوكيل أو باستقالته أو بعزله.

-**الدائيات:** وقد كانوا عبارة عن موظفين تُرسلهم السلطة العثمانية بالجزائر إلى مختلف الخانات الموجودة على مستوى أقاليم ومدن الدولة العثمانية، وذلك من أجل تسيير أمور الخان وتنظيم عملية التجنيد، حيث يختلف عددهم من وكالة إلى أخرى، وذلك راجع بدرجة كبيرة إلى أهمية وقُدرة كل إقليم على عملية التجنيد³، في حين تجدر الإشارة إلى أن أولئك الدائيات هم في الأساس عبارة عن جنود من الإنكشارية حيث تم تعيينهم خصيصاً لأداء هذه المهمة العسكرية⁴، والتي تتمثل أساساً في السهر على جمع أكبر عدد ممكن من المتطوعين بغية تجنيدهم لصالح إيالة الجزائر، وكان يترأس هذه الفرقة من الموظفين، ضابط سامي يُطلق عليه تسمية "باشا دائي"، وتتعدد مهامه وهي القيام بدور عامل استخباراتي ينقل المعلومات التي تصله إلى السلطة العثمانية بالجزائر⁵، ومن جهة أخرى يترأس عملية تجنيد المتطوعيين لصالح الجزائر⁶.

لقد كانت السلطة العثمانية بالجزائر تقوم بوضع مبالغ مالية كبيرة تحت تصرف الباش دائي، وهذا من أجل صرفها على عملية التجنيد بشكل عام⁷، كما جاء في رسالة والي الجزائر إلى أحد وكلائه في مدينة إزمير بخصوص تعيين المرسل إليه في منصب باش دائي مع توصيته بالحرص على رعاية شؤون

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 275.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 207 مكرر.

³ - مريم بلال، محمد دراج، المرجع السابق، ص 565.

⁴ - محمد ميلودي، الموظفون في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه (ل، م، د) في تاريخ المغارب الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2018/2019، ص 62.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3206/الملف 02، الوثيقة رقم 21.

⁶ - م.و.ج، المجموعة: 3206/الملف 02، الوثيقة رقم 05.

⁷ - محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص 129.

الأوجاق وبصفة خاصة فيما يتعلق بترشيد النفقات المالية سواء على مستوى الخان أو بتجنيد المتطوعين¹ الجدد لصالح الإيالة² وهذا ما نجده أيضاً في الرسالة التي بعثها الحاج حسين خوجة باش دائي الجزائر في إزمير بتاريخ 13 ذي القعدة 1241هـ الموافق لـ (18 جوان 1826م) وهذا ما جاء فيها: "... دولتلوا ومهابتلوا وعنايتلوا ولي نعم باشاي عالي الشان أفندم سلطانم لحضرتك الشريفة... يكن في معلوم سعادتك أولاً قبل التاريخ بثمانية وعشرين يوماً مقدماً بعثنا لطرف سعادتكم أربعين يلداش مع بلاندره فلامينك وإن شاء الله تعالى بامولنا قد وصلت الآن بطرفنا نحو الخمسين للستين يلداش حاضرين وبطرفنا قربيط فلامينك ترجينا منه بعث العدد المذكور..."³، وفي رسالة أخرى نجد أن نفس الباش دائي الحاج حسين خوجه يقوم في السنة الموالية 1827م بجمع عدد من المتطوعين وقام بإرسالهم إلى الجزائر⁴.

وعليه فقد لوحظ أن السلطة العثمانية بالجزائر تلجأ من حين لآخر إلى زيادة عدد "الدائيات" وذلك بغية تسهيل عملية التجنيد، وكذلك من أجل التحكم في الجنود المتطوعين الجدد، وقد كان هذا الأمر يتم من خلال طلب يقدمه وكيل الجزائر في إزمير إلى السلطة العثمانية بالجزائر، وكمثال على هذا فإنه يتضح لنا جلياً في الرسالة التي بعث بها الحاج حسين خوجة باش دائي الجزائر في مدينة إزمير إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 27 محرم 1241هـ الموافق لـ (10 سبتمبر 1825م) يطلب فيها إرسال من ثلاثة (03) إلى خمسة (05) دائيات ليساعده في تنظيم عمليات التجنيد⁵، لكن بعد سنة واحدة بالتحديد نجد رسالة أخرى تخص إرسال عدد من الدائيات، وهي الرسالة التي بعث بها مفتي الجزائر في إزمير الحاج خليل أفندي إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ شهر صفر 1242هـ الموافق لـ (03 سبتمبر - 01 أكتوبر 1826م)، يطلب فيها إرسال ثلاثة عشر (13) دائياً للأشراف على إدارة الخان⁶.

في حين يمكن إرجاع تناقص أعداد الدائيات إلى جملة من العوامل وفي مقدمتها وفاة أولئك الدائيات سواء كان سبب هذا الوفاة أثناء تأدية مهامهم أو غيره من الأسباب الأخرى، وهذا ما نجده في الرسالة التي بعثها السيد مصطفى في إزمير إلى شقيقه محمد أغا بالجزائر بتاريخ 19 جمادى الأولى 1244هـ الموافق

¹ - للمزيد من المعلومات حول وثيقة تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة يرجى الاطلاع على الملحق رقم (05).

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 159.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 22.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 203.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 146.

⁶ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 176.

لـ(26 نوفمبر 1828م) وقد جاء فيها خبر وفاة بعض دائيات الجزائر في مدينة إزمير¹، أما السبب الآخر الذي كان يؤدي إلى النقص في عدد الدائيات هو ذهاب أولئك الدائيات إلى إيالة الجزائر كمرافقين للمتطوعين الجدد وهذا من خلال عملية نقلهم التي كانت تتم على متن المراكب، وهذا ما كان يشكل نقص كبير في عدد الدايات اللذين ضلوا في مناطق الأناضول، وأحياناً أخرى يعود ذلك النقص بسبب الدائيات أنفسهم، وذلك من خلال تخليهم عن مهامهم المنوطة بهم وهي تجنيد المتطوعين وإمتهانهم لنشاطات إقتصادية أخرى مثل التجارة، ومنهم من يستقيل من منصبه ويرجع إلى أهله في أقاليم الدولة العثمانية².

-سردار: وهو الأمين أو الكاتب الخاص للخان أو الوكالة، تتمثل مهمته في تسجيل المُجندين في الخان، وهذا بالإضافة إلى تسجيل العمليات التجارية ومصاريف الخان (أسماء التجار، المداخيل المالية، البضائع)، ثم من بعدها يقوم بتسجيل كل هذه المعاملات بإسم الباش دائي³.

-المفتي: يعتبر المفتي هو المسؤول الأول والوحيد عن الجوانب الدينية والاجتماعية في الخان، وبالتالي تتمثل مهامه بالخصوص في معالجة قضايا التظلمات والشكاوي التي يطبق فيها الأحكام الشرعية الجزائرية⁴، وله مكانة مهمة من خلال عدد من الرسائل التي يقوم بإرسالها إلى السلطة العثمانية بالجزائر، ومن أهم الأشخاص الذين تقلدوا منصب الإفتاء في الوكالات الجزائرية هو الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير، ومع أن الوظيفة كانت دينية في الأصل، لكن نجد أن مهام المفتي قد تعددت وتقاطعت مع مهام الوكلاء الأخرى، حيث كان يتولى أيضاً إدارة الوكالة أو الخان بالنيابة وهذا في حالة غياب الوكيل، وفي جانب آخر نجده يتدخل في كل القضايا التي تخص الإيالة ومنها القضايا الإقتصادية مثل قضية الديوانة (الجمارك) بين الجزائر والدولة العثمانية، ونجد هذا التدخل في الحادثة التي وقعت للسيد أرناؤوط أحمد الذي كان قد كُلف من طرف السلطة العثمانية بالجزائر بشراء بعض المواد اللازمة للأوجاق من دار السعادة (الباب العالي) فأجبره رجال الجمارك بدفع الرسوم الجمركية، الأمر الذي أدى إلى تدخل الحاج خليل أفندي

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 290.

² - محمد بوشناق، المرجع السابق، ص 129.

³ - مريم بلال، محمد دراج، المرجع السابق، ص 565.

⁴ - علي خلاصي، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 120.

وذلك بحسم الخلاف وإنهاء المُشكل برفع القضية إلى الباب العالي، ليصدر على إثرها فرمان سلطاني يقضي بمنع رجال الجمارك من مطالبة أولئك الأشخاص بدفع الرسوم الجُمركية من الآن فصاعداً¹.

-الإمام: وهو الذي كان يؤم المُصلين في الصلوات الخمس بالمُصلى المُتواجد داخل الخان، وقد كان يقوم كذلك بتقديم مُختلف المواعظ والدروس الدينية لفائدة المُتطوعين الجُدد وحثهم على الجهاد في سبيل الله، وذلك بمحاربة الكفار وحماية البلاد الإسلامية وحفظ الدين².

- علمدار: وهو الشخص المسؤول عن الراية الجزائرية ذات اللون الأحمر التي كانت تُوضع فوق الخان، وفي هذا الصدد عثرنا على وثيقة أرشيفية تتعلق براية إيالة الجزائر والتي كانت تُعرف بالسِنجاق (sencak)، وذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير إلى الداوي حسين باشا (1830-1818) بتاريخ 29 شوال 1244 هـ الموافق لـ (1829م) وهي عبارة عن طلب إرسال راية جديدة لرفعها على خان الجزائر بإزمير، وهذا ما جاء فيها: "... نسترجو أيضا الظهور بعده حينئذ صوب دولتكم ارسال من غير تقصير وبالخان كل يوم تعليق السنجاق ومن شان تعليقه كل يوم صار ممزقا... قد بعثنا لطرفكم ثلاثة دفعات للزوم جلبه لتعليقه بايام العيد وساير الايام المباركة..."³.

كما نجده أيضاً قد ساهم في عملية تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة، وهذا بجمع المتطوعين من خلال تنصيب الراية الحمراء في الخيمة التي يطلق عليها تسمية أوطاق (otak)⁴، وهذا ليتسنى للأشخاص الذين يرغبون في التجنيد بمعرفة تبعية هذه الخيمة أي بمعنى أن كل إيالة من إيالات الدولة العثمانية تتفرد بعلم خاص بها كان يميزها عن غيرها، فعندما يراها الشخص الذي يريد التطوع يعرف على إثرها الإقليم الذي سوف يتطوع فيه⁵.

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلبة 11/ العدد: 32910، التاريخ: 1240 هـ.

² - مريم بلال، محمد دراج، المرجع السابق، ص 566.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/31، الملف 01، الوثيقة رقم 315.

⁴ - هي عبارة عن خيمة كبيرة وفخمة، صوان مزين، ما يشابهه بمكان الذي يُقيم به السلطان العثماني أثناء ذهابه إلى الحرب. راجع: محمود عامر، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات تاريخية، ع117-118، كانون الثاني - حزيران، سنة 2013، ص 365.

⁵ - في هذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى أنه ليست إيالة الجزائر وحدها من تقوم بتجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية، فقد كانت إيالة تونس وطرابلس الغرب تقوم بعملية التجنيد هي الأخرى.

4- عملية تجنيد المتطوعين:

4-1- المسار التنظيمي لعملية التجنيد:

إن عملية التجنيد الخاصة بالمتطوعين كانت تبدأ بعد صدور فرمان من قبل السلطان العثماني، وعليه فقد كانت المراسيم تستدعي أن يقوم الباشا في الجزائر بإرسال مبعوث خاص إلى مدينة إزمير¹، ومن ثم يرفع التقرير إلى القبودان باشا الذي بدوره يوضح للسلطان العثماني الوضع العسكري بالإيالة ويخبره بحاجتها إلى مجندين جدد وذلك في إطار سياسة التجنيد ولتقوية الولاية العثمانية الأمر الذي يمكنها من التصدي لمختلف الأخطار سواء الداخلية أو الخارجية².

وفي هذا الصدد نجد بأن القبودان باشا كان يأخذ موافقة السلطان العثماني، ومن ثم يرسل فرمان إلى حاكم مدينة إزمير للسماح للجزائريين بتتصيب خيمة التجنيد التي كانت تُدعى أوطاق وهي علامة أصبحت من التقاليد والعرف السائدة بالمدن الساحلية للأناضول، والتي تدل بدورها على أن باب التطوع للتجنيد قد تم إفتتاحه رسميًا أمام الشباب الراغب في التطوع³، وفي هذا الإطار فقد ذكر فانتور دي باردي (Venture de Paradis) أنه كان بمقدور المتطوعين الجدد أن يأتوا للأكل كل صباح ومساء كدليل على الإرتباط حتى يوم الإعلان عن الرّحيل، حيث كان يقوم الضابط المُكلف بالتجنيد بتوزيع بعض النقود على المتطوعين كإجراء حُسن نية لشراء ما يلزمهم، كما يُلقى عليهم بعض الخُطب والإغراءات والتشجيعات التي تحمسهم على الانخراط في أوجاق (الجيش) الجزائر، وهذا من خلال أنه يرسم لهم صورة رائعة للمصير

¹ -Ernest Watbled, « établissement de la domination turque en Algérie », in R.A, N° 17, Alger, 1943, p.289.

² - حيث يمكن تقسيم هذه الأوضاع العسكرية بالإيالة إلى قسمين: القسم الأول وهو خاص بالوضع العسكري الداخلي للإيالة وهذا من خلال تناقص عدد الجنود بسبب موتهم لعدة أسباب مثل الكوارث الطبيعية (الزلازل والأوبئة وغيرها) وكذا قيام بعض الثورات الداخلية مثل ثورة ابن الاحرش وابن الشريف الدرقاوي، أما القسم الثاني فإنه يتعلق بالعدوان الخارجي على الإيالة سواء كان هذا من العدوان من الجارتان الإيالة التونسية أو المغرب الأقصى وكذا الحملات الأوروبية والتي في مقدمتها مملكة إسبانيا، وعليه فإن السلطة العثمانية بالجزائر كانت على الدوام بحاجة ماسة إلى التجنيد وزيادة أعداد المجندين في صفوف جيشها من أجل التصدي لمختلف الاعتداءات الخارجية على حدودها.

³ - فهيمة عمريوي، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م دراسة اجتماعية- إقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2008/2009، ص 39.

الذي ينتظرهم بإيالة الجزائر¹، ضف إلى ذلك ما سوف يتقاضونه من أجور مرتفعة وامتيازات مُتوتوعة خاصة الغنائم التي سوف يحصلون عليها بعد مشاركتهم في الجهاد البحري من جهة والحملات العسكرية البرية من جهة أخرى².

وحتى لا ننسى فقد كان أولئك المتطوعين يجرى عليهم تفتيش احترازي يسمى "بيوقلاما"، حيث يشارك فيه طبيب جراح خاص يقوم بالتأكد من عدم وجود المُجندين الغير المختونين أي الغير مسلمين في صفوف أولئك المتطوعين³ وعليه فإن المتطوعين لم يكونوا يكتبوا صكًا بالتطوع أو الخدمة في الجيش، بحيث أن نظام التجنيد كان يتم على أساس تطوعي بواسطة الدعاية التحسيسية والإغراءات التي تقوم بها البعثات الجزائرية التي تم نكرها سابقًا وهذا بالمناداة إلى الراغب بالشهادة ودخول الجنة عليه بالتطوع لقتال الكفار في منطقة شمال إفريقيا⁴، في حين نجد في الوثائق الأرشيفية ما يدل على شروط التجنيد، ومعنى هذا أن عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية كانت تخضع إلى ضوابط وأحكام التي من شأنها أن تُنظم سير تلك العملية ومن هذه الشروط:

- يمنع على الوكلاء اللجوء إلى الإكراه أو الضغط أثناء عملية جمع المتطوعين وتجنيدهم.
- الإكتفاء بتجنيد من يرغب بذلك من قناعته المطلقة.
- يمنع منعًا باتًا تجنيد الأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد⁵.

وبعد إتمام عملية تجنيد المتطوعين يقوم المبعوث الجزائري (الباش دائي) بتحرير تقرير مُفصل يرسله بدوره إلى السلطان العثماني، مبيّنًا فيه كل الظروف والملابسات التي رافقت سير تلك العملية، وكذا عدد المتطوعين اللذين تم تسجيلهم⁶، وتماشياً مع ما تم ذكره فإن عملية تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة قد كانت

¹ -Venture de Paradis, Alger au XVIIe siècle, édité par e fagnan, tadolphe Jourdan 4, place du gouvernement, Alger, 1898,p.57.

² - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، جامعة دمشق، 1969، ص 81.

³ - بدر الدين شعباني، الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 02، ع04، جويلية 2020، ص ص 138-139.

⁴ - سناء عارف سقور، عهد البكرليكي (إمرة الأمراء) في إيالتي الجزائر (1518-1587م) وطرابلس الغرب (1551-1606) - دراسة مقارنة-، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، السنة الجامعية: 2018، ص 92.

⁵ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 09/العدد 22517، التاريخ: 1234هـ.

⁶ - محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص 130.

تتم كل خمس (05) سنوات، لكن هذا لا يعني أنها كانت ثابتة بل توجد حالات استثنائية كان يتم فيها التجنيد في غير موعده، وهذا عندما تكون إيالة الجزائر في حالة حرب مع عدو أجنبي وتحتاج إلى جنود بصفة مُستعجلة، وغيرها من الحالات الاستثنائية الأخرى¹.

من خلال ما سبق ذكره يُمكننا القول بأن عملية تجنيد المتطوعين لم تكن تخضع لنظام معين سواء ما تعلق الأمر بالزمان ونقصد به زمن تنظيم عملية التجنيد أو حتى المكان والمُراد منها أماكن التنظيم لأن البعثات المكلفة بالتجنيد (الدائيات) كانت تقوم بالتنقل إلى جميع أقاليم الدولة العثمانية، وذلك من أجل القيام بالدعاية والترويج للتجنيد بالجزائر، وعليه فإننا نجد أن تلك العملية كانت تخضع لظروف خارجة عن سيطرة وإرادة السلطة العثمانية بالجزائر، وفي هذا الإطار نذكر الظروف العسكرية والمالية والسياسية الخارجة عن سيطرة حكام إيالة الجزائر.

4-2- طرق التجنيد وأشكاله:

قبل الشروع في شرح طرق تجنيد المتطوعين وأشكاله لابد لنا أن نوضح أمر غاية في الأهمية بمكان، حيث أن التجنيد كان عبارة عن مؤسسة قائمة بذاتها في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني²، وعليه يمكن أن نُميز نوعين من أساليب التجنيد بالنسبة للمتطوعين لصالح الإيالة وهي:

4-2-1- التجنيد الرسمي:

وقد كان هذا الأسلوب من التجنيد يتم من خلال إرسال السلطة العثمانية بالجزائر إلى أقاليم الدولة العثمانية بعثات مكلفة خصيصًا بعملية تجنيد المتطوعين تعرف بالدائيات³، وهذا لا يعني أن التجنيد الرسمي كان يتم دون عراقيل، بل لم يكن يُسمح "لباش دائي" الجزائر بتنظيم عمليات التجنيد دون الحصول على تصريح رسمي من السلطة العثمانية بالإستانة، وكذلك بموافقة السلطان، وذلك بمراعاة جملة من الشروط والتي منها معرفة الوضع العسكري للإيالة هل يستدعي أعداد جديدة من الجنود المتطوعين أم لا، ومن تم تُرسل مجموعة من الفرمانات سلطانية إلى كافة حكام الأقاليم العثمانية من أجل العمل على تسهيل لهؤلاء

¹ - بن اشنهو، المرجع السابق، ص 139.

² - عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1233-1246هـ/ الموافق لـ 1818-1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2004/2005، ص 52.

³ - توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان، ط1، الدار العثمانية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 21.

الدائيات في مهامهم العسكرية (التجنيد)¹، ومثالاً على هذا فقد صدر فرمان شاهاني يقضي السماح لأوجاق الجزائر بتجنيد المتطوعين بتاريخ أواخر شعبان سنة 1231 هـ الموافق لـ 1816م، وقد بعث السلطان محمود الثاني (1808-1839) هذا الأمر إلى حكام الأقاليم العثمانية التالية: صقلية، فتشا، صاروجان، رودس، أيدن²، ونجد أيضاً في الرسالة التي بعث بها سليم ثابت أفندي وكيل الجزائر لدى الباب العالي إلى الداى حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 21 شوال 1243 هـ الموافق لـ (05 ماي 1828م)، وقد جاء فيها قبول السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) بالسماح للمتطوعين بالذهاب إلى الجزائر إستجابة لطلب الداى³.

وعليه يمكن تفسير ذلك الطلب الذي أرسله الداى حسين باشا (1818-1830) إلى سلطة الباب العالي هو حاجته الماسة لأعداد جديدة من المتطوعين، وبالتالي نجد أن ذلك الطلب كان في محله خاصة إذا علمنا الوضع العسكري الصعب الذي كانت تعيشه الإيالة في ذلك الوقت من جراء الحصار البحري المفروض عليها من طرف فرنسا منذ سنة 1827م إلى غاية سنة 1830م.

والأسلوب الرسمي الثاني في عملية تجنيد المتطوعين فقد كان يتم عن طريق وكلائها الموجودين في العديد من أقاليم الدولة العثمانية والذين عرفوا بضباط التجنيد (الباش دائيات)⁴، وتجدر الإشارة إلى أن عملية التجنيد الرسمي للمتطوعين كانت تتطلب أياماً بل تصل في بعض الأحيان إلى عدة شهور، وذلك نظراً لكثرة الإجراءات المتخذة في سبيل الانتقاء الحسن لأولئك المُنجندين، حيث كانت تتم تلك الإجراءات من خلال أن الدائيات كانوا يقومون بتسجيل أسماء المُنجندين الجُدد ليتم نقلهم بعد ذلك إلى الخان (الوكالة) الجزائري الموجود على مستوى العديد من الأقاليم العثمانية، وعلى إثره يتم التكفل بهم بشكل جيد من حيث المأكل والمرقد والنفقة بشكل عام، وفي الأخير يتم ترحيلهم ونقلهم إلى الجزائر⁵، ولايفوتنا أن ننوه بأن في هذا الأسلوب المرخص له في عملية التجنيد يمكن أن نفرق من خلاله نوعين من التجنيد تحت غطاء الرّسمية وهما:

¹ - رايح كنتور، " الجيش الإنكشاري في الجزائر بين 1519-1830"، مجلة أفكار وأفاق، المجلد 09، ع02، السنة 2021، ص 92.

² - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 07/العدد 16872، التاريخ: 1231 هـ.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 259.

⁴ - أمين محرز، المرجع السابق، ص 27.

⁵ - عبد القادر فلوح، دور الوكلاء...، المرجع السابق، ص 79.

-**التجنيد الرسمي المؤقت:** هذا النوع من التجنيد كان خاص بالفرق العسكرية المحلية (قبائل المخزن، فرقة الكراغلة وفرقة زواوة) الذين كانوا يُستدعون أو بالأحرى يتم تجنيدهم على أساس التطوع في شكل تعبئة عامة لصد التحرشات والهجمات الأجنبية أو لإخماد الفتن الداخلية، وعند زوال تلك الأخطار المهددة للإيالة يتم تسريح هذه الفرق، ليتم تجنيدها مرة أخرى كلما دعت الحاجة إليها¹.

-**التجنيد الرسمي الدائم:** ويتمثل هذا التجنيد من خلال فئة الشباب الذي جاء إلى الجزائر في شكل نجدات وتعزيزات عسكرية، ويكون هذا التجنيد تحت الوازع الديني للقتال في جبهات مختلفة ضد المسحيين، ومنهم من جاء إلى الجزائر وفي نفسه أغراض شخصية بحثة، ومنها حب المغامرة من جهة وطمعاً في المال والجاه من جهة أخرى، وما يميز هذا النوع من المتطوعين أنه يتم تجنيده في جيش الإيالة بشكل دائم ومنتظم، وهذا ما تكلمنا عليه سابقاً ووضحناه بالعديد من النماذج، وهي عبارة عن رسائل من الموظفين القائمين على عملية التجنيد في أقاليم الأناضول إلى السلطة العثمانية بالجزائر، وما ميز هذا النوع من الرسائل هي تطرقهم إلى أعداد المتطوعيين الذين تم جلبهم².

4-2-2- التجنيد الغير رسمي:

نجد على غرار البعثات الرسمية لعملية التجنيد التي تم التطرق إليها آنفاً، فإنه يوجد هناك طرق أقل أهمية من الأولى من حيث تجنيد المتطوعيين الذين تم جلبهم، لكنها على الرغم من ذلك فقد ساهمت بشكل كبير في زيادة أعداد المتطوعين بالنسبة للإيالة، وتتمثل مجريات ذلك النوع من التجنيد عندما يذهبوا جنود الإنكشارية في عطلة لزيارة أهاليهم في مختلف أقاليم الدولة العثمانية، وبالتالي فإنهم يُحدثونهم عن حياة الرخاء والترف التي يعيشونها في الجزائر وعلى إثر ذلك يُشجعونهم على القدوم إلى الجزائر من أجل التطوع في جيش الإيالة وبالتالي الارتقاء إلى أعلى المناصب السياسية والعسكرية على حد سواء³.

وفي هذا الصدد فقد توفرت لدينا العديد من الوثائق الأرشيفية التي جاء فيها تجنيد المتطوعين بطرق غير رسمية، ومثالاً عن هذا نجد رسالة من السيد عبدي خوجه علمدار باشا الجزائر في إزمير إلى الخزانجي بتاريخ 23 شوال 1241هـ الموافق لـ (30 ماي 1826م)، حيث يقول فيها صاحب الرسالة بأن جندياً جزائرياً

¹- علي خلاصي، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 117.

²- المرجع نفسه، ص 117.

³- جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر 1519-1830، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران 1، السنة الجامعية: 2014/2015، ص 56.

يُدعى كُرد أوغلي قدم إلى إستانبول فيما مضى وقام بجمع عدد من المُتطوعين وقدم برفقتهم إلى إزمير لكي يذهبوا جميعًا إلى الجزائر¹، وفي رسالة أخرى مشابهة لنفس المضمون والتي تتعلق بقدم أحد أقرباء الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 27 محرم 1245 هـ الموافق لـ (28 جويلية 1829م) وهو السيد أحمد أغا من مغنيسيا إلى إزمير متوجهًا إلى الجزائر وبرفته أربعة (04) جنود مُتطوعين، حيث قام بجلبهم بعيدًا عن علم سلطة الباب العالي تحت غطاء التجنيد الغير رسمي²، وفي هذا الصدد أيضا يذكر حمدن بن عثمان خوجا فيقول: "... وبمجرد ما يحصل أحدهم على بعض المال يسافر إلى تركيا مسقط رأسه، فيأخذ معه ألبسة فاخرة ليظهر مظهر الرخاء والترف أمام بني وطنه ليعجبهم، إذ هو ربما هو ابن لأحد العمال أو المزارعين، وعندما يعود إلى حيث عائلته، يصطحب معه جماعة من سكان بلاده يُقدمهم إلى الدفتر..."³، لكن بعد وصول هؤلاء المُجندين بطريقة غير رسمية إلى مدينة الجزائر يتم تقديمهم مباشرة إلى المقاطعي⁴ (الكاتب) الذي بدوره يُسجلهم في دفتر الجُند وهكذا يتم انخراطهم في سلك الإنكشارية⁵.

وفي الأخير نجد بأن الطرق المستعملة في تجنيد المتطوعين سواء ما تعلق الأمر بالتجنيد المُرخص له من قبل سلاطين بني عثمان، أو ذلك النوع من التجنيد الذي يتم في سرية تامة عن أنظارهم، فقد كان يتم هذا خلال مدة زمنية دورية تقدر بخمس (05) أو ست (06) سنوات، لكن في بعض الأحيان يتم فيها التجنيد بصفة عشوائية غير مقيدة زمنيًا، ويتم هذا في الحالات الطارئة التي تصيب الإيالة جَراء جُملة من العوامل سواء ما تعلق الأمر بالعوامل العسكرية أو السياسية أو حتى الطبيعية منها، وعليه فإن عمليات التجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية كانت تشكل إحدى أهم الركائز الأساسية التي قامت عليها مؤسسة الجيش بالإيالة.

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 165.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 328.

³ - حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 81.

⁴ - وهو موظف إداري في إيالة الجزائر مُكلف بالمحافظة على سجلات الجُند، وكذا تسجيل المُجندين الجدد الذين يتم تجنيدهم من أقاليم الدولة العثمانية... للمزيد راجع: بلبروات بن عتو، المدينة والريف، ج1، ط1، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 389.

⁵ - فاطمة الزهراء سيدهم، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 41.

ثالثاً: ترحيل الجنود المتطوعين إلى إيالة الجزائر:

1- مدن وأقاليم تجنيد المتطوعين:

في هذا الإطار يجب الإشارة إلى نقطة مهمة في هذه الدراسة ألا وهي المواطن الأصلية لأولئك المتطوعين أو بالأحرى المدن التي قدم منها المجندين الجدد¹، وعليه فقد أشارت المصادر التاريخية إلى بعض المدن والأقاليم التي كان يُجلب منها المتطوعين، ولتوضيح الفكرة أكثر سوف نقوم بتقسيم الأماكن التي جُند منها المتطوعين على حسب أقاليم الدولة العثمانية بشكل عام، والتي توزعت على ثلاث قارات من العالم، وهي على الشكل التالي:

1-1- أقاليم قارة آسيا:

حيث كان يُطلق على تلك الأقاليم الموجودة في قارة آسيا تسمية آسيا العثمانية، والتي تقع بدورها في منتهى غرب قارة آسيا، والتي يحدها من الشمال الشرقي قفقاسيا في روسيا، ومن الشرق بلاد العجم (أوروبا الكاثوليكية)، وجنوباً عربستان (بلاد العرب) ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، وفي الشمال الغربي مضيق البحر الأبيض وبحر مرمرة، وفي الشمال مضيق البحر الأسود والبحر الأسود²، وهي عبارة عن مجموعة الأقاليم التي تنتمي إلى هذا الحيز الجغرافي وهي: قارص، أرض الروم، طرابزون، وديار بكر، قيريسوم وقاره حصار، قريوت، صامصون، طوقات، سيواس، ومرعش، وأماسيا، جوروم، جنكيري، أنقره، قونية، قرمان، بولو، إسكي شهير، كوتاهيه، إزميت، أيدين، موغلة، بودروم، قوش أده سي وإزمير³، وينكر المظماطي في مؤلفه وهو عبارة عن مخطوط بعنوان تنوير البصائر بأن أصل المجندين الذين يُكونون جيش محروسة الجزائر من أقاليم آسيا العثمانية التي ذكرها بإسم شرقي الخليج القسطنطيني، حيث قال: "...على أن جيشها أي محروسة الجزائر العرمرم أي الشديد الباس الكثير العدد... وجُندها هو عسكرها

¹ - لمعرفة الموقع الجغرافي لأهم المدن العثمانية، والتي كان يُجند من خلالها المتطوعين لصالح إيالة الجزائر يُرجى الاطلاع على الملحق رقم (06).

² - أحمد الشرقاوي وآخرون، جغرافية الممالك العثمانية، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2018، ص 19.

³ - عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص 72.

العجم لأنهم من شرقي الخليج وقد قدمنا أن ما كان غربي الخليج القسطنطيني يسمى أهله روم وما كان شرقيه وقبلته يسمى أهله عجمًا...¹.

ويُعد إقليم إزمير من أكثر المناطق استقطابًا للمتطوعين دون غيره من الأقاليم، حيث نجد في الرسالة التي بعثها حسن كامل خوجة ديوان الباب العالي وقبطان دريا ووكيل الجزائر في إزمير بشأن تجنيد عدد من المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر وهذا ما جاء فيها: "... دولتو عطوفتو مروفتو رافتو سني الهمم كريم الشيم أفندم سلطانم... قد هيئنا خمسة وثمانون نفر يولداش لار...²، وفي رسالة مشابهة بعثها الحاج حسين سرداي (سر دائي) الجزائر بإزمير إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بشأن تجنيد عدد من المتطوعين من المنطقة وإرسالهم إلى الجزائر وهذا ما جاء فيها: "... دولتو عطوفتو مرحمتو أبهتو ولي النعم كثير اللطف والكرم أفندم سلطانم... فحالا قيام الخديم على قدمه ممثلا بجد وسعي، وجمع من نفرات الأولاد الشبان عددا قدره ستين نفسا، وتكلم مع رئيس سفينة لحملهم وبعثهم صوب دولتكم...³.

لكن هذا لا يعني أن عملية التجنيد لم تمس الجزر المحيطة بالأقاليم الموجودة على قارة آسيا بل نجد كذلك بعض الجزر التي كانت تتم فيها عملية التجنيد وتقع هذه الجزر سواء على بحر إيجه مثل: جزيرة يوزجه أطة (تيدوس)، ورووس ومدليلي، أما الواقعة في البحر الأبيض المتوسط فتتمثل في: جزيرة كريت ومالطا وجبل طارق⁴، وهذا ما أكد عليه مارسيل كلومب في دراسته حول عملية التجنيد فذكر بأن عملية تجنيد المتطوعيين لم تقتصر على أقاليم الأناضول فقط في قارة آسيا فقط بل كان يوجد مجموعة من المتطوعين قدموا من جبل طارق سنة 1819م⁵.

¹ - علي بن داود الشريف البوعناني المطماطي، شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار، رقم المخطوط: 218/07، مكتبة المسجد النبوي الشريف، المملكة العربية السعودية، و118.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 77.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 34. وللمزيد أيضًا حول هذا الموضوع راجع: م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 101.

⁴ - خليفة حماش، "تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع20، جانفي 2017، ص 34.

⁵ - Marcel Colombe, « contribution à L'étude du Recrutement de L'odjak D'Alger Dans les derniers années de la régence », in R.A, N° 87, Alger, 1943, p.180.

1-2- أقاليم قارة أوروبا:

تقع أقاليم أوروبا العثمانية في جنوب قارة أوروبا، حيث يحدها من الشمال البحر الأسود، ومن الجنوب الشرقي مضيق البحر الأسود وبحر مرمرة ومضيق البحر الأبيض، ويحدها من الجنوب بحر الخزر واليونان، ومن الغرب مضيق أوترانت والبحر الأدرياتيكي، ومن الشمال الغربي مملكة الجبل الأسود، وعلى حدودها مملكة الصرب ورومانيا في الشمال، ومنطقة البوسنة التي كانت تحت حكم دولة النمسا والمجر لبعض الوقت¹، ومن الأقاليم الداخلة في هذا الحيز الجغرافي يتطرق إليها "كولومب" وهي: الروملي²، وموره، إستانبول، وبلاد الأرنأووط (ألبانيا)، تكيرداغ، سسيليغري، مالقره، أدرنة، سالونيك، قشنديل، صوفيا³.

1-3- أقاليم قارة إفريقيا:

وتتمثل هذه الأقاليم أساسًا في الإيالات العثمانية الثلاثة التي تنتمي إلى قارة إفريقيا إلى جانب إيالة الجزائر مثل: إيالة تونس، إيالة مصر وإيالة طرابلس الغرب، فعلى سبيل المثال لا للحصر نجد أن إيالة الجزائر في الفترة الأخيرة من العهد العثماني كانت تطلب من وكالاتها الموجودين على مستوى تلك الإيالات بتجنيد المتطوعين لصالح الجزائر خصوصًا بعد فرض فرنسا لحصارها البحري على سواحل الجزائر ابتداء من سنة 1827م، وعليه فإننا نجد في رسالة خوجة الرّحبة محمد خوجة برصالي في تونس إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 11 جمادى الأولى 1245هـ الموافق لـ (07 نوفمبر 1829م) بشأن تجنيد خمسة (05) جنود متطوعين وأنه سوف يُسافر إلى إيالة الجزائر عن قريب وبرفقته هؤلاء المتطوعين⁴.

وقد أورد كذلك "كلومب" بأن هناك مجموعة من الجنود قد هربوا من تونس وطرابلس الغرب، وهذا عن طريق البر والبحر إلى مدينة الجزائر من أجل الانضمام إلى جيشها رغبة منهم في كسب حياة أفضل مما كانوا يعيشونه هناك⁵، وفي نفس الشأن نجد أن السلطة العثمانية قامت بتجنيد عناصر من الجنود المتطوعين من إيالة مصر وبالتحديد من الإسكندرية، حيث جاء في الرسالة التي بعث بها أغا العرب في الجزائر إلى السيد مصطفى وكيل الجزائر في الإسكندرية والتي كانت من دون تاريخ والمرجح أنها تعود إلى

¹ - أحمد الشرقاوي وآخرون، المرجع السابق، ص 15.

² - هو الإسم العام الذي أطلق على مجموع أراضي الدولة العثمانية الواقعة في قارة أوروبا، وانتقل إلى اللغة العربية تحت ما يسمى بإسم الرومي... للمزيد راجع: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 129.

³ - Marcel Colombe, op.cit, p.172.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 342.

⁵ - Marcel Colombe, op.cit, p.180.

ما بعد سنة 1827م، والتي كانت بشأن تجنيد عدد من المتطوعين وإرسالهم من مصر¹ عبر تونس على متن سفينة نمساوية².

2- عملية نقل المتطوعين والظروف المحيطة بها:

بعد أن تتم عمليات التجنيد في الأقاليم العثمانية يسعى القائمين على التجنيد للشروع في عملية نقل أولئك المتطوعين الجدد إلى مدينة الجزائر، ومن هذا المنطلق فقد كان نقل المتطوعين الجدد إلى الجزائر من أصعب المراحل التي كان يمر عليها القائمين على عملية التجنيد، وذلك راجع إلى انعدام سفن جزائرية خاصة بنقل المتطوعين الجدد لا غير³، لهذا يمكن تقسيم الهيئات التي تكفلت بنقل أولئك المتطوعين إلى ثلاثة أقسام وهي:

2-1- نقل المتطوعين بواسطة السفن الأوروبية:

وفي هذا الشأن نجد بأن وكلاء الإيالة قد عملوا على إستأجار سفن أجنبية أوروبية لنقل أولئك المتطوعين الجدد مثل: فرنسا وهولندا وإنجلترا والنمسا⁴، وهذا ما توصلنا إليه من خلال اطلاعنا على مجموعة من الوثائق العثمانية التي تخص جنسيات السفن التي نقلت أولئك المتطوعين إلى الجزائر، وعليه فإننا نجد في رسالة الحاج علي قبطان في أزميز إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 29 شعبان 1240هـ الموافق لـ (17 أبريل 1825م) وقد جاء فيها خبر إرسال مجموعة من المتطوعين إلى الجزائر على متن سفينة فرنسية⁵، وفي رسالة أخرى من أمين الجمرك الكبير في أزميز إلى والي الجزائر وقد جاءت بدون تاريخ بشأن تجنيد مئة وخمسون (150) متطوع وإرسالهم إلى الجزائر على متن سفينة فرنسية وقد كان مبلغ إستأجارها حوالي أربعة آلاف (4000) دورو⁶، أما بخصوص إستأجار الوكلاء للسفن الإنجليزية لنقل المتطوعين الجدد إلى مدينة الجزائر نجد في رسالة "الحاج أحمد ألاي سر دار" وكيل الجزائر في مدينة أزميز إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 01 ربيع الأول 1242هـ الموافق لـ (02 أكتوبر

¹- لقد عثرنا على العديد من المراسلات التي تفيد موضوع تجنيد المتطوعين من الإسكندرية في مصر وإرسالهم إلى تونس من أجل تسهيل دخولهم إلى الجزائر. راجع: م.و.ج: المجموعة: 1903، الوثائق رقم: 41، 42، 43.

²- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 115.

³- حنيفة هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 20.

⁴- عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص 74.

⁵- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 132.

⁶- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 94.

1826م) وقد جاء فيها إرسال مئة وثمانية وأربعين (148) مُتطوعًا إلى الجزائر على متن سفينة إنجليزية¹، ونجد وفي رسالة أخرى من الحاج عمار وكيل الجزائر بتونس إلى إبراهيم وكيل الخرج بتاريخ 20 ربيع الثاني 1244هـ الموافق لـ (29 أكتوبر 1828) وقد جاء فيها خبر قدوم سفينة نمساوية من إزمير إلى تونس وعلى متنها موظفون جزائريون وعدد من الجنود المتطوعين².

2-2- نقل المتطوعين بواسطة السفن الإسلامية:

أما بخصوص جنسيات السفن الأجنبية الإسلامية، فإنها اقتصرت على السفن التونسية من جهة والمصرية من جهة أخرى، وذلك بغية نقل بعض الجنود المتطوعين إلى مدينة الجزائر، حيث يُجمع أولئك المُجندين الجُدد في موانئ إسطنبول وسميرين والإسكندرية ورودس وموانئ جزيرة كريت ومن بعدها يتم نقلهم إلى مدينة الجزائر³، وعليه من أجل تأكيد هذا الطرح بدورنا فقد وجدنا من خلال اطلاعنا على بعض المراسلات الأرشيفية ما يؤكد ذلك، مثل ما جاء في الرسالة التي بعث بها مصطفى كرموسي وكيل الجزائر في الإسكندرية إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 15 ذي الحجة 1244هـ الموافق لـ (17 جوان 1829م) بخصوص تجنيد حوالي عشرون (20) مُتطوع وإرسالهم إلى الجزائر على متن سفينة تونسية⁴، وفيما يخص إستأجار السفن المصرية فقد وجدنا في الرسالة التي بعث بها مصطفى قبطان قائد السفينة الجزائرية مفتاح الجهاد في الإسكندرية إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 15 جمادى الأولى 1245هـ الموافق لـ (11 نوفمبر 1829م) وقد جاء في محتواها إرسال أربعة وعشرون (24) جُندي مُتطوع إلى الجزائر برقفة جاوش سفينة مفتاح الجهاد، وقد تم ذلك على متن سفينة مصرية متجهة صوب مدينة صفاقس⁵.

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 185.

² - م.و.ج، المجموعة: 1903، الوثيقة رقم 12.

³ - زهيرة سحابات، المرجع السابق، ص ص 93-94.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 326.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 344.

2-3- نقل المتطوعين بواسطة السفن الجزائرية:

إن السفن الأجنبية لم تكن وحدها فقط من تتكفل بنقل أولئك المجندين، فقد كانت توجد وسيلة أخرى للنقل وتتمثل بالخصوص في السفن التجارية الجزائرية التي كانت تجوب أقاليم الدولة العثمانية الساحلية من أجل أغراض تجارية بالأساس مع أقاليم الدولة العثمانية، لكن عندما تنتهي من معاملات التجارية تعود محملة بالمجندين الجدد إلى الجزائر¹، وفي وسيلة أخرى نجد أن السفن الجزائرية الحربية التي كانت تقوم بعمليات القرصنة في شرقي المتوسط أو عندما كانت تأتي إلى مناطق الحوض الشرقي للمتوسط للاشتراك في عمل عسكري مع الأسطول العثماني تجاه معاركه مع الدول الأوروبية (النمسا وروسيا واليونان) فعند عودتها إلى مدينة الجزائر تقوم باصطحاب مجموعة من الجنود المتطوعين الجدد كذلك²، وهذا ما حدث سنة 1236هـ الموافق لـ (1821م) حيث قام الأسطول الحربي للجزائر من نقل الجنود المتطوعين من جزيرة ساقر إلى مدينة الجزائر، وهذا خلال عودته من تلك الجزيرة نتيجة مشاركته إلى جانب الأسطول العثماني في إحدى المعارك³.

وعليه فإن عملية نقل المجندين لم تكن بالأمر السهل، بل كانت تواجهها مشاكل في كل الأحيان، فكثيراً ما اعترضتها عراقيل نتج عنها تأخر وصول المجندين إلى إيالة الجزائر في الآجال المحددة ومن هذه العراقيل نذكر:

-انعدام السفن الخاصة بالتجنيد بالنسبة للإيالة خلال فصل الشتاء بسبب تدهور الأحوال الجوية واضطراب حالة البحر.

-رفض بعض أصحاب السفن الأوروبية نقل المجندين إلى الإيالة دون ترخيص من حكوماتهم⁴.

¹ - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 83.

² - مبارك شودار، الحملات الأوروبية على الإيالة الجزائرية وانعكاساتها فيما بين (1671-1830) في الأرشيف الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2020/2019، ص 114.

³ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 09/العدد 34746، التاريخ: 1236هـ.

⁴ - محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص 132.

3- وصول المتطوعين إلى مدينة الجزائر والشروع في تسجيلهم:

3-1- تسجيل المتطوعين الجدد لدى المقاطعجي:

بعد مرحلة التنقل الصعبة التي كان يمر بها المجندون، يصل في الأخير أولئك المتطوعون الجدد إلى مدينة الجزائر، بحيث كان يتم اصطحابهم مباشرة إلى قصر الداوي ليتم معاينتهم بدقة من حيث الصحة النفسية والجسمية¹، وفي هذا الصدد فقد رصدت لنا بعض الوثائق الأرشيفية مجموعة الهدايا التي كان يجلبها المتطوعون الجدد إلى الداوي أو باشا الجزائر وهذا تعبيراً منهم عن مدى احترامهم الكبير وتقديرهم لهذا الحاكم، وقد إشتهرت في الغالب على بعض الحلويات التي تشتهر بها أقاليم الأناضول مثل: صندوق واحد (01) من الأشياء المتنوعة، صندوق واحد (01) من الحلوى، صندوق واحد (01) من الزبيب الغليظ، وصندوقين (02) من حلوة راحة الحلقوم².

من بعد ذلك يتم اصطحابهم إلى المقاطعجي الذي بدوره يتولى مهمة تسجيلهم في سجل الجند³ الذي يطلق عليه تسمية "دفتر يكيجري"، وذلك بكتابة اسم الجندي المتطوع مرفقاً بإسم والده واسم البلدة التي جاء منها، وكذلك ذكر مهنته السابقة، وجميع المعلومات التي تتعلق بوضعه البدني⁴ لون البشرة وقامته⁵، وفي بعض الأحيان المميزات الجسمانية للمتطوعين التي قد تجعله يوصف بأنه "بورونوز" الذي يعني أفتس الأنف، أو "طوبال" بمعنى أعرج⁶، ثم يسجل رقم وجقه واسم الثكنة التي سوف يُقيم فيها والأداباشي الذي سوف يعمل تحت إمرته بالإضافة إلى تعيين رتبته ويترك مكان أسفل هذه المعلومات ليُسجل فيه المبالغ المالية التي يتقاضاها كأجرة كل شهرين قمرين، ورقم حُجرته، ويُبصم على الوجه الخلفي من دراعه الأيسر، وهكذا تتم عملية تسجيلهم في الدفتر ليكونوا الفرق العسكرية النظامية في الإيالة⁷، أما إذا إلتحق المتطوع

1- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962- الجزائر خاصة-، ج2، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 143.

2- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 456.

3- ذهبية بوشيبية، "الجيش الإنكشاري في إيالة الجزائر بين ثنائية المصادر المحلية والأجنبية"، مجلة مقون، المجلد 08، ع04، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، جانفي 2018، ص 363.

4- داود ميمم، "تكنات الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر دراسة تاريخية ومعمارية وفنية لثكنة العليا"، مجلة أثار، المجلد 13، ع02، جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2015، ص 267.

5- عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص 76.

6- أندري ريمون، المرجع السابق، ص 57.

7- ذهبية بوشيبية، المرجع السابق، ص 364.

بإيالة الجزائر كمهاجر أي أنه تطوع بشكل غير رسمي (ليس عن طريق الدائيات كما ذكرنا سابقاً)، فإنه يتحتم عليه السعي بجدية من أجل الحصول على إذن من مجلس الديوان لكي يُسمح له بالانخراط في فرق الأوجاق والالتحاق بالمتطوعين الآخرين الذين قدموا بشكل رسمي¹.

3-2- العتاد العسكري الخاص بالمتطوعين الجُدد ومهامهم:

بعد عملية تسجيل المُجندين الجدد في السجل الخاص بهم، يتم إعطاءهم البدلة الرسمية وكذا تجهيزه الحربي الذي كان يتشكل أساساً من بندقية ويطغان²، في حين أن تلك البدلة كانت تتمثل في قميص من القماش الخشن وصدريّة وسروالاً من القطن ومعطفاً من الملف الخشن وشاشية جزائرية وحزاماً أحمر اللون وحذاء وغطاء من الصوف، وبالتالي يتضح لنا أن كل تلك المستلزمات كانت تقيه برّد الشتاء وحرّ الصيف³، وفي هذا الصدد يذكر حمدان بن عثمان خوجا أنه كان يُعطى للجُندي عند انخراطه في السلك العسكري بدلة عادية وبندقية ويطغان وقليل من البارود وقطعة من الرصاص يذّيبها ويقلبها بنفسه⁴.

وما يثير الانتباه حول تلك الأسلحة التي كانت تُمنح للمتطوعين الجُدد، أن هذا الأخير كان مُطالب بتسديد ثمن السلاح الذي يتسلمه⁵، وهذا من خلال أنه يُقدم له على وجه السلف وإن لم يرجعها بعد ذلك فإن ثمنها يقتطع من جراياته (راتبه)⁶، لكن ما يثير الدهشة فهو ما يتعلق بمادة البارود التي كان يشتريها الجُندي بماله الخاص⁷، وتجدر الإشارة إلى أن أولئك المُجندين الجُدد في الإيالة قبل مباشرتهم الخدمة العسكرية، كان يتم إخضاعهم إلى تدريب عسكري صارم من أجل تجهيزهم وتأهيلهم نفسياً وجسدياً إلى مهنتهم الجديدة وتعرف هذه المرحلة في يومنا هذا بالتربص التحضيري⁸، وعليه يجب التذكير بأن الخدمة

1- علي خلاصي، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 125.

2- أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الإجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج2، ط1، دار الكفاية، الجزائر، 2013، ص 07.

3- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان...، المرجع السابق، ص 185.

4- حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 82.

5- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 14.

6- بدر الدين شعباني، المرجع السابق، ص 139.

7- عبد الجليل رحموني، " الجيش النظامي في الجزائر العثمانية من خلال المجلة الإفريقية"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، المجلد 08، ع01، جوان 2016، ص 82.

8- أمين محرز، المرجع السابق، ص 28.

في الجيش النظامي بالنسبة للإيالة كانت مقسمة على ثلاث مراحل، وذلك لمدة ثلاث سنوات وهي على الشكل التالي:

- العام الأول: يعمل المُجندين الجُدد على حراسة وحماية المدينة والمحافظة على أمنها، وتُعرف بالنوبة أو الحامية، في حين كانت تلك الحاميات مُوزعة على عدة مراسي ومناطق في إيالة الجزائر ومنها: حامية بسكرة، القل، قسنطينة، وهران، مستغانم، معسكر، تبسة...إلخ، وعليه فقد كانت تلك المجموعات العسكرية تُغادر الحامية في ربيع كل سنة وتخلفها مجموعة أخرى جديدة وهكذا دواليك¹.

- العام الثاني: يُلزم على الجُندي المُتطوع الجديد الذي عمل لمدة عام كامل خارج مدينة الجزائر على مستوى الحاميات، أن يعود مرة أخرى إلى الخدمة في الثكنات.

- العام الثالث: عندما لا تكون هناك ظروف عسكرية خطيرة تُهدد السلطة الحاكمة في الإيالة سواء ما تعلق الأمر بالأخطار الداخلية (التمردات) أو الأخطار الخارجية (التدخلات الأجنبية)، فإن هذا العام على العموم فهو مُخصص للجُنود من أجل الراحة فقط².

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم،

ط2، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1981، ص 37.

² - M. Walsin Esterhazy, domination turque dans l'ancienne régence d'alger, librairie de charles gosselin, paris, 1840, p.237.

الفصل الثاني

العوامل المتحكمة في تجنيد المتطوعين

لصالح الإيالة

لقد اعتبرت قضية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية الحدث البارز الذي فُمننا بالكشف عن مراحل تلك العملية وتحليل مجرياتها، مع التطرق إلى أهم الأشخاص والهيئات الفاعلة فيها، وكذا الوسائل والشخصيات الفاعلة ودورها في نقل المجندين المتطوعين وغيرها، لكن عند اطلعنا على الموضوع أكثر فأكثر وجدنا بأن سياسة التجنيد كان يتحكم فيها مجموعة من العوامل المختلفة سواء بالزيادة في عدد الجند المتطوع أو العكس من ذلك، منها ما كان متعلق بمختلف الأوضاع الداخلية للإيالة، ومنها ما كان متعلق بالأوضاع الخارجية، لهذا نطرح التساؤل التالي: فيما تمثلت العوامل الداخلية والخارجية التي تحكمت في سياسة تجنيد المتطوعين؟ وكيف تم ذلك؟ وما هي الإحصائيات الخاصة بعدد المجندين على مستوى الإيالة خلال العهد العثماني؟.

أولاً: عراقيل عملية التجنيد:

لقد أولى حُكام إيالة الجزائر لعملية تجنيد المتطوعين أهمية كبيرة، وذلك من خلال تعيين وكلاء كانوا يسهرون على السير الحسن لتلك العملية، وبالتالي تجنيد أكبر عدد ممكن من المجندين الذين كانوا يتطوعون للخدمة في مؤسسة الجيش التابع لإيالة الجزائر، وقد كان يتم كل ذلك تقريباً من جُل أقاليم الدولة العثمانية، وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن تلك العملية قد واجهت العديد من الصعاب والعراقيل، والتي أدت في مجملها إلى إحداث تراجع كبير في أعداد المجندين على مستوى الإيالة، ومن هذه العراقيل ما كان سببه عوامل صحية وأخرى ارتبطت بالأوضاع الاقتصادية بالنسبة للإيالة، ومنها ما هو مرتبط بحكام الإيالة أنفسهم، في حين يوجد عوامل خارجية ساهمت بشكل كبير وفعال في تراجع عدد المتطوعين داخل الإيالة وهو الذي كان مرتبطاً بشكل مباشر بالأحداث الخارجية التي وقعت خلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر (19م) ميلادي، وعليه فقد وجب علينا طرح السؤال التالي: فيما تمثلت هذه العراقيل الداخلية والخارجية؟ وكيف ساهمت في تراجع أعداد المجندين على مستوى الإيالة؟.

1-العراقيل الداخلية:

1-1- تراجع الوضع المالي:

لقد تحتم علينا في هذا العنصر التطرق إلى أحد العوامل التي ساهمت في عرقلة عملية التجنيد الخاصة بالمتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية إلى إيالة الجزائر، وهو نقص التمويل نتيجة تراجع نشاط الجهاد البحري، وعليه فقد سارت عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية بشكل جيد ولم تعرف

مشاكل مالية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين (16-17م)، وذلك راجع إلى وفرة مداخيل الإيالة الاقتصادية وعلى رأسها مداخيل الجهاد البحري، والتي تعتبر حسب رأينا الممول الرئيسي الذي كانت السلطة العثمانية بالجزائر تُسد من خلاله كل مصاريف عملية التجنيد¹، وعليه فقد اتخذت البحرية الجزائرية طابع المؤسسة الخاصة من أجل الربح، وقد وفرت نتيجة ذلك العديد من الغنائم كانت قد أنعشت به خزينة الإيالة لما يُقارب قرنين من الزمن²، غير أن تلك الأوضاع المالية المُنعشة لم تبقى على حالها، وذلك لكون أن تلك الموارد بدأت تتناقص وتُشج بداية من النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، وذلك نتيجة تدهور وضعف البحرية الجزائرية، والذي نلخصه في عدة أسباب وعوامل منها:

- إن كفاءات الرِّياس قد تراجعت بدرجة كبيرة في ذلك القرن (18م)، ويعود سبب ذلك عُزوف طائفة الأعالج عن الانخراط في قيادة الأساطيل مثلما كانت من قبل.

- لقد أصبحت السفن التجارية سواء الإنجليزية أو الفرنسية بعيدة المنال على البحارة الجزائريين، وهذا بفضل المعاهدات والهدايا التي أصبحت تُقدمها حكومات هذه الأخيرة إلى حكام الإيالة.

- لقد أصبحت السفن التجارية الأوروبية تحظى بحماية أفضل مما كانت عليه في القرون السابقة، فلم يُعد من السهل للبحارة الجزائريين التعرض لها والاستلاء عليها³.

- التقنية التي حالت دون تطوير التجهيزات البحرية الجزائرية، وذلك بالإضافة إلى التحالفات العسكرية الأوروبية وحتى لا ننسى المؤتمرات الأوروبية ودورها في كبح نشاط البحرية الجزائرية من خلال مؤتمر فينا (1815م) ومؤتمر إكس لاشابيل (1818م)⁴.

وعليه فقد وجد الوكلاء المُكلفون بالتجنيد (الباش دائيات) صعوبة كبيرة في جمع المتطوعين بسبب نقص التمويل، واشتكوا بدورهم إلى السلطة العثمانية بالجزائر على ما ألت إليه الأوضاع، وعندما لا يُجدوا

¹ - محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص 136.

² - هيبه كنيوة، رضوان شافو، " مساهمة البحرية الجزائرية في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر 17م"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، ع 02، السنة 2021، ص 334.

³ - صرهودة يوسف، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر (1700-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2018/2017، ص 235.

⁴ - أمير يوسف، " الواقع الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)"، مجلة قضايا تاريخية، ع 01، السنة 2016، ص 61.

الرّد المناسب بشأن تلك الشكاوي الخاصة بالتمويل يهددوا بالاستقالة من منصبهم، وهذا ما وجدناه في الرسالة التي بعث بها الباش دائي الحاج حسين بتاريخ 27 جمادى الثانية 1243هـ الموافق لـ (14 جانفي 1828م)، وقد جاء في مضمونها أن الباش دائي قد أبدى رغبته في التخلي عن وظيفته¹ بالخان والعودة إلى الجزائر²، وفي نفس السياق وجدنا في الرسالة الذي بعثها الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بشأن تخلي باش دائي الجزائر بإزمير عن وظيفته وقرر العودة إلى الجزائر³.

وبدورنا فقد وجدنا سبب آخر بشكل مباشر على عملية التجنيد، حيث تأثر هو الآخر بتراجع الوضع المالي للإيالة، مما أدى إلى تناقص في عدد "الدائيات"، الذي أدى بدوره إلى تأخر وصول دفعات المتطوعين الجدد إلى الإيالة، ومما زاد الأمر تعقيداً هو تخلي بعض الدائيات عن مهامهم المنوطة بهم من قبل الإيالة وإمتنانهم لنشاطات إقتصادية أخرى لأن المبالغ التي أصبح يتقاضونها نتيجة عملهم المُرهب لا تغطي كل احتياجاتهم اليومية، أو يقومون بالانسحاب من وظيفة الدائيات، وبالتالي العودة إلى أهاليهم، وهذا ما نجده في رسالة حسين باش دائي في إزمير إلى الداوي حسين باشا بتاريخ 01 ربيع الاول 1242هـ الموافق لـ (02 أكتوبر 1826م) بشأن فساد سيرة الدائيات اللذين كان يتم إرسالهم من طرف السلطة العثمانية بالجزائر، ويتجسد هذا من خلال إهمال هؤلاء الدائيات لواجباتهم في عملية التجنيد ورعاية شؤون الخان، وبالتالي تقرر على إثره إرسال مكانهم عشر (10) دائيات جُدد⁴، ومن الواضح أن كل تلك الأمور بدون أدنى شك قد ساهمت في إضعاف عملية التجنيد وعرقلتها.

1-2- إنتشار وباء الطاعون:

إن المقصود به هنا هي تلك الأوبئة الفتاكة التي أصابت الإيالة خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني وبالتحديد مع نهاية القرن الثامن عشر (18) وبداية القرن التاسع عشر (19) ميلادي، وقد سببت بدورها في وفاة عدد كبير من الأهالي ونسبة كبيرة من المُجندين الذين تواجدوا في مختلف مناطق الإيالة، ولاسيما وباء

¹ - للمزيد من المعلومات حول تخلي الباش دائي عن وظيفته يرجى الاطلاع على الملحق رقم (07).

² - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 34.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 235.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 186.

الطاعون¹ الذي أودى بحياة عدد كبير من الجنود على مستوى الثكنات العسكرية²، وهذا ما عبر عنه الأسير "كاثكارت" في مذكراته فوصف بدوره حجم الدمار البشري بقوله أن ثكنات مدينة الجزائر قد كانت أماكن مُزدحمة بالجنود قبل إنتشار الوباء في الإيالة سنة 1786م وبعده أصبحت شبه خاوية بفعل إنتشار الوباء في أوساط الجنود وألحق بهم خسائر فادحة في الأرواح³، ولهذا السبب كثيراً ما نجد بأن دايات الجزائر كانوا يطلبون الإذن بتجنيد عدد من الجنود المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية، وذلك بغية سد النقص الحاصل على مستوى المجندين للذين راحوا ضحية تلك الأوبئة الفتاكة⁴.

ومن جهتنا في وجدنا وثيقة أرشيفية بهذا الخصوص ممثلة في الرسالة التي بعثها وكيل الجزائر في إستانبول إلى الداى حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 1234 هـ الموافق لـ (1818-1819م) بشأن استحالة تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة بسبب إنتشار وباء الطاعون في كامل ربوع الإيالة في ذلك الوقت بالتحديث، وقد أكد له أنه سوف يرسل مجموعة من المتطوعين إلى الإيالة في حال استقرار الأوضاع الصحية بالإيالة⁵.

3-1- قيام ثورات الطرق الصوفية:

لقد أستهل القرن التاسع عشر (19) ميلادي بالنسبة لإيالة الجزائر بقيام مجموعة من الثورات التي تُنسب إلى الطُرق الصُوفية ضد السلطة العثمانية بالجزائر، وفي هذا العنصر سوف نتطرق إلى الحديث عن أهم هذه الثورات الخاصة بالطرق الصوفية، والتي تتمثل في ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق، وثورة

¹ - لقد أُعتبر وباء الطاعون من الأمراض والأوبئة القديمة والمُعديّة التي أصابت الإنسان والحيوان على حد سواء، وذلك بسبب البكتيريا التي كانت تحملها القوارض والبراغيث في منازل ومكان عمل الإنسان وبالتالي فقد كانت تسبب له الموت، حيث يعرفه العسقلاني بأنه "مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحدا بخلاف بقية الأوقات فتكون الأمراض مختلفة". للمزيد راجع: أحمد بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص 23.

² - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 35.

³ - جيمس لاندر كاثكارت، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: اسماعيل العربي، (د.م.ج)، الجزائر، 1979، ص 100.

⁴ - خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، السنة الجامعية: 2018/2019، ص 288.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3206/الملف 02، الوثيقة رقم 10.

ابن الشريف الدرقاوي والثورة التيجاني ببايك الغرب، وعليه طرح التساؤل التالي: إلى أي مدى استطاعت تلك الثورات تخفيض عدد المجندين على مستوى الإيالة؟.

1-3-1- ثورة ابن الأحرش في ببايك الشرق:

في مُستهل الحديث تجدر الإشارة إلى أن تلك الثورة قد نُسبت إلى الحاج محمد بن عبد الله بن الأحرش¹ المعروف لدى العامة من الناس بتسمية "البودالي"²، حيث يذكر ابن العطار في هذا الصدد على أن ابن الأحرش هو رجل مغربي كان يزعم أنه من شُرُفاء مُلوك فاس³، وقد عُرف عند البعض بالشريف المغربي، وعليه فقد قيل عنه بأنه رجل مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة ودرعي النسب، أما فيما يخص سبب قدومه إلى الجزائر فيذكر صاحب تحفة الزاهر فيقول: "... وفي سنة ثمان عشرة ومائتين وألف ثار ابن الأحرش في نواحي قسنطينة وهو من عرب المغرب الأقصى رحل من بلاده للحج ولما اجلب نابليون الأول على مصر جمع ابن الأحرش جيشًا من أعراب المغربين وأفريقية وانظم إلى الجنود المصرية لقتال نابليون وأدلى في تلك الحروب بلاءً حسنًا... وانقلب نابليون إلى فرنسا ... واحتل بتونس ولقبه صاحبها حمودة باي⁴ وأكرم نزله وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالمظاهرة بالمال والرجال فاستكان لها ابن الأحرش...⁵، وتأكيدًا على ذلك نتطرق إلى ما جاء به أحمد الشريف الزهار⁶ على أن

1- كان ابن الأحرش يلقب بـ " البودالي"، وقد جاء في أوصافه الجسمية بأنه رجل طويل القامة، وفي مقتبل العمر بوجه نشيط، وبلحية حمراء، وقد كان يلبس كسوة الدرقاوة وهي عبارة عن ثياب الخرق ممزقة للدلالة على قمة الزهد. راجع: Ernest Mercier, op.cit, p.309.

2- زينب جعني، " ثورة ابن الأحرش في ببايك الشرق (1807-1800)", مجلة عصور جديدة، ع18، أوت 2015، ص 129.

3- الحاج أحمد بن مبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح. تع. تق: عبد الله حمادي، ط1، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 111.

4- ولد في 18 ربيع الأول سنة 1173هـ / 08 دسمبر 1759، وأمه جارية من أعلاج الفرج، تدعى محبوبة تزوج بها والده عندما كان في الجزائر، تولى الحكم خلفا لوالده سنة 1782م... للمزيد راجع: البارون الفونص روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الاحتلال فرنسا للجزائر، تر. تح: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، (د.ت)، ص239.

5- محمد بن الامير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية - عرزوزي وجاويش - الإسكندرية، مصر، 1903، ص 77.

6- هو الحاج أحمد الشريف الزهار بن الحاج علي، نقيب الأشراف، ولد بمدينة الجزائر، وقيل يصل نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، أخذ تعليمه عن مشايخ مدينة الجزائر، ثم خلف والده في نقابة الأشراف، وياشر الكتابة في ديوان، وبعد الإحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر سنة 1830م، أبعده السلطات الفرنسية سنة 1832م، فأرتحل إلى تونس

حمودة باشا الحسيني باي تونس (1782-1814) استدعى في أحد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلاً: "... أن رجلاً مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم ونحن نمذك بما يخصك والعرب يتبعوك لكثرة ما ظلمهم الأتراك..."¹.

وبعد عودة ابن الأحرش من تونس نزل بقسنطينة التي مكث فيها ومنها توجه إلى جيجل، والتي بدأ فيها بتجهيز السفن حيث استطاع الاستلاء على سفينة صيد المرجان التابعة للشركات الفرنسية بالقالة في جوان سنة 1803م، وبهذه الطريقة استطاع التقرب من مريدي ومرابطي الطريقة الدرقاوية وبالتالي عمل على نشر تعاليمها في المنطقة²، في حين نجد بعض المصادر ذكرت بأن ابن الأحرش كان صاحب شعوذة وحيلاً وهذا ما جعل الناس يتبعونه ويناصرونه وذلك لاعتقادهم أن تلك الأفعال الخارقة من أسرار الألهة، حيث يقول المزاري في هذا الشأن: "... فرأت منه الناس العجائب والغرائب، وتدافعوا لمساندته ومبايعته خاصة أنه ادعى أنه المهدي المنتظر"³.

ومن جهة أخرى نجد بأنه قد أخبرهم بنسبه الشريف، حيث يقول صاحب أخبار بلد قسنطينة: "... إلى أن قام رجلا من ناحية القبائل وادعى أنه شريفا وطلب الناس لإتباعه فاتبعوه، وانتفقوا على أن يقوموا على قسنطينة ويأخذوها من يد الأتراك وتصير ملك من أملاكهم فكان الأمر كذلك..."⁴، حيث قام ابن الأحرش بإقامة حصار على مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق سنة 1804م، وأثناء حصاره خاطب أحد أتباعه سكانها بما يلي: "يا أهل البلد هذا الشريف قدم إليكم ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة، وجيوش عريضة لا تقدروا على مقاتلتنا ولا تتجوا إن فررت منا. فإن أسلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم وإن امتنعتم نقاتلكم وندخلوا بلادكم بقوتنا. فأجابوهم ناس البلاد قائلين: يا معشر القبائل المغتربين نحن لا نسلموا في بلادنا ونقاتلوكم حتى نهزموكم (كذا) أو نموتوا بأجمعنا فعند ذلك هجموا القبائل هجمة شديدة وانتشروا في

وأقام فيها عدة سنوات، ثم اتصل به أحمد باي قسنطينة (1826-1837)، ليتولى بعدها الكتابة لديه، ثم ذهب إلى المغرب الأقصى لمدة ثلاث سنوات ليعود بعدها للجزائر ويتوفى بها سنة 1872م. راجع: مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومنتجة، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010، ص 144.

¹- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974، ص 85.

²- زينب جعني، المرجع السابق، ص 129.

³- لأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 299.

⁴- مؤلف مجهول، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، درأ، تح: رياض بولحبال، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2010/2009، ص 64.

كل جانب. وتمادى القتال من الجانبين يوم وليلة، ثم فتح الله بالنصر القوى وانهزموا ذلك القبائل أصحاب الفتنة والبغي...¹.

وحسب ابن العنترى فإن عثمان باي (1803-1804) كان في ذلك الوقت في المحلة بناحية سطيف يستخلص مطالب الصيف فلما وصلت إليه الأخبار جاء مسرعاً لكنه وجد الأمر قد وقع وأنتهى² وعلى إثرها أرسل له داي الجزائر في تلك الفترة مصطفى باشا (1798-1805) تهديداً صريحاً وهذا بقوله: "لقد عينتك باياً على المقاطعة التي ظهر فيها الشريف فمن الواجب عليك أن تلاحقه وتقضي عليه، وإني أضعك بين أمرين لا ثالث لهما: رأسك أو رأس "ابن الأحرش"، لهذا كان لزاماً على الباي عثمان (1803-1804) تجهيز قوة عسكرية تتكون من أربعة آلاف (4000) جندي من الإنكشارية ومن جنود الزواوة المشاة وغيرها من القبائل المخزن التابعة لبايالك الشرق، وتوجه الباي على إثرها من قسنطينة إلى وادي الزهور موقع المعركة التي دارت بين قوات عثمان باي وقوات ابن الأحرش في أوت 1804م³.

لقد خرج الباي عثمان (1803-1804) متوجهاً إلى ناحية وادي الزهور سنة 1218هـ / 1804م وهي عبارة عن منطقة جبلية كثيرة الأشجار وعرة المسالك، وعندما وصل إليها الباي خيم بالجيش هناك ثم بدأ القتال مع ابن الأحرش ومن معه من القبائل، فأستقر الباي في أرض منخفضة ومضيق وعر امتلاً بالماء بعد سقوط الأمطار وهذا ما جعل الباي عثمان (1803-1804) في حالة من الغرق والتشتت الذي أصاب الجيش⁴، وفي هذا الصدد يذكر مؤلف مخطوط أسماء حكام الجزائر فيقول: "... تولى باب مصطفى باش عام 1212 إثنى عشر وماتين وألف ثم بعد ذلك اخرج وحد الشريف يقلل بن لحرش في واد الزهر وظم القبائل متع الجبال كلها على بعضها... خرج الباي عصمان بالمحل إلى واد الزهر ونكسرت المحل ومات عصمان باي عام 1219 التسعة عشر وماتين وألف...⁵، وبالتالي فلم ينجو من جنود الجيش الإنكشاري إلا القليل، لكننا نجد بأنه عند سماع السلطة العثمانية بالجزائر بهذا بالخبر المخزن سارعت في إرسال باي

¹ - محمد الصالح بن العنترى، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مرا وتح: يحي بوعزيز، (ط.خ)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 70.

² - المصدر نفسه، ص 70.

³ - زينب جعني، المرجع السابق، ص 133.

⁴ - عبو ابراهيم، " الثورات المحلية ضد الحكم العثماني بالجزائر ثورة ابن الأحرش - أنموذجاً -، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 01، ع01، السنة 2015، ص 302.

⁵ - مؤلف مجهول، أسماء حكام الجزائر، رقم المخطوط: 1637، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر، و04.

جديد يدعى عبد الله بن إسماعيل (1804-1806) وتم تكليفه من الداوي مصطفى باشا (1798-1805) بملاحقة ابن الأحرش خصيصًا قبل أن يفكر في إعادة الهجوم على بايلك قسنطينة من جديد¹.

لقد بدأ الباوي الجديد عبد الله بن إسماعيل (1804-1806) في إعادة تجهيز الجيش وقام بمجموعة من الاتصالات التي شملت قادة القبائل العربية، حيث يقول في هذا الصدد صاحب تحفة الزائر: "... وكان هذا القائد له مُصاهرة مع العرب فاستجاش بأصهاره وعبئ كتائبه وبرز في قسنطينة لمدافعة ابن الأحرش..."² وهكذا اجتمع لديه قبائل المخزن وبالتالي جهز محلة عسكرية كبيرة وخرج في طلب ابن الأحرش وضيق عليه البلاد إلى أن هرب إلى الناحية الغربية، ثم التقى الجيشان في نواحي ميلا وانتصر عليه في معركة دامية حيث هرب ابن الأحرش على إثرها إلى مكان مجهول وقد شاع بين الناس مقتله³، ومنهم من يقول أنه هرب إلى بايلك الغرب وشارك معه ابن الشريف الدرقاوي في ثورته على السلطة في بايلك الغرب حيث يقول في هذا الصدد مسلم بن عبد القادر الجزائري: "... كان قدوم ابن الأحرش على درقاوة من المشرق فأزدادوا بقدمه فرحًا وسرورًا..."⁴.

1-3-2- ثورة ابن الشريف الدرقاوي:

لقد نُسبت هذه الثورة إلى شخص يُدعى عبد القادر بن الشريف، وقد كان يُعرف لدى العامة بابن الشريف الدرقاوي⁵، وهذا نسبة إلى الطريقة الدرقاوية التي ينتمي إليها، أما أصله فقد أكدت أغلب المصادر التي تطرقت إلى حياته على أنه من قبيلة وادي العبد بالغرب الجزائري⁶، ضواحي يهّل " غريس " القريب من

¹- زينب جعني، المرجع السابق، ص 134.

²- محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 77.

³- المصدر نفسه، ص 134.

⁴- مسلم بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 103.

⁵- حنيفي هلايلي، " الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 21، ع 01، 2006، ص 201.

⁶- عبو إبراهيم، المرجع السابق، ص 205.

مدينة معسكر¹، حيث يمتد أصله إلى المغرب، وفي هذا الصدد يذكر خوجة حسان فيقول: "... هاجت في أيامه عامة درقاوة طائفة انتمت إلى وجل نعمتي إلى الصلاح بالمغرب يقال محمد العربي الدرقاوي..."².

وعلى إثر هذا الوضع فقد انتشرت الطريقة الدرقاوية في غرب الإيالة وكثر أتباعها خاصة من القبائل الصحراوية وزاد احترامهم وتقديرهم له، وكلما كانوا يلتقون به يشكون له من ظلم السلطة الحاكمة وجورهم فكان يعدهم بالفرج القريب، ومؤكداً لهم أن هذا الوضع لن يدوم، وقد كان يسأل شيخه مولاي العربي الدرقاوي في هذا الشأن إلى حين أمره بجهاد السلطة العثمانية بالجزائر³ واستباح قتلهم واعتبرهم خارجين عن الدين والملة المحمدية بسبب ظلمهم وجورهم، ومن تم بدأ ابن الشريف الاستعداد لمقاتلتهم، وذلك من خلال أنه قام بتجهيز قواته العسكرية حيث استغرقت مدة التحضير للثورة حوالي خمس (05) سنوات من (1800-1805م) ثم أعلن على إثرها ابن الشريف الثورة على عليهم مستغلاً في ذلك هزيمة إحدى الحاميات العسكرية التابعة للسلطة أمام قبائل الأنجاد المتمردة ثم توجه برجاله نحو البطحاء قرب وادي مينا حيث كان معسكره وهناك وقعت اصطدامات بينه وبين رجال الباي مصطفى العجمي (1800-1805) وسميت هذه الواقعة بمعركة فرطاسة⁴، حيث يذكر مؤلف مخطوط أسماء حكام الجزائر أن الباي مصطفى بعد انهزامة في المعركة قد هرب إلى مدينة وهران⁵.

وعليه فقد كانت الهزيمة من جانب الجيش الإنكشاري، وذلك من خلال تكبده خسائر كبيرة في الأرواح، وقد تمكن ابن الشريف على إثرها من دخول مدينة معسكر حيث جعلها قاعدة لجيشه ثم أعلن ابن الشريف الحرب والجهاد ضد السلطة الحاكمة وخلفائها من قبائل المخزن، وبعدها انظم إليه العديد من

¹ - غالي الغربي، " ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن التاسع عشر"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 07، ع01، 1997، ص ص 59-60.

² - خوجة حسان، تاريخ بايات وهران، رقم المخطوط: 1634، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر، و04.

³ - قدور بوجلل، " ثورة ابن الشريف في بابلك الغرب 1805-1813م"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04، ع02، سبتمبر 2021، ص 601.

⁴ - المرجع نفسه، ص 603.

⁵ - مؤلف مجهول، أسماء حكام ...، المصدر السابق، و04.

القبائل المخزنية مثل : الحشم والغرابية والدوائر، وعليه تجمع لابن الشريف قوة عسكرية كبيرة قام على إثرها بحصار مدينة وهران لمدة ثمانية (08) أشهر لكن دون جدوى وهذا سنة 1805م¹.

لكن بعد تعيين " محمد المقلش " بايا جديداً للبايك سنة 1805م، قام بدوره بتجريح كفة الميزان لصالح السلطة الحاكمة بالجزائر والذي جاء إلى مدينة وهران عن طريق البحر، والذي كان قد عُين مكان الباي المعزول مصطفى العجمي(1800-1805)، كما انتصر الباي محمد المقلش(1805-1807) على الدرقاويين في معارك أخرى حدثت عام 1222هـ/1807م منها "معركة التوتة" بوادي العبد، "وجديوية" التي انهزم فيها ابن الشريف الدرقاوي مع جيشه حيث بلغ عدد القتلى منهم حوالي ألف (1000) درقاوي، ضف إلى ذلك معركة "تافنا" التي تكبد فيها ابن الشريف الدرقاوي خسائر كبيرة، هذا وقد كان الدرقاوي كلما انهزم في معركة إلا وظهر في منطقة أخرى بجيوشه مهددا السلطة الحاكمة، لكن الباي محمد المقلش(1805-1807) كلما سمع بالدرقاوي في منطقة إلا واتجه إليه وهزمه وفرق جيشه، لكن بالرغم من هذه الانتصارات التي حققها الباي محمد المقلش(1805-1807) لم تشفع له إذ قُتل بأمر من داي الجزائر، وتم تعيين مكانه الباي مصطفى العجمي للمرة الثانية سنة 1807م².

حيث نجد أن الباي بوكابوس(1807-1812) لم يُعطي الفرصة لأنصار ابن الشريف الدرقاوي بتنظيم قواتهم العسكرية، حيث سار إليهم وخرب قريتهم بالكامل، ثم من بعده جاء الباي علي قارة باغلي(1812-1817) وقد انتصر هو كذلك على الدرقاويين وهزمهم شر هزيمة، وبذلك تم القضاء على ثورة الدرقاوي في الناحية الغربية سنة 1813م، أما نهاية ابن الشريف فما زال يكتنفها الغموض، وذلك بسبب الاختلاف الكبير في الروايات التاريخية التي تطرقت إلى ذلك، بحيث أن هناك من قال أنه قتل في المعارك وهناك من يقول أنه بقي على قيد الحياة³، وعليه يمكن أن نخرج بالعديد من النتائج حول ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ومنها:

أولاً: إنتشار الفوضى والاضطرابات في الجهة الغربية للإيالة وبالتالي عدم الاستقرار.

¹ - عبد القادر صحراوي، " ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع15-16، مارس2017، ص 465.

² - قدور بوجلال، المرجع السابق، ص ص 610-611.

³ - المرجع نفسه، ص 613.

ثانيا: راح ضحيتها العديد من المُجندين في الجيش الانكشاري.

1-3-3-ثورة التيجاني:

تنسب هذه الثورة إلى محمد الكبير التيجاني وهو من نسب شريف، حيث يُعد ابن مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ أحمد التيجاني، وقد تعلم منذ نعومة أظافره مبادئ الطريقة في زاوية عين ماضي التي تمثل الموطن الأصلي للطريقة التيجانية، والمهد الأول لشيئوخها، وقد ظلت زاوية عين ماضي محافظة على مكانتها الروحية حتى بعد وفاة الشيخ أحمد التيجاني سنة 1231هـ الموافق لـ(1815م)¹، في هذا الصدد يذكر الزهار فيقول: "... يقال إن التيجاني هذا أصله من المغرب، ويقال أنه من الصحراء قرب قصور ميزاب، وقيل من قرية عين ماضي قرب الأغواط. وكان أبوه رجلاً صالحاً، وله مُريدون كان يُلقنهم الذكر، وضريحه الآن بفاس...²".

سعت السلطة الحاكمة بالجزائر على تضيق الخناق تجاه الطرق الصوفية وزُعمائها، وهذا نتيجة للخسائر البشرية والمادية التي انعكست عليها جراء الثورات السابقة مثل ثورة الطريقة الدرقاوية، ومن هذه الناحية نجد أنها قامت بشن مجموعة من الحملات العسكرية على منطقة عين ماضي، وذلك نتيجة خوفهم من أن يقوم التيجانيون بالثورة عليهم³، وبالتالي فقد أدى استمرار هجمات الحاميات العسكرية التابعة لسلطة العثمانية بالجزائر ضد زاوية عين ماضي، وفرض الحصار عليها سنة 1820م، وكذلك إرغامها على دفع ضريبة سنوية، نجد بأنها العوامل التي أدت بمحمد الكبير إلى إعلان الثورة على السلطة العثمانية وملاحقتهم أينما كانوا وذلك سنة 1242هـ الموافق لـ(1826م)، لينتقل بذلك التيجانيون من مرحلة الدفاع إلى الهجوم⁴، وقد تطرق مسلم بن عبد القادر إلى هذا فقال: "... وفي عام 1242هـ/1826م ثار على الباي حسن القطب المكتوم السيد أحمد بن سالم التيجاني في نحو 600 من رجال "عين ماضي" وأصحاب الزاوية التيجانية، ومعهم جمع غفير من الصحراويين والحشم...⁵".

1- خالد بلعربي، شعيب مقنونيف، " ثورة التيجانية في بايلك الغرب الجزائر إبان القرن التاسع عشر-دراسة تاريخية أنثروبولوجية-"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 17، ع01، جانفي 2021، ص 719.

2- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 159.

3- عبد الحفيظ حيمي، " الطريقة التيجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية (1196-1242هـ/1782-1826م)"، مجلة أفاق فكرية، المجلد 04، (ع.خ)، السنة 2018، ص 46.

4- خالد بلعربي، شعيب مقنونيف، المرجع السابق، ص 720.

5- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 31.

وقد أشار الأغواطي إلى هذه الثورة في رحلته من خلال وصفه لمنطقة عين ماضي فقال: "... إن هذه البلدة تقع غرب تجمعات، وهي محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس، ولها بابان عظيمان، ولحاكمها الذي يُسمى ولد التجيني حوالي... ومنذ سنتين فقط جمع أخوه جيشًا بهدف الزحف على وهران والاستلاء على خزنتها، وقد انظم جميع عرب الناحية المحيطة إلى لوائه وزحفوا بالطبول والمزامير، وأعطيت لهم الخيول والخيام. وقد سقطت مدينة معسكر في أيديهم وتقدموا نحو وهران غير أن باي وهران وزع الداهم على عرب الحملة بهدف هزيمة هذا الجيش. وقد نجح الباي فجعلهم بذلك يسحبون تأييدهم لولد التجيني الذي قتل فيما بعد...¹، وبعد الهزيمة التي تلقاها التيجانيون، ومقتل زعيمهم محمد الكبير التجاني، أمر على إثرها الباي حسن (1827-1831) بقطع الرؤوس وبعثها إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) مبشرا إياه بالقضاء على الثورة التيجانية، وعليه فقد كان من نتائج هذه الثورة انعكاسات وخيمة على المؤسسة العسكرية في الناحية الغربية من الإيالة، حيث راح ضحيتها عدد كبير من الجيش الانكشاري التابع لبايالك الغرب، وزيادة على ذلك نجد مقتل أعيان الباي حسن (1827-1831) أثناء مواجهتهم لقبيلة الحشم المتحالفة مع الثائر محمد الكبير التجاني².

وتماشياً مع ما تم ذكره يُمكننا القول بأن ثورة التيجانية ضد السلطة العثمانية بالجزائر قد أسهمت في إضعاف القدرات الحربية للسلطة الحاكمة ومؤسستها العسكرية، مما انعكس سلباً على ضعف سلطة البايالك التي فشلت في الأخير للتصدي للاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، خاصة إذا علمنا بأن الدخول الفرنسي للبايالك كان سنة 1831م، أي بعد سنة من إحتلال عاصمة الإيالة.

1-4- سياسة التصفية للداوي علي خوجا:

لقد أولى الداوي علي خوجا (1817-1818) اهتماماً كبيراً بما يتعلق بالسياسة الداخلية للإيالة، وذلك من خلال انتهاجه لسياسة مغايرة تماماً عن سياسة الدايات الذين سبقوه في الحكم، حيث حاول تغيير نُظْم وتقاليد المعمول بها في إيالة الجزائر منذ تأسيسها سنة 1519م، على يد خير الدين بربروس (1519-1535)³، وعليه فإن أول ما قام به الداوي علي خوجا (1817-1818) هو اغتصاب الحكم من الداوي عمر

¹ - الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي في شمال أفريقيا والسودان والدرعية، تر. تح: أبو القاسم سعد الله، (ط.خ)، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 88-89.

² - عبد الحفيظ حيمي، المرجع السابق، ص 49.

³ - فهيمة عمريوي، " الداوي علي خوجا (1817-1818) وأثار سياسته على الحكم العثماني بالجزائر"، مجلة الباحث، المجلد 14، (ع.خ)، السنة 2022، ص 110.

باشا(1815-1817)، حيث هُجم هو وجماعته على القصر وقتل الداى عمر باشا(1815-1817) وذلك بتاريخ 26 شوال 1232 هـ الموافق لـ (سنة 1817م)، وقد إستمر في الحُكم لمدة ستة (06) أشهر، حيث توفي بعد إصابته بوباء الطاعون الذي كان قد تفشى أنذاك في البلاد¹.

وعليه فإننا نجد أن السياسة التي جاء بها الداى علي خوجا(1817-1818) قد ساهمت بشكل كبير في تراجع عدد المُجندين اللذين كانوا في إيالة الجزائر، وذلك من خلال إعلانه الحرب على الجيش الإنكشاري المتواجد على مستوى مدينة الجزائر²، حيث أُطلق على هذا الإجراء تسمية "سياسة التصفية" ضد الإنكشارية، حيث نجد أنه قد تمكن من القضاء على ألف ومئتان (1200) جندي إنكشاري ومئة وخمسون (150) بولوكباشي³، وأعاد عددا كبيرا من جنود الإنكشارية إلى سмирنا واستانبول⁴، وفي هذا الصدد يذكر الزهار فيقول: "... وهو لم يغفل عن أمر العسكر، وجعل بينهم جواسيس يلتقطون له الاخبار عنهم وقتل منهم خلقا كثيرا بيده ونفى بعضهم..."⁵، ويضيف حمدان خوجا فيذكر أن ذات يوم أمر هذا الداى سكان مدينة الجزائر أن يغلقوا أبوابهم في ساعة مبكرة، وكذلك أمر بغلق الثكنات العسكرية، وجمع عددا كبيرا من البغال وحمل عليها كنوز الإيالة (الخرينة المالية) ونقلها من الجنية إلى القصبه باعتباره مقر إقامته الجديد⁶.

وعلى الرغم من كل أشكال المعارضة التي تلاقها من قبل فرقة الإنكشارية، استطاع الداى علي خوجا(1817-1818) في الأخير التخلص من سيطرة أوجاق الإنكشارية، اللذين كانوا لا يكتفون بتصيب الدايات فحسب بل كانوا يعملون على عزلهم أيضا متى شاءوا، وفي أغلب الأحيان يلاقي الداى المعزول مصير الموت من طرف هذه الفرقة، وأمام هذا الوضع نجد بأن فرقة الإنكشارية قد حاولت القيام بعملية انقلاب على الداى علي خوجا(1817-1818)، فحاولوا على إثرها أخذ القصبه وإسقاط سلطة الداى، لكنه

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلبه 09/العدد 22556، التاريخ: 1232 هـ.

² - فطوم خطاب، التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية (1800-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجليلي اليايس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2014/2015، ص 43.

³ - فارس كعوان، النظام العثماني والفئات الإجتماعية في الجزائر " الكراغلة نموذجاً" (1629-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2004-2005، ص 23.

⁴ - E.Cat, op.cit, p.336.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 136.

⁶ - حمدن بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 115.

في المقابل نجد بأنه قد استقبلهم بطلقات المدافع فانسحبوا على إثرها خاسرين¹، فقام الداوي علي خوجا(1817-1818) بقتل أغا الإنكشارية ونفى الخزناجي إلى تلمسان وخوجا الخيل إلى مستغانم، وفي ذلك أولى مكانهم أفراد يثق فيهم ومن هؤلاء نذكر مثلا تعيين حسين خوجة الخيل الذي سوف يتولى حكم الإيالة بعده²، ومن جهة أخرى قام الداوي علي خوجا(1817-1818) بتوقيف عملية تجنيد المتطوعين من المشرق، ومقابل ذلك قام بتشكيل فرقة محلية تضم ألفين (2000) من فرقة زواوة وستة آلاف (6000) من الكراغلة الذين أبعدهوا لفترة طويلة من الزمن الوظائف المدنية والعسكرية السامية³.

وبالتالي فقد كان لتلك السياسة التي جاء بها الداوي علي خوجا(1817-1818) أثرا واضحا وكبيراً في تناقص عدد المجندين الذين كانوا على مستوى المؤسسة العسكرية التابعة للإيالة، ومن جهة أخرى فقد أثرت كذلك على الأشخاص الراغبين في التجنيد، وهم الذين لا يزالون موجودين في أقاليم الدولة العثمانية، حيث أدت هذه السياسة إلى بث الخوف فيهم مما أثرهم على نسيان كل ما يتعلق بالتجنيد في الجزائر، ومنها يُمكننا اعتبارها نقطة تحول هامة في مسار سياسة تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح الإيالة⁴.

وتفسيرا لما قام به الداوي علي خوجا (1817-1818) هو العمل على إحداث القطيعة مع الباب العالي، وذلك من خلال تغيير القوانين القديمة أي استبدال رجال السلطة من الأتراك إلى العنصر المحلي⁵ المتمثل في الجزائريين⁶، وبالتالي ما يهمننا في دراستنا هذه هو أن سياسة التصفية ضد الإنكشارية التي

¹ - هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، تر. تق: أبو العيد دودو، (ط.خ)، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 26.

² - عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص 88.

³ - محمد بوشنافي، " الداوي علي خوجا وإصلاحاته (1817-1818)", مجلة عصور، ع03، جوان 2003، ص 03.

⁴ - فهيمة عمريوي، الداوي علي خوجا...، المرجع السابق، ص 113.

⁵ - من المؤسف أن محاولة التغيير التي قام بها الداوي علي خوجا(1817-1818) لم تكتمل بسبب وفاته بوباء الطاعون سنة 1818م، لأن هذا التغيير كان سيؤدي لا محالة إلى تكوين دولة قوية قوامها في الجانب الإداري والعسكري العنصر المحلي بالدرجة الأولى، وبالتالي كانت ستقضي على حكم السلطة العثمانية في الجزائر، ولا رأينا ربما قيام حكم وراثي من نسل الداوي علي باشا، مثل حكم الأسر في إيالة مصر (الأسرة العلوية)، إيالة تونس (الأسرة المرادية والأسرة الحسينية)، إيالة طرابلس الغرب (الأسرة القره مانلية).

⁶ - بلقاسم عياشي، العلاقات الاجتماعية والإقتصادية بين الجماعات السكانية لمجتمع المدينة في الجزائر العثمانية، أطروحة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2018/2019، ص 37.

انتهجها الداوي علي خوجا (1817-1818) في الجزائر قد أثرت بشكل سلبي على سياسة التجنيد الخاصة بالمتطوعين في إيالة الجزائر¹.

1-5- هروب الجنود من الإيالة:

لقد شاعت ظاهرة غريبة في أوساط المجندين ضمن المؤسسة العسكرية لإيالة الجزائر، وهي هروبهم إلى إيالة تونس أو مصر، وقد تكرر ذلك الأمر كثيراً وبالخصوص في العقد الثالث من القرن التاسع عشر (19) ميلادي، وحسب ما أطلعنا به سيمون بفايفر فقد كان يتم ذلك الهروب على شكل فرق ويتراوح عدد الفرقة الواحدة حوالي الخمسين (50) والستين (60) جندي، في حين يكون اتجاههم إما تونس أو مصر أو المغرب² أو طرابلس الغرب³.

من خلال بحثنا في جدر هذا الموضوع الذي يتعلق بظاهرة الهروب وجدنا بدورنا العديد من الوثائق الأرشيفية التي تحتوي مضامينها على غياب العديد من المجندين من مختلف النوبات الموجودة على مستوى الإيالة، ومثالاً على هذا نجد في الرسالة التي أرسلها خليل أغا النوباجية في بجاية إلى الداوي الحاج علي باشا (1809-1815)، بتاريخ 1229هـ الموافق لـ 1813م، وقد جاء فيها خبر غياب عدد من جنود نوبة بجاية ولم يُعرف مكانهم إلى حد إرسال هذه الرسالة⁴، وفي رسالة مشابهة تحمل نفس الخبر لكنها هذه المرة نجد أنها قد جاءت بخصوص محلة الشرق قام بإرسالها إسماعيل أغا محلة الشرق إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) سنة 1242هـ الموافق لـ 1826م، وقد جاء فيها هذه المرة غياب خمسة وعشرون (25) جندي من المحلة من جملة جنود المحلة⁵.

وعلى إثر هذا الوضع أمر الداوي حسين باشا (1818-1830) جميع أغوات النوبات بالقيام بعملية إحصاء شاملة لجميع الجنود، وهذا من أجل معرفة تعداد الجنود الذين هربوا من المحلات، وبالتالي تعويضهم بجنود آخرين يتم تجنيدهم فيما بعد من أقاليم الدولة العثمانية، ومثالاً على ذلك فإننا نجد في رسالة السيد

¹ - مصطفى بن عمار، التحول السياسي في الجزائر العثمانية (1710-1830)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2015/2016، ص 104.

² - سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق. تعر: أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974، ص 72.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 143.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 70.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 223.

أحمد أغا محلة الشرق إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 26 ذي القعدة 1243 هـ الموافق لـ (08 جوان 1828م) قد جاء فيها الرد على رسالة التي أمره فيها الداوي بوجوب إحصاء الجنود الموجودين على مستوى المحلة، وقد قام بإحصائهم الصبايحي المبعوث من مدينة الجزائر¹، وعلى إثر هذا الإحصاء الداوي قام به أحمد أغا فقد تأكد غياب حوالي أربعة عشر (14) جنديًا من المحلة².

وفي نفس السياق نجد أن نفس الإجراء والذي يشمل إحصاء الجنود في النوبات والذي قام به حسين أغا محلة الغرب فوجد هو كذلك غياب اثنين وثلاثين (32) جندي من المحلة³، ويصدر هو الآخر مصطفى أغا نوبة مستغانم رسالة إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) يقول فيها أنه عمل إحصاء لعدد جنود المحلة فوجد غياب اثنين وأربعين (42) جنديًا من جنود النوبة⁴، وفي رسالة أخرى من أغا محلة الشرق إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 1244 هـ الموافق لـ 1829م، حيث يقول فيها الأغا بأنه أحصى جنود المحلة في بلدة حمزة (البويرة حاليًا) ووجد غياب عدد من الجنود وأنه أرسل قائمة بأسمائهم⁵.

ومن جهة أخرى نجد أن الداوي حسين باشا (1818-1830) لم يقف عند عملية إحصاء الجنود الفارين فقط، بل قام برفع شكواه إلى الباب العالي في هذا الشأن⁶، في حين نجد جواب من السيد محمد سليم باشا إلى حضرة باي تونس حسين باي (1824-1835) مؤرخ بتاريخ 23 شعبان 1240 هـ الموافق لـ (شهر مارس 1825م) بخصوص الجنود الهاربين من مختلف الإيالات (تونس، الجزائر، طرابلس الغرب) بأنه عند ظهور الأنفار الهاربين يُجرى ضبطهم في الحال ويُسلمون إلى وكلاء الجهات الهاربين منها ويُرسلون إلى محلاتهم وأن يعتنوا في أمر التوافق والتعاقد بينهم⁷، وبعد يومين جاء جواب آخر من السيد محمد خسرو باشا قبودان البحر إلى حضرة والي تونس حسين باي مؤرخ في 25 شعبان 1240 هـ الموافق لـ (شهر مارس 1825م) وهذا أبرز ما جاء فيه: "... غير أنه قد بلغنا الآن من الروايات من هذا الطرف أن الانفار الذين هربوا من وجق الجزائر وقع قبول البعض منهم وأبقى بطرف سعادتك والبعض منهم ذهب

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 264.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 238.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 267.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 320.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 321.

⁶ - فهيمة عمريوي، أوقاف الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر من 1009 إلى 1246 هـ/1600-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2017/2018، ص 96.

⁷ - أ.و.ت، السلسلة التاريخية، الصندوق: 220، الملف 348، الوثيقة رقم 01.

إلى ساير الجرات وأن الهاربين إلى طرابلس وقع قبولهم وتحريرهم أيضا بتلك الجهة من طرف دي السعادة أخين الباشا باي طرابلس...¹.

لكن ذلك الأمر لم يتحقق فأعاد الداى حسين باشا (1818-1830) شكواه إلى السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) سنة 1826م حول هروب عدد من الجنود من الجزائر باتجاه تونس وعليه فقد جاء طلب الداى حسين باشا (1818-1830) من السلطان العثماني إرسال فرمان إلى حاكم إيالة تونس في تلك الفترة حسين باي (1824-1835) بعدم السماح للجنود الفارين من الجزائر بالإقامة في تونس أو المرور عبرها إلى الأناضول²، والقبض عليهم وتسليمهم لوكيل الجزائر بتونس ليعيدهم بدوره إلى الإيالة³، في حين تشير وثيقة أخرى تحصلنا عليها بأنه هناك موظف سامي برتبة -كتخدا- ذهب إلى القبطان باشا محملاً إياه تذكرة خاصة بالجنود الفارين من الجزائر⁴، وذلك من أجل صدور فرمان شاهاني في هذا الصدد، ليكون بذاك أكثر تأثيراً وبالتالي الحل الأنجع لتلك القضية⁵.

لكن بعد مرور عامين من ذلك نجد أن حسين باي تونس (1824-1835) قام ببعث رسالة إلى الداى حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 19 رجب 1243هـ الموافق لـ (04 فيفري 1828م) يُعلمه فيها استجابته لأمر الباب العالي، وذلك بعدم السماح للجنود الفارين من الجزائر بالبقاء في تونس أو المرور إلى الأناضول والرؤميلي، وعند القبض عليهم يتم تسليمهم إلى وكيل الجزائر المقيم بإيالة تونس الذي يُعيدهم بدوره مرة أخرى إلى الإيالة⁶، وعليه يمكن القول بأن مشكلة هروب الجنود عبر الأراضي التونسية قد شكلت

1- أ.و.ت، السلسلة التاريخية، الصندوق: 220، الملف 348، الوثيقة رقم 03.

2- لقد عثرنا في هذا الصدد المتعلق بمسألة هروب الجند عبر تونس على رسالة مؤرخة في 23 جمادى الثاني 1243هـ الموافق لـ (1827م)، حيث بعثها حاكم إيالة الجزائر الداى حسين باشا (1818-1830) إلى حاكم إيالة تونس حسين باي (1824-1835)، بشأن القبض على العساكر الفارين من الجزائر إلى روما عبر تونس، بحيث يتم إعادتهم إلى الجزائر بواسطة الوكلاء الجزائريين الموجودين بتونس، لأن هذا الأمر قد شكل خلل فيما يخص نظام الأوجاق بالجزائر. للمزيد راجع: أ.و.ق، مجموعة الوثائق والمراسلات العثمانية، نسخ الرسائل المأخوذة من الأرشيف التونسي، الرسالة رقم 19.

3- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 190.

4- لقد جاء في الرسالة التي قام بتحريرها الحاج محمود في إستانبول إلى الداى حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 05 شوال 1242هـ الموافق لـ (ماي 1827م)، حيث ذكر فيها بأنه كان في رتبة باش طوبجي ببابك الشرق قسنطينة، وفي عهد الباى محمد ميلي (1818-1819) ذكر بأنه قد هرب إلى إيالة تونس وقد أدى فريضة الحج، ثم ذهب إلى الشام برفقة السيد الحاج محمد أغا. للمزيد راجع: م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 212.

5- أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 22/العدد 58522، (د.ت).

6- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 246.

في الكثير من الأحيان توتر كبير في العلاقات بين الإيالتين، وفي هذا الصدد نجد بروز الإستخبارات الجزائرية بشكل كبير في تتبع أثر الفارين من الجنود وذلك ابتداءً من عام 1824م، وتخوفاً من الانزلاقات الخطيرة التي قد تصل إليها العلاقات بين الإيالتين بسبب ذلك الموضوع نجد في الأخير تدخل السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) بنفسه في فض ذلك النزاع عن آخره سنة 1828م¹.

تجدر الإشارة هنا أن ظاهرة هروب الجنود لم تشمل هروبهم من إيالة الجزائر فقط بل نجدها أبعد من ذلك بكثير، ولتوضيح هذا الأمر أكثر عثرنا من خلال اطلاعنا على مختلف الوثائق والمراسلات الأرشيفية بأنهم كانوا يقومون بالهروب أيضاً من على السفن الحربية التي كانت تنقلهم إلى ميادين القتال، وهذا في إطار الحروب العثمانية، ومثالاً على ذلك ما جاء في رسالة مصطفى قبطان قائد السفينة الجزائرية مفتاح الجهاد في الإسكندرية إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 23 جمادى الأولى 1243هـ الموافق لـ (11 ديسمبر 1827م) بشأن هروب بعض الجنود من السفينة الحربية التي كانت مُتجهة إلى ساحة القتال إلى جانب السفن العثمانية ضد السفن الروسية²، وفي رسالة تحمل نفس المضمون من السيد عبد الرحمان قبطان قائد السفينة الجزائر رهبة بالإسكندرية إلى إبراهيم وكيل الخرج بتاريخ 20 شعبان 1243هـ الموافق لـ (06 مارس 1828م) بشأن فرار مجموعة من الجنود من السفينة الجزائرية رهبة ومعاناة الباقين منهم في العراء وصعوبة العيش³.

من خلال ما تم التطرق إليه في هذا العنصر وما جاءت به الوثائق والمراسلات الأرشيفية التي اطلعنا عليها، يُمكننا رسم خريطة هروب الجنود من الجزائر على طريقتين، الأولى وهو الطريق البري الذي كان يتم بواسطة إيالة تونس، ونجد هنا من الجنود من يقيم فيها والآخر يعتبرها معبر بري لا غير لتوجه إلى مصر ومن تم إلى أقاليم الأناضول أي مواطنهم الأصلية، أما الثاني وهو الطريق البحري ويتمثل في ذهاب هؤلاء الجنود إلى ميادين القتال في إطار الحروب البحرية بالتعاون مع الأسطول العثماني في شرقي البحر المتوسط، ومن تم الهروب من على السفن الحربية، وبالتالي تسهل عليهم مشقة وصعوبة الطريق

¹ - زهيرة سحابات، الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني (1628-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ

الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2020/2019، ص 82.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 244.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 303.

البري، والتي تعتبر أسهل الطرق للهروب والوصول في أسرع وقت ممكن إلى مواطنهم الأصلية بمختلف أقاليم ومدن الدولة العثمانية.

وعليه يمكن إعطاء تفسير منطقي حول الأسباب التي أدت إلى هروب أولئك الجنود من إيالة الجزائر هو إصابتهم بخيبة أمل كبيرة بسبب تدني الأوضاع العامة في هذه الأخيرة، خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة (1800-1830) من العهد العثماني بالجزائر، بحيث تبين لهم أن الوعود التي سمعوها في مختلف أقاليم الدولة العثمانية من قبل وكلاء الجزائر والمشرفين على عملية التجنيد هي عبارة عن وعود وإغراءات كاذبة أو مبالغ فيها، مما يضطر الكثير منهم إلى الهروب من التجنيد والرجوع إلى بلدانهم، وذلك بهدف رعاية مصالحهم وتجارتهم التي تركوها في مواطنهم الأصلية قبل أن يتم تجنيدهم من قبل الدائيات¹، وبالتالي فقد كان هذا الوضع من أحد أسباب التي تسبب في هزيمة الجيش الجزائري أمام القوات الفرنسية التي احتلت مدينة الجزائر سنة 1830م.

2-العراقيل الخارجية:

1-2- رفض أصحاب السفن الأجنبية نقل المتطوعين:

اعتبرت عملية نقل المجندين من مختلف أقاليم الدولة العثمانية إلى مدينة الجزائر من أصعب المراحل التي واجهت القائمين على التجنيد بصفة عامة، وذلك من خلال ما كان ينجّر عنه في الكثير من الأحيان تأخر وصول أولئك المجندين في الوقت المناسب، وذلك راجع بحسب اطلاقنا على الوثائق الأرشيفية إلى جملة من الأسباب والتي تتمثل بالدرجة الأولى في رفض بعض رعايا الدول الأوروبية تأجير سفنهم لنقل المتطوعين الجدد²، كما جاء في رسالة احتجاج الداوي مصطفى باشا (1798-1805) على قرار دوق البندقية بمنع رعايا بلاده من تأجير سفنهم للجزائريين من أجل نقل المجندين الجدد بتاريخ أواسط محرم 1215هـ الموافق لـ (03-12 جوان 1800م) وهذا ما جاء فيها: "...لصاحبي سلطان الوندك حالاري بوبليك لطرفك أنباء وإعلام كما سنذكر مسموع طرفنا من مدينة إزمير وسواحلها ورووس والاسنانة العالية تحويس مراكب قباطين تجار سفنكم في ساير النواحي أن القباطين المذكورين إمتناعهم من الأوجاق

¹ - فطيمة شيخ، " الداوي حسين أخر شخصية عثمانية تحكم الجزائر"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 06، ع 02، السنة 2015، ص 465.

² - للمزيد من المعلومات حول سبب رفض السفن الأوروبية نقل المتطوعين الجدد إلى الجزائر يُرجى الاطلاع على الملحق رقم (08).

المنصور ومن تجاره وعسكره الجديد من عقد الكراء واعتذارهم... وسائر أحوال طرفنا من أمور وخصوصيات الأوجاق المنصور إستيجار سفنكم لازمة من غير مخالفة سواء سفنكم أو سفن بعض الأجناس من أحببكم...¹.

وبالتالي فقد تواصلت قضية رفض أصحاب السفن الأوروبية نقل المُجندين إلى الجزائر ونجد هذا في رسالة الحاج حافظ باش دائي الجزائر في إزمير إلى أغا العرب بتاريخ 15 صفر 1240 هـ الموافق لـ (08 أكتوبر 1824م) بشأن رفض صاحب سفينة طلب الباش دائي لنقل المُجندين الجدد إلى الجزائر وقد كان هذا الرفض بأمر من ملك بلاده²، ونجد أيضًا في رسالة مشابهة بعث بها الحاج حافظ إسماعيل باش دائي الجزائر في إزمير إلى الداوي حسين باشا (1818-1830)، يطلب فيها من الداوي أن يتدخل لدى قنصل فرنسا بالجزائر لكي يُرسل أمرًا إلى أصحاب السفن الفرنسية بنقل المُجندين إلى الجزائر وهذا ما جاء فيها: "... دولتو عنايتلو عطوفتلو... والأن أفندم كثرة في العساكر موجودين تحت يد خديمك الداعي لكم ولتوجيهها أيضا ستمكن من كل وجه سعي وغيره ويستحب لنا أيضا أفندمز رجل صديق من سفن الفرنسيين لنقل هؤلاء عسكر الإسلام ومن تحت يد خديمك يحصل الإرسال وبمنه تعالى الوصول لدولتك... وقبل التاريخ بمدة الربعة أشهر دخل مكتوب من القران مخبرا فيه إنعقاد العداوة بين الجزائر والانكليز ومنع إعطاء المراكب هكذا اصدر التنبيه... أفندم في قدم المكتوب من طرف القنصلو لطرفنا ينتج من مصالح كثيرة ورجاؤنا لقومه غاية المأمول..."³.

وفي سنة 1825م قام الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير ببعث رسالة إلى الداوي حسين باشا (1818-1830)، بشأن رفض صاحب سفينة فرنسية نقل المُجندين إلى الجزائر حيث جاء فيها: "...دولتو عنايتلو رافتلو عطوفتلو ولي النعم سني الهمم أفندم سلطانم لحضرتك هذه الدفعة استجرنا أحد سفينة الفرنسيين لسوب دولتكم فلذاك عرض حال هذا النقل مائة وخمسة نفر يولدش لار كما بالتحريير العساكر المذكورة... فتداركنا يولدش لار آخرين الجملة مائة وخمسة عشر نفر يولدش لار جديد... ولما نكلم

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 67.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 125.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 126.

قبطان السفينة المذكورة بالقيام يعتذولنا بعذر واهي... وكلما نكلمه في السفر يجاوبنا بأنه لم يؤدن له من الأكابر...¹.

2-2- قيام ثورة اليونان:

لقد كانت الدول الأوروبية من أشد الحريصين على تمزيق الدولة العثمانية من الداخل، مُستعملة في ذلك مجموعة من الوسائل: مثل إثارة الفتن الطائفية والدينية وتقجير الثورات الداخلية، وهذا بدعهما مادياً ومعنوياً²، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن اليونان كانت من ضمن الولايات العثمانية إلى غاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر (19) ميلادي، وعلى إثر الضعف الذي أضح يَدُب في الدولة العثمانية بالإضافة إلى سلسلة الهزائم التي تعرضت لها خلال حربها مع روسيا، وعلى إثر ما آلت إليه الأوضاع الخارجية قرر اليونانيون بقيادة جمعية هيتيري "Hétérie"³ إعلان الثورة ضد الباب العالي وبالتالي المطالبة بالاستقلال⁴.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ثورة اليونان على الدولة العثمانية قد انطلقت سنة 1821م، حيث تُعد من بين العوامل التي أثرت على عملية تجنيد المتطوعين لصالح إيالة الجزائر، وهذا من خلال أنها حولت البحر المتوسط إلى ساحة صراع مُستمر بين اليونانيين والعثمانيين، وهذا ما شكل حاجزاً أمام مُختلف الاتصالات التي كانت تتم بين حكام إيالة الجزائر ووكلائهم الموجودين على مستوى أقاليم الدولة العثمانية، ونذكر بالخصوص مدينة إزمير التي تُعد المصدر الأول الذي كان يكثر فيه عمل أولئك الوكلاء المُكلفون

¹ م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 153.

² إبراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2014، ص 429.

³ كلمة يونانية معناها جمعية أخوية، وهي في الأساس أطلقت على جمعيتين أسست أحدهما في مدينة فيينا عاصمة النمسا، وهذا بدعوة تأسيس المدارس ونشر العلوم، أما الجمعية الثانية فهدفتها سياسي محض، وهو السعي إلى تحرير بلاد اليونان من قبضة الدولة العثمانية، وما يميز هذه الجمعية هو عملها في السر إلى غاية سنة 1821م، وهو تاريخ بداية الثورة، وقد كان مركزها الرئيسي مدينة أوديسا ثم إنتقلت إلى مدينة كييف، وكلتاها ببلاد الروس، الامر الذي يدل على أن الإمبراطورية الروسية كان لها دور في تأسيسها... للمزيد راجع: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 411.

⁴ نادية فتيسي، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766- 1830م/1179- 1246هـ)- الأوضاع السياسية والإقتصادية نموذجاً-، أطروحة دكتوراه (ل.م.د) في التاريخ العام، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945- قالمه، السنة الجامعية: 2017/2018، ص 407.

بتزويد الإيالة بالمتطوعين¹، وبالتالي فقد أدى ذلك الوضع القائم آنذاك إلى رفض أصحاب السفن الأجنبية وبالتحديد الأوروبية من نقل المجندين الجدد إلى إيالة الجزائر بسبب خوفهم من تلك الحرب كما رأينا في العنصر السابق².

وزيادة على ذلك فقد عملت سفن قراصنة اليونان على الاستلاء على أي سفينة يجيدونها في عرض البحر المتوسط، سواء كانت تابعة للدولة العثمانية (مثل السفن الجزائرية) أو غيرها من سفن الدول الأوروبية، وهذا ما نجده في رسالة أحد رؤساء البحر الجزائريين إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) حيث جاء فيها اعتداءات القراصنة اليونانيين على سفن الدول الأوروبية والأضرار التي ألحقوها بالركاب ولم يمنع منهم أحد، مع الإشارة إلى أن فئة النساء أيضاً لم تسلم من بطشهم³، وفي حادثة أخرى حول استلاء قراصنة اليونان بتاريخ 07 ربيع الأول 1243هـ الموافق لـ (22 سبتمبر 1827م) على سفينة إنجليزية متجهة إلى إزمير وعلى متنها بضاعة تعود للتجار الجزائريين⁴، وقد تطرق دوفو (Devoulx) إلى نتائج هذه الحرب فذكر أن بعد معركة نافرين سنة 1827م التي شارك فيها الأسطول العثماني والمصري أمام دول الحلفاء المتكونة من ثوار اليونان وفرنسا وإنجلترا، حيث كان الهزيمة من نصيب الأسطول العثماني والمصري الذي فقد معظم سفنه الحربية والتي قدرت بستون (60) سفينة، وفي الأخير تم الاعتراف بدولة اليونان المستقلة بتاريخ 04 أكتوبر 1828م تحت حكم الملك الأمير أوثون (Othon) الابن الأصغر للملك رافير (Ravière)⁵.

وعليه يُمكننا القول بأن قيام الحرب اليونانية العثمانية قد ساهمت بشكل كبير في تراجع عدد المجندين وتناقصهم على مستوى الإيالة، وذلك بسبب مشاركتهم في هذه الحرب من جهة، حيث جاء خبر اندلاع الحرب بين الدولة العثمانية واليونانيين من خلال رسالة بعث بها الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 03 شوال 1236هـ الموافق لـ (03 جويلية 1821م)، وقد جاء

¹ - مبارك شودار، المرجع السابق، ص 115.

² - خليفة حماش، تجنيد المتطوعين...، المرجع السابق، ص 38.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 171.

⁴ - فهيمة عمريوي، أوقاف الجيش...، المرجع السابق، ص 90.

⁵ - Devoulx, A. « recherches sur la coopération de la régence d'alger a la guerre de l'indépendance grecque (d'après des documents inédits) », in R.A, N°01, Alger, 1856, p.p. 131-132.

فيها كذلك طلب السلطان العثماني إرسال السفن الجزائرية والمصرية للمشاركة في هذه الحرب¹، وفي هذا الصدد يذكر الزهار فيقول: "... ثم إن السلطان محمود بعث للجزائر وتونس وطرابلس أن تبعث بمراكبها للاعانة على الكرايك. فأمر الباشا بتعمير ستة مراكب وإعطائها ما يخصها من المونة وألات الحرب. وعين عليها الحاج علي غرناوط صارى عسكر وسافرت هذه السفن في شهر صفر من سنة 36...²، ومن جهة أخرى نجد بأنها عملت على الإنقاص في وتيرة عملية التجنيد وبالتالي خلق أزمة فيما يخص عملية نقلهم إلى مدينة الجزائر بواسطة السفن البحرية، وهذا في ظل تلك الصراعات المحتدمة بين الجانبين العثماني واليوناني³.

2-3- إلغاء الجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية:

عندما جلس السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) على كرسي الحكم لمدة ثمانية عشر (18) سنة رأى أن الوقت قد حان من أجل إدخال تعديل جديد على النظام العسكري، وأراد بذلك إتمام المشروع الذي لم يتمكن السلطان سليم الثالث (1789-1807) إتمامه⁴، بالإضافة إلى هذا نجد بأن الإنكشارية قد أصبحت العامل الرئيسي الذي ساهم في تراجع الدولة العثمانية، وذلك من خلال التغير الكبير الذي طرأ على طباعهم وأخلاقهم، وبالتالي تبدلت مهمتهم وأصبحوا مصدرًا لبلاء الدولة والشعوب التابعة لها، حيث عملوا على التدخل في شؤون الدولة العثمانية وتعلقت قلوبهم بشهوة السلطة والأكثر منه خطورة أنهم قاموا بخلع وقتل السلاطين من أمثال: السلطان عثمان الثاني (1618-1622) والسلطان إبراهيم الأول (1640-1648) خنقًا⁵.

وعليه فقد بين السلطان محمود الثاني (1808-1839) بأن الإنكشارية في حالتها الراهنة لا تستطيع الوقوف في وجه جيوش الدول الأوروبية المنظمة التي كانت متفوقة من الناحية العسكرية⁶، لكن هذه السياسة

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 08.

² - الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 148.

³ - مبارك شودار، المرجع السابق، ص 116.

⁴ - أبي مصعب السوري، المرجع السابق، ص 87.

⁵ - عزام الحويلي، الدولة العثمانية، ج2، ط1، دار البداية ناشرون ومؤزعون، عمان، الأردن، 2015، ص ص 111-112.

⁶ - L.Collas, l'empire ottoman jusqu'à la révolution de 1909, félix alcan, éditeur, paris, (s,d), p.115.

التي أتى بها السلطان لاقت معارضة شديدة من طرف هذه الفئة¹، حيث كانت تأبى التدريب على الفنون الجديدة التي أدخلها، ومن هذا المنطلق فقد عمل السلطان محمود الثاني (1808-1839) سراً من أجل القضاء على الجيش الإنكشاري وتبديله²، وعلى إثر هذا الوضع قام السلطان بجمع أعيان الدولة وكبار ضباط الإنكشارية في بيت المفتي، وقام الصدر الأعظم سليم أحمد باشا فبين الحالة التي وصلت إليها الإنكشارية ثم أفتى المفتي بجواز القضاء على المتمردين³.

وفي يوم 16 جوان 1826م أعلن السلطان محمود الثاني (1808-1839) الحرب على الإنكشارية وتم القضاء عليهم بالمدفعية في الحادثة الشهيرة المعروفة بـ "الواقعة الخيرية"⁴، مما أجبرهم على فك التمرد، والرجوع إلى تكناهم التي دُكت بالكامل وأدرم بها النيران⁵، حيث سقط منهم ما يزيد على ستة آلاف (6000) إنكشاري راحوا ضحايا ذلك التمرد، ولم ينجوا منهم إلا القليل⁶، وفي 26 جوان 1826م تم إصدار فرمان سلطاني يأمر بموجبه إبطال طائفة الإنكشارية نهائياً من جميع الممالك المحروسة ونودي بذلك في الشوارع وصُدرت الأوامر إلى جميع الولايات بالتفتيش على كل من بقي منهم وإعدامه أو نفيه إلى أطراف البلاد ثم أخذ في ترتيب وتنظيم الجيش الجديد⁷ وفق النظم الأوروبية الحديثة، وقد أطلق عليه تسمية "عساكرى منصورى

1- محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 430.

2- أنكه لهارد، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، نقله إلى العثمانية: علي رشاد، ترجمه إلى العربية: محمود علي عامر، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017، ص 20.

3- عزام الحويلي، المرجع السابق، ص 112.

4- أحمد السليمانى، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، (د.ن)، الجزائر، 1993، ص 53.

5- لقد تمت تصفية الإنكشارية من خلال أنهم جمعوا في صباح يوم 09 ذي القعدة الموافق لـ 16 جوان 1826م، حيث تقدم السلطان محمود الثاني (1808-1839) ووراءه جنود المدفعية وتبعهم الغلماء والطلبة إلى ساحة "أت ميداني" حيث أجمع العصاة والمتمردين من الإنكشارية هناك، وهم يثيرون الشغب، ثم أحاط السلطان المدفعية بالميدان ووجهت المدافع نحو جموع الإنكشارية، حيث حاولت تلك الجموع التصدي للمدفعية لكن من دون جدوى، فاحتماوا بثكناتهم هروباً من الموت، فأحرقت وهدمت فوقهم، وبذلك انتهت هذه الفئة العسكرية من الجيش وقامت مكانها منظومة عسكرية جديدة سعى السلطان في تطويرها وفق المعمول به في الدول الأوروبية... راجع: ابراهيم حسنين، المرجع السابق، ص 406.

6- محمد عمر مروان، "الإنكشارية قوة الدولة العثمانية وضعفها"، المجلة العلمية لكلية التربية، المجلد 02، ع08، جامعة مصراتة، ليبيا، يونيو 2017، ص 336.

7- محمد فريك بك، المرجع السابق، ص 431.

محمدي" أي العساكر المنصورة المحمدية¹، وهي تسمية غلب عليها طابع الجيش الإسلامي، ولم يمر شهر واحد على إلغاء فيالق الإنكشارية حتى أصدر السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) فرماناً يقضي بحل الطريقة الصوفية البكتاشية التي تعتبر الدعامة الأساسية لفرقة الإنكشارية في نواحي أقاليم الدولة العثمانية².

وعليه فقد أثرت هذه الحادثة على عملية التجنيد بالنسبة للإيالة، وذلك من خلال أن التجنيد أصبح يتم من خلال فرقة الإنكشارية المسرحيين من النظام القديم، وبالتالي فهو شكل من أشكال التخلص من أولئك الأشخاص وقد طبقه السلطان محمود الثاني (1808-1839) نتيجة رغبة الداوي حسين باشا (1818-1830) في تجنيد عناصر جديدة من المتطوعين، وهذا ما جاء في رسالة الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير التي بعثها إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 13 جمادى الثانية 1242 هـ الموافق لـ (11 جانفي 1827م) بشأن تجنيد عدد كبير من أولئك الجنود المسرحيين يصل تعدادهم حوالي خمسون (50) متطوعاً³، وفي رسالة مشابهة تحمل نفس الخبر، والتي قام بإرسالها هذه المرة الحاج حسين باش دائي في إزمير وفي نفس التاريخ، حيث يؤكد فيها أنه تم إختيار الجنود الصالحين من فرقة الإنكشارية المسرحيين من الخدمة⁴.

وعليه يتضح لنا جلياً بأن قرار إلغاء الإنكشارية في الدولة العثمانية لم يؤثر بتاتاً على تواصل عمليات تجنيد المتطوعين لصالح إيالة الجزائر، لكن إذا تمعنا جيداً في الموضوع نجد أنه أثر على عملية تجنيد المتطوعين بشكل غير مباشر وذلك من خلال أن غالبية الأشخاص اللذين كانت لديهم الرغبة في التجنيد أصبحوا لا يكفون أنفسهم مشقة السفر إلى بلد بعيد مثل الجزائر لا يعرفون فيه ما ينتظرهم هناك من مستقبل مجهول، وبالتالي فقد وجدوا في النظام الجديد الذي أحدثه السلطان محمود الثاني (1808-

¹ - هو الإسم الذي أطلق على تشكيلات العساكر المنظمة بعد إلغاء الإنكشارية على يد السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) سنة 1826م، وقد كانت هذه التشكيلات العسكرية تتكون من ثمانية (08) أقسام أو قطع... للمزيد راجع: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 154.

² - عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1980، ص ص 551-552.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 196.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 197.

1839) ضالتهم المنشودة خاصة صبغته الإسلامية (العسكر المحمدي)¹، وهذا ما يُمكن تفسيره فيما يخص نقص رغبة التطوع في الجيش الجزائري لدى شبان أقاليم الدولة العثمانية، وتفضيلهم التجنيد لصالح العساكر المنصورة المحمدية، وأصبح يستحيل تجنيد العدد المطلوب من قبل السلطة العثمانية بالجزائر على المدى القريب، كما جاء في الرسالة التي بعثها الحاج حسين خوجا باش دائي الجزائر في إزمير إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 13 رجب 1242 هـ الموافق لـ (09 فيفري 1827م) حيث جاء فيها: "... دولتو عنايتلو مرحمتلو ولي النعم كثير اللطف والكرم افندم سلطانم لحضرتك... عرض حال خديمك من شأن بيان تحرير الجند أعلمتكم قلت بهذا الطرف لم يتمكن جلبه وبهذه الدفعة تداركنا مقدار من اليلداس لارو قايمه هؤلاء على حدة كما بالتحريير وما وجب من ساير المصارف... وهكذا من الآن للمستقبل جلب العسكر ليس ممكن وبهذا الطرف قلة العسكر موجودة ومال البايك بقي عندي أربعة أو خمسة آلاف قرش..."².

2-4- الحصار الفرنسي على الجزائر:

بعد أن وقع الخلاف بين الداوي حسين باشا (1818-1830) والقنصل الفرنسي "دوفال" يوم 27 أبريل 1827م والمتمثل في "حادثة المروحة"³، عاد هذا الأخير إلى فرنسا وأخبر حكومته عمّ جرى، والجدير بالذكر أن فرنسا قد اعتبرت هذا الفعل إهانة لها وللدول الأوروبية عامة، حيث استغلت ذلك الوضع واعتبرته فرصة سانحة من أجل تحقيق مشروعها وهو إحتلال الجزائر⁴، والذي كانت تطمح له من قبل في العديد

¹ خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة (1798-1830م)، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988، ص ص 179-180.

² م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 205.

³ جرت أحداثها في مناسبة دينية بتاريخ 29 أبريل 1827م، حيث لطم إثناءها قنصل فرنسا بمروحة الداوي نتيجة غضب هذا الأخير من بعض تصرفات القنصل الفرنسي المخالفة تماما لتقاليد التمثيل الدبلوماسي والأدب السياسي والأعراف، وهذا بسبب الديون التي استدانتها حكومة فرنسا من إيالة الجزائر منذ سنة 1796م، وكذلك بسبب التهديدات التي ميزت علاقة البلدين أثناء حكم نابليون بونابرت... راجع: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص ص 16-17.

⁴ لقد استغل الملك الفرنسي شارل العاشر حادثة المروحة، حيث حاول أن يرفع من شعبيته الهشة ويشغل الفرنسيين باحتلال الجزائر، خاصة وأنها أصبحت مكشوفة بعد المعارك الأخيرة التي خاضها الأسطول الحربي للجزائر، وعلى إثر هذا قام بحشد قواته العسكرية وجهاز لهم السفن اللازمة لنقلهم من ميناء طولون إلى ساحل سيدي فرج غرب مدينة الجزائر، وأوكل قيادة هذا الأسطول إلى الجنرال دي بورمون. راجع: عادل أنور خضر، أطلس تاريخ الجزائر، مرا: ناجي يحي، ط4، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2017، ص 112.

من المرات ولم تُفْلح، وعليه نجدها قد فرضت حصارها على السواحل الجزائرية ابتداءً من تاريخ 16 جوان 1827 إلى غاية 18 جوان 1830م، وعليه فقد مثل ذلك الحصار المفروض على الإيالة حاجزاً أمام تنقل السفن بشكل مباشر سواء لنقل المتطوعين أو لأغراض أخرى باتجاه الجزائر¹.

وفي هذا الصدد نجد رسالة من السيد "مصطفى بن صابر" نائب وكيل الجزائر بتونس إلى إبراهيم وكيل الحرج بتاريخ 10 ذي القعدة 1241هـ الموافق لـ (15 جوان 1826) حول وصول سفينة حربية من إزمير إلى تونس وعلى متنها جنود متطوعين لصالح الجزائر، فقامت باعتراضها خمس (05) سفن فرنسية في إثناء تنقلها إلى الجزائر وترغمها في الأخير على العودة إلى تونس²، وعلى إثر ذلك الوضع قام الداوي حسين باشا (1818-1830) ببعث رسالة استغاثة إلى أحد وزراء الباب العالي وقد جاءت هذه الرسالة بدون ذكر تاريخ صدورها، وقد جاء فيها الإعلام بالحصار الفرنسي المضروب على الإيالة، وكذا العجز الذي صارت تعانيه الإيالة من نقص عدد المجندين بها بسبب عدم وصولهم في الوقت المحدد من أقاليم الدولة العثمانية³.

في هذا الشأن نجد أن السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) قد استجاب لطلب الداوي حسين باشا (1818-1830) بخصوص تجنيد المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر في أسرع وقت ممكن وهذا بتاريخ 13 شوال 1243هـ الموافق لـ (27 أبريل 1828م)⁴، في حين نجد نفس الملاحظة تم التطرق إليها من طرف سيمون بفايفر الذي ذكر بأن ذلك الحصار الفرنسي الذي طُبق على إيالة الجزائر قد ساهم بشكل كبير في تناقص عدد المجندين، حيث ذكر بأن عملية تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة قد توقفت في وقت الحصار والتي حددها في أربع (04) سنوات⁵.

لكن من خلال اطلاعنا على مختلف الوثائق الأرشيفية التي تطرقت إلى هذه الجزئية الحساسة من سياسة التجنيد يُمكننا القول بأن الحصار الفرنسي للإيالة قد أثر بشكل كبير على عملية نقل المتطوعين إلى الجزائر، لكن هذا لم يمنع الوكلاء من إبتكار وسيلة جديدة لنقل المتطوعين إلى الجزائر بشكل غير

¹ - أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 183.

² - م.و.ج، المجموعة: 1903، الوثيقة رقم 54.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 381.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 311.

⁵ - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 72.

مباشر، والتي تتمثل في نقل المُجندين من أقاليم الدولة العثمانية عبر السفن الأجنبية باتجاه تونس، والذي يمثل الطريق البحري، أما عند وصولهم إلى تونس فإنهم يُغيرون في استراتيجية ذلك النقل، وهي الدخول إلى إيالة الجزائر عبر الحدود البرية في الطريق البري بواسطة مجموعة من البغال، كما جاء في الرسالة التي بعثها الحاج عمار وكيل الجزائر بتونس إلى السيد إبراهيم وكيل الحرج بالجزائر بتاريخ 21 ذي الحجة 1244هـ الموافق لـ (23 جوان 1829م)، وقد جاء فيها فُدوم السيد محمد بن المفتي من الإسكندرية ومعه ستة (06) جنود متطوعين على متن مركب، وقد قام بإستقبالهم الوكيل في ميناء حلق الوادي من أجل تسهيل وصولهم إلى الجزائر من جهة البر¹.

وخلاصة حول العوامل الداخلية والخارجية التي عرقلت عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية من جهة وساهمت من جهة أخرى في تناقص عدد المُجندين بالإيالة قد تبدا من الوهلة الأولى أنها قد أنهت سياسة التجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح الإيالة، لكن عند التدقيق في مجريات تلك العوامل نلاحظ أنها كانت ظرفية (مؤقتة) فقط لا غير تزول فيما بعد بزوال ذلك الظرف، وعليه فإن عملية تجنيد المتطوعين قد استمرت لمدة ثلاث قرون من الزمن أي من سنة 1519م التي تعد سنة تجنيد أول دفعة بعثها السلطان سليم الأول (1512-1520) إلى غاية آخر دفعة من المُجندين اللذين وصلوا إلى إيالة الجزائر سنة 1830م، وهذا على حسب ما جاء في رسالة حاكم بايلك الشرق الحاج أحمد باي (1826-1837)² إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 21 ذي القعدة 1245هـ الموافق لـ 19 ماي 1830م)، وهذا بشأن وصول السيد ولد مصطفى رئيس إلى تونس ومعه تسعة وعشرون (29) متطوع جديد للجزائر، وقد قام وكيل الجزائر بتونس بمساعدتهم على دخول الجزائر من جهة البر بواسطة البغال³، وبالتالي فقد يُمكننا القول بأنها قد مثلت آخر دفعة من المُجندين تصل إلى إيالة الجزائر، وذلك من

¹ - م.و.ج، المجموعة: 1903، الوثيقة رقم 23، ونجد كذلك وصول مجموعة من المُجندين إلى تونس معهم ناظر بيت المال بتاريخ 07 رجب 1245هـ الموافق لـ (01 جانفي 1830م)، راجع: م.و.ج، المجموعة: 1903، الوثيقة رقم 38.

² - ولد الحاج أحمد باي بمدينة قسنطينة سنة 1786م، وهو من الكراغلة، تلقى تعليمه بمنطقة بسكرة أين كان يقطن عند أخواله (ابن قانة)، وهناك تعلم الفروسية، وفنون القتال، وعندما بلغ سن الشباب توجه إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وعندما عاد عُين في منصب خليفة الباي في قسنطينة سنة 1817م، وهذا لمدة ثلاث سنوات، وفي سنة 1826م عينه الداوي حسين باشا في منصب الباي (1826-1837)، وعند الدخول الفرنسي لمدينة الجزائر خاض الحاج أحمد باس العديد من المعارك ضد الفرنسيين إلى أن سقطت مدينة قسنطينة سنة 1837م... للمزيد راجع: أسيا تميم، الشخصيات الجزائرية مئة شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 23.

³ - م.و.ج، المجموعة: 1642، الوثيقة رقم 03.

أجل مساعدة الإيالة في محنتها وبالتالي فك الحصار المفروض عليها من طرف فرنسا، لكن كل تلك الأهداف فشلت مع سقوط مدينة الجزائر التي انتهت مع إمضاء الداوي حسين باشا (1818-1830) لمعاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م.

ثانيا: تسهيلات عملية تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة:

1-تقديم الهدايا لمختلف الشخصيات النافذة في الدولة العثمانية:

لقد كانت عملية تجنيد المتطوعين في الأقاليم العثمانية تُكلف الكثير من مصاريف الخزينة الجزائرية، حيث لم يقتصر الأمر على إطعام المُجندين الجُدد أو شراء ملابس جديدة لهم فقط، بل كان لزاماً على مؤسسة التجنيد التكفل بهم إلى حين نقلهم إلى مدينة الجزائر¹، لهذا كان لابد على السلطة العثمانية بالجزائر أو المكلفين بمهام التجنيد من الوكلاء أو الدائيات ربح وّد وصداقة المسؤولين العثمانيين، سواء ما تعلق الأمر بالسلطين العثمانيين ومساعدتهم وولاية الأقاليم العثمانية وكذا أميرالات الأسطول العثماني والذين كانوا يتولون مهمة التجنيد في مُختلف الأقاليم العثمانية، وذلك بغية تسهيل مهمة تجنيد المتطوعين لصالح إيالة الجزائر²، وهذا ما يدفعنا إلى التعريف بمُختلف الشخصيات التي ساهمت في عملية التجنيد وتحصلت في المقابل على ما يسمى بالبشكاش (beşkaş)³ من قبل السلطة العثمانية بالجزائر وهم كالآتي:

1-1- سلاطين بني عثمان:

يُعد تبادل الهدايا بين الدول عُرْفاً دُبلوماسياً ساد منذ القدم، وذلك من أجل كسب مودة الملوك والسلطين، وهذا ما عملت به السلطة العثمانية بالجزائر، بحيث اتخذته كوسيلة لترضية السلطين العثمانيين بغية السماح لها بعملية التجنيد من أقاليم الدولة العثمانية، وقد بدأ هذا الإجراء منذ انضمام الجزائر إلى الحضيرة العثمانية، وبالتحديد إلى سنة 1519م حينما قام خير الدين بربروس (1519-1535) بإرسال هدية معتبرة إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520)، حيث كانت مُكونة من أربع (04) سفن مُحملة بمختلف الهدايا مع أربعون (40) من العبيد، في حين نجد بعد ذلك مباشرة أن السلطان سليم الأول (1512-1520) من جهته قد أعلن موافقته على طلب خير الدين بربروس (1519-1535) للانضمام

¹ - Marcel Colombe, op.cit, p.176.

² - فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830)، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016، ص65.

³ - ويقصد بها الهدية وهي من المصطلحات التركية التي كانت متداولة في الجزائر خلال العهد العثماني. راجع: Mohammed Ben Cheneb, Mots turks eï persans conserves dans le parler algérien, ancienne maison; - Jocrd an jule8 carbonel imprimeur- libraire-éditeur, Alger, 1922 , p.25.

تحت راية العثمانيين من خلال إرساله للقفطان والفرمان وهي من رموز الولاء والتبعية، وقد أمده بألفي (2000) عسكري من الانكشارية مسلحين وأربعة آلاف (4000) من المتطوعين¹.

وعند اطلاعنا على العديد من الرسائل العثمانية الموجودة على مستوى المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، وجدناها تتضمن في طياتها أنواع كثيرة وقيمة بخصوص الهدايا المقدمة من قبل السلطة العثمانية بالجزائر نحو السلاطين العثمانيين، ومثالاً على ذلك نجد ما أرسله الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) بتاريخ 08 مارس 1767م، إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757-1772)، وهي تشمل على: "أربعون (40) بساطاً صحراوي، خمسة عشر (15) لحافاً، عشر (10) بنادق، عشرة (10) ذخيرة، عشرة (10) أحزمة، عشر (10) مسدسات، عشر (10) ذخائر بارود من الذهب والفضة، خمسون (50) حزام من الحرير (الإستبرق)، مئة وخمسون (150) حزمة من التبغ، عشرون (20) حايك أحمر، خمسة وسبعون (75) مسبحة، واحد (01) مسبحة عاج، عشرون (20) حزمة من القلنسوة التونسية، ستة وثلاثون (36) حايك مصبوغ، عشرة (10) حايك خفيف للنساء، خمسون (50) من العبيد واحد (01) ساعة ثمينة، واحد (01) خاتم ألماس، إثنتان (02) من الزوج المخصيين، حيث بلغت تكلفة الهدية حوالي سبعة آلاف ومئة وأربعون (7140) سلطاني (38572 فرنك 20 سنت)².

كما بادر الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) أيضاً إلى إرسال هدية أخرى إلى السلطان العثماني عبد الحميد الأول (1774-1789)، وهذه المرة مع المبعوث حسن وكيل الحرج على إثر إحباط الحملة الإسبانية بقيادة الأميرال أوريلي على الجزائر سنة 1775م³، وحسب ذات المصدر "تشريفات" فإن محتويات هذه الهدية قد تمثلت في: "... إثنتان وخمسون (52) حزام من الحرير (الإستبرق)، ستون (60) مسبحة مرجان، واحد (01) مسبحة عاج، إثنتان وعشرون (22) لحاف، عشر (10) أحزمة بارود، عشر (10) مسدسات، عشر (10) بنادق، عشر (10) ذخائر، عشر (10) ساعات، واحد (01) خاتم للسلطان، ستون (60) حايك من الحرير، ثلاثون (30) حايك أحمر بسكري، عشرة (10) من حايك خفيف للنساء مصنوعة في المغرب، خمسون (50) حايك أحمر، ستون (60) بساطاً جنوبياً، ستة عشر (16) من العبيد

¹ - Kamel Filali, « du don et du present dans l'affirmation du pouvoir ottoman en algerie (1519-1830) », in: arab historical review for ottoman studies, n°36, 2007 , p.p. 63-64.

² - A. Devoulx, TACHRIFAT Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p.58.

³ - ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، البصائر الجديدة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص330.

السُّود، سبْعُون (70) من العبيد البيض (المسيحيين)، حيث خُصص لهذه الهدايا حوالي ستة عشرة ألف (16000) محبوب ذهب (64800 فرنك) وألفين (2000) دينار ذهبي¹، ويذكر حمدان بن عثمان خوجة فيقول بأن الرسول الذي كان يحمل هذه الهداية يُسمى بأغا الهدية² إذ أنه يحمل هذه الهداية إلى إسطنبول³ وتُقدم إلى السلطان العُثماني وحاشيته⁴.

ونجد أيضا بتاريخ شهر ربيع الأول سنة 1204 هـ الموافق لـ (18 نوفمبر - 17 ديسمبر 1789م) أن الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) قام بإرسال هدية إلى السلطان العثماني سليم الثالث (1789-1807) وقد تمثلت محتوياتها في ما يلي: "أحد قاط كسوة الجزائر مكمل الذي هو خمسة (05) قطع أثواب، واحد (01) برنوس حرير أبيض محروج بالذهب، واحد (01) شال بالذهب، واحد (01) حزام بالذهب، واحد (01) زوجة بشاطل انكليز، إثنان (02) حايك من القرمز محروجين كنارتهما بالذهب، واحد (01) يطغان صغير قبضته مرصعة بالذهب"⁵، وبتاريخ أوائل شهر شعبان سنة 1214 هـ الموافق لـ (1799م) بعث الداوي مصطفى باشا (1798-1805) بمجموعة من الهدايا إلى السلطان العثماني سليم الثالث (1789-1808) ووالدته، وقد احتوت في مجملها على العديد من الخواتيم والبشاطل والحياك ذات الصنع المحلي، وكذلك على العديد من الساعات المرصعة بالذهب، وجلود النمر والسبع... وقد كانت من بين أكثر الهدايا التي أُرسلت إلى الباب العالي من خلال الأشياء الثمينة التي احتوت عليها⁶.

وكنموذج لمحتويات الهدية التي كان يرسلها الدايات في الفترة الأخيرة من العهد العثماني نذكر بالخصوص هدية الداوي عمر باشا (1815-1817) الذي أرسلها إلى السلطان العثماني محمود

¹- A. De Voulx, op.cit, p.59.

²- كان يطلق على الهدية في الجزائر اسم " بشكش" وهي كلمة عثمانية من أصل فارسي، بمعنى الهبة التي تقدم لأحد الرؤساء أو أصحاب المنزلة لكسب مودته وتعاطفه من أجل أغراض وخدمات شخصية. للمزيد راجع: خليفة حماش، العلاقات...، المرجع السابق، ص156.

³- يذكر حمدان بن عثمان خوجة في كيفية نقل هذه الهدية فيقول: " في عهد محمد باشا سنة 1784م - كنتُ صغيراً أناداك- صاحبُ خالي الذي سافر مع أغا الهدية في ذلك الوقت، ويقال أن الهدية في تلك الفترة كانت معتبرة ومع ذلك فأنا متأكد من أن قيمتها لم تتجاوز 6000 فرنك وقد جاءت هذه السفارة بعد حملة الإسبان المشهورة للمزيد راجع: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص95.

⁴- المصدر نفسه، ص94.

⁵- م.و.ج، المجموعة:3190/الملف02، الوثيقة رقم 03.

⁶- م.و.ج، المجموعة:3190/الملف02، الوثيقة رقم 10.

الثاني (1808-1839)¹، وفي هذا الصدد وجدنا تقرير تم تقديمه من طرف -أغا الهدية- الحاج عبد الله أغا الذي تكفل بمهمة إيصال الهدية إلى المقام الشاهاني وهذا بتاريخ 1231 هـ الموافق لـ (1815-1816م)²، أما فيما يخص مضمون هذه الهدية فقد احتوت على: عدد من الغلمان وثلاثة (03) خيول بسروجها وشكائنها المرصعة بالذهب والأحجار الكريمة، وعدد من البنادق المرصعة بالذهب والمرجان، وحلية واحدة (01) ثمينة لامعة محمولة وسط صحن من الفضة الخالصة، وعدد من السبجات المصنوعة من المرجان والكهرمان، وعدد كبير من الجواهر الثمينة، وثمانية (08) أسود، وأربعة (04) نمور، وستة (06) نعلمات، وعدد كبير من الببغاوات، وعشرة (10) أزواج من جلود النمر والفهود، وعدد من الألبسة والأغطية المحلية الصنع، وعدد كبير من السجاجيد المزركشة والمصنوعة في فاس، وخمسون (50) أسيراً أوروبياً³، هذا وقد عبر "الزهار" عن قيمة وحجم هذه الهدية وهذا بقوله: "... ويحكى عن هذه الهدية التي بعث بها هذا الأمير، أنه لم يقدم مثلها أمير قبله، ولا أمير بعده، وكثرتها من أحجار اليواقيت ومن الجواهر النفيس ومن الذهب الإبريز..."⁴.

ونظراً لقيمة وحجم هذه الهدية، فقد لفتت بذلك جُل أنظار الدول الأوروبية التي انبهرت بها، وقد قامت كل من جريدة "المبشر" (Moniteur) الفرنسية، وجريدة التايمز " (Times) الإنجليزية بالتطرق إليها، وبدورها فقد اعتبرت الدول الأوروبية رسالة تهديد من الداوي عمر باشا (1815-1817) واستعراضاً لقوة الإيالة خاصة في تلك الفترة التي كانت تشهد الإيالة حملات أوروبية على سواحلها⁵.

1-2- رجال الدولة في الباب العالي:

لقد كانت السلطة العثمانية بالجزائر تُعقد على مُختلف المسؤولين ورجال الدولة في الباب العالي بهدايا مُتنوعة، وذلك بُغية تسهيل عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية، فنجد في هذا الخصوص

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 07/العدد 31139، التاريخ: 1230 هـ.

² - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 08/العدد 48979، التاريخ: 1231 هـ.

³ - خليفة حماش، "تبادل الهدايا بين الجزائر والباب العالي في العهد العثماني"، مجلة دراسات أدبية وإنسانية، ع01، أبريل 2004، ص ص 14-15.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 121.

⁵ - حدة بلقاسم، صباح بعارسية، " دور الهدايا السلطانية في تزويد إيالة الجزائر بالمعدات الحربية في العهد العثماني (926-1246 هـ/1830-1520م)"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، ع25، السنة 2023، ص ص 176-177.

مجموعة من الرسائل الأرشيفية، ومثالاً على ذلك نجد رسالة بتاريخ جمادى الآخر 1231 هـ الموافق لـ (شهر أبريل 1815م)، وهي عبارة عن سجل لأهم الهدايا التي بعثها الداوي عمر باشا (1815-1817) إلى وزراء الباب العالي في إسطنبول، والتي تتمثل في أغلبها في هدايا ثمينة مثل: أحزمة من الذهب، سبحات من المرجان، سبحات من العنبر، والعديد من الحيوانات والطيور... وغيرها الكثير من الأشياء الثمينة¹.

كما جاء كذلك في رسالة الحاج خليل مفتي الجزائر في إزمير إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 15 رجب 1242 هـ الموافق لـ (11 فيفري 1827م) بشأن تسليم الهدايا التي أرسلها الداوي حسين باشا (1818-1830) إلى مجموعة من رجال الدولة في الباب العالي وهذا ما جاء فيها: "... دولتو عنايتلو أبهتلو رافتلو ولي النعم أفندم سلطانم لحضرتك... تقديم أمر تحرركم السامي للمربوط في خدمتكم جلب طريق الجواب لسيادتكم ومقدما لحق لدار السعادة من شأن الرجال الأكابر لأجل المصالح الهبة وموانسة تصدير لكل واحد هدية مناسبة تقديمها لازم في كل حال عزيمتنا..."².

1-3- القبودان دريا:

نجد في رسالة بعث بها حسين باشا قبودان دريا إلى الداوي حسن باشا (1791-1798) بتاريخ أول صفر 1210 هـ الموافق لـ (16 أوت 1795م) حول وصول هدية الداوي حسن باشا (1791-1798) إلى حسين باشا قبودان دريا والتي تمثلت في صندوق صغير يحتوي على زرف فنجال مرصع بالذهب وخاتم³، ونفس الأمر نجده قد تكرر، وذلك من خلال إرسال الداوي حسن باشا (1791-1798) بعد سنة واحد وهذا بتاريخ 13 صفر 1211 هـ الموافق لـ (17 أوت 1796م) بهدية أخرى إلى القبودان دريا وهذه المرة نجد أن الهدية كانت عبارة عن مبلغ مالي قُدر بألف (1000) محبوب ذهب وعشرة (10) حايك صنعة بني عباس⁴.

وفي رسالة أخرى تبين مصاريف إحدى السفن الجزائرية التي توجهت إلى إسطنبول، وعلى متنها مبالغ مالية كبيرة، حيث اعتبرت كهدايا نقدية سلمت للقبودان دريا محمد خسرو ومساعديه، حيث قُدرت في

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 02، الوثيقة رقم 09.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 201.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 56.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 59.

مجموعها حوالي واحد وثلاثون ألف ومئتان وخمسة عشر (31215) ليرة¹، وفي رسالة أخرى من محمد خسرو قبودان دريا إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 29 جمادى الأولى 1242 هـ الموافق لـ (28 ديسمبر 1826م) بشأن تسلمه الهدية التي عبر فيها عن امتنانه وسعادته، وهذا ما جاء فيها: "...سعادتلو مكرمتلو مودتلو...بلغت تحريراتك الشريفة تتضمن مواجب معتادة جزاير دار الجهاد هدية معلومة المقدار بواسطة المقيم بمدينة إزمير سماحتلو مفتي السيد الحاج خليل أفندي..."².

1-4- وكلاء إيالة الجزائر:

سعت السلطة العثمانية بالجزائر إلى إعطاء حصة من الهدايا إلى وكلائها المنتشرين في مختلف الأقاليم العثمانية، ومثالاً عن ذلك الهدية التي أرسلها الداوي حسن باشا (1791-1798) إلى السيد وكيل الجزائر لدى الباب العالي المدعو سليم ثابت أفندي وهذا بتاريخ 09 محرم 1211 هـ الموافق لـ (14 جويلية 1796م)، وقد اشملت تلك الهدية على غلام واحد (01) عربي، وخمسة (05) حايك من الريش مصنوع بالجزائر³، وفي رسالة أخرى نجد وصول هدية أرسلها الداوي حسن باشا (1791-1798) إلى السيد إبراهيم أغا العسكر ووكيل الجزائر في ساقز بتاريخ 11 محرم 1211 هـ الموافق لـ (16 جويلية 1796م) وهذا ما جاء في تلك الرسالة: "...دولتلو عنايتلو مرحمتلو عطوفتلو ولي النعم كثير المرحم والكرم أفندم سلطانم...تكرم على عبده الحقير بعبد أسود صغير السن غلام وصحبته خمسة حياك ريشي صنعة الجزائر..."⁴، ونجد في رسالة أخرى من السيد حسين بوسنوي وكيل الجزائر في إحدى الأقاليم العثمانية إلى الداوي مصطفى باشا (1798-1805) وهذا بتاريخ 05 شوال 1213 هـ الموافق لـ (11 مارس 1799م)، حيث عبر هذا الوكيل عن امتنانه وإخلاصه الكبير للداوي حتى وصف نفسه بأبشع عبارات الدناءة والتحقير للنفس أمثال: "...في حق أحقر عبيدك... " وعبارة "...لأنه تراب نعليك شاخص لدستورك..."، وفي الأخير تقدم بالشكر للداوي عن كرمه بإعطائه هدية وهي عبارة عن ساعة⁵.

ونجد في عهد الداوي حسين باشا (1818-1830) أن وكيل الجزائر في ساقز قد بعث رسالة يقول فيها بأنه خدم الاوجاق وهذا بتجنيد المتطوعين للجزائر لمدة عشرون (20) سنة ولم يتلقى فيها هدايا سوى

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 02، الوثيقة رقم 04.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 195.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 57.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 58.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 61.

مرة واحدة وقد كانت في عهد الداوي عمر باشا (1815-1817)، وأنه وجه طلبه هذا إلى وكلاء مدينة إزمير مرات عديدة ولكن بدون جدوى لأنه لم يلقى أي إستجابة منهم سواء كانوا وكلاء أو باش دائيات¹.

1-5- الدائيات:

لقد تحصل كذلك الدائيات على مجموعة من الهدايا من السلطة العثمانية بالجزائر، حيث نقرأ في الرسالة التي بعثها خليل أغا العسكر بالجزائر إلى السيد مصطفى دائي بإزمير بتاريخ 17 شعبان 1234هـ الموافق لـ (10 جوان 1819م)، وقد جاء فيها إرسال هدية من السيد خليل أغا في الجزائر إلى مصطفى دائي بإزمير وقد تمثلت في أربع وقفات من صنف العين المرقدة، وقد كان القصد من تلك الهدية هو تسهيل عملية تجنيد المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر²، ونجد من الدائيات أيضًا ممن تحصل على هدية من السلطة العثمانية بالجزائر، وهذا من خلال رسالة المدعو محمد جاوش موظف في خان الجزائر بإزمير الذي تحصل على هدية من طرف الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 11 جمادى الأولى 1242هـ الموافق لـ (10 ديسمبر 1826م)، وهذا ما جاء فيها: "...دولتو عنایتلو رحمتلو عطوفتلو ولي النعم أفندم سلطانم لحضرتك... من حضرة طرفك الباهر الشرف لحق للخديم لطف وإحسان الذي عدده مائة محبوب ذهب ... بواسطة الحاج علي ولد المفتي من يده ليد العبد الحقيير وصول وحصول..."³.

وقد شملت الهدايا أشخاصًا آخرين في أنحاء وأقاليم الدولة العثمانية وذلك تقديرًا لمجهوداتهم في خدمة مصالح الإيالة بمختلف أشكالها وفي مقدمتها تجنيد المتطوعين، كما في رسالة "أحمد العريف" في إزمير التي بعثها إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 11 شوال 1240هـ الموافق لـ (28 ماي 1825م)، حيث يعبر له فيها عن امتنانه وتقديره للجزائر ويقول أن الحاج خليل هو من سلمه هذه الهدية من الباشا⁴، وفي رسالة أخرى من السيد حسن إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 09 جمادى الأولى 1242هـ الموافق لـ (08 ديسمبر 1826م)، حيث يقول فيها صاحب الرسالة بأنه قد استلم الهدية التي

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 188.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 80.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 193.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 133.

أرسلت إليه والتي تمثلت في يتغان من ذهب، وأنه مُستعد لتقديم المساعدة للوكلاء، وذلك بتجنيد المتطوعين لصالح الجزائر في جميع أنحاء ذلك الإقليم¹.

وتعليقاً على محتويات الهدايا التي كان ولاية الجزائر يرسلونها إلى مختلف الجهات في الدولة العثمانية سواء ما تعلق الأمر بالسلطات العليا وهم السلاطين وحاشيتهم أو السلطات المحلية والتي تتمثل في حكام الأقاليم العثمانية، يُمكننا القول بأنها كانت تتمثل بوجه عام في عدة منتوجات تشتهر بها الجزائر وتقوم بتصنيعها وتأتي في مقدمتها المنتوجات الصوفية، إلا أن هذا لا ينفى وجود بعض الأشياء الثمينة التي كانت تكلف الخزينة مبالغ باهضة، وخصوصاً تلك المصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة، مثل البنادق والخناجر والسروج وغيرها، وبالإضافة إلى الغلمان والعبيد السود وبعض الحيوانات والطيور التي من النادر أن نجدها على مستوى الإيالة.

2- تطبيق حُكام الإيالة للفرمان السلطاني:

2-1- فرمان بإجراء الاحتفالات بمناسبة ولادة أبناء سلاطين بني عثمان:

على غرار فرمانات التولية، والتي تثبت دون أدنى شك تبعية حكام الإيالة إلى الدولة العثمانية، وهذا بالامتثال إلى ما يأتي في مضامينها من أحكام التعيينات الخاصة بالحُكام الجُدد أو تجديد التولية، وعليه فإننا نجد من جهة أخرى نوع آخر من تلك فرمانات، وهو الذي يتمثل في أوامر من السلطان العثماني بوجود الاحتفال في الولاية العثمانية بسبب ولادة ابن أو ابنة له، ومثالا على هذا نجد فرمان الذي أرسله السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757-1774) إلى الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) في أواسط شعبان عام 1180 هـ الموافق لـ (11-20 جانفي 1767م)، وقد جاء فيه أبناء عن ولادة ابن لدى السلطان والأمر بوجود الامتثال إلى مضمون فرمان وهذا بإجراء مراسيم الاحتفال التقليدي من خلال إطلاق المدافع والمكاحل من الحصون والقلاع والدعاء للولد الجديد من جانب العلماء والصلحاء بالصلاح وطول العمر².

ونجد كذلك فرمان آخر بعثه السلطان العثماني عبد الحميد الاول (1774-1789) إلى الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) في أواخر شهر صفر من عام 1193 هـ الموافق لـ (09-17

¹ م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 194.

² م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 13.

مارس 1779م)، حيث جاء فيها ولادة ابن لدى السلطان العثماني، وقد أمر هذا الأخير على إثره بوجوب الإحتفال، وهذا بإطلاق المدافع والبنادق من القلاع والحصون وإظهار المهرجان مثل الأعياد، ومن جهة أخرى الدعاء للابن بدوام العمر من قبل المشايخ والعلماء والزهاد والصالحين وسائر الأتباع الصادقين¹.

وعليه فقد بقي ذلك الإجراء متواصلاً إلى غاية آخر داي يحكم إيالة الجزائر، حيث نجد الفرمان الذي بعثه السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) إلى الداي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ أواخر ذي الحجة عام 1234هـ الموافق لـ (10-18 أكتوبر 1819م)، يحمل في طياته نبأ ولادة ابن لدى السلطان والأمر بإجراء مراسيم الإحتفال التقليدية المعمول بها سابقاً من إطلاق المدافع والبنادق من على القلاع والحصون من أجل التشهير وإعلان مهرجان الإحتفال²، وعند ولادة بنت لدى السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) بعث إلى الداي حسين باشا (1818-1830) فرمان بتاريخ أواخر صفر عام 1240هـ الموافق لـ (14-22 أكتوبر 1824م)، وذلك بوجوب الإحتفال لمدة ثلاثة أيام بهذه المناسبة البهية وهذا ما جاء فيها: "... أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام باي بيلار جزائر الغرب باشا التوقيع الرفيع من الباب العالي الواصل إليكم يكن في علمكم أن شجرة روضة الخلافة بحديقة السلطنة في يوم الجمعة المباركة بالليل الثاني والعشرين من شهر صفر الخير سنة ألف ومايتين وأربعين بزغت شمس قدرته الباهرة في فلك سلطنتي الزاهرة أعني به السلطان... أصدرنا أوامر في الجلييلة فإذا ما علمتم فبادروا في بسط كف الدعاء في المساجد والمحافل المشايخ والزهاد وسائر الأتباع... بدوام العمر.. عليه كما جرى في باب سعادتكم بإطلاق المدافع من القلاع والحصون وثلاثة أيام إظهاراً للمهرجان مثل الأعياد..."³.

وليس هذا فقط بل كان يتعدى ذلك إلى إشراك جميع القاطنين على مستوى إيالة الجزائر في تلك المناسبة البهية، مثل ما جاء في رسالة الحاج أحمد باي (1826-1837) إلى الداي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 27 جمادى الثانية 1243هـ الموافق لـ (14 جانفي 1828م) بشأن وصول خبر ولادة ابن لدى السلطان العثماني من مدينة الجزائر إلى قسنطينة وقد قامت عاصمة البايك بالاحتفال بتلك المناسبة⁴.

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 19.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 31.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 34.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 1642، الوثيقة رقم 21.

وتعليقاً على ما تم التطرق إليه من خلال تلك الفرمانات السلطانية نجد أن مضمونها كان يعكس صورة صادقة عن مدى الأهمية التي يوليها سلاطين بني عثمان لحكام الجزائر من الدايات وهو الاحتفال المشترك بتلك المناسبة، ومن جهة أخرى فهي تعبر عن مدى ولاء السلطة العثمانية بالجزائر تجاه السلاطين العثمانيين، وذلك من أجل كسب ودهم وعنايتهم بغية السماح لهم بتجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية.

2-2- الامتثال لأوامر ونواهي السلطان العثماني:

في مستهل الحديث يجب التطرق إلى قضية حساسة أثرت بدورها على العلاقات الجزائرية العثمانية وهي التي تتعلق بالاعتداءات المتكررة من طرف البحارة الجزائريين على السفن التجارية التابعة للدولة العثمانية من جهة، وكذلك الإعتداء على السفن التجارية لبعض الدول الأوروبية التي تربطها علاقات مع الباب العالي من جهة أخرى، وقد جاءت أوامر الباب العالي للجزائريين بشأن التوقف التام عن هذه الهجمات، وعندما لا تجد أذان صاغية من الجانب الجزائري تقوم سلطة الباب العالي بدورها بتوقيف عملية تجنيد المتطوعين لصالح الجزائر من أراضي وأقاليم الدولة العثمانية وبالتحديد مدينة إزمير وضواحيها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة وهي على النحو التالي:

تجدر الإشارة في هذا الخصوص إلى القول بأن هناك من الدايات من لم يستجيبوا لأوامر السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839)، أمثال الدايات علي باشا (1809-1815)، مما ولد استياء السلطان العثماني من جراء تعرض سفن الجزائريين والتونسا للسفن التجارية التابعة للنمسا رغم أوامره بعدم اعتراضها في العديد من المرات¹، وعلى إثر تطور الأحداث نجد تراجع الباب العالي عن قراره بمنع الجزائر من تجنيد المتطوعين²، وهذا نتيجة إستجابة بعض الدايات ومن أبرزهم نجد الدايات عمر باشا (1815-1817)³، وهذا ما تحقق فعلاً سنة 1816م، حيث تم بموجبه إصدار السلطان محمود الثاني (1808-1839) فرمان إلى حكام مدينة إزمير وضواحيها، وذلك بالسماح للجزائريين بتنظيم عمليات تجنيد المتطوعين، وقد جاء

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 07/العدد 48827، التاريخ: 1230 هـ.

² - حنيفي هلايلي، " فقدان الأهمية العسكرية للحيش الجزائري أواخر العهد العثماني - الأسباب والنتائج -"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 03، ع 02، جويلية 2021، ص 91.

³ - محمد عطية، " محن الجزائر في عهد الدايات عمر (1815-1817) ومواقفه منه"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 13، جوان 2017، ص 303.

هذا العفو عن الجزائريين عند طلب اعتذار قدمه الداوي عمر باشا (1815-1817)¹، وقد توقعوا عن اعتراض السفن التابعة لرعايا الدولة العثمانية وأفرجوا عما استولوا عليه منها².

ونجد في رسالة من محمد خسرو باشا قبودان دريا إلى الداوي عمر باشا (1815-1817) تحمل نفس الغرض وهي تراجع الباب العالي عن قراره بمنع تجنيد المتطوعين للجزائر، وهذا ما جاء فيها: "... ليكن في علمكم فرسان أوجاق الجزائر... ولو نفر واحد من العسكر لم يكتب ووكلاء الأوجاق كف أيديهم عن رؤية أمور الأوجاق من بابنا... أوامر العلية الشريفة صدورها والحالة هذه فرمان بالأوجاق المزبور الحركة السابقة ندموا عليها... وسايركم شأن أوجاق جزاير الغرب ودايرتهم من كل وجه بمدينة ازمير وغيرها تحرير النفقات ولاوجاق المزبور... لهذا صدر فرمان عالي الشأن موجبه ديوان دونتما الباب العالي وإليكم إرسال فعليكم إتباع موجب أمر علي الشأن..."³.

وزيادة على ذلك قام السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) بإرسال مجموعة من المُعدات العسكرية إلى الداوي عمر باشا (1815-1817)، وذلك إستجابة لطلبه سنة 1817م بغية التصدي للاعتداءات الخارجية التي توالى عليه بشكل كبير في تلك الفترة بالذات⁴، وتفسير هذا التقارب الكبير الذي جمع الداوي عمر باشا (1815-1817) بالسلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) هو الطاعة الدائمة التي كان يقدمها الداوي عمر للمقام الهمايوني، بحيث أنه كان لا يقوم بعمل إلا إذا كان فيه رضى واستحسان من قبل الحضرة الشاهانية⁵.

وفي جانب آخر نتطرق إلى أمر هام وخطير قام به الأسطول الحربي الجزائري سنة 1241هـ الموافق لـ1825م، حيث انفصل عن الأسطول الهمايوني المشارك في الحرب اليونانية - العثمانية، وعاد بدوره إلى مدينة الجزائر، وقد تم ذلك الإجراء بدون رخصة من القبودان باشا الذي كان يُدعى محمد حسن بك، فعمل هذا الأخير على إرسال تقرير إلى المقام الشاهاني الكريم وهو يتضمن نقطتين أساسيتين:

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 10، العدد 17216، التاريخ: 1239هـ.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 29.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 73.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 30.

⁵ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 07/العدد 44477، التاريخ: 1230هـ.

1- إنفصال السفن الحربية الجزائرية عن الأسطول الهمايوني وعودتهم إلى الجزائر من تلقاء أنفسهم وبدون إذن سابق في ذلك.

2- صدور فرمان شاهاني إلى محافظ ولاية إزمير بناءً على ذلك الانفصال من أجل إيقاف عملية تجنيد المتطوعين لصالح الجزائريين¹، لكننا نجد أن السلطان محمود الثاني (1808-1839) لم يأخذ بطلب القبودان باشا بل اكتفى بتحذير أوجاق الجزائر على عدم العودة إلى مثل تلك التصرفات مرة أخرى، وبالتالي وجوب الامتثال لأوامره².

وفي الأخير يُمكننا القول بأن جُل الأوامر السلطانية قد مثلت في غالب الأمر سلاح دو حدين تجاه السلطة العثمانية بالجزائر، الأول وهو عندما ترسخ هذه الأخيرة لمجموعة القرارات والأوامر السلطانية تتلقى بدورها السلطة العثمانية بالجزائر مختلف التسهيلات، والتي تخص بالدرجة الأولى الجانب العسكري مثل إرسال الباب العالي للمعدات العسكرية للجزائر وكذا السماح لها بتجنيد المتطوعين، أما الثاني فهو يتعلق بتماطل السلطة العثمانية بالجزائر في تطبيق تلك الأوامر نجد أن السلاطين يقومون بقطع جميع تلك المساعدات العسكرية والتي من بينها عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية.

3- التعاون العسكري الجزائري العثماني:

وقد تجسد ذلك التعاون العسكري من خلال تلبية حُكام الإيالة لجميع الأوامر السلطانية، وذلك بمشاركة جميع الفرق العسكرية الموجودة على مستوى إيالة الجزائر وكذا الأسطول الحربي الجزائري في مختلف الحروب المهمة التي خاضتها الدولة العثمانية ضد مختلف الدول الأوروبية، وقد تجسد ذلك التعاون العسكري على الشكل الموالي:

3-1- تجهيز عساكر الإيالة للمشاركة إلى جانب الأسطول الهمايوني في مختلف معاركه:

لقد عمل السلاطين العثمانيين على استمالة جميع الفرق العسكرية الموجودة على مستوى إيالة الجزائر، وذلك من أجل التصدي للاعتداءات العسكرية التي كانت موجهة ضد الدولة العثمانية والمقام الشاهاني، وفي هذا الصدد نجد وفي إطار الحروب العثمانية مع الدول الأوروبية³ أيضاً نجد حكم شاهاني

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 11/العدد 28565، التاريخ: 1241هـ.

² - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 12/العدد 39315، التاريخ: 1241هـ.

³ - للمزيد من المعلومات حول هذا الأمر يُرجى الاطلاع على الملحق رقم (09).

من قبل السلطان العثماني سليم الثاني (1566-1574) إلى أمير أمراء جزائر الغرب عرج علي باشا (1568-1572)، وقد جاء فيه ضرورة الاستعداد للانضمام إلى الأسطول الهمايوني، وذلك من أجل التوجه إلى خليج البندقية وحلق الواد، وبموجب ذلك يجب على الأمير المذكور التنبه والتأكد على رؤساء اللوند والقراصنة بكل ما في حوزتهم من السفن الحربية أمثال: القادرات والقاليتات والفرقيات، وكذا مقدار المدافع والقذائف والبارود وسائر العدة والعتاد الموجود لديهم¹.

ونجد أيضًا حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1566-1574) إلى أمير أمراء جزائر الغرب المدعو عرب أحمد (1572-1574)، حيث يتضمن أمر بإعداد عساكر الإيالة للمشاركة مع الأسطول الهمايوني في مهمته الجهادية، وذلك بموجب العمل على تجهيز الفرق التالية: ستون (60) فارسًا من لواء تنس، ومائة (100) فارس من لواء معلعامة، وحوالي عشرون (20) فارسًا من منطقة سلسل، وثمانون (80) فارسًا من لواء مدية، وخمسة وثلاثون (35) فارسًا من منطقة عمرون، وأربعمائة (400) فارس من قسنطينة، وثمانون (80) فارس من بسكرة، وستون (60) فارس من بلد عباس، وحوالي ألف (1000) من الإنكشارية الأكفاء والمُسَلَّحِين ببنادقهم مع قواد بلوكاتهم، على أن يكون مجموع العساكر التي يجب حضورها ألف وخمسة وتسعون (1095) فارسًا وألف (1000) إنكشاري²، أما فيما يخص تزويد العتاد المادي نجد حكم إلى أمير أمراء جزائر الغرب عرب أحمد (1572-1574)، وقد جاء فيه ضرورة تأمين خمسمائة (500) قنطار من البارود وعشرة آلاف (10000) زنبيل لتزويد الأسطول العثماني المرسل إلى إيالة جزائر الغرب وكذا تأمين مقدار معين من الذخيرة لبلاد العناب (عنابة)³.

3-2- مشاركة الأسطول الجزائري في الحرب الروسية- العثمانية:

لقد اشتد وقع الدول المسيحية بالمشرق من جهة وبالمغرب من جهة أخرى ضد الدولة العثمانية عمومًا، فكان من أشدها ضعيفة وحقد دولة روسيا والنمسا⁴، وبالتالي فقد حرصت سلطة الباب العالي على إرسال أوامر عسكرية إلى دايات الجزائر من أجل التحالف معها في حربها ضد روسيا، وفي هذا الصدد نجد بأن الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) لم يتردد في الإستجابة لأوامر السلطان العثماني

¹ - أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 603، التاريخ: 978هـ.

² - أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 24، صحيفة 91-92، حكم رقم 246، التاريخ: 981هـ.

³ - أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 24، صحيفة 323، حكم رقم 882، التاريخ: 982هـ.

⁴ - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 240.

مصطفى الثالث (1757-1774م)، حيث أرسل له المدد في حروبه مع الدول الأوربية خاصة الحرب الروسية العثمانية¹، والتي جرت أحداثها خلال الفترة الممتدة (1768-1774م)، وفي هذا الصدد يقول "الزهارة": "...بعث السلطان مصطفى بن السلطان أحمد العثماني رحمهما الله يطلب المراكب الجهادية الإسلامية من الجزائر إلى إسطنبول وطلب كذلك مراكب تونس. وذلك سنة 1183هـ، فأمتثل مولانا الباشا لأمر السلطان وأمر أيده الله بإصلاح خمسة مراكب. وأعطاهما ما تحتاجه وتوجهت مصحوبة بالسلامة والظفر..."²

ونجد أيضًا فرمان آخر بعثه السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757-1774) إلى الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) بتاريخ أواخر شعبان عام 1183هـ الموافق لـ (19-27 ديسمبر 1769م)، وهو عبارة عن أمر سلطاني بإرسال حوالي خمسين (50) جندي من فرقة المدفعية إلى نهر طونة لدعم الجيش العثماني، وذلك في إطار الحرب ضد روسيا، وقد التزم الباب العالي بتحمل جميع نفقات سفرهم ومرتباتهم³، وفي رسالة أخرى بعث بها حسين باشا قيودان دريا إلى الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) بتاريخ 17 شعبان عام 1203هـ الموافق لـ (12 ماي 1789م) الأمر بإرسال السفن الحربية الجزائرية لمساعدة الأسطول العثماني في عملياته العسكرية في البحر المتوسط⁴، وقد تواصل ذلك الطلب إلى غاية سنة 1205هـ الموافق لـ (1790م)، من خلال طلب سلطة الباب العالي من الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) إرسال السفن الحربية الجزائرية من أجل تضيق الخناق والزحف على القراصنة⁵.

¹ - بدأت هذه الحرب بسبب إدخال روسيا الجنود إلى بولونيا، رغم مذكرات الاحتجاج العديدة التي أرسلها الباب العالي، أعلنت الحرب على روسيا التي أخذت تطارد الوطنيين البولونيين حتى داخل الأراضي العثمانية وقد دامت من 1768-1774م.

للمزيد راجع: يلماز أوزتونا، المرجع السابق ص 623.

² - أحمد الشريف الزهارة، المصدر السابق، ص 28.

³ - م. و. ج. المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 01.

⁴ - م. و. ج. المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 03.

⁵ - أ. و. ج. سلسلة خط همايون، العلية 05/العدد 55760، التاريخ: 1205هـ.

ومن جهة أخرى نجد بأن أميرالات الأسطول العثماني قد طلبوا من حكام الجزائر¹ أن يرسلوا إليهم السفن الحربية، وهذا في إطار الحرب الروسية العثمانية، لكن في بعض الأحيان كان ذلك الطلب في غير محله، ومثالاً على ذلك فقد جاء طلب من قبل السلطة الباب العالي في وقت كانت فيه إيالة الجزائر تحت الحصار البحري المفروض عليها من طرف فرنسا، والذي تمثل في رسالة من السيد محمد صادق أمين الترسانة بإستانبول إلى الداى حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 13 ربيع الثاني 1244هـ الموافق لـ (22 أكتوبر 1828م) وقد جاء فيها طلب إرسال السفن الجزائرية لمساعدة الأسطول العثماني في الحرب ضد روسيا².

في حين نجد من جهتنا أن ذلك الأمر لا يعقل، وهذا في ظل الحصار البحري المفروض على الإيالة من طرف فرنسا الذي إمتد من سنة (1827-1830م)، حيث أنه من غير الممكن إرسال السفن للمشاركة في الحرب، وبالخصوص السفن التي كانت موجودة في ميناء مدينة الجزائر.

3-3- مشاركة الأسطول الجزائري في حرب إنفصال اليونان:

رغم استقلالية حكام الجزائر في العديد من الجوانب السياسية والإقتصادية خلال الفترة الاخيرة من العهد العثماني (1711-1830) إلا أنهم كانوا تابعين بشكل كبير فيما يتعلق بالجانب العسكري، حيث بقي حكام الإيالة يُجنّدون المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية، وهذا بفضل طاعة حكام الجزائر الدائمة للسلطين العثمانيين من جهة، وبإعانة الدولة العثمانية بالسفن الحربية خلال الحروب التي يخوضها الأسطول الهمايوني ضد الدول الأوروبية المعادية من جهة أخرى، ومن هذا المنظور فقد قامت الحرب اليونانية العثمانية والتي امتدت لمدة ست (06) سنوات أي من عام 1236هـ - 1243هـ/1821-1827م، حيث تطرق الباحث خليفة حماش إلى إستجابة الداى حسين باشا (1818-1830) لأمر الباب العالي على ثلاث مراحل اثنتين منهما موثق تاريخياً أما الثالثة فلا توجد وثائق تطرقت إليها:

¹ - من خلال اطلاعنا على مختلف الوثائق الأرشيفية وجدنا بأن حكام الجزائر في العديد من المرات لم ينتظروا أوامر من قبل السلطة العثمانية بالإستانة من أجل مساعدتهم في حروبهم العسكرية، وعلى سبيل المثال نجد بأن الداى حسين باشا (1818-1830)، بادر في سنة 1236هـ الموافق لـ 1820م بإرسال عشر (10) سفن حربية، وهذا بقيادة الحاج علي الأرنؤوطي لإعانة الأسطول الهمايوني ضد الثوار في منطقة -أفلاق وبغدان- التي تعرف اليوم بتسمية " رومانيا"، وقد تم هذا من دون أن تطلب الدولة العثمانية ذلك. راجع: أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 09، العدد 40543، التاريخ: 1236هـ.

² - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 44.

- المرحلة الأولى: 1821-1823م.

- المرحلة الثانية: 1825-1826م.

- المرحلة الثالثة: 1827م، وفي هذه المرحلة نجد غياب كُلي للمصادر التي تؤرخ لتواجد الأسطول الجزائري ومشاركته في معركة نافرين الحاسمة¹.

وفي هذا الصدد نجد بأن الداوي حسين باشا (1818-1830) قد استجاب لنداء السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839)، الذي أمره بإرسال السفن الحربية لمساعدة الأسطول الهمايوني على إخماد نار تلك الثورة، حيث جاء في سجل التشريعات أن الداوي حسين باشا (1818-1830) قام بتاريخ 04 ذي الحجة 1236هـ الموافق لـ (02 سبتمبر 1821م) ببعث عشرة (10) سفن حربية إلى بحر إيجه طاعة لأمر السلطان العثماني²، وبذلك كانت أول مساهمة عسكرية للجزائر في عهد الداوي حسين باشا (1818-1830) منذ تعيينه على رأس السلطة العثمانية بالجزائر سنة 1818م، وهي تُمثل بالنسبة إلينا بمثابة إستجابة لأوامر والرسائل التي وجهت إلى الأوجاق الجزائرية من طرف المقام الهمايوني، وهذا بخصوص إعداد وإرسال السفن الحربية إلى الدار العلية كنوع من الدعم العسكري للأسطول الهمايوني، الذي بدأ يتحرك في هذه الآونة من أجل تأديب حركات التمرد التي ظهرت في منطقة أفلاق وبعدان في جزيرة مورس وسائر الجزر الواقعة في البحر الأبيض المتوسط³.

وقد التحقت السفن الحربية الجزائرية بالأسطول العثماني بميناء كمنيسة بألبانيا وقد تعززت تلك السفن بثلاثة سفن حربية أخرى في عام 1238هـ/1823م وعلى متنها ثمان مئة وخمسون (850) من جنود البحرية، في حين فقد كلفت هذه المساهمة الخزينة الجزائرية حوالي مئة وثلاثة وعشرون (123) قرشاً وهي عبارة عن نفقات الإطعام ومرتببات اللباس وإصلاح السفن وشراء التجهيزات الضرورية⁴، وهذا ما نجده في رسالة علي قبطان سر عسكر السفن الجزائرية المشاركة في الحرب اليونانية إلى الداوي حسين

¹ - خليفة حمّاش، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)، ط3، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2021، ص ص 52-70.

² - A. Devoulx , op .cit,p.28.

³ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية/10 العدد/38548، التاريخ: 1237هـ.

⁴ - عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 70.

باشا (1818-1830) بتاريخ 27 رجب 1238 هـ الموافق لـ (08 أبريل 1823م) والتي ذكر فيها نشاط وتوزع السفن الجزائرية في الحرب اليونانية¹.

وفي هذا الصدد نجد تقرير بتاريخ 1240 هـ الموافق لـ 1824م، حيث أرسله رشيد باشا والي الروملية إلى المقام الشاهاني (السلطة العثمانية بالإستانة) بشأن توجه بعض السفن الحربية الجزائرية إلى منطقة "سيلنك"، وذلك بمقتضى فرمان سلطاني وبالتالي دخولها عن طريق الصدفة في معركة مع السفن الحربية لليونانيين، وقد كانت الغلبة من نصيب السفن الحربية الجزائرية²، وفي نفس العام نجد وصول السفن الحربية الجزائرية بقيادة الحاج علي إلى منطقة البوغاز وهذا على إثر طلب السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839)، وقد كانت في حاجة ماسة إلى المواد الغذائية والخبز³، لكننا نجد بأنه بعد سنة واحدة من ذلك طلب سلطة الباب العالي من الداوي حسين باشا (1818-1830) إرسال مجموعة من السفن الحربية، وقد جاء هذا في رسالة محمد خسرو باشا قبودان دريا إلى الداوي حسين باشا بتاريخ 07 رجب 1241 هـ الموافق لـ (14 فيفري 1826م)، وهذا في إطار استعداد الباب العالي للقضاء على الثورة اليونانية في جزيرة جامليجة⁴.

وعليه يُمكننا القول بأن كل هذه المساعدات العسكرية التي قام بها حكام الإيالة تجاه الباب العالي، والإنصياح لأوامره قد ساهمت دون أدنى شك في إذابة كل الجليد الذي كان يتشكل من حين إلى آخر فيما يتعلق بالعلاقات الجزائرية والعثمانية، والذي كان يؤدي بدوره إلى قطع الإمداد العسكري عن الإيالة ومن بينها السماح بتجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية.

ثالثاً: الإحصائيات الخاصة بأعداد الجنود المتطوعين في الإيالة:

بعد أن قمنا بدراسة مُختلف العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى عرقلة عملية التجنيد لصالح الإيالة، فحري بنا التطرق الآن إلى ذكر بعض الإحصائيات الخاصة بأعداد الجنود المتطوعين في إيالة

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 12.

² - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 11، العدد 39706، التاريخ: 1240 هـ.

³ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلية 11، العدد 22555، التاريخ: 1240 هـ.

⁴ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 01، الوثيقة رقم 21.

الجزائر، وهذا من خلال القرون الثلاثة التي قضاها العثمانيون في الإيالة (1519-1830)، وعليه نطرح السؤال التالي: ما هو تعداد الجنود المتطوعين على مستوى الجيش الجزائري خلال العهد العثماني؟.

1- أعداد المجندين خلال القرن السادس عشر (16) ميلادي:

بعد إعلان خيرالدين بربروس (1519-1535) تبعيته إلى السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520) أرسل له هذا الأخير ألفي إنكشاري (2000) من خيرة جنوده النظاميين مسلحين بالبنادق، وقد أتبعهم بأربعة آلاف (4000) متطوع منحوا نفس امتيازات الإنكشارية، وعليه يمكن اعتبار تلك الدفعة بمثابة أول نواة لعملية التجنيد لصالح الإيالة¹، وحسب جون - ب- وولف الذي يرجع بأن أصل الألفان (2000) من الإنكشارية الذين بعث بهم السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520) هم أبناء البلقانيين الذين وقع تجنيدهم عن طريق (ضريبة الأولاد)، أما بخصوص الأربعة آلاف (4000) من المتطوعين الآخرين فيؤكد أنهم كانوا من أقاليم الأناضول الذين يعيشون في وضعية معيشية صعبة²، أما بخصوص الدفعة الثانية من المجندين الذين تلقته الإيالة كانت في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566)، وبالتحديد سنة 1556م في عهد البيلرباي صالح ريس (1552-1556)، حيث أرسل بدوره أربعين سفينة (40) محملة بـ 6000 متطوع إلى الإيالة من أجل تحرير مدينتي وهران والمرسى الكبير وطرد الإسبان منهما³، وقد أحصى هايدو (De Haëdo) عدد الجنود الإيالة في القرن السادس عشر (16) ميلادي ما بين ثلاثة آلاف وخمسمائة (3500) إلى أربعة آلاف (4000) جندي⁴.

وعليه يمكننا القول بأن عملية تجنيد المتطوعين قد كانت تتم في شكل دفعات متقطعة، وفي أوقات متباينة تبعاً للتدخلات العسكرية التي كانت تمر بها الإيالة، فنجد على المستوى الإقليمي (المغرب الأقصى) وعلى المستوى الدولي (إسبانيا) خاصة ما تعلق الأمر بالقرن السادس عشر (16) ميلادي.

2- أعداد المجندين خلال القرن السابع عشر (17) ميلادي:

أما مع بداية القرن السابع عشر (17) ميلادي فقد لوحظ أن عدد أفراد المجندين على مستوى الإيالة بلغ نحو ستة (6000) آلاف تقريباً، لكن مع مرور الوقت تضاعف العدد إلى أن وصل إلى عشرة آلاف

¹- أمين محرز، المرجع السابق، ص 26.

²- جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص 99.

³- صالح فركوس، المرجع السابق، ص 122.

⁴- De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.64.

(10000) مُجنّد، من بينهم ستة آلاف (6000) إنكشاري، بحيث يذكر بيار دان (Pierre Dan) الذي تواجد في إيالة الجزائر في بداية القرن السابع عشر (17) ميلادي وبالتحديد في سنة 1637م بأن عدد المُجنّدين في الإيالة قد وصل إلى إثنان وعشرون ألف (22000) جندي خليط ما بين النظامي والاحتياطي¹. ومن جهتنا نعطي تفسيرًا لهذه الزيادة من جراء تزايد نشاط الجهاد البحري ضد سفن الدول الأوروبية، والذي من خلاله تتم تمويل عمليات التجنيد من أقاليم الدولة العثمانية، وزيادة على ذلك نجد بأن الأوضاع الإيالة المضطربة التي فرضت على الحكام تجنيد عددًا كبيرًا من المتطوعين، أما بحلول عام 1664م تضاعف العدد الكلي إلى ستة آلاف (6000)، ويعود السبب في ذلك إلى إنتشار وباء الطاعون الفتاك الذي اجتاحت الإيالة آنذاك، ثم ارتفع عدد المُجنّدين في مستوى الإيالة في العقود الأخيرة من القرن السابع عشر (17) ميلادي إلى اثنا عشر ألف (12000) من جنود الإنكشارية، وعليه يُمكن إرجاع هذه الزيادة في عدد المُجنّدين إلى عمليات التجنيد المستمرة والمكثفة للمتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية من قبل السلطة الحاكمة بالجزائر، وهذا في إطار صراعها العسكري المستمر والمتجدد مع جارتها إيالة تونس والمغرب الأقصى من أجل حماية حدودها الجغرافية².

3- أعداد المُجنّدين خلال القرن الثامن عشر (18) ميلادي:

شهدت إيالة الجزائر تراجع كبير في عدد المُجنّدين طوال القرن الثامن عشر (18) ميلادي، وذلك لعدة عوامل ذكرناها سابقًا لا داعي لتكرارها، لكن تجدر الإشارة إلى أمر مهم يتعلق بمدة التجنيد التي كان يقضيها المُجنّدين في الإيالة، حيث كانت تدوم لعشرة (10) سنوات ثم يختار المُجنّد على إثرها البقاء في إيالة الجزائر أو العودة إلى موطنه الأصلي بنفس الطريقة التي أتى بها أي عن طريق وكيل الجزائر، الذي يتكفل بدوره بإعادته مع إعطائه شهادة تقدير من قبل السلطة العثمانية بالجزائر بأنه سُرح من الخدمة (التجنيد)³، فقد ذكر في هذا الصدد لوجي دوتاسي (Laugier de Tassy) الذي تواجد في الإيالة عام 1724م بأن عدد المُجنّدين وصل إلى حوالي اثني عشر ألف (12000) جندي على مستوى الإيالة من

¹- Pierre Dan, Histoire de barbarie et de ses corsaires, seconde édition, Imprimeur & Libraire ordinaire du roi, au Palais, aux Armes du Roi & de la Ville, Paris, 1646, p.96.

²- أمين محرز، المرجع السابق، ص ص 28-29.

³- ذهبية بوشيبة، المرجع السابق، ص 370.

مختلف التشكيلات العسكرية النظامية وغير النظامية¹، ومن جهة أخرى نجد بأن الإحصاء الذي قام به الدكتور شاو (Shaw) كبير جداً، فقد ذكر أن عدد القوات العسكرية في إيالة الجزائر تقدر بشكل مختلف من خمسة وعشرون ألف (25000) أو ثلاثون ألف (30000) إلى مئة ألف (100000) جندي، أما فيما يخص عدد الإنكشارية في الجيش الجزائري قد بلغ سنة 1720م حوالي ستة عشرة ألف (16000) جندي، أما بقية القوات العسكرية فهم الجنود المتطوعين من القبائل المحلية أمثال: قبائل المخزن وقبائل زواوة².

4- أعداد المجندين خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر (19 ميلادي):

رأينا في القرون السابقة بأن عدد المجندين اختلف من قرن إلى آخر سواء بالإيجاب أو السلب، وكلما انخفض عدد المتطوعين عجزت السلطة العثمانية بالجزائر عن السيطرة على مختلف تمردات القبائل الراضية للسلطة العثمانية بالجزائر، والتي تحدث في الداخل بسبب نقص العنصر العسكري، حيث يذكر وليام شالر بأن عدد المجندين في جيش الإيالة قبل وصوله إلى الجزائر كان حوالي خمسة آلاف (5000) جندي وضابط، أما خلال تواجده ما بين (1816-1824م) فيذكر بأن العدد هبط إلى أربعة آلاف (4000) لأسباب معينة³، وإذا تمعنا جيداً على الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر (1810-1830) لوجدنا التكالب الأوروبي على الإيالة بشكل واسع، لهذا فقد عملت الإيالة على تجنيد المتطوعين بشكل سنوي من أجل التصدي لتلك الاعتداءات، وعليه فقد كان المجموع الكلي لعدد المجندين خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر (19 ميلادي) (1215هـ - 1245هـ / 1800-1830م) يتمثل في حوالي ثمانية آلاف وخمس مائة وثلاثة وثلاثون (8533) جندياً جديداً⁴، في حين يُمكن تقسيم هذا المجموع الكلي

¹- Laugier de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer et de ses revenus, police, justice, politique et commerce, Amsterdam, 1725.p.77.

²- Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Tr : de l'anglais J. Mac Caethy, chez Marlin éditeur, Paris, 1830, p.182.

³- وليام شالر، مذكرات وليام شالر فنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعر، تق: اسماعيل العربي، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1982، ص 51.

⁴- الأمير بوغدادة، "دور الأتراك العثمانيين في إنشاء مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة- الجيش أنموذجاً- (1520-1830)", السجل العلمي لأعمال الملتقى الدولي - العلاقات الجزائرية التركية-، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 18-19 فبراير 2014، ص 111.

للمُجندين خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر (19) ميلادي إلى ثلاث فترات زمنية¹، وهي على الجدول الموالي²:

الجدول رقم 1: يمثل عدد المُجندين المتطوعين بإيالة الجزائر خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر (19) ميلادي.

السنوات	1810 - 1801م	1820 - 1810م	1830 - 1820م
عدد الجنود المتطوعين بالجزائر	2264 مجنّدًا	4115 مجنّدًا	2154 مجنّدًا

من خلال الملاحظة السطحية للإحصائيات المبيّنة في الجدول أعلاه نجد بأنه خلال العقد الأول (1800-1810) من القرن التاسع عشر (19) ميلادي كان عدد المُجندين مُرتفع نسبيًا، ويمكن تفسير ذلك الارتفاع نظرًا لحالة الإيالة المستقرة نوعًا ما، أما فيما يخص العقد الثاني (1810-1820) فنجد أن عملية تجنيد المتطوعين قد تضاءلت لما كان عليه في العقد الأول، وهذا راجع على حسب اطلاعنا إلى حالة الطوارئ التي شهدتها الإيالة خلال هذه الفترة خاصة التحالفات الأوروبية أهمها الحلف السباعي سنة 1814م، وكذلك مؤتمر فيينا 1815م وإكس لاشابيل 1818م على التوالي، وما زاد الطينة بلة هي سياسة التصفية التي قام بها الداوي علي خوجا (1817-1818) ضد الإنكشارية، وهذا ما أدى بالداوي حسين باشا (1818-1830) إلى الزيادة في وتيرة عملية تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة، وهذا من أجل تغطية النقص الحاصل في عدد المُجندين بالإيالة، أما في العقد الثالث (1820-1830) فنجد أن عدد المُجندين قد تراجع بشكل كبير وهذا راجع حسب اطلاعنا إلى حساسية الفترة التي شهدت قيام حرب الحرب اليونانية - العثمانية من جهة وإلغاء السلطان محمود الثاني (1808-1839) للجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية من جهة أخرى، ومسألة هروب الجند من إيالة الجزائر وأخيرًا الحصار البحري المُطبق من طرف فرنسا

¹ مصطفى بن عمار، المرجع السابق، ص 104.

² جخدان بو عبد الله، سقوط الدولة العثمانية في الجزائر نهاية القرن 18 وبداية القرن 19، ط1، دار الأيام، عمان، الأردن، 2018، ص 73.

على إيالة الجزائر، والذي دام لقراءة ثلاث سنوات (1827-1830) الذي عرقل كما رأينا سابقاً وصول المُجندين الجُدد إلى الإيالة في الوقت المحدد.

ولتقريب الصورة أكثر فإنه قد توفرت لدينا مجموعة من الإحصائيات الخاصة بعدة بعثات لتجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية، ومنها بعثة انطلقت يوم 20 جمادى الأولى 1215هـ الموافق لـ 02 ديسمبر 1800م بأمر من الداوي مصطفى باشا (1798-1805) نحو جزيرة رودس، وبعثة أخرى مكونة من إثنان وعشرون موظفاً (22) صوب مدينة إزمير، وهذا لتجنيد المتطوعين، وعليه فقد عادت هذه البعثتين إلى الإيالة وهي تحمل على متن سفنها مئتان وتسعة وعشرون (229) جندي متطوع¹.

الجدول رقم 2: يمثل بعض الإحصائيات الخاصة بأعداد المُجندين من أقاليم الدولة العثمانية خلال سنوات العقد الثالث (1825-1830م) من القرن التاسع عشر (19) ميلادي².

عدد المجندين	السنة/ الهجرية والميلادية
518 جندي متطوع	1240 - 1241هـ / 1825م
565 جندي متطوع	1241 - 1242هـ / 1826م
354 جندي متطوع	1242هـ / 1827م
64 جندي متطوع	1244 - 1245هـ / 1829م
56 جندي متطوع	1245هـ / 1830م

وتعليقا على هذا الجدول الإحصائي لعدد المُجندين في الإيالة خلال الخمس سنوات الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر (1825-1830) نلاحظ بأن جُل المتطوعين كانوا من مدينة إزمير، وأعدادهم كانت مرتفعة خلال السنوات التالية: 1825، 1826م، أما بعد سنة 1827 نجد بأن أعداد المتطوعين لصالح الإيالة قد تراجعت بشكل ملحوظ، في حين يمكن إرجاع سبب ذلك بحسب اطلاعنا إلى الحصار البحري الذي فرض من طرف فرنسا على إيالة الجزائر، لكن رغم ذلك فإن عملية التجنيد لم تتوقف أبداً، كما ذكرنا سابقاً بأن آخر دفعة من المتطوعين حسب الوثائق الأرشيفية التي اطلعنا عليها تصل إلى إيالة الجزائر قادمة من الأناضول عبر تونس بتاريخ 19 ماي سنة 1830م، والتي ضمت حوالي تسعة وعشرون (29) جندي متطوع، مما يوحي لنا بأن القائمين على سياسة التجنيد بالجزائر على الرغم من العوامل الصعبة

¹ - سيدهم فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 39.

² - فتحة صحراوي، المرجع السابق، ص ص 67-73.

التي كانت تعيشها الإيالة في أيامها الأخيرة لكنها لم تستسلم بل عملت على تجنيد عناصر جديدة من أجل التصدي للحملة الفرنسية والدفعة الأخيرة التي وصلت قبل أشهر فقط من سقوط مدينة الجزائر خير دليل على ما نقول.

الفصل الثالث

الجيش النظامي وهياكله على مستوى

إيالة الجزائر

عند وصول المتطوعين إلى مدينة الجزائر يتم توزيعهم إلى مجموعة من الثكنات بعد أن قيدوا بالدفتر، وذلك بغية إعدادهم ضمن الجيش النظامي للإيالة، لهذا نطرح التساؤل التالي: ماهي الفرق النظامية للجيش الجزائري؟ وفيما تمثلت مهامهم العسكرية؟.

أولاً: فرقة الإنكشارية:

بعد أن تم تأسيس الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان بن أرطغرل (1280-1324)¹، سعى هذا الأخير وأبنة السلطان أورخان (1326-1360)² إلى البحث عن القوة العسكرية بإعتبارها العامل الرئيسي في حماية الدولة من جهة والتوسع الجغرافي لنشر الدين الإسلامي من جهة أخرى، وبهذا فقد أصبحت مؤسسة الجيش في الدولة العثمانية تمثل شريان رئيسي بالنسبة لكل أنظمة الدولة، وقد كانت لها الدور الفعّال في التوسعات العثمانية على قارات العالم الثلاث، في حين فقد كان يتوفر ذلك الجيش العثماني على فرقة عسكرية كانت تُدعى بالإنكشارية، وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية³: ما مفهوم الإنكشارية؟ وكيف تأسست؟ وفيما تمثلت تنظيماتها في الدولة العثمانية؟.

¹ - هو أول سلاطين بني عثمان والذي يعتبر المؤسس الفعلي للدولة العثمانية، حيث وُلد سنة 1258م، وقد بدأ حياته بالغزو على البيزنطيين وقد كانت الحدود البيزنطية مسرحاً لغزوات عثمان، ونتيجة لتلك الانتصارات فقد أبدى علاء الدين كيقباد سلطان دولة السلاجقة تقديره العميق لخدمات عثمان نظير انتصاراته المتوالية على البيزنطيين فأعطاه لقب "بك" وبالإضافة إلى هذا اللقب فقد حصل عثمان على أراضي كثيرة قد أقطعها له السلطان السلجوقي، حتى أنه سمح له بضرب العملة باسمه وذكر إسم عثمان في خطبة الجمعة في المساجد، وقد توفي عثمان عام 1324م تاركاً لأبنة أورخان إمارة مترامية الأطراف وجيشها الغازي في كل مكان في الأناضول... للمزيد راجع: تيسير جباره، تاريخ الدولة العثمانية (1280-1924م)، ط1، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، فلسطين، 2015، ص ص 29-33.

² - وهو ثاني سلاطين بني عثمان، والده هو عثمان غازي وأمه فهي السيدة مال خاتون إبنة الشيخ "أدبالي" المؤسس المعنوي للدولة العثمانية، وقد ولد سنة 1281م، حيث شارك "الغازي أورخان" في العديد من الغزوات وهو لا يزال في سن الشباب، وأهم عمل قام به أورخان في عهد والده السلطان عثمان هو فتحه لمدينة بورصة عام 1326م وتأسيس الجيش "بني تشيرلي" أي الجيش الإنكشاري، وعليه فقد توفي "السلطان أورخان غازي" عام 1359م، وقد دفن في ضريحه المسمى "كُمُوشلُو كُومبِت" في مدينة بورصة... للمزيد راجع: عثمان نوري طوباش، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة، تر: محمد حرب، ط1، دار الأرقم للنشر، إستانبول، تركيا، 2016، ص 39.

³ - أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السنة الجامعية: 2004، ص 02.

1-فرقة الإنكشارية: المفهوم والأصل:

1-1- مفهوم مُصطلح الإنكشارية:

1-1-1- لغة:

الإنكشارية مُصطلح يتكون من مقطعين صوتيين "يني" "Yeni" وتعني الجديد و"تشري" (çeri) وتعني العسكر، وعليه فإن المُصطلح في الإجمال "Yeni çeri" يعني العسكر الجديد أو الجيش الجديد¹، وتقرأ الكلمة على الوجه الصحيح "ينيجاري"، وعليه فقد قرأها الأزهريون بلفظ "إنكشاري"، وذلك لأنهم لم يُدركوا بأن حرف الكَّاف لا يُنطق وأن حرف الجيم هي "ch" باللغة الإنجليزية فقلبوها حرف الشين، ومن هذا المنظور فقد عمت كلمة انكشارية بدل ينيجاري في جُل الكتابات العربية المعاصرة².

1-1-2- اصطلاحا:

الإنكشارية هي عبارة عن جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان العثماني (1326-1360)، حيث اعتمد فيه على أبناء النصارى من البلقان بعد تنشئتهم على الدين الإسلامي، وقد كانت هذه الفرقة هي إحدى العوامل التي ساهمت في التوسعات العثمانية على مختلف القارات في بداية نشأته، فقد تمثلت مهمتهم الرئيسية عبر التاريخ العثماني في المحافظة على الأراضي التي يتم ضمها إلى الدولة العثمانية والقيام بالدفاع عنها، وبالتالي فهي تُعتبر من أبرز الهيئات التي شهدها العالم في العصر الحديث³، لكن في الفترة الأخيرة (1600-1800م) نجد بأن أخلاق هذه الفرقة العسكرية قد فسدت وتمرد أفرادها في الكثير من المرات على السلاطين العثمانيين مما أدى بالسلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) على إبادة أفرادها في الموقعة الخيرية سنة 1826م⁴.

¹ محمد عمر مروان، المرجع السابق، ص 321.

² نزار خالد تميم، تاريخ الصناعة العسكرية وأهميتها في الفتوحات الإسلامية، ط1، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، 2019، ص 187.

³ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 44.

⁴ محمد أحمد وهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1990، ص 25.

1-2- أصل فرقة الإنكشارية:

قبل الحديث عن فرقة الإنكشارية في الدولة العثمانية، يجب علينا العودة إلى الوراء قليلاً حتى نفهم السبب الذي أدى إلى تأسيس تلك الفرقة، وعليه فإن ذلك السبب يكمل في أن الجيش العثماني بعد تأسيس الدولة مباشرة كان يتشكل من شعوب وطوائف مختلفة، فصار من الصعب الاعتماد عليها في حماية الدولة¹، وضم عليه التحزب والتأثير الطائفي داخل مؤسسة الجيش الذي كان يُضعف من قوة ذلك الجيش وبالتالي تنشتت وحداته، وعليه فقد أصبح ذلك الأمر يُقلق سلاطين الدولة العثمانية الأوائل، وبالتالي نجد أن السلطان علاء الدين الشقيق الأكبر قد طرح هذا الموضوع على أخيه الأصغر السلطان أورخان (1326-1360)، وفي نفس الوقت كان للسلطان علاء الدين صديقاً حميماً وحكيماً يُدعى "قره خليل جندرلي"² فأشار عليه باختيار أطفال من أسرى الحرب في المعارك الدائرة على حدود الدولة العثمانية³، وذلك من خلال فصلهم عن كل ما يُذكرهم بجنسهم وأصلهم، وأن يُعَهَّد بهم إلى رجال أكفاء في التربية الإسلامية، وذلك بُغية تعليمهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وكذلك الحث على تدريبهم العسكري منذ الصغر وغرس روح الانتماء إلى الدولة العثمانية في نفوسهم، بحيث لا يعرفون أباً إلا السلطان العثماني، ولا حرفة إلا الجهاد، ولا هدف في الحياة إلا الشهادة في سبيل الله⁴.

فجدد أن السلطان علاء الدين قد أعجبه ذلك الرأي الذي وضع له عدم وجود أقارب لهؤلاء المُجندين من بين الأهالي، وبالتالي لا يخشى من تحزبهم، ورأى فيه كذلك مورداً بشرياً مُتجدداً لا يَنْضبُ أبداً، وهذا من خلال تجنيد فرق عسكرية يُسخرون عقولهم وأجسامهم في خدمة السلطان والدولة العثمانية في ميادين

¹ يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني، المؤسسة العسكرية العثمانية (دراسة تاريخية)، ط1، دار الحامد، عمان، الأردن، 2014، ص 67.

² هو المولى العالم الفاضل خليل الجندري، والمشتهر بين الناس بجندرلو قره خليل، وقد كان رحمه الله من طلبة المولى علاء الدين الأسود، وكان هو أول قاضي من قضاة العسكر في عهد السلطان أورخان... للمزيد من التفصيل حول هذه الشخصية راجع: طاشكبرى زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1975، ص 10.

³ محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 123.

⁴ محمد الطاهر سحري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2008، ص ص 44-43.

القتال بهدف التوسع الإقليمي¹، الأمر الذي حثَّ السلطان أورخان (1326-1360) من أجل الموافقة على ذلك الاقتراح، وبالتالي فقد عَجَّل في تطبيقه على أرض الواقع².

إن الدولة العثمانية دولة إسلامية على حسب اطلاعنا، لهذا فقد عملت منذ نشأتها على الإرتباط بالطرق الصوفية كمظهر إسلامي، وبالتحديد في سنة 1326م جمع السلطان أورخان عدد من أطفال عائلات النصارى الذين تم غزوهم، حيث تراوحت أعمارهم ما بين 10-20 سنة³، ثم سار بهم إلى الحاج بكطاش (Hadji Beytarch)⁴ شيخ الطريقة الصوفية البكتاشية أو ما تُعرف كذلك بتسمية البكتاشية بأماسيا (d'amassia)، وبالتحديد في منطقة تسمى "سولوجا كارا أويوك" (souloudja-cara- ouyuk)⁵، وقد طلب السلطان أورخان (1326-1360) من الشيخ بكطاش أن يُبارك لهذه الفرقة، وأن يطلق عليها اسماً، وفي الأخير استجاب الشيخ لطلب السلطان، فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال فليكن إسمهم "يني تشاري" (Yeni tacheri)⁶، ثم أتى بأحد الجنود الجدد، ووضع إحدى يديه على رأس ذلك الجندي وتلى الدعاء التالي: " جعل الله وجوههم في بياض دائم، ويدهم قوية وصلبة، وسهامهم دقيقة وقاتلة"⁷، ومنذ ذلك الوقت أصبح يُطلق عليهم إسم "جنود البكتاشية" وأحياناً أخرى "أبناء الحاج بكطاش"⁸، في حين فقد حمل قادة الإنكشارية في الدولة العثمانية خلال تلك الفترة من تأسيسها لقب "أغايات بكتاشيان"، وهذا تكريماً للشيخ بكطاش، واعتبروه الأب الروحي لهم⁹، وقد تزامن هذا التأسيس مع بداية التاريخ العثماني

¹ - محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013، ص 35.

² - نعمة مصطفى أحمد، النظام الحربي في الدولة العثمانية (1298-1908)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة النيلين، السودان، السنة الجامعية: 2017، ص 36.

³ - إدوارد شيفرد كرسى، تاريخ الأتراك العثمانيين، تر: أحمد سالم سالم، ط1، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، الدوحة، قطر، 2019، ص 45.

⁴ - الشيخ بكطاش صاحب الطريقة المشهورة البكتاشية التي كانت منتشرة في خلال القرن الرابع عشر (14) ميلادي، حيث اصطحب السلطان أورخان (1326-1360) آلاف من الأطفال وتوجه بهم إلى الحاج بكطاش من أجل أن يُبارك الجيش الجديد... للمزيد راجع: أماني بنت جعفرين صالح الغازي، المرجع السابق، ص 34.

⁵ - A. Djevad Bey, état militaire ottoman depuis la fontion de l'empire jusqu'à nos jours, tr du turc : Georges Macridés, ernest leroux éditeur, paris, 1882, p.24.

⁶ - Nahum Weissmann, Les Janissaires étude de l'organisation militaire des ottomans, Thèse pour le doctorat d'université présentée à la faculté des lettres de Paris, Paris, 1983, p.15.

⁷ - A. Djevad Bey, op.cit, p.25.

⁸ - فهيمة عمريوي، الجيش الإنكشاري...، المرجع السابق، ص 35.

⁹ - A. Djevad Bey, op.cit, p.25.

أي في مستهل القرن الرابع عشر (14) ميلادي أي بعدما تمكنت عشيرة السلطان أورخان (1326-1360) من التمرکز في المنطقة الواقعة على طول شمال وغرب بحر إيجيه (بلاد الأناضول)¹.

يُلاحظ من خلال القراءة الدقيقة في المصادر التاريخية المتعلقة بتأسيس الجيش الإنكشاري أن السلطان أورخان (1326-1360) هو المؤسس الحقيقي لفرقة الإنكشارية وبالتالي باعث أركان الجيش الجديد في الدولة العثمانية، حيث كان الهدف من تأسيس تلك القوات العسكرية الجديدة هو إصلاح التنظيم العسكري المُعيب الذي رافق تأسيس الجيش العثماني منذ قيام أركان الدولة العثمانية² وفي نفس الوقت فإن فرقة الإنكشارية قد اعتبرت أول جيش نظامي دائم في العالم بالمفهوم الحديث، وهذا بالنظر إلى أن الدول الأوروبية لم تُشكل جيشًا نظاميًا بعد في ذلك الوقت³، وعليه فقد أُعتبر الجيش الإنكشاري سلاحًا رهيبًا في أيدي العثمانيين ولفترات طويلة من الزمن، حيث بلغ عددهم في عهد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح (1451-1481) حوالي عَشْرُونَ ألفًا (20000)⁴.

1-3- قانون السلطان مراد الأول لتنظيم فرقة الإنكشارية:

لقد علمنا سابقًا بأن السلطان أورخان (1326-1360) هو المؤسس الحقيقي للإنكشارية⁵، لكن من ضبط سلوك هذه الفرقة وفق تنظيم عسكري مُحكم هو ابنة وخليفته من بعده السلطان مراد الأول (1362-1389)، وذلك بوضع قانون عسكري يضم حوالي أربعة عشر (14) مادة والتي بدورها أسست العقيدة العسكرية للجيش الإنكشاري وهي على النحو التالي:

- الطاعة التامة لقادة الجيش.
- وحدة الصف والإقامة.

¹- Charles-André Blain, Questions de sources : les janissaires ottomans dans les récits de voyage européens au XVIIIe siècle, Mémoire grade de de maître ès arts en histoire, Département d'histoire Faculté des arts et des sciences, Université de Montréal, 2017, p.27.

²- L. Collas, op.cit, p.23.

³- A. Djevad Bey, op.cit, p.25.

⁴- L. Collas, op.cit, p.23.

⁵- من أغرب عادات الإنكشارية احترامهم وتقديرهم للقدور الخشبية التي يتناولون فيها الطعام، فكانوا يحملونها معهم وقت الحرب ويدافعون عنها كأعلامهم، وإذا ضاعت في القتال فذلك يعتبر إهانة كبيرة تلحق بصاحبها الذل والعار، أما إذا أرادوا التعبير عن استيائهم من أوامر رؤسائهم أو عن نيتهم في عمل من الأعمال فكانوا يقلبون تلك القدور أمام ثكناتهم... للمزيد راجع: نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية، ط1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص 22.

- البُعد عن البذخ وكل الأمور التي تُشِين الإنكشاري.
- الإرتباط التام بالشريعة الإسلامية عامة وبالطريقة البكداشية خاصة¹.
- عدم قبول الغير مُجندين عن طريق الدفشومة.
- حُصوية الإعدام بالنسبة للإنكشاري.
- الترقية في المناصب العسكرية يكون حسب الأقدمية.
- لا يُعاقب الإنكشاري إلا من طرف قائده.
- يجب على الإنكشاري أن يُحلق ذقنه لأن اللحية من حقّ الأحرار فقط.
- منع الزواج على الإنكشاري.
- لا يحق للإنكشاري الابتعاد عن الثكنة.
- لا يجوز للإنكشاري أن يحترف أي مهنة.
- يُمضي الإنكشاري جُل أوقاته في التدريب على القتال.
- يُحال الجندي الإنكشاري المُعاق على التقاعد مباشرة².

1-4- نظام الدفشومة:

لقد رأت الدولة العثمانية أن اعتمادها على أبناء القبيلة الواحدة في بناء جيشها خطوة فيها الكثير من المخاطرة، وهذا راجع للنظرة التي كانت راسخة في أذهان الجنود في ذلك الوقت، وهي عبارة عن نظرة خاوية من الولاء تجاه الدولة، وهذا ما جعلها تبحث عن عنصر بديل يخرجها من ذاك الهاجس المخيف، فعمدت إلى استرقاق أطفال النصارى من أوروبا ضمن غنائم بشرية، وبالتالي جعلهم عبيدًا للسلطان من خُمسه 5/1، ثم جعلهم جنودًا وقوامًا للجيش العثماني³.

وقد تمت تلك القفزة النوعية في مؤسسة الجيش العثماني بعدما انتقل بني عثمان إلى الأراضي الأوروبية خلال عهد السلطان مراد الأول (1362-1389)، وبالتالي تضاعفت فتوحاتهم في منطقة الرُّوملي مما أثرهم إلى زيادة حاجتهم إلى الجنود، فتجهوا لأجل ذلك إلى الاستفادة من أسرى الحرب بموجب قانون

¹ - زهيرة سحابات، المرجع السابق، ص 90.

² - عمر جبيري، "العقيدة العسكرية للجيش العثماني في الجزائر من خلال نظام الدفشومة أنموذجا (1518-1830)"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 05، ع09، جوان 2019، ص 49.

³ - طلال بن خالد الطريفي، "ضريبة الغلمان (الدوشومة) في عصر الدولة العثمانية"، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع38، السنة 2019، ص 104.

عُرف بإسم " ينجيك قانوني" أي قانون الخمس، الذي يحتمل أنه قد صدر سنة 1363م، الذي كان ينص على أن تحصل الدولة العثمانية على خمس 1/5 أسرى الحرب حسب الشريعة الإسلامية مقابل الضريبة المُستحقة عليهم¹، وبعدها كانوا ينتهوا من جمع الأطفال يقومون بعدها بتنظيمهم في قوافل يتراوح عدد أفرادها بين مائة إلى مائتين (100-200) غُلام، بحيث كان يتم فحصهم لأول مرة قبل إرسالهم إلى المركز، وبعدها تُجرى لهم عملية الختان باعتبار أنهم من المسيحيين، ثم يُقسموا على شكل مجموعات منها ما يخدم في السراي² والبعض الآخر في الجيش العثماني³.

ثم من بعدها مباشرة ظهر نظام الدفشمرة (دوشرمة)⁴ أو ما يُعرف بضريبة الغلمان، والذي يعني جمع أبناء النصارى كل خمس (05) سنوات ثم تقلصت الفترة إلى ثلاث (03) سنوات ثم إلى سنتين (02) ثم أصبحت تتم كل سنة⁵، وعادة ما ترتبط بالحاجة إليها، وذلك بناءً على عدد أفراد الجيش ومن ينخرطون في الخدمة من فئة الدفشمرة للدولة في مجالاتها التي تطورت مع الوقت، ولم تكن هناك أعداد معينة يفترض على المُؤكّلين بالضريبة جلبها، غير أنها في العُموّم تتراوح بين خمسة آلاف (5000) إلى ستة آلاف (6000) أحياناً، وفي بعض السنوات يصل العدد ما بين ثمانية آلاف (8000) إلى اثني عشر ألفاً (12000)⁶.

وقد كانت تتم تلك العملية في المناطق والأقاليم النصرانية التابعة للدولة العثمانية مثل: اليونان، مقدونيا، ألبانيا، صربيا، بلغاريا، البوسنة والهرسك، وأرمينيا، وجزيرتي رودس وكريت⁷، وعليه فإن عملية التجنيد كانت تتم بعد إصدار السلطان العثماني لفرمان ينص على ذلك، بحيث يُكلف ضابط في الجيش

¹ - حنيفي هلايلي، " أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الإنكشاري في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 09، ع03، ديسمبر 2018، ص 62.

² - وتعني في اللغة القصر والبيت الفخم، وقد أطلقت إصطلاحاً على القصور السلطانية في العهد العثماني، وكذلك على البلاط وقصر الحكم وقصر العدل. راجع: حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 113.

³ - أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص ص 36-37.

⁴ - بفتح الدال وسكون الواو وكسر الشين، بمعنى الجمع والإقتطاف، وتطلق على جمع الجند وإحضارهم لأداء الخدمة العسكرية في الجيش العثماني، وقد استخدمت الكلمة صفة الجُندي المجلوب، ويتمثل في جمع الفتيان من رعايا النصارى اللذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة أو العاشرة إلى العشرون سنة (08-20)، وتتوفر فيهم اللياقة البدنية والمهارة، وقد كان في أول الأمر يجلبون من ألبانيا واليونان وبلغاريا والصرب والبوسنة والهرسك والمجر. راجع: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2004، ص 60.

⁵ - زهيرة سحابات، المرجع السابق، ص 91.

⁶ - طلال بن خالد الطريفي، المرجع السابق، ص 131.

⁷ - ذهبية بوشيبية، المرجع السابق، ص 361.

الإنكشاري برتبة " ياباشي" بالسهر على جمع أبناء النصارى الذين تتراوح أعمارهم ما بين عشر وخمسة عشر (10-15) سنة ليختار أقواهم من ناحية البنية الجسدية والصحة النفسية وبالتالي أصلحهم للخدمة العسكرية¹، في حين كان يتم تدوين أسماء أولئك الصبية في دفتر خاص يُسجل فيه أوصافهم وأشكالهم بأدق التفاصيل، وأسماءهم النصرانية واسم والد كل غلام، والقرية التي ينتمي إليها، في حين فقد كان يحرص المندوب كل الحرص على أخذ أبناء العائلات الأصلية في المدن والقرى²، وعليه فقد كانت عملية جمع هؤلاء الصبية النصارى وفق مجموعة من الشروط كانت قد أقرتها الدولة العثمانية للضريبة وفي الغالب وفق ما يلي:

- 1- ألا يكون الطفل وحيد والديه.
- 2- ألا يكون ممن يمتنون رعاية البقر والمواشي.
- 3- ألا يكون مختوناً.
- 4- ألا يسبق له أن زار استانبول.
- 5- ألا يكون أمرد.
- 6- ألا يعرف التحدث باللغة التركية (العثمانية).
- 7- ألا يكون بالطويل جداً ولا بالقصير جداً.
- 8- ألا يكون أصلح.
- 9- ألا يكون ابناً لمختار القرية.
- 10- ألا يكون يهودياً³.

غير أن هذا النظام فقد فاعليته بدأ من سنة 1568م، وهذا عندما سُمح لأبناء الإنكشارية المتقاعدين بالدخول في صفوف فرقة الإنكشارية، وبعد سنة 1594م فقد سُمح كذلك للعناصر المسلمة بالدخول في هذا النظام شريطة تمتعهم باللياقة البدنية⁴، لكن مع نهاية القرن السابع عشر (17) ميلادي وبالتحديد سنة

¹ حنيفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 10.

² طلال بن خالد الطريفي، المرجع السابق، ص ص 136-137.

³ المرجع نفسه ص 137.

⁴ فهيمة عمريوي، الجيش الإنكشاري...، المرجع السابق، ص 35.

1676م، وذلك خلال عهد السلطان محمد الرابع (1648-1687)¹ اضطرت الدولة العثمانية التخلي عن نظام الدفشمرة بسبب المصاعب المالية التي عرفتها الدولة في ذلك الوقت، ليحل محله نظام التجنيد عن طريق التطوع².

2-تنظيم فرقة الانكشارية في إيالة الجزائر:

عند وصول المتطوعين الجدد إلى مدينة الجزائر كما ذكرنا سابقًا، يتم تسجيلهم في دفتر خاص بالجند، وذلك بتدوين جميع المعلومات المتعلقة بالمتطوع الجديد³، وبعد عملية التسجيل يُعطى للانكشاري الجديد رقم خاص يُشير إلى الوجود الذي ينتمي إليه⁴، ويُبصم على الوجه الخلفي من ذراعه الأيسر علامة تدل على إنتمائه إلى وحدات الأوجاق⁵، والبالغ عددها حوالي أربعمئة وأربعة وعشرون (424) ووجاقًا، وتضم كل وحدة من الأوجاق في المتوسط حوالي ثلاثون (30) جندي، وهذه أمثلة عن عدد الجنود على مستوى تلك الوحدات، مثل: الأوجاق رقم مئة وستة وخمسون (156) الذي يضم من واحد وعشرون (21) إلى ثلاثون (30) جندي أما الأوجاق رقم مئة وأربعة وثلاثون (134) فيضم من إحدى عشر (11) إلى عشرون (20) جندي، وبصفة عامة فإن أغلب هذه الأوجاق كانت تضم من إحدى عشر (11) إلى أربعون (40) جندي مع وجود بعض الاستثناءات، مثل الأوجاق رقم ثلاثمئة وسبعة وأربعون (347) الذي يضم حوالي عشرة (10) جنود فقط، والأوجاق رقم ثلاثمئة وخمسة وعشرون (325) الذي يضم مئتان وثمانية وثلاثون (238) جندياً⁶.

ثم كانت تأتي من بعدها المرحلة الأخيرة في عملية تسجيل أولئك المتطوعين، وذلك بتوزيعهم على مجموعة من الثكنات الموجودة على مستوى مدينة الجزائر، وفي هذا الصدد سوف نقوم بدراسة أماكن

¹ - هو السلطان التاسع عشر في قائمة السلاطين العثمانيين، تولى الحكم ما بين (1648-1687)، في عهده قامت ثورة في الأناضول بزعامة رجل يعرف بإسم " قاطرجي أوغلي" والتي تعني سائق البغال ...للمزيد راجع: محمود شاکر، التاريخ الإسلامي، ج8، العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص ص 133-134.

² - عمر جبيري، المرجع السابق، ص ص 49-50.

³ - أما فيما يتعلق بتجنيد الجنود المتطوعين في الجيش البحري (البحرية الجزائرية) فهو خاضع لرغبة المتطوعين الجدد، حيث تذهب مجموعة منهم إلى التجنيد في صفوف البحرية، وفي هذا الصدد نجد ما ذكره حمدان خوجا حول هذا الموضوع فقال: "... يستطيع الجندي التركي أن ينخرط في صفوف البحرية تدفعه إلى ذلك مصلحته الشخصية وتساؤه تربيته والصدف في بعض الأحيان...". راجع: حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 81.

⁴ - M.Walsin Esterhazy, op.cit, p.232.

⁵ - وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 56.

⁶ - Nahum Weissmann, op.cit, p.p.62-63.

الإقامة لأولئك المُجندين الجُدد في الإيالة وغيرها من التساؤلات التي تطرأ علينا وهذا وفق ما يلي: فيما تتمثل هذه الثكنات؟ وكيف كانت تتم ترقيتهم؟ وماهي قيمة الرواتب التي يُحصلونها نظير المهام المُكلفون بها؟.

2-1- ثكنات الإنكشارية:

لقد تم توزيع المُجندين الجدد على مستوى الثكنات¹ أو ما يُسمى بدار الإنكشارية أو دار العسكر أو القشلا (kışla) باللغة التركية²، وعليه فقد كانت مدينة الجزائر مركزاً للإنكشارية أي بمثابة مدينة للعسكر، ولم يكن للمدينة إلا أن تتخذ طابعاً عسكرياً كونها موضع تنظيم مُحكم³، وحسب اطلاعنا على المصادر التي عايشت تلك الفترة، فإنها تذكر بأن جُل تلك الثكنات التي كانت موجودة في مدينة الجزائر قد غُلب عليها الطابع المعماري العثماني، الذي يتميز بكونه يُبنى على طابقين السفلي والعلوي⁴، وتتوسط كل ثكنة مجاري مائية (نافورة) كان يستعملها الجُنود للنظافة والوضوء، بحيث تتوفر كل ثكنة على مسجد وفيه شيخ إمام ليُصلي بالمُجندين، كما تتوفر الثكنة كذلك على مُدرساً كان يُعلم المُجندين الجُدد مبادئ القراءة والكتابة، وكذلك فإنه يُعد بمثابة واعظاً يُرشدهم ويُدكرهم بواجباتهم الدينية، وعليه فإن كل تلك الأمور كانت تتم في بيئة عسكرية شديدة الصرامة تجاه القوانين⁵، وفي هذا الصدد يذكر حمدان بن عثمان خوجة فيقول: "...

1 - جمع ثكنة، وهي عبارة عن بنايات دائمية وقد تم إنشاءها خصيصاً لإسكان الفرق العسكرية النظامية لأي دولة من الدول، وهذا منذ القدم إلى غاية يومنا هذا، من أجل الحفاظ على الجاهزية العسكرية لهذه الفرق في أي وقت من الأوقات... للمزيد راجع: سامي عوض، مُعجم المصطلحات العسكرية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015، ص 151.

2- حنفي هلايلي، أضواء جديدة...، المرجع السابق، ص 66.

3- العربي إيشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر: جناح مسعود، مرا: حاج مسعود، دار القصبّة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 35-36.

4- نجد الوصف الكامل للثكنات من خلال ما جاء به "تال شوفال" في دراسته عن مدينة الجزائر، فذكر بأن كل الثكنات كانت تحتوي على نفس المخطط العمراني، وهذا من خلال احتوائها على غرف مفتوحة على الجوانب الأربعة، وتتألف هذه الثكنات في العادة من طابقين، وأحياناً إلى ثلاثة طوابق، وكانت تتوجد أيضاً مقاعد مغطاة بالحصير، حيث كان الجنود يجلسون عليها لتدخين غليونهم أثناء تناول القهوة على فترات منتظمة... للمزيد راجع:

- Tal Shuval, la ville d'alger vers la fin du XVIIIe siècle. Population et cadre urbain, CNRS Édition, Paris, 1998, p.90.

5- شهرزاد شليبي، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني المؤسسات المالية أنموذجاً (1798-1830م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخصر، باتنة 01، السنة الجامعية: 2018/2019، ص 51.

يسكن الجنود أو الميليشيا التركية، في الثكنات تحت إشراف قوادهم، كل غرفة تحمل رقماً، ويسير كل كتيبة ثلاث قواد، إسم الأول بولكباشي والثاني أوضاباشي والثالث باش يولداش، وعندما يتغيب أحدهم يستخلفه الآخر ويتولى تطبيق الانضباط...¹.

وحسب كاتكارت الذي يذكر بأنه لم يكن يُسمح لأولئك الجنود الجُدد بالخروج من الثكنات باستثناء يوم الخميس، ويكون ذلك تحت مراقبة الحرس، في حين كان الجنود العُزاب يعيشون في الثكنات أما بخصوص الجنود المتزوجون فإنهم يعيشون في بيوتهم مع أسرهم في المدينة²، حيث كان يخضع أولئك المُجندين الجُدد للتجارب والتدريبات العسكرية وتلقين بعض القوانين الانضباطية الصارمة من أجل تكوين فرقة عسكرية كاملة الجَاهزية سواء ما تعلق الأمر بالعامل البدني أو النفسي للمُجندين على حد سواء³.

من خلال ما تم ذكره يجب التنويه بأن الصرامة والانضباط من العناصر المهمة التي يجب أن تقوم عليها الخدمة العسكرية سواء داخل الثكنات أو خارجها، لهذا نجد بأن السلطة الحاكمة بالجزائر قد سعت منذ الوهلة الأولى إلى تطبيقه في شكل قوانين عسكرية لا ينبغي على الإنكشاري المرور من فوقها، وفي هذا الصدد فقد صدر حكم همايوني بتاريخ 985هـ الموافق لـ (1577م) بشأن تنظيم فرقة الإنكشارية، وهذا من خلال جُملة من الأمور وذلك بعدم السماح لهم بالتصرف بشكل فردي، ويجب عليهم أيضا التحلي بالآداب، وكذلك عدم التفوه بالكلمات النابية على مستوى الديوان⁴، ومن المميزات التي عرفتتها ثكنات الإنكشارية في مدينة الجزائر هي شدة اتساعها ونظافتها وهذا من خلال أن المنظومة العسكرية كانت قد سخرت لها مجموعة من الأسرى الأوروبيون ليقوموا بتنظيفها دائماً بشكل دوري⁵، وقد أشار "قانتور دي بارادي" بأن أولئك الأسرى الأوروبيين كانوا يُعاملوا كرفاق من قبل جنود الإنكشارية وليس كونهم خدماً⁶.

أما فيما يخص أعداد هذه الثكنات فقد اختلف في تحديدها من مصدر لآخر، وهذا على حسب الفترات الزمنية حيث يذكر "هايدو" بأنه خلال القرن السابع عشر (17) ميلادي احتوت مدينة الجزائر على

1- حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 82.

2- جيمس لاندر كاتكارت، المصدر السابق، ص 100.

3- جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص 126.

4- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 30، صحيفة 183، حكم رقم 430، التاريخ: 985هـ.

5- محمد بوشنافي، الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص 88.

6- Venture de Paradis, op.cit, p.p.83-84.

خمس(05) ثكنات عسكرية كبيرة ثلاثة منها على الأقل تحتوي على ستمائة(600) جندي أو أكثر وهذا إلى جانب وجود ثكنتين(02) صغيرتين¹، أما خلال بدايات القرن الثامن عشر(18) ميلادي فيقدها الطبيب وعالم النبات الألماني هابنسترايت إلى ثماني ثكنات لإقامة الجنود²، أما فيما يخص أواخر القرن الثامن عشر(18) ميلادي نجد أن الدبلوماسي الفرنسي " فاننور دي بارادي يذكر بأن عددها قد تراوح ما بين سبعة(07) إلى ثماني(08) ثكنات³، أما الأسير كاتكارت فإنه يُرجعها بدوره إلى ستة (06) ثكنات عسكرية خاصة بالجنود الإنكشارية العُزاب⁴، ومهما يكن نسبة الاختلاف في العدد فإنها قد تواجدت مجموعة من الثكنات العسكرية على مستوى مدينة الجزائر وهي على الشكل التالي:

2-1-1- ثكنة المقرين:

تقع ثكنة المقرين بالقرب من البحر بين باب البحر وباب الوادي في شارع سُميّ خلال الإحتلال الفرنسي مقرون، وقد كان بجوارها مسجد شيده الداوي عبدي باشا(1724-1733) وبه حفظة القرآن الكريم يتلون فيه آيات من الذكر الحكيم خاصة في المناسبات والأعياد الدينية، وتعني كلمة مقرّر باللغة العربية " مقرئي القرآن الكريم"⁵، وقد قيل كذلك بأنها سميت بإسم "ثكنة المكارون" لأنه كان يسكنها الجنود الكبار في السن الذين ليس لديهم أسنان لهضم المأكولات الصلبة وبالتالي فقد كانوا يأكلون المكرونة بشكل مستمر في هذه الثكنة⁶، ومهما يكون سبب التسمية، فقد كانت تشتمل هذه الثكنة على حوالي سبعة وعشرون(27) غرفة يسكنها ثمان مئة وتسعة وتسعون (899) جندي، وهي تضم بذلك ثمانية وأربعون(48) أوجاقاً⁷.

2-1-2- ثكنة باب عزون:

لقد كانت ثكنة باب عزون تُسمى بتسمية أخرى وهي "الثكنة الكبيرة"، حيث كان موضع تشييدها بشوارع باب عزون ليس ببعيد عن رحبة الحُبوب، وهي أقرب ثكنات هذه الناحية إلى باب المدينة، ويعود

¹ -De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.69.

² -ج.أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني:ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر.تق.تع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، (د.ت)، ص 30.

³ - Venture de Paradis, op.cit, p.83.

⁴ - جيمس لاندر كاتكارت، المصدر السابق، ص 100.

⁵ - ميمم داود، الثكنات الإنكشارية بمدينة الجزائر دراسة تاريخية ومعمارية وفنية - الثكنات العليا والسفلى نموذجاً-، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2007/2008، ص 54.

⁶ -Berbrugger .A , « Les casernes des Janissaires à Alger », in R.A, N°03, Alger, 1858, p.135.

⁷ - علي العبيدي وآخرون، صفحات من تاريخ الجزائر (الوسيط/الحديث/المعاصر) دراسات تاريخية، ج1، ط1، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2020، ص 314.

تاريخ بناءها إلى عهد البيلرباي حسن بن خير الدين باشا (1544-1552)، وبالتحديد في سنة 1551م على يد السيد "محمد بن مصطفى" وهذا مكان يوضحه نص الكتابة التذكارية التي كانت تعلوا مدخل الثكنة¹، في حين فقد كانت هذه الثكنة تحتوي على عدد كبير من الجنود العُزاب، الذين كانوا دائما سباقين إلى إحداث الثورات على السلطة العثمانية بالجزائر دون غيرها من الثكنات²، وحسب داني فإن ثكنة باب عزون كانت تحتوي على ثمانية وعشرون (28) غرفة يقطن فيها حوالي ألف وستمئة وواحد وستون (1661) جندي³.

2-1-3- ثكنة صالح باشا و ثكنة علي باشا:

لقد كان يُطلق على هذه الثكنتين تسمية ثكنة الخراطين لوجودهما في شارع يكثر فيه دكاكين الخراطة، وتذكر المصادر بأن ثكنة الخراطين هي أقدم ثكنة أنشأت في مدينة الجزائر، حيث تم بناءها من طرف خير الدين بربروس (1519-1535)⁴، أما سكان مدينة الجزائر فكانوا يُطلقون عليهما إسم باب الصخرية لإلتصاق الثكنتين ببعضهما البعض، حيث كانت تحتوي ثكنة صالح باشا على ستة وعشرون (26) غرفة وقد كان يسكنها حوالي ألف ومئتان وستة وستون (1266) جندي وهم يشكلون بذلك ستون (60) أوجاقًا، أما ثكنة علي باشا فيوجد بها أربعة وعشرون (24) غرفة، يسكنها ألف وخمسمائة وستة عشر (1516) جندي ويشكلون بذلك خمسون (50) أوجاقًا⁵.

2-1-4- ثكنة أوسطى موسى:

عُرِفَت هذه الثكنة بهذه التسمية نسبة إلى المعماري الشهير المعلم موسى اللاجئ الأندلسي الذي كانت له إنجازات عمرانية عديدة على مستوى مدينة الجزائر⁶، وقد سميت كذلك بباب الجزيرة لقربها من

¹- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2017/2018، ص 252.

² - Berbrugger .A, Les casernes..., op.cit, p.133.

³- Deny.J, « les registres de solde des janissaires conservés à la bibliothèque nationale d'alger», in R.A, N°61, Alger, 1920, p.219.

⁴- Berbrugger .A, Les casernes..., op.cit, p.135.

⁵- علي العبيدي وآخرون، المرجع السابق، ص 314.

⁶- ميمم داود، الثكنات...، المرجع السابق، ص 56.

البحر¹، ولم تتوفر حولها معلومات سوى أنها احتوت على واحد وثلاثون (31) غرفة، حيث كان يسكنها ألف وثمان مائة وثلاثة وثلاثون (1833) جندي يُكوّنون إثنان وسبعون (72) أوجاقاً².

2-1-5- ثكنة يالي:

ثكنة يالي، أو شاطئ البحر، وقد كانت تقع قرب ثكنة أوسطى موسى وتسمى كذلك الثكنة متاع الدروج، وقد اتخذت هذه التسمية لأنه كان يتم الدخول إليها بعد صعود مجموعة من الدُروج، وتحمل عدد من التسميات منها: ثكنة "يالي" بمعنى السفلى، و"ثكنة" القناصل لأنها كانت تقع مقابل الشارع الذي يكثر فيه مقر إقامة قناصل الدول الأوروبية، وتعد كذلك من أصغر الثكنات في مدينة الجزائر³، حيث أنها احتوت على خمسة عشرة (15) غرفة تضم سبعة عشر (17) أوجاقاً⁴، بحيث كان يُقدر العدد الإجمالي للجُنود القاطنين بها إلى ستمائة وإثنان (602) جندي⁵.

2-1-6- ثكنة إسكي (القديمة) و ثكنة يني (الجديدة):

لقد كانت هاتين الثكنتين مُتلاصقتين ببعضهما البعض وهما الثكنة القديمة (إسكي) والتي يطلق عليها أحيانا إسم "الفوقانية" أي العليا، حيث تحتوي هذه الثكنة على واحد وثلاثون (31) غرفة يُقيم فيها حوالي ألف وتسعة وثمانون (1089) جندي وهم بذلك يُشكلون ستون (60) أوجاقاً⁶، أما الثكنة الجديدة فإنه كان يُطلق عليها تسمية "التحتانية" أو السفلى أنها وتقع تحت الثكنة القديمة، وتحتوي على تسعة عشرة (19) غرفة وتضم ثمان مئة وستة وخمسون (856) جندي، وهم موزعون على ثمانية وثلاثون (38) أوجاقاً⁷.

من خلال ما تم التطرق إليه يُمكننا تفسير اختلاف المصادر حول عدد هذه الثكنات إلى أن بعض تلك المصادر الأجنبية كانت تقوم بجمع الثكنتين المُتلاصقتين على أساس ثكنة واحدة، وذلك لشدة التلاصق

¹ - Devoulx, A. « Les casernes des Janissaires à Alger », in R.A, N°03, Alger, 1858, p.p.145-146.

² -Deny.J, op.cit, p.221.

³ - محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص 225.

⁴ - علي العبيدي وآخرون، المرجع السابق، ص 315.

⁵ - Deny.J, op.cit, p. 221.

⁶ - هجيرة غراف، السلطة والمؤسسة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1671م)، أطروحة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران 01، السنة الجامعية: 2020/2021، ص 186.

⁷ - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببابلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2008/2007، ص 22.

الموجود بينهما مثل تكنة صالح باشا وعلي باشا، أما التفسير الثاني وهو يتعلق بزمن بناء هذه الثكنات ونعني بالذكر هنا المصادر الأجنبية المتقدمة فإنها تذكر فقط الثكنات التي عاصرتها مثل هايدو، لكن عند الرجوع إلى المصادر المتأخرة فنجد أنها تزيد في عدد هذه الثكنات مثل ما ذهب إليه الدبلوماسي الفرنسي فاننوري دي بارادي، والأسير كاثكارت.

2-2- رتب الإنكشارية ونظام الترقية:

يعتبر نظام الترقية والصعود في الرتب العسكرية لدى فرقة الإنكشارية في إيالة الجزائر من أسهل الترقيات العسكرية في تلك الفترة لأنه كان يتم بمبدأ أقدمية التسجيل في دفتر الجند، أي حسب تسجيل الجنود في سجل الجرائية، وحتى لا ننسى كذلك أن عامل الأقدمية ليس بكافي بل يجب أن يتوفر معه مجموعة من العوامل الأخرى التي لا تقل أهمية مثل: الانضباط والكفاءة والتفاني في أداء الواجب العسكري على وجه الدقة¹، وحسب ما تُفيد به المصادر التاريخية فقد كان نظام التدرج في الرتب العسكرية يسير وفق ما يلي:

2-2-1- الیولداش:

وهو الجندي البسيط في فرقة الإنكشارية²، والمُصطلح هو عبارة عن كلمة عثمانية مركبة من كلمتين: يُول وتعني الطريق أو الدرب، وداش الدالة على الرفيق، وبالتالي يتضح لنا معنى الكلمتين: رفيق الطريق³ أو رفيق السفر⁴، وهو الاسم الذي كان يُعرف به الإنكشاري عندما يكون جندي بلا رتبة⁵، وبهذا فإنه يدل على الجندي البسيط الذي كان ينشط في البحر والبر على حد سواء⁶، وتبدأ أجرة الجندي الإنكشاري في هذه الرتبة من ثلاثة (03) إلى أربعة (04) دُولي، وعليه فإنه يرتفع أجر متقلد هذه الرتبة من الجنود إلى نصف (2/1) دُولي في الشهر الواحد⁷، وللجندي البسيط حصانة عسكرية، لا يمكن لأحد اعتراض سبيله

¹ - عمر جبيري، المرجع السابق، ص 55.

² - De Grammont, op.cit, p.46.

³ - فهيمة عمريوي، "مظاهر من التنظيم العسكري في الجزائر أثناء الفترة العثمانية- مؤسسة المحلة أنموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع02، جويلية 2019، ص 71.

⁴ - Mohammed Ben Cheneb, op.cit, p.87.

⁵ - أمين محرز، المرجع السابق، ص 22.

⁶ - كمال فيلاللي، المرجع السابق، ص 98.

⁷ - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.60.

ما عدا شواش الباشا اللذين كانوا يرتدون القفطان الأخضر، ويشبهون إلى حد كبير فئة الحرس الجمهوري في يومنا هذا¹.

2-2-2- إسكي يولدش:

وهو مصطلح يقال دائماً للجُندي القديم في الخدمة²، وهي بذلك ثاني رتبة في الجيش الإنكشاري، بحيث كان يرتقي إليها الیولدش بعد ثلاث سنوات من الخدمة، وخلال ثلاث سنوات أخرى يُصبح برتبة باش يولدش³، حيث يُعين منهم الأغا أربعة (04) حراس (ما يُطلق عليه الحرس الجمهوري في يومنا هذا)، وهذا من أجل مرافقة الباشا عندما يغادر منزله، أو عند ذهابه إلى المسجد أو في النزهة على الأقدام، في حين أنه ما كان يُميزهم أنهم يرتدون على رؤوسهم قبعات بيضاء من اللباد مبطنة بقطعة قماش خضراء⁴.

2-2-3- الأوضاباشي:

يعني (رئيس الغرفة)، والتي تعني حرفياً رأس الدار باللغة التركية، وهو عبارة عن ضابط يقود مجموعة من الیولدش عدد أفرادها يتراوح ما بين إحدى عشر إلى ستة عشر (11-16)⁵، حيث يصل راتبه إلى نحو ستة (06) دولي، هذا في انتظار الزيادات المُحتملة في الأجور نظير الخدمات العسكرية التي كان يقدمها للإيالة وحسن انضباطه في المجموعة⁶، وبعد الأقدمية يرتقي صاحب هذه الرتبة إلى رتبة بلوك باشي⁷.

2-2-4- بولوكباشي:

هو رئيس سرية من الجُنود في الجيش الإنكشاري⁸، إذ يمثل قائداً برتبة ضابط من قُدماء الإنكشارية الذين كانوا يُشكلون الديوان⁹، حيث يتراأس عدد من الفرق العسكرية يتراوح عدد جُنودها ما بين ثلاثمائة

¹- كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 99.

²- مؤلف مجهول، قاموس الألفاظ العسكرية، رقم المخطوط: 249، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر، حرف الألف، و01.

³- وليم سينسر، المرجع السابق، ص 69.

⁴- De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.60.

⁵- توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 22.

⁶- De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.61.

⁷- كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 99.

⁸ - Mohammed Ben Cheneb, op.cit, p.25.

⁹ - Shaw, op.cit, p.159.

(300) إلى أربعمئة (400) جُندي¹، في حين نجد بأن القانون كان يُسوغ لأصحاب هذه الرتبة أن يكون منهم مجموعة تُمثل الديوان².

2-2-5-وكيل الحرج:

وهو رئيس الأدميرالية بدار الجهاد، حيث كان يرتدي طرطورة حمراء مُخططة طولاً وعرضاً بخطوط جلدية³، وقد كان أيضاً المسؤول الأول عن الأسلحة الداخلة والخارجة، والمشرف الأول على صناعتها، وهو بذلك المُتصرف في شؤون الدولة العسكرية براً وبحراً⁴، حيث يعتبر وزيراً للبحرية بطريقة ما، وعلى ما يبدو أن الوظيفة قد تطورت بشكل كبير منذ القرن السادس عشر (16) ميلادي، حيث كان يعمل تحت إمرته اثني عشر (12) بولوكباشي، ومن أبرز من شغل هذا المنصب هو حسن وكيل الحرج في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791)، الذي خلف الداوي في منصبه وحكم الإيالة سنة (1791-1798)⁵.

2-2-6-الكاھية:

هو عبارة عن ضابط في الجيش يكون ملازماً للأغا، كما يستطيع تعويض الأغا في حالة المرض أو العزل، وفي حال وفاة الأغا يُعوضه في منصبه إلى حين انتخاب أغا جديد، وعليه فإن صاحب هذه الرتبة يتمتع بسلطة كبيرة بين جميع الرتب العسكرية الأخرى، ويحظى باحترام الجميع، في حين أن راتبه كان في حوالي خمسة عشر (15) دوبيلي بالإضافة إلى زيادات أخرى⁶.

2-2-7-أغا:

يعتبر أغا الإنكشارية هو المسؤول الأول في الحكومة أو السلطة بعد الداوي⁷، وعليه فإن هذه الرتبة عبارة عن منصب شرف وكرامة لصاحب أطول جُندي خدمة في الجيش الإنكشاري⁸، وقد تطرق "بيار دان" في مذكراته إلى أنه قد شهد تغيير حوالي خمسة (05) إلى ست (06) أغوات في اليوم الواحد، والأدهى منه أنه ذكر بأنه شهد ثلاث تغييرات في ربع ساعة فقط، وقد أرجع السبب في ذلك إلى سلطة الديوان في تأكيد

¹ -De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.62.

² - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 38.

³ - كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 99.

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 38.

⁵ - Moulay Belhamissi, marine et marins d'alger (1518-1830), tome01, bibliothèque nationale d'algerie, Alger, 1996, p.p.157-158.

⁶ -De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.63.

⁷ - ماثيو كيري، مختصر في تاريخ الجزائر، تر: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2014، ص 25.

⁸ - Shaw, op.cit, p.158.

التعيين من عدمه¹، ويُعد الأغا هو الأمر والناهي فيما يخص الجيش الإنكشاري، حتى الباشا(الداي) نفسه ليس له سلطة على فرقة الإنكشارية، وعليه فإن الأغا هو من كان يتولى تطبيق الأحكام القضائية في حق الجندي الإنكشاري المُذنب، بحيث أن أي شيء يخص الجندي الإنكشاري فلا بد له أن يتجه مباشرة إلى الأغا ويخاطبه في الأمر مهما كان صغيراً أو كبيراً²، ومن صلاحياته أيضاً أنه كان يتم تطبيق العقوبات على الجنود الإنكشارية بمنزله في سرية تامة، في حين كانت العقوبة مثلاً تتمثل بالضرب بالعصا أو بالسجن أو التعذيب حتى الموت، وهنا تجدر الإشارة أيضاً إلى أن الأغا خلال المدة التي يقضيها في هذا المنصب لا ينبغي له أن يتزوج أو يكون لديه أولاد³، غير أن أغا الإنكشارية لا يتمتع بمنصبه هذا سوى شهرين قمريين⁴ ثم يُحال على التقاعد مع حق التمتع بأجره كاملاً وهو مستمتع في تقاعده⁵.

2-2-8-منسول أغا:

هو أغا الإنكشارية الذي أُحيل إلى التقاعد بعد أن أكمل خدمته المُقدرة بشهرين قمريين، حيث يتم استدعاه أحياناً من قبل الداى لحضور الاجتماعات، وذلك من أجل الأخذ برأيه في العديد من المسائل لأنه صاحب خبرة في الميدان⁶، ويظل يحمل هذا اللقب الفخري وكذا راتبه الشهري المرتفع إلى غاية وفاته⁷، وحسب "بيار دان" فإن أجره يساوي حوالي أربعون (40) دوبيلي أو ما يعادل عُشرون (20) جنيه من عملة بلاده⁸.

أما بالنسبة للمهام العسكرية التي أوكلت إلى الجيش الإنكشاري، فإنها تتمثل عموماً في المهام التقليدية والمُتعارف عليها في الدفاع عن حدود البلاد من الأخطار الخارجية وكذلك السهر على ضمان

¹- Pierre Dan, op.cit, p.98.

²-De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.58.

³- Shaw, op.cit, p.p.158-159.

⁴- لكن عند اطلاعنا على وثائق الأرشيف الوطني ضمن سلسلة " مهمة دفترى"، وهي عبارة عن فرمانات سلطانية، وعليه فقد جاء الحكم الصادر إلى أمير الأمراء جزائر الغرب رمضان باشا(1574-1577) بتاريخ 985هـ الموافق ل(1577م) الذي نص على إبقاء الاغوات في مناصبهم للفترة الممتدة ما بين خمسة (05) إلى عشرة (10) سنوات، وعدم عزلهم إلا عند الضرورة، أما في حالة إثبات إدانتهم بالفساد يتم عزلهم وقطع رواتبهم، لهذا يمكن القول بأن مدة الشهرين المُخصصة لأغا الإنكشارية على مستوى الحكم قد يكون أمر مستحدث، أي وليد الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر وبالتحديد مع نهاية القرن السادس عشر (16) ميلادي... للمزيد راجع: أ.و.ج، مهمة دفترى رقم 30، صحيفة 199، حكم رقم 471، التاريخ: 985هـ، وهي الوثيقة الموجودة في الملحق رقم (10).

⁵ - Venture de Paradis, op.cit, p.74.

⁶ - Shaw, op.cit, p.160.

⁷- De Grammont, op.cit, p.47.

⁸- Pierre Dan, op.cit, p.98.

الاستقرار الداخلي، ومنها قيامه بعمليات عسكرية في المناطق البعيدة عن السلطة المركزية لإخضاع القبائل المتمردة أو الثائرة، هذا إلى جانب جمع الضرائب من قبائل الرعية التي كانت موجودة على مستوى البايلاكات الثلاثة (بايلك الشرق-بايلك الغرب-بايلك التيطري) لإيالة الجزائر¹.

2-3- أجور ومرتبات الإنكشارية:

إن دراسة مستحقات فرقة الإنكشارية في الجزائر خلال العهد العثماني من المسائل التي كَثُرَ فيها الحديث من قبل المصادر التاريخية التي عاشت تلك الفترة، وهذا نظراً لاختلاف تلك المصادر في تحديدها لقيمة أجور فرقة الإنكشارية، في مستهل الحديث فقد صَدُرَ في هذا الشأن حُكْمٌ من قبل الحضرة الشاهانية إلى البايبرباي جعفر باشا (1580-1582) وهذا بتاريخ 990هـ الموافق لـ (1582م)، الذي نص على إكرام جنود وعساكر الإنكشارية، وذلك بتوزيع العطاءات بالعدل على أساس الرتبة والأقدمية، وهذا نظير الإسهامات العسكرية التي قدموها خاصة ما تعلق الأمر بمحاربة الأعداء بمختلف الجبهات²، وعليه فعند وُصُولَ المُتطوعيين الجُدد إلى مدينة الجزائر كان يتم تسجيلهم في دفتر رواتب الجند، وهذا تحت رتبة يني يولدش أي الجندي الجديد في فرقة الإنكشارية، حيث يذكر فانتور دي بارادي أن أجرهم كان يبدأ من حوالي أربعة عشر (14) موزونة، أما إذا تأخر وُصُولُ أولئك المُتطوعيين الجُدد عن الوقت الذي كان يُمنح فيه هذه الرواتب فإنه يُضطر إلى الانتظار لمدة شهرين قمرين آخرين ليستلم راتبه³، ولإيضاح الصورة أكثر حول نجد في هذا الجدول الموالي بعض العملات التي كانت متداولة في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني وهي على الشكل التالي:

¹ - إلهام يوسف، ولاء علي صقر، التشكيلات العسكرية العثمانية في الجزائر (1518-1587)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 41، ع01، السنة 2019، ص 178.

² - أ.و.ج، مهمة دفترتي رقم 46، حكم رقم 326، التاريخ: 990هـ.

³ - Venture de Paradis, op.cit, p.58.

الجدول رقم 3: يُمثل قيم العُملة المتداولة بالجزائر خلال العهد العثماني مقارنة بالعُملة الأجنبية¹.

قيمتها بالنسبة للعملة الأجنبية الأخرى					اسم العملة
الكوري السوداني	التونسية	البياستر	بالدولار الإسباني	بالفرنك الفرنسي	
2200	110	2	2,1	11	السلطاني أو المحبوب
770	38,5	0,7	0,73	3,85	البياستر الفضي
726	33	0,6	0,63	3,3	البوجو
363	16,5	0,3	0,31	1,65	النصف بوجو
90,7	4,1	0,07	0,075	0,41	الثمن بوجو
220	11	0,2	0,21	1,1	البدقة شيك
300	15	0,27	0,27	1,5	الريال مجبور
26	1,3	0,02	0,02	0,13	الموزونة
360	18	0,28	0,28	1,8	الصايمة

تعليقاً على هذا الجدول نجد بأن قيمة عملة السلطاني أو ما يسمى أيضاً بالمحبوب هي صاحبة القيمة الأكبر ضمن العُملة المتداولة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، وهذا راجع إلى أنها كانت تصنع بالذهب الخالص، أما فيما يخص العُملة الأجنبية الأخرى، فنجد أن قيمة عملة الدولار الإسباني كانت مُرتفعة إلى جانب عملة البياستر، وفي مقابل ذلك نجد ضعف قيمة عملة الموزونة والصايمة التي تعتبر من العُملة التي تُتخذ كراتب للمُجندين في الجيش الجزائري، وعليه يُمكن القول بأنه على الرغم من حصول الجنود على مبلغ كبير كراتب بعملة الموزونة أو الصايمة لكنه تعتبر مبلغ زهيد بالنظر إلى قيمتها الضعيفة تجاه المعاملات التجارية.

وفي سياق آخر يذكر صاحب التُّحفة المرضية بأن الباب العالي كان يتكفل بنصف الميزانية الخاصة بمرتبات الجيش، أما النصف الآخر فإن السلطة العثمانية بالجزائر كانت تُحصله من خلال مجموعة من الموارد التي تدخل إلى خزينة الإيالة وهي على النحو التالي:

- الأعرار والزكاة (وهي الضرائب الشرعية وتؤخذ من نتاج الأرض أو الحيوان).

¹ - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1972، ص 71.

- اللزمة: وهي ضريبة شخصية تؤخذ في الغالب من القبائل الرحل.
- ضريبة العقار: بما فيها أشجار النخيل التي يؤدي مالكاها ثمنها معيناً للدولة على كل نخلة بانفراد.
- عوائد كراء أراضي الدولة.
- عوائد الدنوش المُرسَل من قبل البايات كل ثلاث سنوات (الدنوش الكبير).
- ما يدفعه الأجانب نظير إرساء سفنهم بالموانئ الجزائرية.
- هدايا القناصل الأوروبيين الموجودين بالإيالة.
- عوائد المعاهدات المُبرمة مع الدول الأجنبية بغرض السماح لهم بالتجارة في البحر المتوسط.
- الغنائم البحرية¹.

أما فيما يخص طريقة توزيع هذه الأجور أو ما كانت تُسمى أيضًا بـ "العلوفة"² من خلال الوثائق الأرشيفية، فنجد بأنها كانت تُوزع على مختلف جنود الإنكشارية وفق رتبهم العسكرية كل شهرين قمرين، حيث كان يجتمع الضباط في قاعة الديوان وهذا بحضور الداى والاعا وكبار الموظفين على مستوى قصر الداى³، ويبدأ الأغا بالمناداة على كل فرد باسمه بداية من الداى إلى آخر عضو في الحامية⁴، في حين كان يشترط على الجنود أو الضباط الانكشاريين أن يكونوا حاضرين حين يُنادي الأغا على اسمه، أما إذا كان غائبًا لسبب من الأسباب فإنه كان عليه أن ينتظر إلى موعد الدفع القادم والذي يكون في الغالب بعد شهرين كاملين⁵ وذلك طيلة الأشهر القمرية الستة (06) التالية: محرم، جمادى الأولى، رجب، رمضان، ذو القعدة، ويتم الدفع فيها خلال كل أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة⁶.

لكن في المقابل نجد بأن شرط تواجد الجنود يوم توزيع المرتبات الشهرية لا ينطبق على الجنود المتواجدين في الحاميات أو النوبات، حيث يسعى الأغا المُشرف على النوبة بطلب مستحقاتهم المالية من

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص ص 39-40.

² - مُصطلح كان يُطلق للدلالة على المواد الغذائية المُخصصة للحيوان، ثم صار يدل على المواد الغذائية المُخصصة للإنسان والحيوان، ثم من بعدها صار يدل على الراتب، وقد أُطلق في العهد العثماني على رواتب الجند والمدنيين، وقد كانت الغلوفة تحسب على أساس الأجر اليومي... للمزيد راجع: حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 156.

³ - Shaw, op.cit, p.189.

⁴ - توفيق دحمانى، المرجع السابق، ص 25.

⁵ - وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 72.

⁶ - زهيرة سحابات، المرجع السابق، ص 99.

الداي خصيصًا وهذا عبر رسائل مكتوبة، ومن جهتنا فقد وجدنا العديد من هذه الوثائق مثلاً، نجد في رسالة أحمد بن محمد أغا نوبة مستغانم إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 1240 هـ الموافق لـ (1824-1825م)، وقد جاء فيها: "...سعادتلوا دولتلوا ورحمتلوا أفندم باشاي جليل القدر لحضرتك من خديم تراب نعلي دولتك... بطرفنا حضور علوفة أولادك اليلداهش لار داخل تحت نظرك مكتوب الطلب...¹"، وفي رسالة أخرى قام بإرسالها الحاج والي أغا نوبة مستغانم إلى الداوي حسين باشا بتاريخ 1240 هـ الموافق لـ (1824-1825)، وقد جاء فيها: "... دولتلوا عنايتلو مرحمتلو ولي النعم وكثير الكرم أفندم سلطانم... بعد تمرير الخدود على تراب نعليك الشريف والدعاء الخالص لسعادتك الشريفة من طرفي حالا ومن كتخدامز وبلكباشيلرميز وأوداباشلرميز من كافة أولادك نغرات اليلداهش لار المجاهدين ممرغين وجوههم بتراب نعليك الشريف... من شان بعث رواتبهم وسلمنا تذاكرهم ليد عبد الله أداباشي...²".

ولا يفوتنا أن ننوه إلى ما جاء في هذين الرسالتين، فقد لفت انتباهنا أمر مهم وهو استعمال الأغا مرسل هذه الرسائل إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) لمفردات وأسلوب تدل على تحقير النفس البشرية، وهذا من أجل الحصول على لُعاة من الدنيا والمُتمثلة أساسًا في دراهم مُعدودة، حيث هذا ما وجدناه في العديد من الرسائل التي قُمنَا بدراستها في العناصر السابقة.

ويوجد كذلك رسالة أخرى من مصطفى أغا نوبة مستغانم إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 21 شوال 1244 هـ الموافق لـ (25 أبريل 1829م)، وقد جاء فيها طلب أغا النوبة رواتب جميع الجنود الموجودين في النوبة على اختلاف رتبهم العسكرية وهي: الكتخدا، البلكباشي، أوداباشي، زيادة على الجنود الكبار في السن والمرضى، وحتى الأيتام من أبناء الجنود الذين ماتوا سواء في خضم المعارك أو بدونها، على أن يكون إرسال هذه الرواتب مع شخص المدعوا سليمان³، وفي وثيقة أرشيفية أخرى أكثر وضوحًا بينت لنا بأن السلطة العثمانية بالجزائر كانت تتكفل على أن تُسجل جميع الأيتام من أبناء الجنود المُتوفين في سجل الجُند لكي يحصلوا على راتب يدبرون به شؤون حياتهم⁴، وهذا ما جاء فيها: "... حالا المسمى محمد بن سليمان المستغانمي توفي رحمه الله والله عظيم الشأن يطول عمر دولتلوا أفندمز ويزيد

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 121.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 122.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 314.

⁴ - لقد كانت مؤسسة التجنيد بالجزائر تتكفل بالأيتام من أبناء الجنود المُتوفين، حيث يتم تسجيلهم في سجل الجُند الخاص بالرواتب، وذلك رغبة من السلطة العثمانية بالجزائر في مساعدة الأيتام، وبالتالي راتب من أجل عيش حياة كريمة لهم.

في عمره أمين وترك يتيمين اثنين من شان تنزيلهما برواتب اليتامى لذلك كتب بحضرة الديوان هذه التذكرة...
أسماء اليتامى أولاده عبد القادر بن محمد... مصطفى بن محمد...¹.

وعليه يتضح لنا جلياً بأن قيمة الأجر الخاصة بالإنكشارية كانت غير متساوية أي أن كل رتبة عسكرية ولها مستحقاتها، وزيادة على ذلك فإننا نجد بأن أjour الإنكشارية كانت تزيد في عدة مناسبات خاصة منها: في حال تنصيب باشا جديد من إستانبول بعد عام من انتخاب عضو من الديوان ليكون داياً على الإيالة أو بالأحرى أحد عناصر الميليشيا سابقاً²، أو في حالة الانتصار في المعارك والحروب ضد الدول المعادية، وفي هذا الصدد عثرنا على معلومات في مخطوط مجهول المؤلف تفيد تلقي الجنود لمكافآت مالية نظير تصديهم للحملة الإسبانية على مدينة الجزائر، وبالتحديد حملة الدون أنطونيو الأولى سنة 1783م، وهذا بقوله: "... وفي يوم الخميس جاء صباحاً ورمى عدده لكنه لم يقدر على القرب إلى الأبراج لكثرة نار المدافع والبونبة لأن الأمير³ اعطى للعسكر في اليوم ثلاث صايمات...⁴، بالإضافة إلى عقد المعاهدات مع الدول الأوروبية، وكذلك في بعض المناسبات المفروحة كالأعياد وغيرها⁵، وفي هذا الصدد فقد وجدنا العديد من الوثائق التي تدل على زيادة في رواتب الجنود بسبب ولادة أبناء السلاطين، حيث في بعض الأحيان تكون هذه الزيادات طوعية، لكنها في الغالب يتم إجبارها على حكام إيالة الجزائر لفائدة الجنود، حيث نجد في حالات التطوع أن الداى مصطفى باشا (1798-1805) قد أعطى زيادة في الرواتب قدرت بحوالي خمسون (50) صايمة لجميع الجنود المسجلين في الدفتر⁶.

أما فيما يخص حالات الإيجار على الزيادة في الرواتب نجد على سبيل المثال الفرمان الذي أرسله السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) إلى الداى علي باشا الملقب بالغسال (1808-1809) بتاريخ 18 ذي الحجة 1223هـ الموافق لـ (1809م)، وقد جاء فيه البشارة بولادة السلطانة فاطمة، وبالتالي فمن واجب على جميع القاطنين في الإيالة الإحتفال بهذا النبأ البهيج، والاحتفال بواسطة إطلاق المدافع

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 95.

² - M.Walsin Esterhazy, op.cit, p.233.

³ - والمقصود هنا هو الداى محمد بن عثمان باشا الذي حكم الإيالة خلال (1766-1791).

⁴ - مؤلف مجهول، تاريخ مجيء الإسبانين في المرة الثانية والثالثة إلى الجزائر، رقم المخطوط: 2285، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر، و 03.

⁵ - Laugier de Tassy, op.cit .p.252.

⁶ - M.Walsin Esterhazy, op.cit, p.233.

لمدة ثلاثة أيام وثلاثة ليال، هذا وبالإضافة إلى زيادة في مرتبات جنود عساكر الإسلام لينال كل منهم مرتبة السرور¹.

ونجد أيضًا وثيقة مشابهة لنفس الغرض وهو زيادة في مُرتبات الجنود لكن هذه المرة هي عبارة عن رسالة من الداوي حسين باشا (1818-1830) إلى أغا نوبة وهران بتاريخ أول من شعبان عام 1239 الموافق لـ (31 مارس 1824م)، وهذا ما جاء فيها: "...لمفاخر الأماثل والأقران أغة نوبا وهران حالا وكتخذاسم... في علمكم بهذه السنة الميمونة إشمال عواطف علو ملوكاني... من وصول فرمان جليل الشأن... مضمينه بروز مولود من صلب شوكتلوا بادشاهنا... أصدرنا لأولادنا اليلداس لار صايمة ترقى وإحسان تام..."².

وتعليقًا على ما جاء في الوثيقتين الأولى والثانية، يُمكننا القول بأن الوثيقة الأولى هي عبارة فرمان من السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839)، وقد أمر بموجبه بزيادة في رواتب الجنود، لكنه لم يحدد قيمة هذه الزيادة، في حين نجد العكس من ذلك في الرسالة التي بعثها الداوي حسين باشا (1818-1830) إلى أغا النوبة وهران، الذي بدوره قام بتحديد قيمة الزيادة في الرواتب بواحد صايمة فقط لاغير.

أما فيما يخص السقف الأعلى لتلك الرواتب فيقدر بثمانون (80) صائمة³، والتي تكون من نصيب الضباط الساميين والموظفين الذين يُمثلون هرم السلطة على مستوى الديوان، والتي كانت تُعرف بالرواتب الكبرى والخاضعة للأقدمية في الخدمة والترقية في أعلى السلم الوظيفي⁴.

ونجد بأنه إلى جانب الأجر النقدي الذي كان يتلقاه الجندي الإنكشاري كل شهرين قمرين، فقد تواجد هناك نوع آخر يتلقاه هو الأجر العيني والذي يتمثل في إعطائهم أربع (04) خبزات صغيرة ذات وزن

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 405.

² - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 93.

³ - هي عبارة عن عملة نقدية كانت تقدم في شكل مكافآت نقدية إلى جنود الإنكشارية بزيادة رواتبهم بمبلغ ثابت حتى انتهاء خدمتهم. راجع:

Mohammed Ben Cheneb, op.cit, p.48.

⁴ - حسان كشرود، رواتب الجنود وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659م إلى 1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2007/2008، ص 71.

رطلين (واحد كيلوغرام) في اليوم، في حين أن هذا الخبز عبارة عن البشماط اليابس¹، وقد كان هذا الخبز مصنوع من دقيق القمح ودقيق الشعير، وبالتالي فقد كان هذا النوع الرديء بحيث يشبه الخبز الذي كان يقدم إلى الأسرى، وكان السكان البدو يقدمونه كعلف لحيواناتهم وذلك لانخفاض سعره، وكثيراً ما كان الجنود يلجئون إلى بيعه ويشترون عوضه خبزاً مصنوعاً من السميد فقط².

والى جانب ذلك فقد كان جنود مدينة الجزائر يتلقون نصيباً من الزيت النباتي وقديد (لحم) ويدفع مقابل ذلك ثلث سعر السوق المتداول³، أما فيما يخص الجنود الذين يتواجدون على مستوى المحلات أو النوبات فإنهم يحصلون على نصف خروف كل يوم اثنين وخميس، وبالتالي فقد كانوا أكثر استهلاكاً للحم من أصدقائهم الجنود الموزعين على مستوى ثكنات مدينة الجزائر⁴.

من خلال التطرق لعنصر رواتب الإنكشارية نجد بأنهم كانوا مكنفين في الجانب المالي والغذائي، وهذا نتيجة توفير الإيالة كل المستلزمات الغذائية بدون مقابل أو بأجر زهيد في حالة ما إذا احتاج الجندي إلى طعام إضافي، وهذا ما سمح لهؤلاء الجنود الانكشاريين من توفير ثروة مالية قاموا بتوظيفها في عدة مشاريع إقتصادية مربحة خاصة التجارة في الأسواق أو شراء العقارات وغيرها كثير، أما من جهة أخرى نجد أن نسبة الرواتب قد ارتفعت في العقد الأخير (1820-1830) من العهد العثماني بالجزائر وذلك راجع إلى جملة من الأسباب التي قد تطرقنا إليها سابقاً ومنها: نقص في عدد الجنود المتطوعين القادمين من الأقاليم العثمانية من جهة، والأوضاع المزرية التي أصبحت تعيشها الإيالة في تلك الفترة من جهة أخرى، هذا ما أدى بالسلطة الحاكمة بالجزائر إلى الإكثار من الإمتيازات لصالح الإنكشارية ورفع الأجور، بغية حثهم على البقاء وعدم الفرار والرجوع إلى مواطنهم الأصلية.

¹ - ويسمى كذلك "باكسيمات"، وهو عبارة عن نوع من الخبز المبعط وبلا بابة، معمول بواسطة دقيق مطبوخ مرتين في الكوشة ليكون ناشف، وأما بخصوص مونة كل نفر من الإنكشارية في اليوم ثمانية عشر (18) من خبز البشماط، وعندما ينقص محصول الإنكشارية فإنهم يستقاطوا بالبشماط، وهذا من قلة الخبز العادي. راجع: مؤلف مجهول، قاموس الألفاظ العسكرية، المصدر السابق، حرب الباء، و02.

² - محمد بوشنافي، الجيش الإنكشاري...، المرجع السابق، ص 93.

³ - توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 25.

⁴ - محمد بوشنافي، الجيش الإنكشاري...، المرجع السابق، ص ص 93-94.

أما بخصوص الجنود الذين كانوا يموتون دون أن يُخلفوا أولاد يرثونهم، فقد عثرنا بدورنا من خلال الوثائق الأرشيفية أن جُلّ التركة التي يخلفونها يستولي عليها الأغا الذي يبيعها ويُسلم ثمنها لصالح خزينة الإيالة، وفي هذا الصدد وجدنا وثيقة أرشيفية قد وثقت تلك التركات وهي على النحو التالي:

الجدول رقم 4: يمثل قائمة بمتروكات بعض الجنود المتوفين من نوبة مستغانم بيعت وسلمت مبالغها للحاج والي أغا¹:

قيمة التركة التي خلفوها	الجنود المتوفين في نوبة مستغانم
سنة وأربعون (46) ريال	واحد (01) من الجنود اليولداش
أربعة وستون (64) ريال	واحد (01) من الجنود اليولداش
ثمانية (08) ريالات	واحد (01) من الجنود اليولداش
ثلاثة وستون (63) ريال وثمان الريال	اثنين (02) من الجنود اليولداش
أربعة عشر (14) ريال	واحد (01) من جنود اليولداش
أربعة وعشرون (24) ريال وثمان الريال	اثنين (02) من جنود اليولداش
خمسة عشر (15) ريال	واحد (01) من الجنود اليولداش
ثمانية وثلاثون (38) ريال	كريثلي عربي أغا
سبعة (07) ريالات	واحد (01) من الجنود اليولداش
اثني عشر (12) ريال	واحد (01) من الجنود اليولداش
مئة وخمسة وعشرون (125) ريال	مجموعة من الجنود اليولداش
اثني عشر (12) ريال	واحد (01) من الجنود اليولداش

المجموع: 428 ريال

نلاحظ من خلال الجدول أن العديد من الجنود الإنكشارية قد ماتوا دون أن يُخلفوا أولاد أو ورثة، لذلك نجد بأن السلطة العثمانية بالجزائر كانت تعتبر نفسها هي الوريث الشرعي والوحيد لكل جندي تُوفي ولم يترك ورثة، خاصة إذا علمنا بأن مجموع الأملاك والتركات التي خلفوها ليست بالمبلغ اليسير.

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 464.

3- خصائص فرقة الإنكشارية:

لقد حاولنا في هذا العنصر التطرق إلى بعض الخصائص التي تميز بها الجندي الإنكشاري في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، وهي على الشكل التالي:

3-1- اللباس:

عند دراستنا لعنصر اللباس الخاص بالإنكشارية استقينا معلومات مهمة، والتي سجلتها لنا كتب الرحالة الأوروبيين ومختلف التقارير الصادرة من القناصل ووصف القساوسة¹، وكمثال على هذا الوصف ما ذكره هايدو الذي يعتبر بدوره الشاهد الأول على خصوصيات موضوع اللباس الخاص بفرقة الإنكشارية بالجزائر خلال العهد العثماني²، حيث كان يرتدي الإنكشاري مع تلك الملابس مجموعة من الإكسوارات التي يضعها للزينة وهي: غمد من خشب وقرن مذهب أو ريش ملون وغيرها³.

واستخلاصاً لما سبق ذكره نقول بأن لكل رتبة في الجيش الإنكشاري لباسها الخاص الذي تميزت به عن غيرها من الرتب الأخرى، فالْيُولدِاش مثلاً كانت بذلتهم تتكون من خرقة على الرأس ومعطف صغير، أما السراويل فنجدها فارغة، أما لباس أغا الإنكشارية فإنها عبارة عن قلنسوة بيضاوية الشكل وبها علامة حمراء، وتحتوي على قطعة قماش فاتحة اللون من الأكمام ويلبس كذلك قفطاناً بدون أكمام وتحتيه لباس طويل من القماش الرقيق، وقميصاً ذا أكمام طويلة ومعه سروال أحمر⁴.

3-2- الأحكام القضائية بالنسبة للإنكشاري:

لقد ظهرت وظيفة قاضي العسكر⁵ عند العثمانيين على الأرجح على يد السلطان العثماني أورخان (1326-1360)، وذلك عندما قرر الخروج للحرب فطلب من أحد وزراءه أن يُعين له أحد الشخصيات في وظيفة قاضي العسكر للفصل في مختلف القضايا الشرعية التي كانت تحدث بين الجنود

¹ - رابح كنتور، " التأثيرات الاجتماعية والإقتصادية بين العثمانيين والجزائريين (1519-1830)", المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد 15، ع01، أكتوبر 2019، ص ص 266-267.

² - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.p.60-63.

³ - حليم ميشال حداد، عاطف عيد، قصة وتاريخ الحضارات العربية (تونس والجزائر) بين الأمس واليوم، النشر في جميع أنحاء العالم، بيروت، لبنان، 1998، ص 120.

⁴ - شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 58.

⁵ - أُطلق هذا المصطلح في العهدين المملوكي والعثماني للدلالة على قاض كان يحكم بين الجنود على وجه الخصوص ويلازمهم في أوقات السلم والحرب. راجع: حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 168.

أثناء الحروب¹، وعندما ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية أخذت منها هاته الخاصية، وبالتالي فقد تميز الجيش الإنكشاري في إيالة الجزائر بالقواعد التنظيمية التي كان يُصدرها السلاطين العثمانيين دوريًا وتقوم بتدعيمها السلطة الحاكمة في الإيالة، وعلى هذا الأساس كانت مسؤولية انضباط الأوجاق على عاتق أغا الإنكشارية إذ يعتبر الوحيد الذي يستطيع إصدار الأحكام وتطبيق العقوبات القضائية على الإنكشاري².

وفي سياق آخر عُرف عن بعض أفراد الجيش الإنكشاري العُنف والقسوة أحيانًا، لهذا فقد كان لزامًا على الذاي من جهة والبايات من جهة أخرى السهر على السير الحسن للنظام، وتطبيق العدالة حتى وإن تعلق الأمر بأولئك الجنود رغم تمتعهم بامتيازات خاصة، لكنها لم تكن لتشفع لهم في حالة ارتكابهم لمخالفات³، ومن تلك العقوبات نذكر مثلاً: الجُلد بالعصا، ووضع السم للجندي حتى الموت، وقد كانت عقوبة الموت بالإعدام تحصل سرًا في حال صدور مثل هذه العقوبة⁴، وكثيرًا ما كانت تُستبدل عقوبة الإعدام في حق الإنكشاري بعقوبة أخرى مُخففة وهي عقوبة النفي، وذلك إحترامًا للمؤسسة العسكرية عامة والجيش الإنكشاري خاصة⁵.

وفي جانب آخر أي عندما يتم إصدار عقوبة السجن في حق الإنكشاري، كان يتم اقتياده إلى سجن خُصص للإنكشارية، وقد كان يُسمى " دار سرکاجي"⁶ بمعنى السجن الواقع بالقرب من مستودع تحفظ فيه براميل الخل⁷، وعليه فقد كانت تتم فيه عقوبة الشنق في حق المتمردين من الإنكشارية أو المُخلون بالأمن العام، لأن من مميزات الإنكشارية أنه يتم تنفيذ عقوبة الإعدام في حقهم في سرية تامة كما ذكرنا، وهذا على عكس الأهالي من المدنيين الذين كان يتم في حقهم تطبيق عقوبة الإعدام في الساحات العمومية على

¹ - خديجة دوبالي، الإدارة والقضاء في الجزائر العثمانية (1519-1830م)، ط1، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2022، ص 70.

² - وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 67.

³ - خديجة دوبالي، الإدارة والقضاء...، المرجع السابق، ص 72.

⁴ - حليم ميشال حداد، عاطف عبد، المرجع السابق، ص 120.

⁵ - مصطفى عبيد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، (د.ت)، ص 63.

⁶ - يذكر تال شوفال بأن سبب تسميته راجع إلى مادة الخل والملح التي كانت تدهن على جُرح الجندي الإنكشاري المُعاقب نتيجة ضربه بالعصا، وهذا لزيادة شدة الألم في مكان الجرح... للمزيد راجع:

- Tal Shuval, op.cit, p.171.

⁷ - كيسة بولجنت، المظاهر الحضارية في مدينة الجزائر بين القرنين (12-13هـ/18-19م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2018/2019، ص 211.

أمام المُشاهدين، وعليه تجدر الإشارة إلى أن أنه تم تغيير مكان السجن سنة 1817م، أي عندما تم تحويل مقر الحكم من الجينية إلى القصبة العليا في عهد الداوي علي خوجا(1817-1818)¹.

من خلال ما تم التطرق إليه يُمكننا القول بأن نظام القضاء العسكري قد كُرس للتطبيقية في إيالة الجزائر، وذلك من خلال أن القضاء العسكري قد غلب عليه السرية، وذلك حفاظاً على كرامة الجُنود والضباط الانكشاريين، وعلى العكس من ذلك نجد أن الأهالي يتم تطبيق الأحكام الصادرة في حقهم عن طريق الجهر والإعلان أمام الملاء من الناس، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بأنه أمر غير عادل بحسب اطلاعنا على الأوضاع السالفة الذكر.

3-3-3- الرخصة المُعطاة لجُنود الإنكشارية:

3-3-3-1- رخصة بخصوص زيارة ذويهم وعائلاتهم:

لقد كان جُنود الإنكشارية في إيالة الجزائر يتميزون بكونهم الفرقة الوحيدة بحسب اطلاعنا التي كانت لديها ما يطلق عليه اليوم بالإجازات السنوية (فترة الراحة)، وقد كانت في الغالب تصل إلى ثلاثة (03) سنوات كاملة، وتتوفر المكتبة الوطنية الجزائرية على عدد من الوثائق التي تخص مجموعة من الرُخص التي كانت تُعطى لفائدة جُنود الإنكشارية، وذلك لزيارة ذويهم وعائلاتهم في مختلف أقاليم ومناطق الأناضول²، ومثالاً على ما نقول، فقد وجدنا رخصة مسلمة من أغا الإنكشارية لمجموعة من الجُنود لزيارة عائلاتهم وهذا بتاريخ 01 رجب 1231هـ الموافق لـ (27 ماي 1816م) في فترة الداوي عمر باشا(1815-1817)، وقد جاء فيها: "جماعة إنكشارية دار الجهاد محروسة جزائر الغرب... بهذه السنة المباركة من شان صلة ذوى الأرحام وروية الأقوم من طرفنا مراودة اذن ومطالبة اجازة التمكين... من تاريخ الكتاب لحد تمام ثلاثة سنين اذن... فأن ظهر قدومه قبل تمام الوعد المعهود بمدة يوم فعلى العادة القديم وطريقه له مواجب سنة كاملة وان خالف الوعد المرقوم بان تجاوزه ولو بمدة يوم ولم يتيسر له القدوم فلا يحصل له الأفق يوم القدوم..."³.

¹ - بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، ج1، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص 150.

² - للمزيد من المعلومات حول ما كتب في هذه الرخص يرجى الاطلاع على الملحق رقم (11).

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 02، الوثيقة رقم 02.

وتفسيرًا لما تم التطرق له في هذه الرخصة نجد بأن السلطة العثمانية بالجزائر كانت تضع مجموعة من التحفيزات للجُنود الذين يذهبون إلى زيارة عائلاتهم وتحثهم على الرجوع قبل الموعد المحدد بثلاث(03) سنوات كاملة، على أن يكون وقت العودة بمقدار يوم واحد على الأقل لكي يتحصوا على راتب سنة كاملة، وبدورنا يمكن إرجاع إستعمال السلطة العثمانية لهذا الإجراء أو التحفيز هو خوفها من عدم رجوع أولئك المُجندين وبالتالي هروبهم دون عودة، كما تطرقنا إليه سابقًا في العنصر الخاص بظاهرة هروب الجُنْد الذي كانت تُعاني منه مؤسسة التجنيد بالإيالة.

في حين نجد في وثائق أخرى أن الداوي حسين باشا (1818-1830) خصيصًا قام بإعطاء رخص للجُنود وذلك لزيارة عائلاتهم، كما جاء في الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1242هـ الموافق لـ(1826-1827)، في حين نجد أن هذه الرخصة كانت تخص مجموعة الجُنود الذين كانوا تابعين للأورطة رقم ثلاثمائة وإثنين وسبعون (372) والأورطة رقم ثلاثمائة وأربعة وسبعون(374)، أما فيما يخص الشروط فهي نفسها، حيث كُلما جاء الجُنود قبل الموعد يتحصلوا على مكافأة بمرتب سنة كاملة، وإن تأخروا ولو بيوم واحد فإن مرتبهم يبدأ حسابه من يوم قدومهم¹، ونجد كذلك أنه في نفس العام الذي هو بتاريخ 1243هـ الموافق لـ(1826-1827م) أعطى أيضًا الداوي حسين باشا(1818-1830) الرخص لمجموعة من الجُنود التابعين للأورطتين رقم ثلاثمائة وثمانية وسبعون (378) ورقم ثلاثمائة وتسعة وسبعون (379)²، وأيضًا الأورطتين رقم ثلاثمائة وخمسة وسبعون(375) ورقم ثلاثمائة وسبعة وسبعون(377)³.

وهناك طريقة أخرى لزيارة الجُنود لعائلاتهم في الأقاليم العثمانية، وذلك من خلال إرسال عائلاتهم بطلب الترخيص إلى الدايات من أجل إعطاء أولادهم عطلة لتسوية بعض المسائل العائلية المُستعجلة، وفي هذا الصدد نجد رسالة من سيدة تُدعى عائشة زوجة محمد قرطاجلي بإزمير إلى الداوي الجزائر بتاريخ مجهول، تطلب فيها الترخيص لابنها المُجنْد في إيالة الجزائر، وذلك بالسماح له بالقدوم إلى موطنه الأصلي (إزمير) من أجل تسوية مسألة ميراث والده المتوفي⁴.

¹ - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 371.

² - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 377.

³ - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 380.

⁴ - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 108.

3-3-2- رخصة بخصوص أداء مناسك الحج:

في حين نجد بأن مجموع الرُّخص التي أعطيت لجُنود الإنكشارية لم تقتصر على زيارة عائلاتهم في الأقاليم العثمانية فقط، بل نجد أيضًا أن السلطة العثمانية بالجزائر سعت إلى مكافأة الجُنود بأداء مناسك الحج أيضًا¹، حيث عثرنا في هذا الصدد على وثيقة مؤرخة بتاريخ 21 جمادى الأولى 1238هـ الموافق لـ (02 فيفري 1823م)، وقد جاء فيها أن الداى حسين باشا (1818-1830) قام بإعطاء رخصة لمجموعة من الجُنود لزيارة البقاع المقدسة، وقد أطلق عليها لفظ " ...أزين رخصة معطات... " لأن هذه الرخصة غاية في الأهمية وهي أداء شعيرة من شعائر الدين الإسلامي الحنيف وأحد أركانه، ونفس الشيء نجده فيما يتعلق بشرط الرجوع قبل الموعد المُحدد فإنه يتحصل من خلالها الجُندي على راتب سنة كاملة².

ونجد أيضا أن الداى حسين باشا (1818-1830) لم يتوقف عند هذا الحد من الرخص التي تُعطى للجُنود من أجل أداء مناسك الحج، فقد قام مرة أخرى بإعطاء مجموعة أخرى من الجُنود هذا الامتياز أو الرخصة بتاريخ 1242هـ الموافق لـ (1826-1827م)، وتحمل نفس الشروط التي حملتها الرخصة الأولى التي ذكرناها سابقًا³، وفي رسالة أخرى بعث بها الحاج أحمد باي (1826-1837) إلى الداى حسين باشا (1818-1830) بتاريخ 12 جمادى الأولى 1245هـ الموافق لـ (20 نوفمبر 1829م)، بشأن طلب جُندي بغية الذهاب إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج، ونجد في ذات الرسالة أن ذلك الجندي تزوج من حفيدة الباى وقد فشل في حياته الزوجية⁴، أما إذا تأخر الجُنود في موعد الرجوع يتم تغريمهم بعد عودتهم إلى الجزائر راتب سنة كاملة، ويحرموا راتب تلك السنة التي قدموا فيها، لذلك كان بعض الجُنود والضباط يقومون بجمع الأموال من عناصر الأوجاق أثناء ذهابهم إلى أداء مناسك الحج، وهذا من أجل المضاربة بتلك الأموال من خلال التجارة ببعض المصنوعات والتحف الثمينة، وبالتالي ضمان مورد مالي مُهم يُعوض تبعات فترة الغياب الطويلة عن إيالة الجزائر⁵.

¹- للمزيد من المعلومات حول ما كتب في هذه الرخص يرجى الاطلاع على الملحق رقم (12).

²- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 02، الوثيقة رقم 12.

³- م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 370.

⁴- م.و.ج، المجموعة: 1642، الوثيقة رقم 04.

⁵- أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أحمد دراية، أدرار، السنة الجامعية: 2017/2018، ص 59.

من خلال ما تم التطرق إليه في هذا العنصر الخاص بالرُّخص يُمكننا القول بأن السلطة العثمانية بالجزائر قد سعت إلى توفير مجموعة من الوسائل التي من شأنها أن ترفه على الجنود المُتطوعين ضمن فرقة الإنكشارية، وذلك راجع بحسب اطلاعنا إلى أن تلك الفرقة كانت هي المسؤول الأول عن حماية الأقاليم الحدودية للإيالة، وغيرها من المهام التي أوكلت إليها، فمثلاً أين نجد مثل تلك الإمتيازات والإغراءات التي تحيط بالجندي الإنكشاري دون غيره من الفرق الأخرى، حيث يأخذ إجازة لزيارة عائلته لمدة ثلاث(03) سنوات كاملة، وعند عودته قبل انقضاء هذه المدة ولو بيوم واحد فقط يتحصل على أجر سنة كاملة !!.

لكن السؤال الذي يطرح في الأخير يكمل فيما مصير فرقة الإنكشارية بعد أن احتلت فرنسا مدينة الجزائر سنة 1830م؟.

يمكن الإجابة على هذا التساؤل من خلال ما عثرنا عليه في أحد وثائق سلسلة خط همايون، حيث جاء تقرير عمر لطفي مُحْتَسِب إزمير إلى سلطة الباب العالي أن الفرنسيين لما احتلوا مدينة الجزائر وأخضعوها إلى سيطرتهم يوم 05 جويلية 1830م، وذلك بإمضاء معاهدة استسلام بين الداوي حسين باشا (1818-1830) وقائد الحملة الفرنسية على الجزائر الكونت دوبرمون، قاموا بترحيل حوالي ألفين وخمسمائة (2500) من الإنكشارية على متن أربعة (04) سفن فرنسية أبحرت بهم نحو إستانبول¹، وهذا ما يدل على أن الفرنسيين قد طبقوا أحد بنود معاهدة الإستسلام التي تطرق إليها حمدان خوجة في كتابه والمتمثلة في حرية تنقل جنود المليشيا (الإنكشارية) إلى المكان الذي يحدده، حيث كان هذا المكان هو إستانبول، ومن تم توزعوا إلى الأقاليم العثمانية التي جاءوا منها².

وفي جانب آخر نجد بأن هجرة الإنكشارية لم تكن دائماً قصرية إلى بلاد المشرق وبسفن فرنسية، فعلى سبيل المثال نجد بأن هجرتهم إلى تونس كانت اختيارية، بل كانت أمل كل الأتراك بالجزائر سواء كانوا عسكريين أو إداريين، وبالتالي أمل كل جزائري كان يرفض العيش في كنف الإحتلال الفرنسي، وذلك لعدة عوامل ومن بينها:

1- قرب المنطقة وسهولة التنقل براً، وبالتالي نقل ممتلكاتهم إليها عن طريق القوافل.

¹ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العدد 22530، السنة:1246هـ.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 171.

2- استمرار الحكم العثماني بتونس.

3- تعبر تونس معبراً سهلاً للوصول إلى الولايات العثمانية الشرقية ومنها إلى مواطنهم الأصلية في مختلف أقاليم الأناضول¹.

ثانياً: فرقة الطوبجية:

لقد كان الجيش الجزائري في بداية تأسيس الإيالة يعتمد على فرقة الإنكشارية بشكل كبير، لهذا فكرت السلطة العثمانية بالجزائر في تشكيل فرق أخرى أكثر فاعلية من الناحية الدفاعية والهجومية على حد سواء، خاصة إذا علمنا أن الإيالة قد كانت تشكو من نقص فادح في الأسلحة الثقيلة وعلى رأسها المدافع، وزيادة على ذلك تعدد الحملات الأوروبية العسكرية على مدينة الجزائر، فقررت على إثرها السلطة العثمانية بالجزائر على إنشاء فرقة تُعنى بسلاح المدفعية وهذا ما يطرح في أذهاننا التساؤلات التالية: ما مفهوم الطوبجية؟ وكيف تأسست في إيالة الجزائر؟ ومن هم عناصرها؟ وفيما تمثلت مهامها؟.

1- فرقة الطوبجية (المدفعية): المفهوم والأصل:

1-1- مفهوم الطوبجية:

1-1-1- لغة:

مصطلح الطوبجية ينقسم إلى قسمين: "طوب" وهي كلمة من اللغة الفارسية والتي تعني الكرة، المدفع، قذيفة المدفع، و"جي" أداة النسبة في اللغة التركية وتعني المدفعي أو العامل في سلاح المدفعية²، والطوبجي هو المدفعي وجمعها "الطوبجية" وصيغة الجمع بالتركية هي "الطوبجي لار"، وتسمى دار صناعة المدافع بالطوبخانة، وقد كانت تسمى تلك الفرقة "بطوبجي أوجاغي" أي رجال المدفعية أو الطوبجية³، وحسب صاحب التحفة المرضية فإنه يُعرف أفراد هذه الفرقة بأنهم اللذين يقومون بتلقيح المدافع وإطلاق النار على العدو⁴.

¹ - جميلة معاشي، " الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير"، أعمال الملتقى العلمي الأول -سوسيولوجية الهجرة في تاريخ الماضي والحاضر، جامعة منتوري -قسنطينة، ماي 2008، ص ص 91-92.

² - حسان الحلاق، عباس الصياغ، المرجع السابق، ص 148.

³ - ميمم داود، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية -تنظيمه وعدته- (1518-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2015/2016، ص 26، 44.

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 37.

1-1-2-إصطلاحًا:

يُلاحظ من خلال القراءة الأولية حول مفهوم الطوبجية من الناحية اللغوية أنها تعني العسكر الذي كان يستعمل سلاح المدفعية للهجوم على العدو، وعليه فإنها فرقة عسكرية كانت مكونة من أولاد العجم من المشاة المُسجلين ضمن الأوجاق، حيث يؤتى بهم من الأراضي التي فُتحت نظرًا لخبرتهم بشؤون المدافع وكيفية استعمالها، لكننا نجد في إيالة الجزائر بأنه قد سُمح للمتطوعين المُجندين في فئة الإنكشارية الانضمام إلى فرقة الطوبجية، في حين كان يتم ذلك الإجراء العسكري بعد انقضاء مدة التجنيد المسموح بها للجندي لانكشاري وهي ثلاث (03) سنوات¹.

1-2- الأصل التاريخي لفرقة الطوبجية:

لقد كانت البدايات الأولى لهذه الفرقة في فترة حكم السلطان العثماني مراد الأول (1362-1389) الذي عمل على إدخال المدفع كسلاح من أسلحة الجيش، وقد أُستعمله في الحرب الميدانية كوسوفا سنة 1399م، وعليه نجد بدورنا بأن أصل الطوبجية يرجع إلى وحدة عسكرية من وحدات المشاة في الجيش العثماني ولا ينتمي إلى هذا التنظيم العسكري إلا من كان من أصل تركي أو كرغلي، وقد تمثلت مهمته في تأمين الخدمات النارية كالذخيرة والمدافع، في حين نجد أن قائد هذه الفصيلة من الجيش هو ضابط يسمى "طوبجي باشي" أو "قمندان سي"، ويساعده في ذلك مجموعة من العساكر²، في حين كانت تتكون تلك الفرقة في الدولة العثمانية من ستة ضباط برتبة لواء طوبجيباشي: وهو قائد المدفعية وهو يمثل القائد الأعلى للفرقة.

- دُوكمجيباشي: وهو المهندس المُشرف على تلك الفرقة وقد كان رئيس السباكين.
- طوبجيلر كتحداسي: وهو معاون القائد.
- طوبجي كاتب أو أفنديسي: وهو المتكفل بالمالية لتلك الفرقة العسكرية.

¹ شعوب كامل نصيف، " التعاون العسكري الجزائري العثماني (1792-1830)، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 27، ع06، جامعة بغداد، 2016، ص 2170.

² حليم سرحان، الأزياء العسكرية الزبانية والعثمانية بالجزائر (633-1246هـ/1235-1830م) من خلال النُصوص التاريخية والوثائق الأثرية، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2015/2016، ص 202.

- كمجيار كتحداسي: وهو مُعاون السباكين¹.

2- عناصر فرقة الطوبجية:

تتكون فرقة المدفعين (الطوبجية) الطوبجيار في إيالة الجزائر من ثلاثة أقسام رئيسية، بحيث كان يعمل كل منهم في إختصاص مُرتبط بسلاح المدفع وهي على الشكل التالي:

2-1- صنّاع المدافع:

عرفت إيالة الجزائر في العهد العثماني نشاطًا صناعيًا مُزدهرًا غطى جُل المجالات الاقتصادية المختلفة، وهذا بخلاف ما نقلته لنا جُل الكتابات الأوروبية حول ضعف الصناعات تارة وانعدام بعضها تارة أخرى، ولعلّ من هذه القطاعات التي نتطرق إلى الحديث عنها هي الصناعات الحربية التي ضلت مزدهرة إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر (18) ميلادي²، حيث بدأت صناعة المدافع في إيالة الجزائر تزدهر مع التواجد الأندلسي خلال بداية القرن السادس عشر (16) ميلادي، أي بعد الهجرات القسرية التي سلّطت عليهم من طرف الإسبان بفعل انتشار ما أطلق عليه تسمية "محاكم التفتيش"، لأنه وبحسب اطلاعنا على المصادر المعاصرة لتلك الفترة لم تتوفر لدينا أدلة كافية تبرهن على وجود صناعة لسلاح المدفعية في المغرب الأوسط قبل القرن السادس عشر (16) ميلادي، وعليه فقد كانوا لا يملكون مهارات تأهلهم في هذا المجال³، وعليه لقد وردت إلينا من خلال الكتابات الإسبانية عن حملاتهم العسكرية المتكررة على مختلف السواحل الجزائرية معلومات عن المدفعية، وفي هذا الخصوص نذكر الحملة الإسبانية الأولى على المرسى الكبير التي كانت في 13 سبتمبر 1505م، إطلاق السفن الحربية الإسبانية للقذائف بواسطة المدافع، وفي الجهة المقابلة فقد كان أهالي المغرب الأوسط يرمون كذلك بقذائف من أعلى حصونهم⁴.

ومن خلال ما تم ذكره نقول بأن سلاح المدفعية كان متوفر لدى أهالي المغرب الأوسط في بداية القرن السادس عشر (16م) ميلادي، لكن مع التواجد العثماني في المنطقة وكذا توفر اليد العاملة من

¹- يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (1231-1922م)، تر: عدنان محمود سلمان، مرا وتوق: محمود الأنصاري، المجلد 03، ط1، الدر العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010، ص 398.

²- درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1990/1989، ص 56.

³- ميمم داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 46.

⁴- مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 10هـ/ 16م، (ط.خ)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 272.

الاندلسيين ساهم بشكل كبير في بروز ذلك السلاح الفعال لدى الجيش الجزائري خلال تلك الفترة من بداية التواجد العثماني بالمنطقة، الأمر الذي حتم علينا توضيح أمر مهم وهو أن صناعة المدافع في الإيالة قد كانت تتم بواسطة تظافر جهود مجموعة من المسؤولين والعُمال والصُنّاع وهم على الشكل التالي:

- **المُعلم:** وهو المسؤول الرئيسي على دار الصناعة وعلى لجنة الاختبار والتفتيش للمدفع.
- **وكيل الحرج:** وهو المقتصد الذي يستلم المدافع جاهزة.
- **الباش طنجي:** وهو رئيس المدفعيين، وكذا المسؤول على العُمال والسباكين وبالتالي هو الذي يدفع مُرتبات العُمال في دار الصناعة¹.
- **مجموعة السباكين:** وهم المُكلفون بصب المعدن وتهيئة القوالب.
- **مجموعة الخراطين:** وهم المُكلفون بصقل المدافع وصناعة القنابل والقذائف والقواعد المعدنية والعجلات.
- **مجموعة النجارين:** وقد كانت مهمتهم الأساسية إعداد أسرة المدافع.
- **العمال:** وهم المُكلفون بإيصال الحطب وإيقاد النار ورفع القوالب وتحضير المواد الأولية التي تدخل في صناعة المدافع.
- **الحراس:** وهم المُكلفون بحراسة المسبكة أو دار صناعة المدافع²، وبما أن إيالة الجزائر كانت تتوفر على مسبكة واحدة، بالتالي فقد كان عدد الحراس قليلاً جداً³.

2-2-صُنّاع البارود:

تعتبر صناعة البارود من الاقسام الرئيسية التابعة لفرقة المدفعية (الطوبجية)، وعليه تجدر الإشارة إلى أن صناعة البارود كانت تقوم بها السلطة العثمانية بالجزائر في مصانع خاصة على مستوى مدينة الجزائر، وفي الجهة الثانية فقد كانت مجموعة من الأسر المحلية (قلعة بني عباس، قلعة بني راشد) تقوم

¹ - شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 61.

² - يقع هذا المصنع في حي بير الزنق قرب باب الواد، وقد كان يُعرف لدى الجزائريين بإسم دار النحاس، وقد أنشأ هذا المصنع سنة 1529م، وقد إستمر في العمل إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر (18م) ميلادي، وذلك نظراً لقدم التجهيزات المُستخدمة في ذلك المصنع، ومن هذا المنطلق فقد عمل الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) على تجديده... للمزيد راجع: درياس لخضر، المرجع السابق، ص ص 75-76.

³ - ميمم داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 47.

كذلك بصناعة البارود¹، ولا يتم هذا إلا بموافقة السلطة الحاكمة على ذلك، وذلك بربط عُقود معها لتمكينها من مزاوله تلك الحرفة مقابل الإعفاء من ضرائب معينة، أما فيما يخص المدافع التي كانت تستعملها هذه الفرقة فقد كانت مصنوعة من البرونز وقيمتها معتبرة جدا².

ويتكون الفريق العامل في مصنع البارود من:

- أمين المصنع: وقد كان المسؤول الأول عن إدارة الورشات.
- الوزان: وهو المُكلف بمراقبة الموازين والمكاييل المُعدة لطحن الكبريت والفحم والملح.
- عمال الفنون: وقد كان دورهم يتمثل في تصفية وتنقية الملح وحرق الحطب وطحنه وغربلته.
- الحراس: وهم المكلفون بحراسة مخازن البارود ومصانعه³.

2-3- مستعملو المدافع:

والمقصود بهم هنا هم الجنود الذين يستخدمون هذه المدافع في المعارك سواء للدفاع عن مدينة الجزائر أو في حالة الهجوم على العدو، حيث يمثل أربعة أفراد وهم على الشكل التالي:

- حامل المشعل: ومعناه حامل قبس الفتيل الذي يجب أن لا ينطفئ أثناء العمل بالمدفع (حرق فتيل البارود).
- حامل المكيال: وهو المُكلف بتطعيم وملئ سبطانة المدفع بالبارود⁴.
- حامل المدك: ودوره يتمثل في إكتناز وتكتيل البارود بالصمامة في مؤخرة السبطانة، بينما يستعمل الطرف الثاني من المدك في تنظيف السبطانة قبل حشوها مرة ثانية.
- مسؤول التسديد: لقد كان قائد الوحدة المشرفة على المدفع، ويجب أن تتوفر لدى هذا القائد الدقة والدراية في توجيه فوهة المدفع وقياس زاوية الرمي بخصوص إرتفاع المدفع وانخفاضه⁵.

¹- لقد كانت مادة البارود خلال العهد العثماني تحفظ في براميل من عود البلوط، ومشددين ألواحهم وهذا ليمنع تسرب النداء والنار إليها. راجع: مؤلف مجهول، قاموس الألفاظ العسكرية، المصدر السابق، حرب الباء، و02.

²- الأمير بوغدادة، المرجع السابق، ص 121.

³- مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص 273.

⁴- ميمم داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 46.

⁵- مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص 274.

3-المهام العسكرية لفرقة المدفعية:

لقد أدت فرقة المدفعية (الطوبجية) مهام عديدة على الصعيد العسكري خاصة في المعارك التي خاضها الجيش الجزائري في البر أو في البحر، لاسيما إذا علمنا أن إيالة الجزائر قد شهدت العديد من الحملات الأوروبية المتكررة على مدينة الجزائر، وذلك من أجل إخضاع عاصمة الإيالة ومقر السلطة الحاكمة، وفي هذا الإطار فقد حملت فرقة الطوبجية على عاتقها مهمة الدفاع عن السواحل الجزائرية التي كانت مُعرضة باستمرار لخطر الحملات الأوروبية، الأمر الذي اقتضى توزيع هذه الفرقة على شكل وحدات على مستوى البروج والقلاع والموانئ لإطلاق نيران المدافع على الأساطيل الحربية المعادية¹.

وخلاصة القول حول ما تم تناوله في هذا العنصر حول فرقة المدفعية (الطوبجية)² يتضح لنا أن هذه الفرقة كانت في الدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد فرقة الإنكشارية، وهذا راجع إلى كونها كانت على قدر كبير من التكامل في العناصر والأدوار وكذا من التنظيم والإشراف، وهذا ما جعلها أيضاً محط أنظار العديد من الباحثين العرب والأجانب على حد سواء.

ثالثا: فرقة فرسان الصبايحية:

لقد عُرف عن الجزائر منذ أقدم العصور بتربية الحيوانات الأليفة والصديفة للإنسان، ومنها الخيول، وعليه فقد إشتهرت فيها نوعين من الخيول الأصيلة وهما: الحصان العربي الأصيل، والنوع الثاني هو الحصان المغربي المسمى (بارب) "BARBE"، وعليه فقد عرفت في المنطقة الحرف المتعلقة بالفروسية مثل: صناعة الجلد والسروج والحدادة، كما سمحت بتطوير مهارات متعلقة بامتطاء الخيل والمبارزة من على ظهورها وتطبيق طرق الكر والفر وإطلاق النار وكذا اختراق صفوف العدو³، ومن هذا المنطلق فقد شهدت الجزائر خلال العهد العثماني فرقة عسكرية نظامية من الفرسان اتخذت الخيل أداة تساعدتها سواء في تنقلاتها

¹ - خليفة حماش، العلاقات...، المرجع السابق، ص 130.

² - من خلال اطلاعنا على مختلف الوثائق نجد أن مصير تلك الفرقة (الطوبجية) بعد أن احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م، قد تفرق أفرادها، فمنهم من رجع إلى موطنه الأصلي في مختلف أقاليم الدولة العثمانية، ومنهم من هاجر إلى المغرب الأقصى، وفي هذا الصدد نجد مجموعة من الوثائق الأرشيفية التي تتطرق لموضوع هجرة مجموعة من أفراد المدفعية إلى المغرب الأقصى والانضمام إلى الجيش المغربي. راجع: خليفة حماش، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب في العهدين العثماني والاحتلال الفرنسي (بالخزانة الحسينية والمكتبة الوطنية بالرباط)، ط2، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 42، 111، 117.

³ - علي خلاصي، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 140.

أو في معاركها، وقد عرفت هذه الفرقة بفرسان الصبايحية (السباهية)، وعليه نطرح التساؤلات التالية: ما هو مفهومها؟ وإلى أين ترجع أصولها؟ وماهي أنواعها؟ وكيف تم تجنيدها في صفوف الجيش الجزائري؟ وفيما تمثل دورهم وإمّيازاتهم؟.

1- فرقة الصبايحية: المفهوم والأصل:

1-1- مفهوم فرقة فرسان الصبايحية:

1-1-1- لغة:

يُشتق مُصطلح السباهية من لفظة "السباه" وتعني الجُند والجيش، وهو مُصطلح أُطلق في العهد العثماني للدلالة على فرسان الجيش وخيّالته¹، وفي شرح آخر للمُصطلح فأصله أسباه، وهو بدوره لفظ فارسي بمعنى جيش أو قطعة عسكرية كبيرة، حيث تطور مدلوله ليُصبح في العصر العثماني: إسباهية، وهم صنف من العسكر ويُقصد بهم فرقة فرسان الجيش العثماني وعليه فقد وُرد ذكرهم في بعض المصادر بكلمة: "إسباهية"².

1-1-2- إصطلاحًا:

لقد عُرف فرق فرسان الصبايحية (Spahis) على أنها فرقة عسكرية نظامية معروفة منذ التواجد العثماني بالجزائر، والتي تعني بالغة التركية "بالخيالة"، كما تسمى أيضا بمُصطلح "سبايس"³، وقد كان جُنود هذه الفرقة أصحاب كفاءات عالية في ركوب الخيل واستخدام السيف ورمي السهام والرّماح، في حين أن مُهمتهم الأساسية تمثلت هي الدفاع والمحافظة على حدود الدولة، وكذا الاشتراك مع جُنود الإنكشارية في صد الهجمات المعادية أو الهجوم على الأعداء⁴، في حين يذكر فانتوري دي بارادي أن المجال الجُغرافي

1- حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 111.

2- مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 27.

3- عائشة ناقل، كريم ولد النبية، " فرق الصبايحية واستغلالها داخل الاستراتيجية الاستعمارية في الجزائر (1830-1845)", المجلة الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، المجلد 12، ع01، نوفمبر 2019، ص 144.

4- حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 111.

الذي يعمل فيه أولئك الفرسان لا يشمل مدينة الجزائر فقط، بل كانوا يعملون أيضًا على مستوى البايكات إلى جانب البايات¹.

1-2-الأصل التاريخي لفرقة فرسان الصبايحية:

يرجع تاريخ تأسيس فرقة فرسان الصبايحية إلى عهد مُبكر جدًا من قيام الدولة العثمانية في الأناضول، ويُنسب المؤرخين تسميتها إلى السلطان العثماني أورخان بن عثمان (1326-1360) مؤسس الدولة العثمانية² حيث بلغ عددها في فترة حكم السلطان العثماني محمد الثاني (الفتح) (1451-1481) نحو عشرة آلاف (10000) خيال، ثم ازداد عددها في عهد السلطان العثماني أحمد الثالث (1703-1730)³ إلى نحو اثني عشر ألف (12000) خيال⁴، بحيث يُعد فرسان الصبايحية من أقدم أنواع الجنود في الدولة العثمانية، فقد كان عليهم المُرابطة داخل حدود إقطاعاتهم، وبالتالي فقد شكلت فرق الصبايحية أسس الجيش العثماني في بداية التشكيل العسكري للدولة العثمانية، وهذا بالنظر لطبيعة المجتمع العثماني الذي كان معروف بالفروسية، وحتى لا ننسى التضاريس الوعرة في منطقة الأناضول التي كان يتميز القاطنين فيها بالصلابة والقوة البدنية وكذا الضخامة في الجسد⁵.

لقد شكلت فرقة الصبايحية جزءًا من مجموعة الفرسان الذين كان يُطلق عليهم إسم " فرسان القابي قول" أو " فرسان السواري"، لأنهم في بادئ الأمر كانت مهامهم تدور حول حراسة السلطان، ثم تغيرت مهمتهم حيث أصبحوا يُقيمون في المناطق الريفية القريبة من الأراضي الزراعية، والتي تحصلوا عليها بفضل النظام الإقطاعي الذي ابتدعه السلطان العثماني مراد الأول (1362-1389) بحيث كان يُعطي لكل فارس جزءًا من الأرض إقطاعًا له، بشرط أن يسكن الجندي الصبايحي في أرضه وقت السلم، ويستعد للحرب وقت

¹ - هم عبارة عن ضباط يتم تعيينهم على رأس السلطة في البايكات بواسطة الداى، حيث كانت لهذا الأخير القدرة كذلك في عزلهم متى شاء، في حين يعتبر منصب الباى من الوظائف التي لا تتطلب الأقدمية، ويتمثل دورهم في الباىك من خلال فرض الضرائب على القبائل، وهم مُلزَمين بإرسال بعض العائدات إلى خزينة الدولة، ويرافقها احتفال كبير... للمزيد راجع: Shaw, op.cit, p.163.

² - شعوب كامل نصيف، المرجع السابق، ص 2170.

³ - هو السلطان الثالث والعشرون في قائمة السلاطين العثمانيين، تولى الحكم (1703-1730) وعمره يومذاك اثنين وثلاثين سنة، سار مع الإنكشارية مدة فأعطاهم الأعطيات، رافقهم على قتل المفتي فيض الله حتى إذا تمكن اقتص من قادتهم... للمزيد راجع: محمود شاكر، المرجع السابق، ص 141.

⁴ - يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني، المرجع السابق، ص 52.

⁵ - زين العابدين شمس الدين نجم، المرجع السابق، ص 224.

الحاجة وعلى نفقته الخاصة بشرط أن يستقدم جُندياً آخر معه¹، في حين كان يُشرف على أولئك الفرسان ضابط سمي " أغا السبايحية" وقد كان من أكبر الشخصيات على مستوى الديوان².

أما فيما يتعلق بفرقة فرسان السبايحية في إيالة الجزائر فإنهم كانوا على شاكلة فرسان السبايحية في الدولة العثمانية، أما بخصوص عدد الفرسان المُنتميين إلى هذه الفرقة فقد كان قليلاً جداً إذا ما قارناهم بعدد جُنود فرقة الإنكشارية³، في حين وجدنا حسب اطلاعنا أن فرق الخيالة كانت تختلف عن الإنكشارية وغيرهم من فرق المشاة في الجيش الجزائري بأنهم لا يُقيمون في التكنات بمدينة الجزائر، بل كان مُعظمهم يعيش في المناطق والفحوص⁴ القريبة من مدينة الجزائر حيث تتواجد المراعي بالنسبة للخيول⁵، ومن جهة أخرى فقد تمركزوا أيضاً في المناطق القريبة من عواصم البايكات في الجزائر العثمانية مثل: بايلك الغرب وبايلك التيطري وبايلك الشرق⁶.

2-طريقة تجنيد فرسان الصبايحية (السبايحية):

2-1-توزيع أملاك التيمار والزعاميت:

في بداية الحكم العثماني بالجزائر سنة 1519م أي بعد طرد الإسبان من ساحل مدينة الجزائر بواسطة الأخوة بربروس، فقد عملت على إثرها السلطة الحاكمة والمتمثلة في القائد خير الدين بربروس (1519-1535) على تجنيد فرسان القبائل المحلية ضمن صُفوف المؤسسة العسكرية، وقد تم هذا بعد أن

¹- نزار قازان، المرجع السابق، ص 25.

²- شعوب كامل نصيف، المرجع السابق، ص 2170.

³- خليفة حمّاش، العلاقات..، المرجع السابق، ص ص 131-132.

⁴- يتشكل فحص مدينة الجزائر من المنطقة الشرقية لإقليم الساحل، ويمكن تقسيم هذا الفحص إلى ثلاث مناطق مُتمايزة حسب الطرق الرئيسية المؤدية إليها والأبواب التي تتفتح عليها: فحص باب الوادي، فحص الباب الجديد، فحص باب عزون، ويُقدر المساحة الإجمالية لفحص مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني بحوالي ثلث مساحة الإقليم كله، أي ما يعادل مئة وخمسون (150) كيلومتر مربع... للمزيد راجع: ناصر الدين سعيدوني، " فحص مدينة الجزائر-نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الإحتلال-"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 01، ع01، السنة 1986، ص ص 91-92.

⁵- زين العابدين شمس الدين نجم، المرجع السابق، ص 224.

⁶- شعوب كامل نصيف، المرجع السابق، ص 2170.

وُزعت عليهم أملاكاً من نوع التيمار والزعامت¹، وبالتالي فقد حولت أولئك الفرسان إلى جنود السبايحية أو السبايحية².

2-2- تجنيد قداماء عناصر الإنكشارية:

في هذا الصدد تطرق فاننتوري دي بارادي (Venture de Paradis) إلى كيفية تجنيد الأعضاء الجدد في هذه الفرقة، وهذا على طريقتين: الأولى وتتم من قبل جنود الإنكشارية الذين أنقذوا مدة التجنيد والتي كانت مقدرة بعشر (10) سنوات في الخدمة العسكرية، أما الطريقة الثانية فهي تخص الجنود الذين لم ينقذوا المدة المطلوبة فيتم تجنيدهم في صفوف فرسان السبايحية بصعوبة بالغة، حيث يُقدم الجندي مبلغ مالي لفائدة قائد تلك الفرقة من أجل السماح له بالتجنيد ضمن تلك الفرقة النظامية من الجيش الجزائري³، بحيث نجد أن الجندي الإنكشاري الذي يُسمح له في الجزائر ليكون سبايحيةً فإنه يعتبر بالنسبة له شيء كبير وامتنياز خاص قد حصل عليه، وقد كان يتزأس هذه الفرقة من الفرسان شخص يقال له "أغا السبايحية" حيث كان يُقيم في مدينة الجزائر، وبالتالي فقد كان يُعد من الشخصيات النافذة على مستوى المؤسسة العسكرية للإيالة، وذلك من خلال أن باشا الجزائر كان يُوكل إليه قيادة فرق الجيش الجزائري بقسميه النظامي والاحتياطي عند قيام المعارك والحروب سواء الداخلية أو الخارجية⁴.

أما بخصوص الرواتب التي كان يتحصلون عليها فقد وصلت في بعض الأحيان إلى نحو خمسة وعشرون (25) دوبيلي وهو ما يمثل الأجر العادي، أما الأجر المرتفع فإنه قد وصل إلى نحو ثلاثون (30) أو أربعون (40) دوبيلي وأكثر في الشهر الواحد، وبغض النظر عن تلك الرواتب الشهرية، فقد تواجدت أيضاً معاشات تقاعدية لأولئك الفرسان، حيث كانوا يتحصلون عليها بعد إكمالهم الخدمة ضمن فرقة فرسان السبايحية، وقد تمثلت في حصولهم على بعض الأراضي الزراعية والأغنام والثيران وغيرها⁵.

¹ - هي عبارة عن مجموعة من الأراضي الإقطاعية التي كانت تقع وارداتها ما بين عشرون ألف (20000) إلى مئة ألف (100000) أقة، حيث كانت تمنح لمجموعة من الأشخاص مقابل خدمات ومصالح معينة للدولة، وقد تم إلغاؤها مثل التيمار عام 1257هـ الموافق لـ (1840م) ... للمزيد راجع: سهيل صبابان، المرجع السابق، ص 130.

² - بدر الدين شعباني، المرجع السابق، ص 134.

³ - Venture de Paradis, op.cit, p.76.

⁴ - خليفة حماش، العلاقات...، المرجع السابق، ص 132.

⁵ - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.54.

3-أنواع فرق فرسان الصبايحية (الصبايحية):

يمكن تقسيم فرقة فرسان الصبايحية على حسب أصولهم التي ينتمون إليها إلى نوعين: فرسان صبايحية أترك، وفرسان صبايحية الأهالي:

3-1-فرقة فرسان الصبايحية الأترك:

وهي عبارة عن فرقة من فرسان الصبايحية الذين كانوا يتمثلون في الجنود الذين وصلوا إلى سن التقاعد وهم في أغليبتهم من الشيوخ منهم الأترك بالأصل ومنهم الأعلاج، ويوجد بينهم من كان يشتغل في منصب أغا الإنكشارية¹، غير أن فاننتوري دي بارادي (Venture de Paradis) ذكر بأنه في القرن الثامن عشر (18) ميلادي أن فرقة فرسان الصبايحية الأترك كانوا لا يشتغلون أبداً في مدينة الجزائر، إلا عند البايات على مستوى البايكات فقط، بحيث كانوا ينتقلون من الخدمة في أوجاق الإنكشارية المشاة إلى فرسان الصبايحية بموجب رخصة كانت تُعطى لهم في هذا الخصوص، على أن قائدهم العام كان يُعرف بإسم " باشاغا الصبايحية" أو ما أصبح يُعرف فيما بعد بتسمية "أغا العرب"، بحيث كان يقيم دائما في مدينة الجزائر وهو تركي الأصل على الدوام²، حيث كان يشرف على قيادة فرقة الصبايحية في إيالة الجزائر، وبالإضافة إلى هذه المهمة، فقد كان لأغا الصبايحية مهام ووظائف أخرى تتمثل في إدارة المناطق الداخلية للإيالة، وبصفة خاصة المناطق المحيطة بمدينة الجزائر والتي كان يُطلق عليها تسمية الفُحوص، وفي هذا الصدد يذكر حمدان بن عثمان خوجا حول أغا الصبايحية فيقول: "... تأتي مرتبة الأغا وهي درجة سامية، إذ هو الذي كان يقود وحدات الفرسان التي تتكون في معظمها من العرب أو القبائل، وعليه يتحتم على الأغا أن يتكلم العربية ليتمكن من إعطاء الأوامر وتسيير جيوشه..."³، أما فيما يخص طريقة تعيينه فإن الباشا الجزائر هو المسؤول الوحيد عن تعيين واختيار من يشغل هذا المنصب، وهو الوحيد الذي له السلطة في عزله متى رأى ذلك⁴.

¹ - Ibid, p.54.

² - Venture de Paradis, op.cit, p.75.

³ - حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 90.

⁴ - محمد بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م، رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2002/2003، ص20.

ويباشر أغا العرب (أغا الصبايحية)¹ سلطته العسكرية والاقتصادية من مقره العام الذي كان يتواجد بحوش الأغا خارج باب عزون، وهذا في عدة مهام وهي على النحو التالي:

- 1-مراقبة دار السلطان وملحقاته التي تمتد من سهول سباو السفلى وعريب.
- 2-الإشراف على قيادات متيجة والأوطان السبعة التي كانت تتألف منها دار السلطان، فأغا العرب هو الذي كان يُعين قواد هذه الأوطان: قايد بني خليل، قايد بني موسى، قايد الخشنة، قايد بني جعد، قايد بني سليمان، قايد عريب، قايد حجوط.
- 3-تعين شيوخ القبائل.
- 4-الإتصال بوكيل الحرج المتواجد بمدينة الجزائر، وإعلامه بأهم القضايا التي تعنيه، خاصة ما تعلق بأمور النقل على مستوى الميناء².
- 5-ترميم بعض الحصون والأبراج المتواجدة على مستوى الحاميات³.
- 6-جمع الضرائب من قبائل الرعية، في حين عثرنا في هذا الخصوص على وثيقة أرشيفية تخص مراسلة قام ببعثها إبراهيم أغا العرب (1828-1830)⁴ إلى قبائل اولاد علي، وذلك بتاريخ أواخر جمادى الثاني 1243 هـ الموافق لـ (1828م)، بشأن إرساله عددًا من فرسان الصبايحية بغية استخلاص الضرائب، حيث جاء فيها: "... يتعرب بمنه المكرمون خدامنا البواعيس جماعة أولاد علي... اعلموا فاننا بعثنا لكم خدامنا الاصبايحية لأجل الخلاص وننظر أمركم..."⁵.

¹ - لقد كان أغا العرب (الصبايحية) تركي الأصل وهذا ما جعله في بعض الأحيان يعود إلى بلاده في أقاليم الدولة العثمانية من بعد انتهاء عمله في إيالة الجزائر، وفي هذا الخصوص نجد فرمان أرسله السلطان العثماني سليم الثالث (1789-1808) إلى قاضي مدينة إزمير بتاريخ أواسط رمضان 1220 هـ، بشأن تقسيم تركة أغا العرب الذي عمل بإيالة الجزائر بين أولاده وفق الشريعة الإسلامية... للمزيد راجع: م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 23.

² - صرهودة يوسف، "مكانة وظيفة أغا العرب في إدارة إيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 15، ع 02، السنة 2022، ص ص 814-815.

³ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 102.

⁴ - هو صهر الداوي حسين باشا (1818-1830)، حيث تولى الأغوية من (1828-1830) بعد أن عُزل يحيى بن مصطفى أغا من طرف الداوي حسين باشا (1818-1830)، وقد كان إبراهيم هذا عاجزًا عن أداء مهامه، بدليل أنه عارض اقتراحات زملائه أمثال الحاج أحمد باي بشأن مواجهة الحملة الفرنسية على الجزائر، وبسبب تعنته انهزم الجيش الجزائري بقيادته في معركة اسطوالي في يوم 19 جوان 1830م، وقد هرب على إثرها إبراهيم أغا من الميدان وترك الجيش والخيام... للمزيد راجع: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال)، ط3، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1982، ص ص 38-43.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3204/الملف 02، الوثيقة رقم 07.

وحسب الباحث ياسين بودريعة فإنه يذكر أنه قد جلس ثلاث حُكّام في كرسي السلطة في إيالة الجزائر خلال عهد الدايات، حيث كانوا في منصب أغا العرب، وهم : الداوي محمد بكداش (1707-1710)، الداوي عبيد باشا(1724-1732)، والداوي عمر باشا(1815-1817)، مما يعني أن منصب أغا العرب قد كان أحد المفاتيح الأساسية من أجل الوصول إلى أعلى سلطة على مستوى الإيالة وهي " الداوي"¹، وللتّعرف على أهم من شغل منصب أغا الصبايحية في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر وضعنا الجدول التالي:

الجدول رقم 5: يمثل أهم من شغل منصب أغا الصبايحية في إيالة الجزائر خلال (1789-1830م)².

إسم أغا الصبايحية	فترة توليته	ملاحظة عامة
علي أغا	(1791-1789م)	أعدم في سنة 1791م.
مصطفى أغا	(1809-1814م)	/
عمر أغا	(1814-1815م)	لقد اشتغل في منصب قايد لقبيلة عريب ثم أغا العرب ثم نُصب من بعدها دايا للجزائر سنة (1815-1817م).
يحي بن مصطفى أغا ³	(1818-1828م)	لقد عمل في منصب خزندار ثم عُين بعدها في منصب قايد بوفاريك سنة 1815م، ثم قايد بني جعاد سنة 1817م، وفي الأخير أعدم سنة 1827م.
إبراهيم أغا	(1828-1830م)	يعتبر آخر من شغل منصب أغا العرب في إيالة الجزائر قبل سقوطها في يد الإحتلال الفرنسي سنة 1830م.

¹ ياسين بودريعة، " أغا العرب بالجزائر المنصب السامي والطموح السياسي خلال مرحلة الدايات (1671-1830م)، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 07، ع01، السنة 2023، ص 352.

² صرهودة يوسف، مكانة وظيفية...، المرجع السابق، ص 811.

³ يحي بن مصطفى هو شخصية عثمانية تعود أصولها إلى منطقة قارا دانيز (منطقة البحر الأسود باللغة التركية) بالروملي، وقد أبحر يحي الشاب نحو الجزائر ليصلها كجُندي بسيط أو يولداش، وقد بقي في منصبه هذا مدة طويلة، ثم عُين في منصب خزندار لدى عمر أغا، ثم لُيعين بعدها قايد لمنطقة بوفاريك، ومع نهاية عام 1817م عُين قائداً لقبائل بني جناد كمكافئة على سيرته اللامعة في الحملات العسكرية التي شارك فيها، في حين كانت تجمعه علاقات صداقة مع خوجا الخيل حسين، لكن عند تعيين هذا الأخير داياً على الإيالة حتى ولاءه منصباً مُهماً هو أغا العرب خلفاً للأغا بن عثمان سنة 1818م، وقد إستمر في منصبه هذا إلى غاية إعدامه من طرف صديقه بالأمس الداوي حسين باشا (1818-1830) بعد أن بلغه خبر خيانتة سنة 1828م. راجع: ريمة دريدي، " شخصية يحي أغا قائد الجيش الجزائري(1818-1828م)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 02، ع01، السنة 2020، ص ص 83-84.

نُلاحظ من خلال هذا الجدول أن منصب أغا العرب (أغا الصبايحية) لم يكن محدد بفترة زمنية مثل منصب أغا الإنكشارية في مدينة الجزائر، وبناءً على ذلك فقد سُمح لأغا العرب أن يتولاه مدى الحياة في حالة ما إذا لم يقع بينه وبين الداي خلاف، أو في حالة تعيين داي جديد للإيالة نجده يقوم بدوره بتعيين أغا الصبايحية جديد، وكثيراً ما يذهب أولئك الأغوات ضحايا الاغتيالات التي كانت تحدث من حين إلى آخر على مستوى الإيالة.

3-2- فرقة فرسان الصبايحية الأهالي:

وقد تكونت هذه الفرقة من فرسان الأهالي الذين كانوا ينتمون إلى العائلات الكبيرة بحيث جُندوا في خدمة أغا العرب¹، والجدير بالذكر أن فرق الصبايحية الأهالي كانت على عكس الفرق الصبايحية الأتراك، بحيث أن السلطة الحاكمة في إيالة الجزائر كانت تقبل بتجنيد الأهالي المحليين ضمن صفوف هذه الفرق الصبايحية حتى يقوم كل مُجدد من الصبايحية بتوفير حصانه وبنديته بنفسه وعلى نفقاته الخاصة، وزيادة على ذلك فقد كان يُقدم كذلك من أجل قبوله في هذه الفرق مبلغ مالي يقدر بحوالي مئة (100) بوجو².

لقد دُمج الصبايحي الأهالي مع فرسان المخرن، وقد كان يتمتع مثلهم بمجموعة من الامتيازات نذكر منها: الإعفاء من الرسوم الشخصية، ومن جهتنا فقد تطرقنا إلى ذكر بعض القبائل المحلية التي كانت تجند السلطة العثمانية منها فرسان الصبايحية الأهالي وهي: قبيلة بني سليمان الكبيرة في دار السلطان، وقبيلة ولاد دبار، وقبيلة ولاد عثمان، وقبيلة ولاد بوعيش في بايلك التيطري، ومن قبائل بايلك الشرق نذكر: قبيلة ولاد عبد النور التي كانت توفر حوالي ألف (1000) فارس صبايحي، وقبيلة التلاغمة التي كانت توفر حوالي مئة (100) فارس صبايحي، وفي بايلك الغرب نذكر: قبيلة دوي الحسن وهاشم الشلف (صبايحة الشلف)³.

4- مهام فرقة فرسان الصبايحية:

هنا لا بد من الإشارة إلى أن فرقة فرسان الصبايحية يمكن تقسيمها من حيث مهامها إلى ثلاث أقسام وهي على الشكل التالي:

¹- صالح عباد، المرجع السابق، ص 318.

²- عائشة ناقل، كريم ولد النبية، المرجع السابق، ص 144.

³- صالح عباد، المرجع السابق، ص 318.

4-1- حماية الحواضر الكبرى:

وهي عبارة عن فرقة من الخيالة تم تكليفها بحماية حواضر المدن الكبرى، مثل: مدينة قسنطينة، ووهران، والمدية¹، فعلمهم كان بجانب البايات على مستوى بايلكات الإيالة، بحيث كانوا يُعتبرون بمثابة الحرس الشخصي للباي، لكن حين تُعلن التعبئة العامة فإن البايات ينظمون إلى الأغا ويعملون تحت قيادته، وبالتالي فإن فرق الصبايحية تدمج كفرقة موحدة مع فرق الجيش الجزائري الأخرى المتنوعة (الإنكشارية والطوبجية وغيرها من الفرق الاحتياطية) وذلك بغية التصدي لمختلف التمردات الداخلية أو التدخلات الخارجية².

4-2- تطبيق العدالة والأمن:

لقد تم تكليف فرقة من فرسان الصبايحية بمساعدة العدالة في الحفاظ على الأمن وإلقاء القبض على اللصوص وقطاع الطرق والأشرار، بحيث كانوا يُشكلون ما نصلح عليه اليوم "بالشرطة القضائية"، ومن مهامهم أيضاً جمع الضرائب من القبائل الرعية³ وتطبيق العقوبات على المخالفين⁴، وفي هذا الصدد نجد رسالة من إبراهيم أغا العرب إلى قبيلة أولاد علي بتاريخ أواخر جمادى الثانية 1243هـ الموافق لـ (16 جانفي 1828م)، وقد جاء في مضمونها إرسال عدد من فرسان الصبايحية من أجل جمع الضرائب من القبائل الرعية الأخرى، وهذا نص ما جاء فيها: "... اعلّموا بأننا بعثنا لكم خدامنا الاصبايحية لأجل الخلاص وننظر أمركم فان خلصتم بالعزم والقوة من غير تاخير في أيام قلائل فذلك المراد... وغن تأخرتم وتراخيتم فأنتم أدرى بنفوسكم... وإلا فإن صدقتم بما مقالتم وخلصتم بالعزم فإنكم خدام وعليكم أمان الله ورسوله لا تخافوا من شيء وهذا آخر الكتاب بيننا وبينكم وعليكم السلام..."⁵.

4-3- حماية الداوي وأعوانه:

وهي عبارة عن فرقة من الفرسان كانت مهمتها الأساسية تتمثل في حماية الداوي من الإغتيال، أي ما يمثلون الحرس الخاص بالداوي، بحيث كانوا يُشكلون ما نصلح عليه اليوم بالحرس الجمهوري الخاص

¹ - شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 64.

² - محمد بن جبور، "التنظيم العسكري لإيالة الجزائر من خلال الكتابات الفرنسية (1671-1830)", المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، المجلد 02، ع01، جوان 2020، ص 339.

³ - للمزيد من المعلومات حول مهمة جمع الضرائب بالنسبة لفرسان الصبايحية يُرجى الاطلاع على الملحق رقم (13).

⁴ - شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 64.

⁵ - م.و.ج، المجموعة: 3206/الملف 02، الوثيقة رقم 38.

برئيس الدولة¹، أما ما يتعلق ما بلباسهم فإنه كان عبارة عن برونوس أحمر وسروال وسترة مزخرفة بلون ذهبي، أما بالنسبة لتجهيزات العسكرية الخاصة بهذه النوع من الفرسان بأنه قد احتوى على السلاح سواء كان بندقية أو سيف مع توفر الخيل، وبالتالي فقد كان كل هذا التجهيز العسكري على عاتق الباي الذي كان يتولى القيام بكل تلك المتطلبات العسكرية والتنظيمية².

من خلال ذلك التنظيم المُحکم لتلك الفرقة النظامية من الجيش الجزائري، نجد بأن أولئك الفرسان قد ساهموا بقيادة أغا العرب في قمع وإفشال العديد من الثورات الداخلية، مثل ثورة درقاوة التي قضى عليها عمر أغا (1803-1814م)، وكذا تمرد بلاد القبائل ونواحي التيطري وجهات قسنطينة التي تم القضاء عليها وإخمادها يحي أغا (1818-1828م)، وعليه فقد تمكن هؤلاء الأغاوات من تدعيم نفوذهم وزيادة مكانتهم عند الدايات بواسطة هذه المهام العسكرية الصعبة والخطيرة على السلطة العثمانية بالجزائر³.

خلاصة القول حول هذا العنصر نجد بأن تأسيس فرق الصبايحية في إيالة الجزائر كان مع بداية التواجد العثماني بالجزائر وذلك بالنظر إلى جُملة من التحولات الحاصلة على المنظومة العسكرية للإيالة، حيث يُعد السبب الرئيسي لتأسيسها حسب رأينا هو تدعيم وحدات الجيش الإنكشاري الذي كان يشهد فترات من التراجع بسبب العوامل التي تم التطرق إليها سابقًا، وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن عدد جنود فرسان الصبايحية قد كان قليل جدًا بالمقارنة مع جنود فرقة الإنكشارية الأمر الذي أدى إلى إبعادهم عن مراكز صنع القرار في على مستوى السلطة الحاكمة بالجزائر.

وبالإضافة إلى الفرق العسكرية النظامية سابقة الذكر، نجد بدورنا بأنه قد تواجدت في إيالة الجزائر فرق نظامية أخرى، إلا أنها تميزت بكونها قليلة العدد ومحدودية المهام، ومهما يكن فقد تمثلت مهامها بالدرجة الأولى على حفظ الأمن والخدمة داخل دار الإمارة (قصر الداوي) وهي كالأتي:

¹ - شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 64.

² - عائشة ناقل، كريم ولد النبية، المرجع السابق، ص 144.

³ - عائشة ناقل، كريم ولد النبية، "استغلال وظيفة أغا العرب في بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1845م)"، مجلة أفاق فكرية، المجلد 10، ع 01، السنة 2022، ص 503.

1-فرقة صُولاق: والتي كانت تُشكل الحرس الخاص للباشا أو الداى، بحيث كانوا يرافقونه أثناء خُروجه لصدّ الحملات الاجنبية على مدينة الجزائر¹، وقد كان جُنودها يُختارون من بين أقدم العناصر في الجيش الإنكشاري، وقد كانوا يتزينون بلباس خاص يليق بمكانتهم عند الباشا².

2-فرقة بيكلر: هي كذلك كان عناصرها يتم جمعهم من أقدم عناصر الإنكشارية بعد الصُولاق، في حين تمثلت مهامهم في مراقبة الأحياء الصغيرة داخل مدينة الجزائر من مختلف الآفات الإجتماعية وغيرها³.

3-فرقة الجاوشية: كان يتم اختيارهم من بين عناصر الإنكشارية الذين يمتازون بالبنية الجسمانية القوية واللياقة العالية، وقد كانت مهمتهم الرئيسية هي مراقبة جُنود الجيش الإنكشاري وكذا القبض على المذنبين وتأديبهم، حيث كان يرأس هذه الفرقة ضابط يسمى (جاوش باشي)⁴.

4-فرقة الزباندود: تتكون هذه الفرقة من الجُنود الإنكشارية المغضوب عليهم والذين صُدر العفو في حقهم بعد لجوئهم إلى أحد المزارات، وبالتالي فقد مُنعوا من العودة إلى وحداتهم العسكرية، ولهذا فقد كانوا يُوضعون في مقدمة الجيش الذي يُرسل إلى المعارك، حيث كانت توكل إليهم مهمة مباغته العدو⁵.

¹ - ميمى داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 38.

² - محمد بن جبور، التنظيم العسكري...، المرجع السابق، ص 340.

³ - ميمى داود، " الفرق الإنكشارية في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع1، جانفي 2019، ص 37.

⁴ - ميمى داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 38.

⁵ - ميمى داود، الفرق الإنكشارية...، المرجع السابق، ص 38.

الفصل الرابع

الجيش الإحتياطي وهياكله على مستوى

إيالة الجزائر

شهدت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني العديد من الثورات المحلية سواء ما تعلق الأمر بالقبائل المتمرّدة على السلطة الحاكمة بالجزائر أو الثورات التي تزعمتها العديد من الطُرق الصُوفية، وذلك على المستوى الداخلي للإيالة، أما على المستوى الخارجي فنجد مثلاً شن العديد من الدول الأوروبية لمجموعة من الحملات العسكرية التي كانت بشكل مُستمر ضد الإيالة، وعلى إثر هذا الوضع عملت السلطة العثمانية بالجزائر على تجنيد جيش احتياطي تعزز به قُواتها العسكرية النظامية من جهة وكذلك نشر الأمن والاستقرار في مختلف مناطق الإيالة من جهة أخرى، وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: فيما تتمثل تلك الفرق العسكرية الاحتياطية؟ وكيف تم تجنيدها؟ وماهي الأدوار العسكرية التي لعبتها؟.

أولاً: فرقة الكراغلة:

بعد ضم المغرب الأوسط إلى الدولة العثمانية وإعطائه تسمية جديدة وهي " إيالة الجزائر " بداية من سنة 1519م، ذلك الأمر سمح بتوافد جماعات عثمانية سواء كانت مدنية أو عسكرية إلى هذه الإيالة الجديدة، وبالتالي فقد انصهرت تلك الفئة مع العُنصر المحلي (الأهالي) عن طريق رابطة الزواج، الذي أنتج لنا بدوره فئة اجتماعية جديدة اطلق عليها تسمية " الكراغلة"، لهذا نطرح التساؤلات التالية: ماهية تلك الفئة؟ وكيف تم تجنيدها في الجيش الجزائري؟ وفيما تمثل دورها على المستوى العسكري؟.

1- الكراغلة: المفهوم والنشأة:

1-1- مفهوم مُصطلح الكراغلة:

1-1-1- لغة:

لقد رُسم مُصطلح الكراغلة على عدة أشكال وذلك في مُختلف المصادر التاريخية ومنها: قُول أوغللري، قُول غُولي، قُرغلان، كُول أوغلي وكُوله أوغلوا، وهي تسميات تعود في أصولها إلى اللغة العثمانية، أما فيما يخص ما نقلته لنا المراجع الحديثة فنجد بأنها تتفق جُلها في تسمية واحدة وهي " الكراغلة"، في حين يُقابلها في اللغة الفرنسية مُصطلح "koleoglu" أو "kouloughli"، بالتالي نجد بأن كُله الأشكال في الكتابة تلتقي لتؤدي نفس المعنى¹، من خلال ما تم التطرق له نجد بأن مُصطلح " قول أوغلو" تركي الأصل، وهو مكون من لفظين هُما: "قُول" بمعنى عبد في اللغة التركية و" أوغلو" وتعني ابن، وبذلك يُصبح معنى

¹ - محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2014، ص 70.

المُصطلح هو " ابن العبد" في حالة المُفرد و"أبناء العبيد" في حالة الجمع¹، وعليه نجد بأن كلمة "قُول" هي صفةٌ تُطلق على الجُندي الإنكشاري في الدولة العثمانية بمعنى عبيد السلطان أي أن أبناءهم هم الذين يمثلون أبناء عبيد السلطان²، في حين أشار أحد المؤرخين وهو إسماعيل كمالى بأن لقب الكراغلة كان يُطلق عن مجموعة الأفراد المنحدرين من اختلاط الإنكشاريين بالبربر الخاضعين للحكم العثماني، وبالعبيد البيض (المماليك) المسيحيين الذين أسرهم فرسان البحر الطرابلسيين³.

1-1-2-إصطلاحا:

في مستهل الحديث يمكن إعطاء تعريف لفئة الكراغلة بأنها عبارة عن عنصر جديد على المجتمع الجزائري تولدت من الوجود العثماني بالجزائر، بحيث تكونت نتيجة تزواج أفراد الجيش الإنكشاري بالنساء المحليات⁴، وقد ظهرت هذه الفئة الاجتماعية لأول مرة على مستوى الحواضر التي تركزت فيها الحاميات العسكرية بإيالة الجزائر⁵ وهي: مدينة الجزائر، وتلمسان ومعسكر، ومُستغانم ومازونة والمدية والقلية وبسكرة وقسنطينة وعنابة⁶، وفي هذا الصدد عثرنا على بعض عقود الزواج والطلاق التي تخص أفراد من الإنكشارية مع نساء محليات بمدينة قسنطينة، فمثلاً نجد عقد زواج بين إسماعيل بن أحمد الإنكشاري مع امرأة محلية تُدعى الزهرة، وذلك بتاريخ ربيع الثاني 1213 هـ الموافق لـ (سبتمبر 1798م)، وقد أعطاها صداق قُدر بمائة (100) ريال وقفطان وحزام، وفي عقد آخر تزوج محمد بن سليمان الإنكشاري امرأة تدعى فاطمة بنت رابح الجبلي بتاريخ 03 جمادى الأول 1213 هـ الموافق لـ (13 أكتوبر 1798م)، حيث أصدقها ثمانون (80) ريال⁷.

¹ - فارس كعوان، المرجع السابق، ص 06.

² - ميمى داود، " تنظيم الجيش الاحتياطي بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية ودوره في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية"، مجلة عصور، ع32-33، جانفي- مارس، 2017، ص 102.

³ - إسماعيل كمالى، سكان طرابلس الغرب، تعر. تعل: حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1997، ص 60.

⁴ - Boyer Pierre, « Le problème Kouloughli dans la régence d'Alger », in: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°08, 1970, p.79.

⁵ - محفوظ سعيداني، " القوى المحلية دورها في تثبيت الحكم العثماني في بلاد المغرب (ق18-19م)", مجلة دراسات تراثية، ع05، السنة 2014، ص 458.

⁶ - رابح كنتور، التأثيرات الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 265.

⁷ - أ.و.ق، سجلات المحاكم الشرعية: سجل الزواج والطلاق، السجل 03، بتاريخ (1211هـ/1218هـ)، و145.

وعليه فقد كانت تجمع فئة الكراغلة قرابة العُمومة تجاه الأتراك، وبالتالي يشدهم نسب الخؤولة تجاه أهالي البلاد¹، في حين يشير الباحث أمين محرز في دراسته حول الكراغلة بأن هذا المصطلح كان يُطلق في الأصل على الأبناء الذكور الذين نتجوا عن زواج أفراد من عسكر القبوقولي بنساء مسلمات أو ذميات²، من الحرائر أو الرقيق، وليس فقط من نساء محليات " جزائريات " مثلما يُشاع في مختلف التعريفات العامة للمصطلح، بل كان يشمل أيضًا النساء التركيات من أقاليم الأناضول، وعليه نجد بأن فئة الكراغلة تشمل جميع أبناء الأتراك العثمانيين والكراغلة والأعلاج المنتسبين لأوجاق الإنكشارية أو إحدى الجماعات الفرعية الملحقة به، بغض النظر عن انتماء أو نسب أمهاتهم³.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطة العثمانية بالجزائر في بداية الأمر لم تعترف بهم مثل أباؤهم الإنكشارية، بحيث لم يكن يُسمح لهم بالتجنيد ضمن صفوف أوجاق الإنكشارية، وحسب بفايفر فإن فئة الكراغلة كانوا باستطاعتهم أن يتولوا وظيفة الخوجة أو الإمام في المساجد أو وظيفة كاتب في البحرية بشرط أن يُكونوا قد حفظوا القرآن الكريم وتعلموا اللغة العربية واللغة التركية (العصمانلية) كما يجب أن تكون⁴، ومن خلال دراستنا لفئة الكراغلة وجدنا بأنها لم تتوقف عند ذلك الحد من الإمتيازات الممنوحة لها، حيث حاولت هذه الفئة في الكثير من المرات بغية الحُصول على تلك الحقوق التي كان ينعم بها أباؤهم من الإنكشارية، وفي الأخير نجد بأنهم قد تحصلوا على الكثير منها بعد قيامهم بالعديد من الثورات مثل: ثورة الكراغلة سنة 1630م⁵.

1-2- نشأة وتطور فئة الكراغلة في إيالة الجزائر:

لقد استصعب علينا تحديد التاريخ الحقيقي لظهور فئة الكراغلة في إيالة الجزائر، وذلك بسبب جملة من الظروف التي كانت تمر بها البلاد، فكل متتبع للأحداث يعلم بأن إيالة الجزائر كانت تُعاني الأمرين

¹ ناصر الدين سعيدوني، " الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر - تونس - طرابلس الغرب)"، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، ع31، السنة 2010، ص 55.

² ومعناه جميع النساء التي كانت تعتنق الديانة اليهودية أو المسيحية على حد سواء.

³ أمين محرز، "إطلالة جديدة على كراغلة واد الزيتون"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 06، ع02، ديسمبر 2022، ص 388.

⁴ سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، تر. تق. تعل: أبو العيد دودو، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 184.

⁵ أحمد بحري، المرجع السابق، ص 17.

من جرّاء الاحتلال الإسباني للعديد من مدنها، ولهذا يُمكن اعتبار بأن بدايات ظهور فئة الكراغلة في إيالة الجزائر كان في الأساس مرتبط ببدائيات التواجد العثماني بالجزائر، فالمصاهرة الأولى التي أنجبت أول كرغلي بالجزائر فقد كانت بين خير الدين بربروس (1519-1535) وإحدى العائلات الجزائرية العريقة¹، وبالتالي فقد عاشت فئة الكراغلة في بداية العهد العثماني بالجزائر أو بالأحرى طوال مدة حكم البيلربايات (1519-1578) كبقية العناصر العثمانية، فكانوا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها آباءهم من الإنكشارية، ويعود السبب في ذلك إلى قوة الحكام الأوائل الذين عرفوا كيف يُوحّدون العناصر المُختلفة تحت سُلطتهم، وقد كان سُغلهم الشاغل آنذاك هو الدفاع عن الثغور البرية والبحرية ضد مُختلف الاعتداءات الخارجية والسعي إلى توحيد البلاد تحت راية واحدة، وهذا بعد استكمال تحرير جميع المدن المحتلة من طرف الإسبان، إلا أن ذلك الوضع لم يبقى على حاله بعد نهاية القرن السادس عشر (16م) ميلادي².

عند اطلاعنا على السياسة المنتهجة من قبل السلطة العثمانية بالجزائر وجدنا بأن الفئة الحاكمة من العثمانيين قد احتكرت مقاليد الحكم والسلطة بالإيالة، وبالتالي لم نجد أحدًا من الأهالي قد أعتلى المناصب العليا في الإيالة، لكن في المقابل فقد سجل لنا التاريخ تولي حسن بن خير الدين بربروس حكم إيالة الجزائر خلفا لحسن أغا سنة 1544م واستمر في الحكم على ثلاث فترات متقطعة وهو من فئة الكراغلة³، وبالتحديد عن التخوف الذي سيطر على الإدارة العثمانية تجاه فئة الكراغلة فله عدة عوامل تُبرره وقد تمثلت فيما يلي:

- إمكانية حدوث تحالف بين الكراغلة والأهالي وبالخصوص فرقة زواوة أو الحضر ضد الإنكشارية في حالة حدوث نزاع، وذلك بسبب الإنتماء العاطفي للكراغلة تجاه فئة الأهالي باعتبارهم أحوالهم، وهي صلة قرابة نعتبرها قوية بالنظر إلى صلتهم تجاه الإنكشارية الذين هم من أصول مختلفة.

- إمكانية إرتباط جُنود الكراغلة عن طريق المُصاهرة مرة أخرى مع الأهالي، وهذا ما يزيد من عددهم وقوة قرابتهم فيما بينهم، وبالتالي ما يُشكلون خطرًا على السلطة الحاكمة بالإيالة.

¹ - خديجة دوالي، " إسهامات الكراغلة في بناء الجزائر العثمانية"، مجلة الخلدونية، المجلد 10، ع01، السنة 2017، ص 200.

² - حميد أيت حبوش، " الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر العثمانية"، مجلة القرطاس، ع02، جانفي 2015، ص 140.

³ - فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ط1، منشورات ميديا بلوس، الجزائر، 2005، ص 46.

- أن الصراع بين العثمانيين أنفسهم على الحكم في إيالة الجزائر جعل الإنكشارية يرون في فئة الكراغلة أداة خطيرة في يد الحكام يُمكن أن يستغلوها في أي وقت ضدهم.

- إن المنافسة التي كانت بين الإنكشارية وطائفة رياس البحر أو بين الأتراك والأعلاج إذا صح التعبير حول الإمتيازات، والتي حاول الكراغلة استغلالها من خلال مُساندة طائفة الرِيَّاس، وذلك لاعتقادهم بأن رجال البحرية سيمنحونهم بعض المناصب في حالة انتصارهم على الإنكشارية، لهذا سعت هذه الأخيرة للاحتراز والتخوف منهم من خلال أنها قامت بإصدار قوانين تمنع صعودهم إلى مراكز القوة أو المسؤولية في الجيش الإنكشاري¹، لهذا نجد بأنه سرعان ما اندلعت سنة 1629م أولى ثورات الكراغلة على السلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر، حيث قامت تلك الثورة في منطقة القبائل وبالتحديد في مدينة بجاية، ويعود السبب في اختيار منطقة القبائل، هو فهم الثوار شدة المعارضة الموجودة لدى أهالي المنطقة ضد السلطة العثمانية بالجزائر².

وقد تطورت الأحداث وتشعبت بحيث لم تستطع السلطة العثمانية بالجزائر الحد من شوكة الكراغلة التي باتت تهدد أمنها واستقرارها إلا عندما تولى الداوي شعبان (1688-1695) حكم الإيالة، وبالتحديد سنة 1693م فقد سمح لهم الداوي بالتجنيد ضمن فرقة الإنكشارية، وهذا ربما يعود لحاجة السلطة الحاكمة إلى أعداد إضافية من الجنود بسبب الحرب المُعلنة ضد بايات تونس والأشراف العلويين بالمغرب الأقصى، أما السبب الثاني فقد تعلق بتأخر وصول المُجندين الجدد من أقاليم الدولة العثمانية³، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الانتساب لم يصل إلى حد المشاركة الفعلية في الجيش والإدارة بصفة رسمية، بل كان هدفه تدعيم القوة العسكرية للجيش الجزائري لا غير⁴، حيث تمكنت السلطة العثمانية بالجزائر من تجنيد هذه الفئة في جيش الإيالة، وعليه فقد كانت مؤهلة لتقلد جميع الوظائف العسكرية والإدارية بما في ذلك وظيفة الباي والأغا، لكنهم لم يستطيعوا ولا مرة واحدة أن يصبحوا باشا أو داي (حاكم الإيالة) أبداً، وقد استبعدوا من

¹ - محمد مقصودة، المرجع السابق، ص 108.

² - حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص 42.

الديوان الكبير الذي كان يضم العديد من الشخصيات البارزة من أمثال: الخزناجي، خوجا الخيل، وكيل الحرج، وأغا دار السلطان¹.

لكن مع بداية القرن الثامن عشر ميلادي (18م) نجد دورنا تغير كبير في موقف السلطة الحاكمة تجاه فئة الكراغلة، فالاعتماد عليهم بات ضرورياً لتولي مجموعة من المناصب هامة على مستوى الإدارة العثمانية بالجزائر وفي مقدمتها منصب الباي، بحيث تم إحصاء تولي أربع بايات من أصل كرغلي من ضمن خمسة لهذا المنصب الحساس على مستوى إقليم بايلك قسنطينة فقط، وذلك خلال الفترة الممتدة من (1700-1713م)، وفي بايلك الغرب تم إحصاء كرغلي واحد وهو مصطفى العمر في الفترة من (1736-1748م)، أما فيما يخص بايلك التيطري "المدية" فقد تم التعرف أيضاً على كرغلي واحد شغل منصب الباي هو محمد الذباح في الفترة الممتدة من (1768-1771م)، وأخيراً نجد مع بداية القرن التاسع عشر (19) ميلادي نجد اعتلاء الحاج أحمد باي (1826-1837) على رأس السلطة بببايلك قسنطينة في الفترة الممتدة من (1826-1837م)².

لقد تضاربت الإحصائيات من قبل المؤرخين فيما يخص عدد الكراغلة في إيالة الجزائر مع نهاية الفترة العثمانية، وفي هذا الصدد نجد بأن حمدان خوجا قد قدرهم بنحو ثمانية آلاف (8000) إلى عشرة آلاف (10000) كرغلي بمنطقة واد الزيتون (نواحي الأخضرية حالياً)³ بجبال فليسة⁴، في حين يُمكن إرجاع الاختلاف الحاصل في الإحصائيات إلى غياب الأليات العلمية الدقيقة في عملية الإحصاء، مما جعل معظم تلك الأرقام تأتي تخمينية وتقريبية لا غير⁵، ومن جهته فقد عبر وليام شالر بقوله: "والمعتقد أن عدد

¹- M.Walsin Esterhazy, op.cit, p.234.

²- حنفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص ص 13-14.

³- تقع هذه المنطقة ضمن سلطة باي التيطري، وقد أولت السلطة العثمانية بالجزائر اهتماماً كبيراً لهذه المنطقة بسبب موقعها الجغرافي الذي كان يُحاذي أهم مسارات الطريق السلطاني الشرقي المؤدي إلى بايلك قسنطينة، ومن جهة أخرى يعتبر هذا الاقليم الصغير متاخماً للسفوح الغربية لبلاد القبائل المستعصية في وجع السلطة العثمانية، لهذا فقد أستوطن العديد من جنود الإنكشارية في تلك المنطقة، زيادة على عملية النفي المتكررة للفئة الكراغلة من قبل السلطة العثمانية إلى هذه المنطقة، وهذا ما أدى تزايد في أعداد الكراغلة في منطقة واد الزيتون وأصبحوا يعرفون بتسمية الزواتنة، وهي بذلك من أشهر القبائل الكرغولية التي عُرفت بالريف الجزائري. راجع: أمين محرز، إطلالة جديدة...، المرجع السابق، ص ص 389-393.

⁴- حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 117.

⁵- محمد مقصودة، المرجع السابق، ص 81.

الكورغليين الذين ينحدرون من أصل تركي يبلغ في البلد نحو عشرين ألفاً" مع العم أن وليام شالر كان قنصل أمريكا بالجزائر في الفترة الممتدة من (1816-1824م)¹.

2- تجنيد فرقة الكراغلة في الجيش الجزائري:

2-1-دوافع تجنيد فرقة الكراغلة:

لقد سعت السلطة العثمانية بالجزائر إلى إبتكار أحد منابع التجنيد، والذي تمثل في يتامى الانكشارية الذين عُرفوا بتسمية " جلاكة أو جلاقة"، وهم في العموم كانوا ينتمون إلى فئة الكراغلة، وذلك بالنظر إلى نسبة الوفيات التي كانت مرتفعة في أوساط عسكر الإنكشارية، فعندما يموت أحدهم ويكون عنده خلف ذكور كانت السلطة العثمانية تُسجلهم في الدفتر خاص ويتلقون نظير ذلك التجنيد علاوة تبدأ من أربع (04) صايمات، وقد كانت تزداد شيئاً فشيئاً بحيث وصلت في بعض الأحيان إلى نحو عشرة (10) أو إحدى عشر (11) صايمة عندما يصل الكُرغلي المُجنّد إلى سن الرُّشد ويصير شاباً يافعاً، في حين كان الأصحاء منهم الذين يشكلون الأغلبية يتم تجنيدهم على أساس التطوع، وذلك وفق مجموعة من الشروط²، وعليه نلاحظ أن في أواخر العهد العثماني وبالتحديد في القرن الثامن عشر ميلادي (18م) فقد تم تجنيد عناصر من الكراغلة ضمن الجيش الإنكشاري، وبالتالي فقد استخدم الدايات قُدرات الكراغلة الحربية الكبيرة فكونوا منهم حاميات على مستوى مجموعة من مدن الإيالة، مثل ما هو موضح في الشكل التالي:

الجدول رقم 6: يُوضح أهم النوبات التي جندت عناصر من الكراغلة للخدمة فيها³:

النوبات	نوبة قسنطينة	نوبة عنابة	نوبة بسكرة	نوبة بجاية	نوبة تبسة	نوبة جيجل	نوبة برج حمزة (البويرة)
عدد الكراغلة	73 جندي	71 جندي	72 جندي	44 جندي	29 جندي	29 جندي	15 جندي

وتعليقاً على ما جاءت به بيانات هذا الجدول نجد بأن السلطة العثمانية بالجزائر قد تقطنت إلى طريقة ذكية من أجل خلق توازن في صفوف الجيش الجزائري خارج مدينة الجزائر، وهذا على مستوى

¹- وليام شالر، المصدر السابق، ص 56.

²- أمين محرز، إطلالة جديدة...، المرجع السابق، ص ص 399-400.

³- خديجة دوالي، إسهامات الكراغلة...، المرجع السابق، ص 205.

الحاميات المنشرة في العديد من مدن الإيالة، وبالتالي قامت بإحكام السيطرة على فرقة الإنكشارية، ومثالاً على ما نقول هو العدد الكبير لجُنود الكراغلة الذين تواجدوا على مستوى الحاميات، ربما يعود السبب في ذلك حسب إطلاعي إلى الثقة الكبيرة التي كانت توليها السلطة الحاكمة للمُجندين من الكراغلة خاصة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر، وبالتحديد في أواخر القرن الثامن عشر (18) وبداية القرن التاسع عشر (19) ميلادي.

إن ما يُمكن ملاحظته بخصوص أولئك الكراغلة المُجندين ضمن صفوف فرقة الإنكشارية، أنه لم يتم تقييد أسمائهم في نفس السجلات المُخصصة للمُجندين القادمين في أقاليم الدولة العثمانية¹، وعليه فقد كانوا يسكنون في أحياء خاصة بهم، بحيث أنهم في حالة الحرب يُكونون فرقة المشاة، أما في حالة السلم نجد بأنهم يعودون إلى حرفهم وأعمالهم التي اشتهروا بها مثل: زراعة البساتين، وصناعة الحايك وغيرها... الخ²، وعليه فقد وصلوا إلى أعلى المراتب العسكرية، وبنسبة 50% وهذا بعد جملة من العوامل منها³:

-انخفاض عدد الجُند النظامي على مستوى في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي (18م)، وهذا نتيجة إنتشار وباء الطاعون.

-تراجع عمليات التجنيد من مختلف أقاليم الدولة العثمانية، وبالتالي أُصيب الجيش الجزائري بنقص كبير في أعداد المُجندين في صفوفه⁴.

-رغبة السُلطة العُثمانية بالجزائر إلى خلق نوع من التوازن في صفوف الجيش الجزائري، وهذا من أجل الحد من خطر فرقة الإنكشارية التي أضحت تهدد أمنهم واستقرارهم على مستوى السلطة بالجزائر.

-تدعيم الجيش الجزائري بعناصر و فرق عسكرية جديدة، ذلك بغية مُواجهة التمردات الداخلية التي كانت بشكل مستمر، وبالتالي فإن دور الكراغلة في الجانب العسكري قد تزايد بشكل ملحوظ في أواخر العهد

¹ - حنفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص 14.

² - Marcel Emerit, Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 21, année, N. 1, 1966, p.46.

³ - نبيلة بن يوسف، " الرقابة والضبط في إيالة الجزائر العثمانية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع13، 2017، ص 185.

⁴ - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 88.

العثماني (1800-1830)، وذلك بالموازاة مع تراجع فرقة الإنكشارية، فنجد مثلاً في سنة 1808م أن فرقة الكراغة قاموا بمنع جنود الإنكشارية من نهب بعض أحياء مدينة الجزائر، وفي عام 1813م أفضلوا محاولة الداوي حاج علي باشا (1809-1815) للتخلص منهم، كما وقفوا أيضاً إلى جانب الداوي علي خوجا (1817-1818) عندما قرر هذا الأخير إتباع سياسة التصفية ضد الإنكشارية سنة 1817م¹، في حين قد استمرت السلطة العثمانية بالجزائر في تجنيد فرقة الكراغة ضمن الجيش الجزائري إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م².

2-2- دور فرقة الكراغة في الجيش الجزائري:

ومن زاوية أخرى نجد بأن العديد من الباحثين والمؤرخين يُرجع تجنيد فرقة الكراغة ضمن الجيش النظامي وهذا لعدة اعتبارات منها³:

-مساهمة أفراد الإنكشارية في تسجيل أبناءهم من الكراغة كمتطوعين في الفرق العسكرية النظامية المختلفة على مستوى إيالة، وذلك بغية تمكينهم من تقاضي أجور مُستديمة وكذا حصولهم على ترقية عسكرية وحتى إدارية⁴، وهذا ما تطرق له حمدان خوجا فقال: "... وسجلوا أبناءهم كمتطوعين في الميليشيا والكراغة الذين كانوا يتقاضون أجوراً من الدولة... لم يكونوا يستطيعون الحضور شهرياً كما هي العادة لتقاضي مرتباتهم لذلك كانت جماعة من اليهود تسبق لهم رواتبهم السنوية مقابل وكالة تسمح لهم بأن يقبضوا- باسمهم - مالهم في ذمة الدولة. وفي العادة فإن هذه التسببية لا تكون في شكل نقود وإنما تدفع في شكل بضائع وبالفائدة..."⁵.

¹- حنفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص 14.

²- أرزقي شويتام، " دور الكراغة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519-1830)"، مجلة أفاق وأفكار، المجلد 03، ع04، السنة 2013، ص 183.

³- محمد مقصودة، المرجع السابق، ص 99.

⁴- بوشيبية ذهبية، المرجع السابق، ص 364.

⁵- حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص ص 117-118.

- وُجِدَ أسماء بعض عناصر الكراغلة في سجلات دفتر أجور الإنكشارية، وتشير تقارير الضباط الفرنسيين الذين رافقوا المارشال دي برمون في معركة سطاوالي أنه وجد فرقة من الكراغلة تحت إمرة إبراهيم أغا (صهر الداى حسين)¹.

وفي الختام يُمكننا القول بأنه على الرغم من محاولة السُلطة الحاكمة في إيالة الجزائر الحدّ من إنتشار فئة الكراغلة على مستوى الإيالة، وذلك من خلال تشجيع السلطة العثمانية بالجزائر للعزوبة في صُفوف الإنكشارية، وبالتالي الحد من الزيادة في الولادات بالنسبة لفئة الكراغلة² إلا أننا نجد بأن تلك المحاولات لم تُجدي نفعاً، بحيث تواصلت الزيادات في عدد الكراغلة على مستوى الإيالة إلى غاية الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

ثانياً: فرقة زواوة:

1- مُصطلح زواوة: المفهوم والأصل التاريخي:

1-1-1- مفهوم مُصطلح زواوة:

1-1-1-1- لغة:

يرجع المفهوم اللغوي لكلمة زواوة إلى كلمة أفاوا وجمعها أفاواون، والتي تعني بالبربرية التاجر الكثير التتقل والترحال، وهي دليل كذلك على مجموعة من القبائل والعروش التي كانت تسكن أعالي جبال جُرجرة مثل: أث عيسى، أث صدقة، أث بطون، أث يثارن، أث منقلات، أث بسورغ، وذلك بالنظر للشهرة التي ميزت هذه القبيلة وهي ممارسة النشاط التجاري³، أما فيما يتعلق بالاشتقاق اللغوي الأقرب إلى اللغة الأمازيغية التي كانت منتشرة في شمال الجزائر هي: إيزواون ومفردها " أزواو" الذي يعتمدُ البعض لقباً للأطفال، لكنه في الأصل يعني صفة الشخص الذي يتميز بلون البشرة الحمراء أو المائل للحمرة (الأصهب)،

¹ - حنيفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 81.

² - محمد أمين، " ملاحظات حول سياسة التهميش ووضع المُهمشين بولاية الجزائر العثمانية"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع25، زغوان، تونس، أوت 2002، ص 23.

³ - تركي عباس، " الأدوار العسكرية والأمنية لفرقة زواوة خلال العهد العثماني 1519-1830"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 04، ع01، جانفي 2022، ص 24.

والبعض الآخر يُعطي لها معنى "الرَّجُل المُكتمل"، أما في عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر نلاحظ بأنه تغير مدلول الاسم الذي أصبح يطلق عليه اسم زوافة أو زواف (Zuave)¹.

1-1-2-إصطلاحًا:

هي عبارة عن مجموعة من القوات العسكرية المحلية، تتألف من رجال تقوم بتوفيرهم القبائل الموالية للبايلك (الجيش المرتزق)، والتي كانت تتمركز في جبال جرجرة، حيث تم تجنيدها من طرف السلطة العثمانية بالجزائر من أجل مساعدة الجيش الجزائري في أداء مهامه العسكرية، وذلك مقابل أجر محددة، حيث كانت تستدعى هذه الفرقة من أجل تدعيم قوات الجيش النظامي (فرقة الإنكشارية، الطوبجية، فرسان السباهية) وهذا في حالة حرب مع بلد آخر أو عند خروج في المحلة لجباية الضرائب من القبائل الرعية أو لتأديب القبائل المتمرده عن السلطة العثمانية بالجزائر².

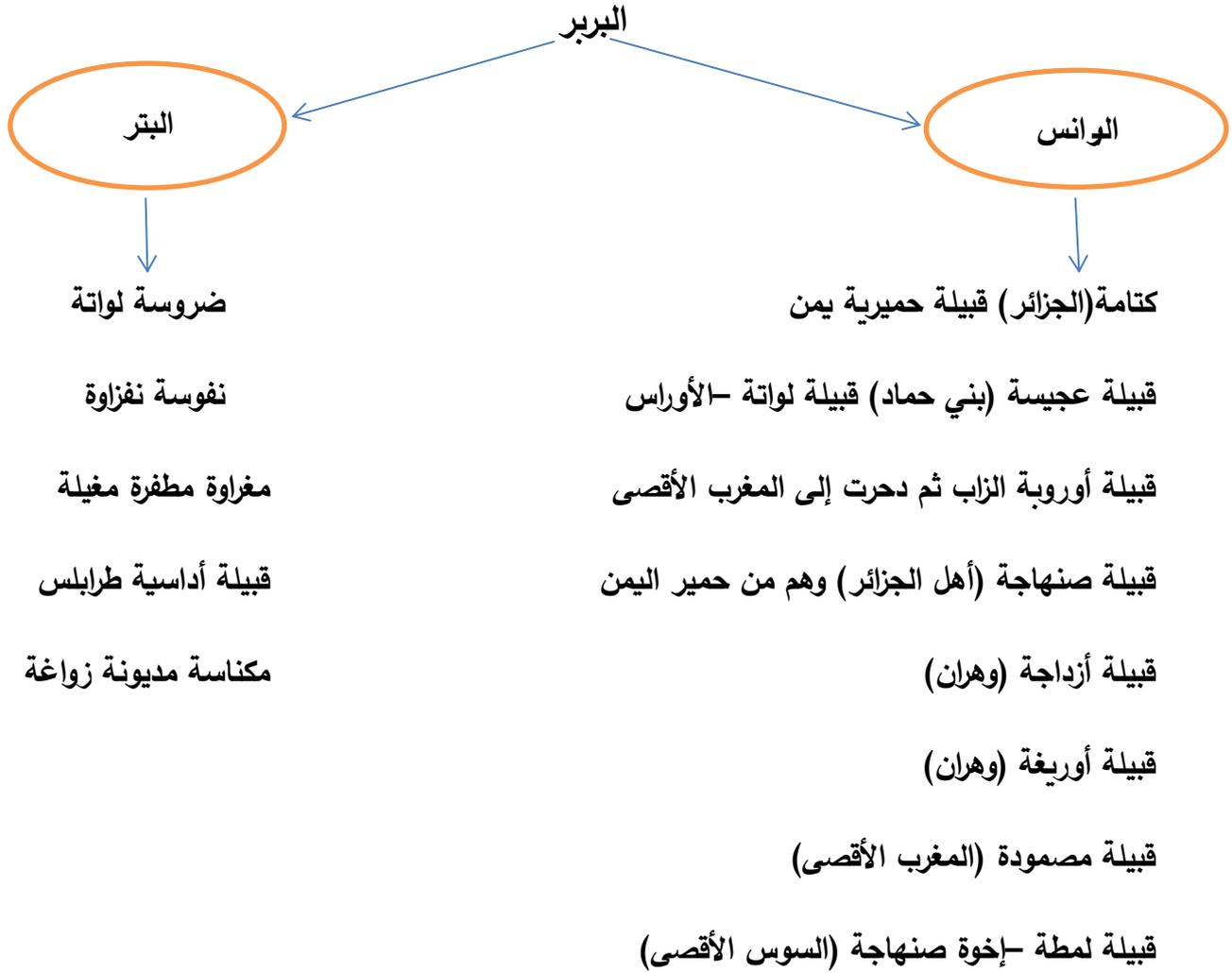
1-2-الأصل التاريخي لزواوة:

تتنتمي قبائل الزواوة إلى فرع الأمازيغ من البربر، وهم من أبناء مازغ بن حام بن نوح، بحيث أن بعضاً من أبناء نوح عليه السلام قد انتقل إلى الهند، والبعض الآخر إلى إفريقيا عن طريق باب المنذب، ومن جنوب فلسطين، وإليهم ترجع أصول المصريين القدماء (الفراعنة)، وبربر شمال إفريقيا، ومنهم من عرب اليمن من أبناء سام بن نوح عليه السلام، ومنهم تكونت الأمة البربرية التي انقسمت إلى قبيلتين بارزتين وهي المبينة في المخطط التالي:

¹ - ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 71.

² - الهام يوسف، ولاء علي صقر، المرجع السابق، ص 178.

الشكل رقم 1: يوضح انقسام البربر منذ بداية تاريخهم إلى مجموعة من القبائل¹:



لقد اختلف المؤرخون في أصل نسب زواوة، حيث يذكر أبو يعلي الزواوي² بأن الزواوة قبائل كثيرة مشهورة ومواطنهم ومساكنهم بشمال إفريقية يجعلهم البحر الابيض المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية إحدى عواصمهم وإلى جبل نصف دائرة وعليه فإن القبائل الواقعة ضمن هذا الحيز الجغرافي هم المعروفون والمشهورون بالزواوة³، وهناك من يرجع أصل اسم زواوة إلى أحد أبناء يحي بن تمزيت بن

¹ - قارة مبروك بن صالح، تاريخ المدن والقبائل بالجزائر، مطابع رويغي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 66.

² - هو محمد السعيد أبو يعلي الزواوي، كاتب وصحفي إسلامي جزائري خطيب، ولد سنة 1878 في بلدة العزازقة (منطقة القبائل الكبرى)، ثم نزلت عائلته نحو الشام فنشأ وتعلم بدمشق، ودرس التاريخ والفقهاء والصحافة، وهو من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، له العديد من المؤلفات منها: الإسلام الصحيح، جماعة المسلمين، ديوان خطب، تاريخ زواوة... للمزيد راجع: عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004، ص 142.

³ - أبو يعلي الزواوي، تاريخ الزواوة، مرا. وتعل: سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 90.

ضريس والذي يدعى "زواوا" ومنه أخذت هذه القبيلة تسميتها وهي من البتر¹، أما بخصُوص ابن خلدون فقد تطرق إلى ذكر أصل نسب وموقع زاووة فقال: "... هذا البطن من أكبر بطون البربر ومواطنهم كما تراه محنقة ببجاية إلى تدلس في جبال شاهقة وأوعار متسنة، ولهم بطون وشعوب كثيرة ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة هؤلاء... وإنما حمل على الغلط في نسبهم إلى كتامة تصحيف، اسم زوازه بالزاي بعد الواو، وهم إخوة زواغة بلا شك، فصحف هذا القارئ الزاي بالواو فعُدَّ زاووة إخوان زواغة..."².

وبخصوص تمرکز فرقة زاووة جغرافياً فنجد بأن امتدادها كان على السُفوح الشمالية لجبال جرجرة المُسماة ببلاد القبائل الكبرى (زاووة، وفليسة، وقسطولة، واووقنون وفرأوسين وبني راثن وبطروم وبني مقلات وعمور) ثم توسعت فيما بعد لتشمل النطاق الجغرافي الذي يُعرف اليوم بإسم بلاد القبائل الكبرى³ الذي بدوره يمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة قدرها أربعمئة وخمسون (450) كيلومتر، وامتدادها من الشمال إلى الجنوب يتراوح ما بين سبعين إلى مائة (70-100) كيلومتر⁴، بحيث كانت تتربع على مساحة تُقدر بحوالي خمسة عشر ألف (15000 كلم²)، وتمتد بصفة عامة من دلس إلى جبل بني خلفون بحوالي ألف وستمئة وخمسة وعشرون (1625) متر وأكفادو ألف وستمئة وستة وأربعون (1646) متر ولالا خديجة بحوالي ألفان وثمان مئة وثلاثة (2803) أمتار، وبالتالي فهي حصينة طبيعياً بجبال وعرة وتسمى بسبباو العليا⁵.

وفي سياق آخر ذكر هايدو (De Haëdo) بأن الزواوة هم مجموعة من الأفراد يقطنون في مملكة كوكو، على بعد ستون (60) ميلا جنوب شرق مدينة الجزائر، وعلى مملكة بني عباس على بُعد مئة وثلاثون (130) ميلا نحو شرق مدينة الجزائر، فقد كانوا يتميزون بوضع صليب موشوم على خدهم الأيمن، حيث بقيت هذه العادة من عهد الوندال، وهذا من أجل تمييز البربر المسيحيين عن المُشركين (الوثنيين)،

¹ - أحمد بن رمضان، "زاووة من عهد الفينقيين إلى ما بعد الفُتوحات الإسلامية"، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد 04، ع08، 2016، ص 02.

² - عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، (د.ت)، ص 1629.

³ - ميمن داود، تنظيم الجيش...، المرجع السابق، ص 104.

⁴ - عائشة التمالي، المرجع السابق، ص 99.

⁵ - فاهيمة مبارك، بلاد زاووة في ظل الحكم العثماني (1511-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2015/2016، ص 17.

في حين كان يتم إعفاؤهم من دفع الجزية، في حين لا تزال هذه الأوشام في الفترة التي تواجد فيها هايدو (De Haëdo) في الإيالة وبالتحديد سنة 1634م الذي يمثل بداية القرن السابع عشر (17) ميلادي¹.

أما فيما يتعلق بظهور الزواوة كقبيلة فنجد أن ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية قد كان في بدايات الوجود العثماني بالجزائر، وبالتحديد في عهد حسن باشا بن خير الدين، الذي أقام بدوره علاقات حسنة مع ملك كوكو، وبالتالي نجد أن حسن باشا بن خير الدين سعى إلى التقرب من هذه القبيلة من أجل إنشاء فرقة جديدة للوقوف في وجه التمردات التي بدأت تظهر في مركز الدولة العثمانية باستانبول، وبالتالي ضمها إلى الجيش الجزائري، لكننا نجد بأن ذلك المشروع لم يتجسد على أرض الواقع، إذ أنه لاقى معارضة شديدة من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566) في ذلك الوقت، وبالتالي فقد تمرد عليه الإنكشارية سنة 1561م، وبالتالي تم إسقاطه من حكم إيالة الجزائر².

ومما لاشك فيه أن أحد أهم الأسباب التي جعلت السلطة العثمانية بالجزائر التي سعت إلى ضم تلك المنطقة المعروفة بالقبائل الكبرى هو سياستها الثائرة ضد العثمانيين بشكل مستمر، بحيث أنها قد أنهكتهم مادياً ومعنوياً، وعلى إثر ذلك الوضع قرر حكام الإيالة بضرورة ضمها إلى بايلك التيطري في عهد الباي محمد الذباح (1794-1799)، وذلك رغبة منهم في القضاء على التمردات والثورات التي كانت تحدث باستمرار في المنطقة، ومن جهة أخرى فقد عملوا على تشكيل قوة عسكرية إضافية من هذه القبائل وذلك من أجل تدعيم الجيش النظامي³، وهذا ما يجعلنا نطرح التساؤل التالي: كيف تم تجنيد فرقة الزواوة في الجيش الجزائري؟ وفيما تمثلت مهامهم العسكرية؟.

2- تجنيد فرقة الزواوة في الجيش الجزائري:

2-1- دوافع تجنيد فرقة زواوة:

لقد اشتهر أهالي منطقة الزواوة عبر تاريخهم بالانتساب إلى نظام التجنيد، فجعلوها حرفة هامة في مجتمعهم الذي كان يتسم بالشجاعة والإقدام⁴، ويعود تاريخ انضمامهم إلى الجيوش العسكرية منذ عهد الدولة

¹ - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.43.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 319.

³ - تركي عباس، المرجع السابق، ص 26.

⁴ - محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749-1949)، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 58.

الحفصية، حيث كانوا يشكلون الجنود المرتزقين فيها، وقد جُنِّدوا في جيشها وكانوا يشكلون العنصر البارز فيه، حيث عملوا على قلب موازين القوى في العديد من المعارك التي خاضوها، وهذا بفضل شجاعتهم وإقدامهم في القتال، وبعد زوال الدولة الحفصية سنة 1574م، وعندما أنظمت تونس إلى الحضيرة العثمانية أعلنوا ولاءهم للحكام العثمانيين الجدد¹، وفي هذا الصدد نجد بأن تجنيد فرقة الزاوة في الجيش التونسي قد إستمر وبالتحديد في عهد الباي حمودة باشا الحسيني (1782-1814)، حيث عثرنا على رسالة مؤرخة في غرة 01 ربيع الآخر 1222هـ الموافق لـ (06 أوت 1807م)، حيث قام ببيعها باي تونس حمودة باشا الحسيني (1782-1814) إلى مجموعة من مشايخ زاوة، بحيث يطلب منهم إرسال جميع زاوة بأسلحتهم إلى تونس بصحبة مرسوله الشاوش².

ومن هذا المنطلق فقد لجأت السلطة العثمانية بالجزائر إلى تجنيد فرقة الزاوة في الجيش الجزائري، حيث تطرق هايدو (De Haëdo) إلى هذه النقطة فذكر بأن السلطة العثمانية بالجزائر كانت تُجنِّد فرقة الزاوة عند الحرب، بحيث كانت تُجنِّدهم على مستوى الحاميات المتواجدة في جميع أنحاء الإيالة مثل: تلمسان، مستغانم، بسكرة، قسنطينة، عنابة، وغيرها من الحاميات الأخرى، وبذلك فقد شكلت هذه الفرقة في القرن السابع عشر (17) ميلادي ما يمثل ثلث 1/3 الجيش المتواجد على مستوى تلك الحاميات³، وهذا رغبة منها في سد النقص العددي الكبير الذي كانت تعاني منه القوات النظامية (فرقة الإنكشارية، الطوبجية، فرسان السباهية) على مستوى الإيالة، ضف إليه شساعة الرقعة الجغرافية بالنسبة للإيالة من جهة ومن جهة أخرى سعيها إلى خلق توازن عسكري بين الفرق النظامية والغير نظامية على مستوى مؤسسة الجيش الجزائري، وذلك بغية التحكم فيه والسيطرة عليه أكثر⁴.

2-2- الدور العسكري لفرقة زاوة:

في هذا العنصر نرجع إلى الوراء قليلاً، بحيث نجد بأن أول عملية تجنيد لفرقة الزاوة تعود النصف الثاني من القرن السادس عشر (16م) ميلادي، أي عندما استعان بهم البيلرباي صالح رايس (1552-1556) في حملته على تقرت وورقلة لإخضاعها لحكم السلطة العثمانية سنة 1552م، بحيث نجد بأنه لولا

¹ - محمد العايبي، موسى بن موسى، " المجموعات العسكرية غير النظامية الداعمة للجيش التونسي (1574-1831م)", مجلة الإحياء، المجلد 21، ع28، جانفي 2021، ص 950.

² - أ.و.ق، مجموعة الوثائق والمراسلات العثمانية، نسخ الرسائل المأخوذة من الأرشيف التونسي، الرسالة رقم 72.

³ - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.44.

⁴ - نورالدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 85.

إستعانته بفرقة زواوة وحاكم بني عباس لما استطاع صالح رابيس (1552-1556) من إخضاع تلك المنطقة إلى سلطته¹.

ونجد كذلك تجنيد فرقة الزواوة لصالح الجيش الجزائري في جوان 1555م، وهذا من أجل تحرير مدينة بجاية من الإسبان، حيث تم تجنيد حوالي عشرة آلاف (10000) جندي، كما تم تجنيد هذه الفرقة في الجيش الجزائري خلال معركة المرسى الكبير في شهر فيفري 1563م، بقيادة حسن باشا بن خير الدين، وعليه فقد تم تجنيد حوالي اثني عشر ألف (12000) من زواوة وبني عباس، وتم تجنيدهم مرة أخرى في سنة 1691م عندما قاد الداوي شعبان (1688-1695) حملة عسكرية إلى المغرب الأقصى حيث استعان فيها بفرقة من زواوة²، أما في بداية القرن التاسع عشر (19) ميلادي فقد ازدادت أهميتهم العسكرية خاصة في فترة الداوي علي خوجا (1817-1818) الذي قام بدوره بتنظيم جيش جزائري يتشكل من ستة آلاف (6000) كُرغولي، وأعداد كبيرة من جنود زواوة³ بغية تحطيم نفوذ ومؤامرات الإنكشارية، وهذا ما نجده قد تحقق في نهاية المطاف، بحيث تم القضاء على ألف ومئتان (1200) إنكشاري، كما سمح للعديد منهم إلى الرجوع إلى مواطنهم الأصلية⁴.

وبالرغم من طبيعة العلاقات المتوترة التي كانت تجمع السلطة العثمانية بالجزائر مع أهالي منطقة زواوة في الكثير من الأحيان إلا أن ذلك الوضع لم يمنع الداوي حسين باشا (1818-1830) من المراهنة على هذه الفئة وسعى إلى تجنيدهم في الجيش الجزائري النظامي⁵، وهذا ما تحقق فعلاً سنة 1826م، والظاهر أن الداوي حسين باشا (1818-1830) قد تخلى عن قاعدة منع تجنيد العناصر المحلية داخل فرقة

¹ - A. Berbrugger, les époques militaires de la grande kabilie, bastide, libraire-éditeur, Paris, 1857, p.82.

² - ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 72.

³ - نجد أن جنود زواوة لم يُجنّدوا في إيالة الجزائر فقط، بل تم تجنيدهم أيضا في إيالة تونس وبالضبط في عهد حمودة باي المرادي، والذي اعتنى بهم واستخدمهم في الجيش التونسي، كما استعان بهم كجرس خاص في الجيش التونسي، ونجد أيضا أن الحسينيين لم يتنازلوا عنهم بل اعتمدوا عليهم أيضا وهذا لنجاحهم في المعارك وتفوقهم في نواح عديدة، وخير دليل نجد أن الباي حمودة باشا الحسيني قد اعتمد عليهم وجعل بعضهم حرسا شخصيا له وأعطاهم أجرا كبيرا وامتيازات خاصة مقابل حماية القصر والخُصون خاصة مع أوائل القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت فكرة التخلي عن الجيش الإنكشاري... للمزيد راجع: زهيرة سحابات، الحضور الجزائري...، المرجع السابق، ص 188.

⁴ - Boyer Pierre, op.cit, p.92.

⁵ - محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص 58.

الإنكشارية¹، وهو الأمر الذي أصدره الداى حسين باشا (1818-1830) إلى خوجة الترك بأن يُدون أسماء عناصر فرقة الزاوة في دفتر العسكر النظامي فكتب خوجة الترك منهم حوالي ألفين (2000) جُندي زاوي في دفتر الإنكشارية واعتبرهم كجُنود نظاميين لا احتياطيين².

وعندما أدرك الداى حسين باشا (1818-1830) أن العدوان الفرنسي على وشك الوقوع، وأن الهجوم على مدينة الجزائر قد بات وشيكاً، أرسل بدوره إلى عرش أث يراثن المشهود لأهله بالبطولات والأمجاد، يستحثهم على استنهاض الهمم في بلاد زاوة لمقاومة العدوان الفرنسي وذلك بغية الدفاع عن أرض الإسلام، وعلى إثر هذا الوضع فقد لبي النداء، حيث شرع المتطوعون للجهاد في إعداد السلاح والذخيرة والمؤن، أما من عجز عن ذلك فقد تكفلت مجالس القرى المعروفة بـ"ثاجماعت"³ بتسليحهم لصد ذلك العدوان الذي استهدف مدينة الجزائر سنة 1830م⁴، وفي هذا الصدد أيضاً نجد بأن الزوايا قد لعبت دوراً أساسياً في تجنيد المتطوعين الذين قُدر عددهم بحوالي خمسة وعشرون ألف (25000) جُندي زاوي، أي ما يعادل حوالي 50% من الجيش الجزائري الذي شارك في معركة سطاوالي، وقد سارو إلى جبهة القتال بنظام محكم تحت قيادات أعيان وأشرف المرابطين الرافعين لرايات الزوايا، وهي على النحو التالي:

-عرش أث يراثن تحت قيادة سي محند الحنشي ناث واعمر (قرية ثامازيرت)، وتحت إشراف المرابط الشريف الشيخ أحمد السعدي رافعا أعلام زاوية الشيخ بن أعراب.

-أعراش أث فراوسن وأث خليل، وأث بوشعيب، تحت قيادة سيا وسحنون وإشراف المرابط الشريف سي صالح ناث داوود (من صوامع).

¹- حنيفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 79.

²- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 166.

³- ثاجمعت (tajmaat)، هي كلمة بربرية مشتقة من اللغة العربية لكلمة جماعة، حيث يستعمل أهالي منطقة زاوة هذه المفردة ليس فقط في المجلس العام، لكن كل فناء عام مجهز بمقاعد حجرية، تجتمع الجماعة وتنفذ اجتماعاتها خلال فصل الصيف أو الشتاء، وهو بذلك يمثل السلطة التي تدير القرية، وتقوم كذلك بتسيير السلطات السياسية والإدارية، وتتكون ثاجماعت من كل الأشخاص البالغين ثمانية عشر (18) سنة، بحيث تجمع ثاجماعت أعضاؤها في الساحة العمومية للقرية أو المكان الذي يوجد فيه سوق القرية، وعادة ما يكون ذلك الاجتماع في اليوم الذي يسبق يوم سوق القبيلة، في حين ينبغي على كل البالغين الحضور لتلك الاجتماعات، والذي يغيب بدون عذر يتعرض لغرامة مالية. راجع: فاهيمة مبارك، المرجع السابق، ص ص 61-62.

⁴- عائشة التمالي، المرجع السابق، ص 111.

- عرش أث جناد: تحت قيادة أمحمد أولعربي ناف بابا، وإشراف المرابط العربي أوشريف (من قرية تازروت) حاملا لراية زاوية سيدي منصور.
- عرش إفليس لبحار: تحت قيادة الشيخ أعراب أقروجن، وإشراف المرابط الشيخ أعرم أمسون.
- عرش أث غبري: تحت قيادة الشيخ بوحميل، وإشراف الشيخ أحمد أومالك.
- أعراش أث يجر، وأسيف الحمام، وثيقرين: تحت قيادة أمحمد ناث علي، وإشراف المرابط الشيخ الموهوب¹.
- عرش إزرخفاون، وأث أفليق: تحت قيادة سعيد واعمر، وإشراف المرابط الشيخ أحمد أوثقزون.
- عرش إيلولن، وأثزيكي: تحت قيادة علي أوقروز، وإشراف مرابط زاوية سيدي إدريس (أحمد إدريس).
- عرش أث يتسوراغ، ويليلتن: تحت إشراف الشيخ السعيد ناث حملوث، وإشراف المرابط الشيخ سي سرير ولد سيدي يحي واعمر.
- عرش أث واقنون: تحت قيادة أحمد ناث يحي، وإشراف المرابط الشيخ سي سعدي (من قرية الشرفة)².
- من خلال تطرقنا لهذه الأعراش من منطقة زاوية التي لبت نداء التجنيد لصالح الجيش الجزائري لمواجهة القوات العسكرية للحملة الفرنسية بسطاوالي، يتبين لنا جليا بأنه على الرغم من نشوب الخلاف بين أهالي منطقة الزاوية والسلطة العثمانية بالجزائر في الكثير من الأحيان، لكن عندما يتعلق الأمر بمسألة حماية البلاد الإسلامية من المسيحيين نجد أن تلك الخلافات تتبدد وتتلاشى الأحقاد ويحدث التعاون، وهذا ليس وليد الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر، بل منذ أن تواجدت السلطة العثمانية بالجزائر مع خير الدين بربروس (1519-1535) الذي استعان بابن القاضي من أجل طرد الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر سنة 1518م.

¹ - عائشة التمالي، المرجع السابق، ص 112.

² - المرجع نفسه، ص 113.

3- التنظيم العسكري لفرقة زاووة:

3-1- المهام العسكرية المؤكدة لفرقة زاووة:

لقد خضع التنظيم العسكري لفرقة زاووة لنفس التنظيم الذي كان سائداً بالنسبة للفرق النظامية بالإيالة، وذلك من خلال الرتب والتنظيم العسكري للفرقة، حيث كان يرأسها " أغا" وهو صاحب الرتبة العسكرية الأعلى والذي أوكل إليه قيادة هذه الفرقة كما هو الحال بالنسبة لفرقة الإنكشارية¹، في حين نجد بأن أعضاء فرقة زاووة كانوا يلتقون في ديوان خاص بهم لمناقشة جميع الأمور الخاصة بهم وبالمنطقة²، وعليه فقد كان لفرقة زاووة فرسان منظمون على النمط العثماني (فرسان الصبايحية)، وبالرجوع إلى أماكن إقامتهم فنجد أنهم كانوا يُقيمون في خيم وهي عبارة عن إقامات خاصة بهم في المحلات بعيدا عن فرقة الإنكشارية³، حيث شكلت فرقتهم المرسله إلى أوطاق الشرق حوالي ثلاثون(30) خيمة⁴، وفي هذا الصدد عثرنا على وثيقة أرشيفية مؤرخة في 01 محرم 1241 هـ الموافق لـ(جوان 1825م)، وهي عبارة عن رسالة قام بإرسالها يحي أغا العرب بن مصطفى(1818-1828) إلى الداوي حسين باشا(1818-1830)، بشأن تعيين قايد على رأس أربعة خيام من زاووة، وهذا ما جاء فيها: "... وأما خديمك القايد حسن قايد بني جعد قد عينت صحبته أربعة أخيام من زاووة وعزارة ومقدار الستماية فارس من شأن خلاص وطن قسنطينة ..."⁵.

وفي هذا الإطار يجب التطرق إلى الأدوار العسكرية التي كانت تقع على عاتق الجندي الزواوي، بحيث أنهم كانوا عبارة عن جنود مشاة ومهمتهم الرئيسية هي الحراسة في مدينة الجزائر وبالأخص على مستوى الأبراج المجاورة لها⁶، ومن المهام العسكرية أيضاً التي كان يقوم بها الجندي الزواوي هي مساعدة الجيش الإنكشارية في أداء مهامه الدفاعية والهجومية مثل: عندما تكون الإيالة في حالة حرب مع بلد آخر

¹ - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.44.

² - عائشة التمالي، المرجع السابق، ص 101.

³ - ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 74.

⁴ - عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص 84.

⁵ - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 144.

⁶ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 319.

بالتالي فقد كانوا يُشكلون قوة إضافية إلى جانب الفرق النظامية للإيالة، ونجدها كذلك كانت تقوم بمساعدة المحلة في تأديب القبائل الثائرة وجباية الضرائب من القبائل الرعية¹ التي كانت خاضعة للسلطة العثمانية².

3-2- الرواتب والامتيازات الخاصة بفرقة زواوة:

لقد شملت العلاقة القائمة بين السلطة العثمانية بالجزائر وفرقة الزواوة بتقديم هذه الأخيرة لخدمات عسكرية للحكام كما رأينا سابقاً مقابل مجموعة من الامتيازات، ومن بينها: فقد كان الجندي الزواوي يتلقى راتب شهري يُعادل نصف (2/1) راتب الجندي الإنكشاري، أي بنحو واحد (01) زياتي في حين كان يأخذ الجندي الإنكشاري إثنان (02) زياتي في كل شهر³، ولا يتقاضون هذا الراتب إلا أثناء الخدمة التي يقدمونها لهذا شاع المثل القائل: " الزواوة مقدمون في البلاء ومؤخرون في الراتب"⁴ وتفسير هذا أنهم كانوا في الصفوف الأمامية للجيش أثناء قيام المعارك، ولهذا كانوا يُعاملون معاملة خاصة من طرف السلطة العثمانية بالجزائر، وقد تمثلت في إعفاءهم من دفع الضرائب بجميع أنواعها، والحصول على قطعة أرض زراعية⁵

¹ - لقد كان لكل قبيلة من منطقة الزواوة شيخ يرعى مصالحها ومصالح السلطة العثمانية بالجزائر، بحيث كان يُطلب من الشيخ تحقيق ثلاث خدمات أساسية وهي: أولاً جباية الضرائب، وثانياً السهر على تحقيق الامن في المنطقة، أما الخدمة الثالثة فهي تتعلق بتجنيد أفراد من فرقة زواوة إلى جانب الجيش الجزائري في وقت الحاجة، وتضاف إليه كذلك صلاحية القضاء في بعض الأحيان، لكونهم كانوا يعرفون منطقتهم معرفة تأهلهم إلى ذلك... للمزيد راجع: زيدان قاسمي، قيادة سيباو (1132هـ/1720م-1247هـ/1857م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2007/2006، ص 52.

² - مصطفى بن عمار، الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2009/2010، ص 62.

³ - عائشة التمالي، المرجع السابق، ص 103.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 319.

⁵ - ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 73.

ويحصل كذلك الجندي الزواوي¹ على قدر معلوم من الغنائم أثناء القيام بالغزوات، فضلا عن البندقية والحصان لكل فارس على أن يُخصم ثمنها عند جمع المحصول الزراعي².

ثالثا: فرق قبائل المخزن:

لقد ربطت السلطنة العثمانية بالجزائر من أجل تثبيت حكمها وبالخصوص في المناطق الريفية بمجموعة من القبائل عرفت بتسمية " قبائل المخزن"، لهذا نطرح التساؤلات التالية: ماهية قبائل المخزن؟ وكيف تم تجنيدها في الجيش الجزائري؟ وماهي أهم القبائل المخزنية على مستوى البايلاكات الثلاثة؟

1- مُصطلح المخزن: المفهوم والأصل التاريخي:

1-1- مفهوم المخزن:

1-1-1- لغة:

هو من فعل خَزَنَ الشيء، يُخزنه، خزناً، أي أحرزه وجعله في خزانة وبالتالي اختزنه لنفسه، والخزانة إسم الموضع الذي يُخزن فيه الشيء، والخزانة عمل المخازن، والمخزن بفتح الزاي ما يُخزن فيه الشيء³، كما جاء لفظ الخزانة والخزائن في القرآن الكريم للدلالة على الحفظ في قمة المسؤولية، كما في قوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ"⁴، وقوله تعالى أيضا: " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"⁵.

1- فيما يخص الفترة التي تلت العهد العثماني، نجد من خلال اطلاعنا بأن جُل الدراسات التاريخية المتخصصة تذكر بأن جنود زواوة هم من الأوائل الذين شكلوا النواة الأولى للمتعاونين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي منذ سنة 1830م، وهذا بخبرتهم في ميادين القتال لتضاريس المنطقة في نفس الوقت، لأنها تعتبر أرض جديدة على المحتل الفرنسي، لهذا سعى الفرنسيون منذ البداية إلى تجنيد المحاربين الزواويين في صفوف جيشهم بهدف إعطاء دعم محلي للفرق العسكرية الفرنسية، وقد أطلق عليهم الفرنسيون اسم الزواف وهو تحريف فرنسي للمصطلح أخذ من كلمة زوافة حسب النطق التركي للكلمة زواوة، وهذا وفقا لقرار صدر في 10 أكتوبر 1830م. راجع: شهيناز بوحوص، " الفرق العسكرية الجزائرية في جيش الإحتلال الفرنسي (1830-1990)", مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المح05، ع03، السنة 2022، ص 666-667.

2- عائشة التمالي، المرجع السابق، ص 108.

3- ميمم داود، تنظيم الجيش الاحتياطي...، المرجع السابق، ص 106.

4- سورة الحجر، الآية/ 21.

5- سورة يوسف، الآية/ 55.

فالمخزن إذن هو مُصطلح عربي دُو بعد اقتصادي، حيث ما يُعادلُه في المفهوم المغربي تسمية " المظمور"، وفي المفهوم اللاتيني "Le grenier"، وهو بالتالي المكان الذي تُخزن فيه كل المؤونة التي تعتمد عليها الدولة في إطار حفاظها على أمنها الغذائي، وعليه يمكن القول بأن المخزن في هذا التعريف هو الذي يُمول المُجتمع ويسد حاجاته الاقتصادية في حالي الحرب أو السلم، أو أثناء الحالات الصعبة كالمجاعة والأوبئة وكل أنواع الأزمات التي كانت تصيب البشرية من حين إلى آخر¹.

ويشير أيضًا محمد معروف إلى اشتقاق لفظ مخزن بمعنى حافظ واكتنز وادخر، وقد استعمل هذا المُصطلح لأول مرة بشمال إفريقيا في شكله الرّسمي خلال القرن الثاني(02) للهجرة الموافق للقرن الثامن(08) ميلادي، وهذا من أجل نعت صندوق حديدي كان ابراهيم بن الأغلب أمير إفريقية يُخزن فيه مجموع أمواله التي تم تحصيلها من الجبايات، وذلك من أجل توجيهها إلى الخليفة العباسي في بغداد في ذلك الوقت، كما ظهر كذلك في الأندلس تعبير " عبيد المخزن" وذلك للدلالة على عبيد خزينة المال وليس عبيد الحكومة، ومع توالي الأحداث والسنين، يبدو لنا أن كلمة " مخزن" أصبحت تُعبر فعلاً عن الحكومة أو مبدأ السلطة نفسها لدى المغاربة خاصة في الفترة الحديثة²، وهذا باعتبار إلى أن المخزن كان أداة مؤمنة لبقاء الدولة، وقد كان مفهوم أرض المخزن يُقابلة من جهة أخرى ما يُعرف بأرض السببا، وهذه الأخيرة تمثل الأراضي التي لا تدخل في نطاق الإدارة المركزية ولا تساهم في الدخل ولا المؤونة لأنها سائبة كما يدل عليها المُصطلح العربي، وبالتالي فهي خارجة عن نفود المخزن³.

وفي مفهوم آخر فإن مُصطلح "رجل المخزن" بالمعنى الحرفي للكلمة هو بمعنى أداة أو عون الخزنة أو الجباية، وبالتالي يتضح لنا أن معنى المُصطلح في العموم بأنه الرّجل الذي كان يُساهم في القوة العمومية التي تجمع وتُحصل الضرائب⁴، وعليه فالمخزن تعبير فعلي ومجازي عن " بيت المال" التي كانت السلطة الحاكمة بالإيالة تضع فيه ما تجمعها من مطالب مخزنية، وحُبوس، وإتاوات نقدية وعينية من أولئك الخاضعين لها مباشرة سواء كانوا أفرادًا أو جماعات أو قبائل⁵، وهو كذلك له مدلول الجندي في الوقت نفسه، في حين

¹ - كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 193.

² - محمد معروف، " مفهوم المخزن"، مجلة أمل، المجلد 15، ع 33، السنة 2008، ص 102.

³ - كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 193.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 319.

⁵ - خديجة دويالي، الإدارة والقضاء...، المرجع السابق، ص ص 53-54.

نجد بأن المصطلح قد توسع ليشمل بذلك مجموع القبائل الموالية للسلطة العثمانية بالجزائر¹، وقد عرّف المرّاري المخزن بقوله "إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت وحيثما وجدت وتملكت وباتت، وبالنسبة إليه مخزني، مخازني، مفرد المخازنية في تحقيق المباني، وسمي بذلك لأنه يُخزن بصدده ما يؤلمه إلى وقت الظفر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه وبه يلزمه، وقد يُطلق لفظ المخزن مجازاً على دار الحاكم نفسها في المستتب ومنه قولهم إني ذاهب إلى دار المخزن"².

1-1-2-إصطلاحاً:

يمكن إعطاء تعريف حول قبائل المخزن بأنها عبارة عن تجمعات بشرية اصطناعية متميزة في أصولها، ومختلفة في أعراقها³، فمنها من أقرتها السلطة العثمانية بالجزائر الأراضي التي وجدت عليها وذلك من أجل أن تكون سنداً لها، ومنها من أعطت لها الأراضي لتستقر عليها⁴، ومنها من أستقدم كأفراد مغامرين أو مُتطوعين من جهات مختلفة ليؤلف جماعة شبه عسكرية، وجميع هذه الأصناف المخزنية قد يتحد دورها لأن تكون سنداً للسلطة العثمانية في بسط نفوذها وسيطرتها على المناطق الحيوية ذات الإنتاج الزراعي الوفير والموقع الاستراتيجي الهام⁵.

ولتوضيح هذا الأمر يُمكننا القول بأنها كانت عبارة عن قبائل محلية مُتعاونة مع السلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر، وهذا مقابل تمتعها بامتيازات فيما يخص الأراضي والنفود، كما أعتُبرت أيضاً بمثابة همزة وصل بين الحاكم (السلطة العثمانية) والمحكوم (الأهالي) على مستوى الإيالة، وبالتالي فقد كانت المسؤولة عن حفظ الأمن والاستقرار في المناطق البعيدة عن سيطرة السُلطة الحاكمة كالأرياف، الصحراء، والجبال الوعرة⁶.

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 319.

² - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 30.

³ - فاضلي إدريس، المدخل إلى تاريخ النظم، ط1، (د.م.ج)، الجزائر، 2006، ص 349.

⁴ - حليلة أمقران، موقع المخزنية في النظام العثماني في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية: 2004/2005، ص ص 30-31.

⁵ - بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير...، المرجع السابق، ص 141.

⁶ - شهرزاد رفاف، " القبيلة خلال العهد العثماني ديناميكية الخضوع والتمرد (نموذج قبائل الغرب الجزائري)"، مجلة المعيار، المجلد 25، ع53، السنة 2021، ص ص 976-977.

1-2-الأصل التاريخي للمخزنية (قبائل المخزن):

لقد ظهر هذا النوع من القبائل المُتعاونة مع السلطة منذ عهد الموحدين، بحيث كانت تقوم بوظائف عسكرية وإدارية على السواء، كصفة من صفات التبعية والولاء للسلطة الحاكمة في تلك الفترة من الزمن¹، لهذا نجد بأن القبائل والعائلات البربرية الكبيرة في العصور الإسلامية الوسطى كان لكل منهم مخزن خاص² فقد استعان الزيانيون بقبيلة بني عامر والمرينيون بالخط وسفيان والحفصيون بقبيلة كرفة والكعوب بن مرداس³، وعليه فقد كانوا يقومون بأعمال عسكرية وبالمقابل تتحصل هذه القبائل على مجموعة من الامتيازات نظير تلك الأعمال التي كانت تقوم بها، ومن أهم هذه الامتيازات هي إعفائهم من دفع الضرائب المختلفة⁴.

أما بخصوص الفترة الحديثة فيمكن إرجاع تشكيل هذه القبائل المخزنية إلى القائد خير الدين بربروس (1519-1535)، وذلك عندما بحث عن سند له في المنطقة، فحينما نتكلم عليهم فإننا نشير مباشرة إلى نطاق الولاء السياسي، بحيث تمتد هذه السلطة وتمارس وظائفها الرّدية والجبائية بشكل مباشر وفعال⁵، فكانت في البداية على شكل خدمات مثل فرسان إضافيين أو مُساعدين ثم برزت قبائل المخزن في شكل مجموعات قبلية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية⁶ إذن فأصول المخزنية تعود إلى تقاليد إسلامية قديمة تبدأ من الأسرة وتنتهي إلى القبيلة، ومن خلال ما تم التطرق له يُمكننا رسم المخطط التالي:

1- فاضلي إدريس، المرجع السابق، ص 349.

2- حليلة أمقران، المرجع السابق، ص 32.

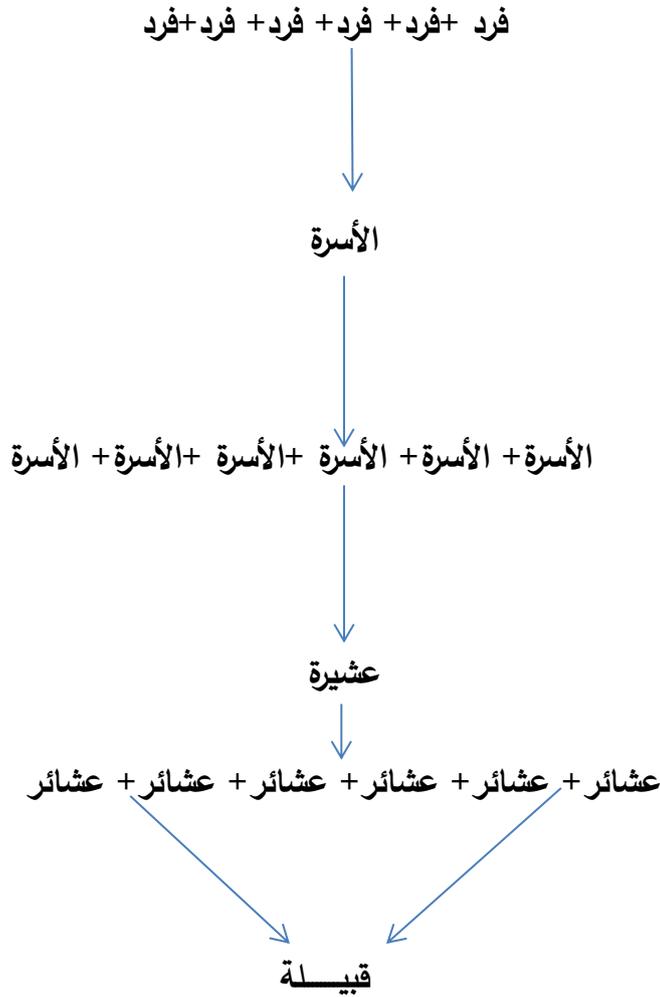
3- ميمن داود، تنظيم الجيش...، المرجع السابق، ص 106.

4- معروف بالحاج، "أوضاع الجزائر الاجتماعية والإقتصادية خلال القرنين 16 و17م"، مجلة الآداب، ع12، أكتوبر 2007، ص 63.

5- خديجة دوالي، الإدارة والقضاء...، المرجع السابق، ص 53.

6- محفوظ سعيداني، المرجع السابق، ص 462.

الشكل رقم 2: يُمثل مُخطط التكوين المجتمعي للقبيلة في إيالة الجزائر خلال الفترة العثمانية:



المصدر: من وضع الباحث عبد الرؤوف بن قاصير

وبالتالي يمكننا تصنيف قبائل المخزن في إيالة الجزائر من حيث تاريخ تواجدها في المنطقة على

ثلاثة أصناف وهي:

أ/القبائل المحلية العريقة: وهي التي كانت تحتل الأراضي الخصبة وقد كانت تنتشر في المناطق التلية أو القريبة من المُدن وذلك منذ أقدم العُصور، وقد جعلها موقعها دائمة التعرض للحملات العسكرية وسهلة المنال والخضوع بواسطة الأعداء، لذلك نجدها فضلت منذ البداية التعامل مع السلطة العثمانية بالجزائر، وذلك بغرض الاحتفاظ بأراضيها، وكذا التمتع بالامتيازات التي سخرتها لها هذه الأخيرة، مثل: الإعفاء من الضرائب الكثيرة والمتنوعة، وفي المقابل فقد كانت هذه القبائل مُطالبة بتوفير الرجال من أجل تجنيدهم في صفوف الجيش الجزائري عند الضرورة.

ب/القبائل الاصطناعية: وهي مجموع القبائل التي تشكلت من طرف السلطنة العثمانية بالجزائر، في حين أن ما يُميزها بأنها كانت غير متجانسة من خلال أنها تشكلت من أصول مختلفة، وتوضح الأمر أكثر نجد أن معظم تلك القبائل كانت تتشكل من الأفراد الفارين من قبائلهم الأصلية لمجموعة من الأسباب والظروف، مع الإشارة إلى أن هذه القبائل المُصطنعة كانت تُدعم بعناصر من الكراغلة وكذا العثمانيين¹.

ج/ القبائل الممتنعة أو المستقلة: وهي مجموع القبائل التي أُجبرت بالقوة على الدخول ضمن حيز القبائل المخزنية، ومثالاً على ذلك نجد في منطقة فرجية قبائل بربرية ممتنعة على السلطة مثل: قبيلة زواغة التي ظلت خارج سيطرة السلطة الحاكمة لفترة طويلة من الزمن².

2-تجنيد قبائل المخزن في الجيش الجزائري:

2-1-دوافع التجنيد وعوامله:

لقد تشكل الجيش العسكري لإيالة الجزائر من الفرق النظامية في الأساس، إلا أن ذلك لم يمنع من كون السلطة العثمانية بالجزائر قد كانت مُحْتَاجَةً إلى تعزيز هذا الجيش بالقوة الداعمة من الجيش الغير نظامي، والذي تمثل في تجنيد الجيش الاحتياطي ومن بين فرقه "القبائل المخزنية" والتي تشكلت بدورها من القبائل المحلية³، فالمخزن كمؤسسة له فرق كانت تُسمى بفرق المخزن وتؤدي دور المليشيات، إذ كانت تتكون أساساً من فرقة الصبايحية الأهالي، وتنشط هذه الفرق تحت أوامر أغا الصبايحية الذي كان يُعينه الباي على مقاطعة ما، ويُشرف هذا الأخير على القياد، والقائدية إدارياً هي مجموعة من الأوطان، والوطن بدوره يشمل مجموعة من قبائل المخزن، أما فيما يتعلق بأصل القائد فهو غالباً ما يكون من أصل تركي أو كرغولي⁴.

وحسب الدراسة التي أجرتها الباحثة صرهودة يوسف حول تمركز قبائل المخزن جغرافياً على مستوى إيالة الجزائر، فوجدت بأنها كانت مُنتشرة في البايكات الثلاثة، وضواحي دار السلطان وذلك بحسب الحاجات

¹ - عائشة التمالي، المرجع السابق، ص 68.

² - حياة بوديرة، الملكية والمجتمع في منطقة فرجية خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2011/2012، ص 42.

³ - شعوب كامل نصيف، المرجع السابق، ص 2172.

⁴ - كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 194.

العسكرية في تلك المقاطعات¹ وعليه فإن تجنيد هذه القبائل لم يكن اعتباطيًا بل كانت تتحكم فيه مجموعة من العوامل والأسباب وهي على النحو التالي:

-**العامل الأول:** ويتلخص حول الوضع الديموغرافي الخاص بفئة العثمانيين الذين يعتبرون أقلية صغيرة، مما دفع بالسلطة الحاكمة إلى تجنيد قبائل المخزن لتكون لهم بمثابة سند داخلي وقوة حليفة، لا سيما أنهم عجزوا عن تجنيد أكثر من اثني عشر ألف (12000) جندي نظامي في أوقات الحرب، وذلك في الوقت الذي انخفض فيه عدد الجيش الإنكشاري في الأوقات العادية إلى أقل من أربعة آلاف (4000) جندي².

-**العامل الثاني:** والذي يتعلق بالجانب المالي وذلك من خلال التقليل من نفقات مؤسسة الخزينة، حيث عملت السلطة الحاكمة على المحافظة على إمتيازاتها ومصالحها الخاصة وذلك بالتقليل من عدد الجيش المرتزق (فرق زاووة) من جهة، وعدم الإكثار من جلب المجندين من مختلف الأقاليم العثمانية، لأن ذلك كان يضطرهم إلى صرف أجور كثيرة ومصاريف إضافية والتي كانت تسبب في الأخير في تناقص ثروتهم ومواردهم الخاصة³.

-**العامل الثالث:** وهو الذي يرتبط مباشرة بحفظ الأمن وفرض سلطة البايك السيطرة والتحكم على الأرياف، ويظهر هذا السبب واضحًا في كون أن السلطة العثمانية بالجزائر قد اضطرت كثيرًا إلى تجنيد قبائل المخزن المتمركزة أساسًا بالقرب من الأسواق والحُصون والمناطق الاستراتيجية والمواصلات الحيوية، وذلك من أجل تسهيل مهمة استخلاص الضرائب وإخضاع القبائل الثائرة⁴.

-**العامل الرابع:** أما فيما يخص العامل الأخير والذي أدى بالسلطة العثمانية إلى تجنيد قبائل المخزن فهو يتمثل في محاولتها التقليل من عداة بعض القبائل المحلية وذلك بإدراجهم ضمن قبائل المخزن⁵.

1- صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص 51.

2- ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، ط2، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 211.

3- حنيفي هلايلي، أضواء جديدة...، المرجع السابق، ص 70.

4- ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية...، المرجع السابق، ص ص 212-213.

5- المرجع نفسه، ص 213.

2-2- التنظيم الإداري لقبائل المخزن:

لقد كان يتم تجنيد الفارس المخازني في إيالة الجزائر مثله مثل الفارس السبايهي في الدولة العثمانية، وذلك من خلال تلبيته لطلب الخدمة العسكرية متى وجه إليه الأمر بذلك، وعليه نجد بأنه كان يظل مُجَنَّدًا طوال المدة التي تكون فيه السلطة الحاكمة في حاجتها إليه¹، وفي هذا الإطار يجب التذكير بأن أغا العرب كان يمثل القائد الأعلى لأولئك الفرسان كما تطرقنا إليه في الفصل السابق²، وقد ازدادت أهميته في كونه الشخص الذي يسهر على حماية عاصمة الإيالة وضواحيها من الناحية الأمنية³، وعليه فقد كان يُؤطر هذه الفرق المخزنية في البايكات الثلاث مجموعة من الأعيان والقياد⁴ سواء من العرب أو الأتراك وفق الرُتب المختلفة وهم على الشكل الموالي:

-أغا الدايرة: وقد كان يُسمى أيضًا قائد الدائرة أو الدواير، وهو قائد فرسان العرب التابعين لسلطة الباي، ويعود إليه التصرف في شؤون القبائل التابعة للبايك، ويتميز فرسانه بأعلامهم وشاراتهم الخاصة بهم، ولقد مُنحت لهم صلاحيات عديدة منها مُراقبة الباي وتولي البايك في ظل غياب الباي لأسباب عديدة منها العزل أو الإغتيال، ونجد هذا خصوصاً في أواخر العهد العثماني⁵، وهو المسؤول أيضًا عن مُراقبة الحُرّاس وإدارة أملاك البايك⁶، وقد كان أيضًا يقود فرقة الثوم في حملاتهم، وكان مكلفاً بكل ما يخص هذه الفرق الغير نظامية، حيث تقع تحت إدارته تسعة وثلاثون (39) قبيلة⁷.

1- خليفة حماس، العلاقات...، المرجع السابق، ص 138.

2- ميمم داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 75.

3- منصور بلرنب، "المؤسسات السياسية والإدارية الجزائرية في العهد العثماني (الجزء الثاني)"، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، المجلد 02، ع02، ديسمبر 1996، ص 95.

4- لقد كان يتم إختيار القايد من فئة العثمانيين أو الكراغلة، وقد كان اتصاله الإداري مباشرة مع الباي، كما كان يستعين بشيخ القبيلة قصد تسيير شؤون الحيز الجغرافي الذي يعمل فيه، وتتمثل مهامه بالدرجة الأولى في الأمور الاقتصادية والأمنية العسكرية... راجع: خديجة دويالي، الإدارة والقضاء...، المرجع السابق، ص 53.

5- ميمم داود، تنظيم الجيش...، المرجع السابق، ص 108.

6- عبد الجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية والبايكات في الجزائر العثمانية (1520-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2019/2020، ص 139.

7- أوجان فايسات، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية (1517-1837)، تر. تعر: أحمد سيساوي، مرا. تق: هارون حمادو، ط1، دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019، ص 23.

- **شيخ البلد أو قائد الدار:** وهو المُشرف على شؤون البلد والمسؤول الأول على شؤون الأهالي على مستوى الأرياف¹، في حين كانت سلطة الشيخ مزدوجة، إحداهما إدارية والأخرى عسكرية، وقد كلفت السلطة العثمانية الشيخ بتسيير شؤون القبيلة والعمل على مراقبة مواسم الحرث والحصاد وتقسيم الأراضي على العائلات، كما كُلف أيضًا بالنظر في القضايا المتعلقة بتوزيع المياه، وقد كان يمثل مجموع الشيوخ على مستوى البايكات الثلاثة شخصية أطلقت عليها السلطة العثمانية لقب "شيخ العرب"²، ومن مهامه أيضًا تزويد الميليشيات العسكرية بمؤناتها الشهرية، ويجهز القوات المخزنية عندما تقوم الحملات العسكرية الأجنبية أو التمردات الداخلية، وقد كان يُدير القسم الأكبر من أملاك البايك الريفية والعقارات المُصادرة في المدينة، ويتأسر كذلك عملية تخزين الحبوب الواردة من العصور، وتجميع التبن والزيت والشحوم والحطب، ومستحقات أخرى للبايك لدى الغارمين، أما في جانب آخر فنجد بأنه كان بمثابة القاضي بعد الباي في كافة الجُرح والجرائم التي كانت تحصل داخل المدينة، فيحكم بالعصا أو التعزيم دون تمييز، أما الجرائم التي تستوجب عقوبة الإعدام فكانت من إختصاص الباي فقط³.

- **الباش سايس:** وقد كان المسؤول عن حيوانات البايك، بحيث يتكفل بحمايتها ورعايتها والاعتناء بها⁴.

- **الباش مكاحلية:** وهو قائد الحرس الشخصي للباي، يحمل هذا الأخير السلاح الناري في جُلّ المظاهرات العامة، ويقود فرقة المكاحلية وهم عبارة عن فرسان النخبة، وقد كان للباي على مستوى البايكات الثلاثة حوالي خمسة عشر (15) ميكاحلية برتبة قائد⁵.

- **الباش علام:** هو قائد حَملة ألوية الفرسان الذي كان عددهم سبعة (07)، ويمشون مباشرة بعد الباي عندما يذهب في المحلة لجباية الضرائب من القبائل الرعية⁶.

¹- ميمن داود، تنظيم الجيش...، المرجع السابق، ص 108.

²- خديجة دوبالي، الإدارة والقضاء...، المرجع السابق، ص 53.

³- أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 22.

⁴- محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 21.

⁵- بلقاسم صديقي، عبلة بن يطو، "الإدارة المركزية والإقليمية بالجزائر العثمانية (1519-1830)"، مجلة المفكر، المجلد 07، ع01، السنة 2023، ص 433.

⁶- أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 24.

بالمقابل يمكن لفارس المخزن الاستفاد من أراضي الدولة (البايلك) وحُصوله على حسان وبنديقية، وعند وفاته يعودان إلى الدولة إذا لم يكن له من يخلفه من أهله الأقربين وهو الشيء الذي لا يحدث إلا نادراً¹.

2-3- المهام العسكرية لقبائل المخزن:

في حين انحصرت المهام العسكرية التي كُلفت بها هذه القبائل حيث تمثلت أساساً في المشاركة على مستوى المحلات الفصلية لاستخلاص الضرائب وإيقاع العقاب بالمُمتنعين والمُعادين لسُلطة البايلك² وهذا ما كان يمثل تدعيماً للسلطة الحاكمة على مستوى المناطق الريفية، خاصة إذا علمنا بأن نسبة الأهالي القاطنين في الأرياف على مستوى إيالة الجزائر خلال العهد العثماني قد وصلت إلى حدود 90% من إجمالي أهالي إيالة الجزائر بشكل عام، لهذا فقد اعتبرت قبائل المخزن بمثابة همزة وصل بين الأهالي والحكام وبالتالي فقد ابقت على تماسك تلك الرابطة المتينة³، ومن المهام العسكرية أيضاً نجد أن هذه القبائل قد تمركزت في النقاط الاستراتيجية حول الأبراج والحُصون من أجل دعم الحاميات العسكرية، وذلك من أجل تسهيل حركة مَرُور على مقربة من طُرق المُواصلات الرئيسية والمسالك المهمة، وبالخصوص الطرق المعروفة آنذاك بالطرق السُلطانية⁴.

وقد شملت مهامهم أيضاً تشكيل قوة عسكرية من أجل القضاء على الثورات المحلية المناهضة للسلطة العثمانية بالجزائر في أوائل القرن التاسع عشر (19م) ميلادي مثل ثورة الطريقة الدرقاوية على السلطة الحاكمة خلال الفترة (1803-1814)⁵، وبالتالي نجد بأن سلاح الفرسان (الخيالة) الذي استخدمته السلطة الحاكمة بالجزائر ضمن الجيش النظامي والمعروف "بفرسان الصبايحية" كان يتشكل بنسبة كبيرة

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 319.

² - ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 247.

³ - صالح كليل، المرجع السابق، ص 164.

⁴ - رفاف شهرزاد، المرجع السابق، ص 977.

⁵ - خليفة حماش، العلاقات ...، المرجع السابق، ص 138.

من فُرسان القبائل المخزنية¹ وعليه فقد استخدمت السُلطة الحاكمة فُرسان المخزن كسلاح رهيب في يدهم حينما شاءوا ضد المناهضين لهم والمتمردين على حكمهم وسياساتهم الداخلية².

في حين نجد بأن قبائل المخزن كانت تتلقى نظير تلك الخدمات العسكرية التي قدمتها للسلطة الحاكمة بالجزائر مجموعة من الامتيازات وتنال بعض الحقوق وهي على الشكل التالي:

-إعفاءهم من مختلف أعمال السخرة المعروفة عند قبائل الرعية (خدمة أراضي البايك).

-دفع مرتبات شهرية مؤقتة لفُرسان المخزن في حال مشاركتها الفعلية في مُختلف المعارك والخدمات العسكرية الأخرى، وتُقدر قيمة هذا الراتب ما يأخذه الجُندي الإنكشاري.

-إعفاءهم من دفع الضرائب الغير شرعية مثل: اللزمة والغرامة والحُكور والمعونة والاكتفاء بدفع واجب شرعي والمتمثل في الزكاة والعشور³.

-إعطاء فُرسان المخزن مختلف التجهيزات العسكرية والمتمثلة أساساً في الخيول والأسلحة النارية بالمجان، والتي تسترجعها السلطة في حالة موت ذلك الفارس في حالة ما لم تجد من يخلفه من عائلته.

-كما كانت تُمنح لهم إقطاعات زراعية في حال مشاركتهم في الحملات العسكرية⁴.

3-الفرق العسكرية المخزنية:

اختلفت قبائل المخزن في أصولها وأماكنها مشكلة بذلك خليط من الأجناس والأعراق، لكن ما يربطها فيما بينها تبعيتها إلى السلطة العثمانية بالجزائر وهي على الشكل التالي:

¹- محمد السعيد عقيب، عمر مقدم، " قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)", مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 09، ع02، 2018، ص 113.

²- ناصر الدين سعيدوني، " وضعية عشائر المخزن الإجتماعية والأثار التي ترتبت عليها"، المجلة التاريخية المغربية، ع07- 08، تونس، جانفي 1977، ص 75.

³- حنيفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 89.

⁴- سحابات زهيرة، المرجع السابق، ص 104.

3-1- قبائل الزمول (العبيد):

استعانت السُلطة العثمانية بالجزائر بعدد كبير من العبيد السود لتشكيل مجموعة من القبائل عرفت "بالزماله"¹، بحيث كانوا يُعترون أناس مشردون من أوطانهم إلى الحدود الجزائرية، فسمح لهم الباشا (الداي) بالموث هناك شريطة أن يُجند منهم الجنود من صنف المشاة وكذا الفرسان عند الحاجة إليهم ضمن سياسة التجنيد ذات طابع الغير نظامي²، وفي مقابل ذلك يقوم الباشا (الداي) بحمايتهم ممن يتفقى أثرهم من مختلف الأعداء، ولهذا فقد تواجدت على مستوى البايلكات الثلاثة عدد كبير من جنود الزماله، وهم عبارة عن الزنوج الفارين من أوطانهم وقد عرفوا عند الناس كذلك بتسمية "العبيد"³.

في حين كان يترأس هذه الفرقة العسكرية قائداً عسكرياً يسمى "بأغا الزماله"، وعلى رأس كل خمسون (50) منهم يعين شاوش، وتضم هذه الفرقة حوالي عشرون (20) قبيلة عسكرية ببايلك الشرق (قسنطينة) حيث كانوا يتمركزون في المناطق الاستراتيجية كعين مليلة بين قسنطينة وباتنة وبالتالي فقد كانوا من أقوى فرسان المخزن⁴ وقد كانت تساعد الباي في العديد من المهام المختلفة مثل: جمع الضرائب وإخماد حركات التمرد، والسهر على تنفيذ الأوامر الإدارية⁵، وحسب الباحث أرزقي شويتام فإن جنود فرقة الزماله لا يستلمون أجرتهم، فقد كانوا يكتفون ببعض الإمتيازات التي كانت تُمنح لهم، كما كانوا يأخذون العُشر 10/1 من الضرائب والغرامات التي كانت تُجمع من قبائل الرعية، وتترك لهم بعض الغنائم التي كانوا يستحوذوا عليها أثناء مشاركتهم في الحملات العسكرية على بعض القبائل المتمردة⁶.

3-2- قبائل الدواير:

نجد أن مفردتها دائرة، وهي عبارة عن قبائل مخزنية قوية، بحيث كانت تُنظم خيمها في شكل دوائر حتى يتسنى لها حماية مواشيتها وخيولها التي تبيت في مركز الدوائر، وذلك من أجل حمايتها من الأعداء

¹ - ميمى داود، تنظيم الجيش الاحتياطي...، المرجع السابق، ص 109.

² - الشيخ أحمد الأطرش السنوسي، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، ط1، البصائر الجديدة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 368.

³ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 39.

⁴ - علي خلاصي، جيل...، المرجع السابق، ص 195.

⁵ - أرزقي شويتام، دراسات...، المرجع السابق، ص 30.

⁶ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2005/2006، ص 46.

والحيوانات المفترسة¹، وتعود نواة تشكيلها إلى سنة 1567م، حيث قامت السلطة الحاكمة بالجزائر بإنشاء خط بريدي ربط دار السلطان ببابيك قسنطينة وذلك عبر بعض القبائل الموالية، وعليه فقد تشكلت قوات الدواير من الفرسان المقاتلين إلى جانب الباي²، وعليه فقد كانت تضم كل الرجال القادرين على حمل السلاح، ويعرف قائدها "بأغا الدواير" حيث كان يُقيم بعاصمة البابيك، وعليه فقد بلغ عدد أفرادها المُجندين حوالي ألف (1000) فارس على رأسهم ثلاثون (30) شواش، وقد كانوا يُعسكرُون أيضًا في الأماكن الاستراتيجية³ وهي على النحو التالي:

- دايرة الوادي في وادي بوسلا بين عين الخشبة وجميلة.

- دايرة السراوية في السَّرَّا جنوب ميلة.

- دايرة وادي زناتي في قرفة.

- دايرة قسنطينة⁴، في حين نجد بأن دور قبائل الدواير لا يختلف عن دور فرق الزمول، إلا أن الامتيازات التي كانت تُمنح لأفرادها كانت أقل من تلك التي تُمنح لرجال الزمالة⁵.

3-3- القوم:

هم عبارة عن مُقاتلون من صنف الفرسان بصفة عامة، حيث كان يتم تجنيدهم من مُختلف القبائل الحليفة للسلطة العثمانية بالجزائر، مثل المُقاتلين الذين كان يقودهم أولاد مختار، ومُقاتلي الموايدة والنتيطري في بابيك النتيطري، والمُقاتلين الذين يقودهم أولاد امقران أثناء فترات السلم مع السلطة الحاكمة، في حين تتمثل الإمتيازات التي يتحصلون عليها أولئك المقاتلين في الغنائم التي يحصلونها أثناء المعارك لا غير⁶.

¹- بلبروات بن عتو، المدينة والريف...، المرجع السابق، ص 377.

²- ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 80.

³- محفوظ سعيداني، المرجع السابق، ص 463.

⁴- محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 26.

⁵- أرزقي شويتام، دراسات...، المرجع السابق، ص 31.

⁶- صالح عباد، المرجع السابق، ص 320.

4- أهم القبائل المخزنية في البايكات الثلاث:

4-1- القبائل المخزنية التابعة لبايك الشرق:

امتاز هذا البايك باتساع رقعته الجغرافية، بحيث كان يمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف وتقرت وحوض وادي ريغ جنوباً، ومن الحدود التونسية شرقاً، إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج حمزة (البويرة حالياً) غرباً، وقد كان يضم العديد من القبائل المخزنية ويمكن ذكرها في ما يلي¹:

- مخزن الحنانشة: وقد كان يضم حوالي اثني عشر (12) قبيلة مخزنية.

- شيخ العرب²: كان يضم كل زاب بسكرة وإحدى عشر (11) قبيلة ومن الرُّحل³.

-مخزن الحراكتة: وقد كان يضم حوالي اثنين وثلاثين (32) قبيلة أمثال: عين الزيتون، الحاسي، مدفون، فكرينة، عين البيضاء، مسلولة، الضلعة... إلخ، وقد كانت هذه القبائل على أتم الاستعداد لتزويد جيش الباي بالفرسان في أي وقت حيث يصل تعدادهم إلى أربعة آلاف (4000) فارس.

-دواير الأغا: وتشمل دواير الواد ووواد بوصول فوج مزالة⁴ والسراوية الزناتية، وقد كانت تزود الباي بحوالي ألف (1000) فارس.

1- ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 82.

2- وهو زعيم عرب الحراء الرُّحل، حيث كان يحكم جميع القبائل الأوراس من بلزمة حتى منطقة سيدي ناجي، ويمتد نفوذه إلى بلاد سوف حدود الصحراء الكبرى وإلى الغرب حتى ورقلة، وقد توارث هذا المنصب أبناء أسرة بوعكاز الذواودة، وذلك طوال فترة الحكم العثماني، قبل أن تتنافسها فيه أسرة ابن قانة أخوال الحاج أحمد باي (1826-1837) أخر بايات قسنطينة... للمزيد راجع: جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق الجزائري (من القرن 10هـ - 16م) إلى (13هـ - 19م)، (د.م.ج)، الجزائر، 2014، ص 159.

3- أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 35.

4- هي فرجيوة التي كانت تحكمها أسرة ابن عاشور من سلالة عاشور الذي تبناه شيخ فرقة (ورزيقة) زعيم قبيلة فرجيوة حوالي نهاية القرن السابع عشر (17) ميلادي، وقد كانت هذه الأسرة تضم العديد من القبائل والأعراش في المناطق الجبلية والسهلية مثل: أراس، زارزة، جميلة... إلخ، وأشهر حكامها هو الشيخ بوعكاز بن عاشور الذي كان وفياً للحاج أحمد باي (1826-1837)، وقد ساعد الباي أثناء الهجوم الذي شنّه الفرنسيون على مدينة قسنطينة سنة 1837م، وبعد سقوط المدينة وهروب الحاج أحمد باي (1826-1837) إلى الجنوب، استسلم الشيخ بوعكاز للمارشال فالي (Marechal Valley)، فعينة هذا الأخير قائداً لأعراش فرجيوة ومارس سلطته مثل ما كان في السابق... للمزيد راجع: علي خنوف، السلطة في الأرياف الشمالية لبايك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 63.

- أولاد عبد النور: وتضم أولاد الحايك وبراسة وأولاد زرقة وأولاد العربي وأولاد بلخير وأولاد زاييم وأولاد بلهوشات وأولاد المحنشة والعلمة¹.

- ساحل سكيكدة: ويضم مئتان (200) فارس مخزني، وهو مشكل من قبيلة أولاد عطية وأولاد معاوية والقرازلة وأولاد مسعود.

- مخزن القرفة: ويضم مئتان (200) فارس مخزني².

وقد أشار أوجان فايسات إلى أن فرسان المخزن التابع لبابيك الشرق مهما فعلوا فإنهم لا يتلقون منحاً أبداً، وعندما يوظفون في جباية الضرائب النقدية والغرامات، كان لهم الحق في عُشر (10/1) المبالغ المجموعة، حيث أن هذا العُشر يدفعه لهم الغارمون، أما فيما يخص الغزوات فكانت تترك لهم الغنائم، وبعد انتهاء حملتهم يعودون إلى بيوتهم ليتفرغوا إلى مختلف النشاطات الفلاحية مثل: الزراعة ورعي الأغنام³.

4-2- القبائل المخزنية التابعة لبابيك الغرب:

لقد امتدت رُقعته الجغرافية من حدود دار السلطان وبابيك التيطري شرقاً، ومن الحدود المغربية وبالضبط من وادي ملوية غرباً، ومن سواحل البحر المتوسط شمالاً على أقصى الصحراء جنوباً، ويجدر بنا الإشارة هنا بأن ساحل بابيك الغرب كان يمتد على مسافة مئتان وسبعون (270) كلم، ويضم العديد من المدن الساحلية مثل وهران، مستغانم، أرزيو، بني صاف، ومدن داخلية أخرى مثل: معسكر ومازونة، وتيهرت (تيارت حالياً)، في حين بلغ بابيك الغرب أقصى اتساع له في عهد الباي محمد الكبير (1779-1797) بعد تحرير مدينتي وهران والمرسى الكبير سنة 1792م⁴.

لقد تمركزت قبائل المخزن ببابيك الغرب في العديد من الأماكن الاستراتيجية، وفي ضواحي المُدن والحاميات وهذا لتسهيل حركة مرور الجنود، وكذلك في الأسواق وبجانب مخازن الحبوب والطواحين، وقد كانت تُكلف كذلك بحراسة الابراج والحصون والممرات الرئيسية والمسالك الجبلية، بحيث كانت كل عشيرة مخزنية مُطالبَة بتعبئة شبانها، فكل شاب يتعدى عمره ستة عشرة (16) سنة له الحق في أن تمنحه عشيرته

¹- ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص ص 82-83.

²- المرجع نفسه، ص 83.

³- أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 40.

⁴- فتحة خروبي، "بابيك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين (1563-1792)", مجلة المرأة للدراسات المغاربية، المجلد 01، ع 01، السنة 2014، ص 193.

فرساً وسلاحاً، ويستعد بذلك للخروج بصحبة جيش الباي للغزو، وبالتالي فقد تضاعف عدد المُجندين القادرين على حمل السلاح سنوياً¹، حيث ذكر المزارى بأن مخزن بايلك الغرب كان مُشكلاً من قسمين هما: المخزن الشرقي والمخزن الغربي، فالأول هو نجع المكاحلية وأولاد سيدي العربي وصبيح وأولاد العباس، أما الغربي فهو نجع الدواير والزماله والغرابه والبرجية²، أما أسترهazy (Esterhazy) فقد تطرق في هذا الصدد إلى أن مخزن بالك الغرب كان يتألف من حوالي سبعة عشر قبيلة وهي على النحو التالي: الدواير، الزماله، الغرابه، البرجية، بني شقران، شارب الرياح، سجرارة، بني غدو، المكاحلية، أولاد أحمد، أولاد بوغرارة، عكرمة، أولاد سلامة، أولاد العباس، أولاد خويدم، الحشم، عبيد الشراقة³، ويُضيف أسترهazy (Esterhazy) بأن تلك القبائل المخزنية كانت مُعفاة من جميع الضرائب بإستثناء الضرائب الشرعية فهم ملزمون بدفعها كالعشور والزكاة التي لا يستطيع أي المسلم الاستغناء عليها⁴.

لقد كان تكوين النظام المخزني في بايلك الغرب يختلف كثيراً عن بايلك الشرق، وهذا في كونه كان قريباً جداً من المخاطر الكثيرة التي كانت تأتي من قبل الإسبان، وذلك قبل تحرير مدينة وهران سنة 1792م، لهذا سعت السلطة العثمانية بالجزائر إلى تعزيز صفوف الجيش الجزائري بقوات مخزنية ذات طابع عسكري من أجل حماية الثغور البرية والبحرية⁵، وعليه فقد ذكر أسترهazy (Esterhazy) بأنه كان في بايلك الغرب وهران أربع أعاوات عسكريين من قبائل المخزن، إثنان منهم أخذوا من الدواير، وإثنان من الزمول وهذا خلال حكم الباي الأخير حسن (1827-1831)، حيث كان يمثل أعاوات الدواير هما: مصطفى بن إسماعيل، وعبد الله بن الشريف، حيث كان هؤلاء الاغاوات يتتوبان على قيادة قبائل المخزن في البايك كل سنة⁶، وهذا ما يُوضح لنا جلياً بأن تجنيد قبائل المخزن في بايلك الغرب قد تواصل بعد تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير من الإحتلال الإسباني سنة 1792م، وإلى غاية نهاية العهد العثماني بالجزائر سنة 1830م، وهذا ما يمثله الجدول التالي:

¹- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2013/2014، ص ص 97-98.

²- الأغا بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص 30.

³- M.Walsin Esterhazy, op.cit, p.266.

⁴- ibid, p.267.

⁵- ميمم داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 84.

⁶- M.Walsin Esterhazy, op.cit, p.267.

الجدول رقم 7: يُوضح أعداد القوات المخزنية الذين جُندوا في فترة حكم حسن باي (1827-1831) آخر بابيات وهران حسبما ذكره أسترهازي (Esterhazy) وهي¹:

عدد الفرسان	القبيلة المخزنية
1500	الدواير
3100	الزماله
500	البرجية
100	العوارة (سجراة+ بني شقران+ شارب الريح+ بني غدو)
200	المكاحلية
50	أولاد حامد+ أولاد بوغراة
100	أولاد سلامة (أولاد عدة+ أولاد زرفة+ أولاد علجة)
100	عكرمة
200	أولاد العباس
100	أولاد خويدم
50	أولاد خضرة
50	أولاد قويدر
50	عبيد الشراقة
المجموع	
6100 فارس مخزني	

4-3- القبائل المخزنية التابعة لبابيك التيطري:

لا يُعرف بدقة متى تأسس هذا البايك، حيث يعود ذكره إلى أقدم وثيقة سنة 1548م، وقد كانت عاصمته هي مدينة المدية، التي تعتبر أهم مركز سكاني في الإقليم في تلك الفترة، حيث كان يمتد على رقعة جُغرافية يحدها من الشمال الغربي الأطلس البليدي، أما من الشمال الشرقي جبل ديرة وجبل ونوغة، ويحده من الناحية الغربية مجرى نهر شلف عند المقطع المعروف بنهر وزل، أما من الجنوب فيحد البايك

¹ - M.Walsin Esterhazy, op.cit, p.p. 282-283.

سلسلة الأطلس الصحراوي في الجزء المحصور بين تازة وبوغاز من الجنوب الغربي¹، وعليه يُمكن إيجاز قبائل المخزن التي تنتمي إلى سلطته في ما يلي:

- مخزن المدينة: وهو تابع مباشرة إلى الباي.
- مخزن الدواير: ويضم أولاد رحاب وأهل الواد وأهل رقاب وأهل العلمة وأولاد عريفة.
- مخزن زمول العبيد: وتضم ثلاثمائة (300) فارس، وهي تنقسم على قبائل الزمول الشرقية والغربية.
- مخزن سباهية التيطري: وتضم أولاد دباب وأولاد أوتسمام وقبائل نبيلة.
- مخزن أولاد بوعايش: ويضم أولاد سيدي داود وأولاد ثابت².

من خلال ما سبق التطرق إليه في هذا العنصر يتضح لنا جلياً أن السبب الذي أدى بالسلطة الحاكمة إلى تجنيد قبائل المخزن هو من أجل إحكام السيطرة على القبائل الرعية أو النائرة المتواجدة في الجهات البعيدة عن مقر السلطة العثمانية من جهة، وكف تمرداتهم من جهة أخرى، وعليه فقد اعتبرت هذه القبائل دعامة عسكرية غاية في الأهمية من أجل حفظ الأمن والاستقرار، لكننا نجد أنه بالرغم من هذه الخدمات الإدارية والعسكرية التي كان يؤديها الفارس أو الجُندي المخزني، نجدها في الأخير لم تشفع له في أن يُسجل ضمن الجيش النظامي، وبقي تحت إسم المُجنّدون في الجيش الاحتياطي للإيالة فقط، تستخدمهم السلطة العثمانية بالجزائر متى شاءت وأينما شاءت.

¹- فايزة بوشيبية، " التنظيم الإداري في بايلك التيطري خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 11، ع01، السنة 2010، ص ص 100-101.

²- ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 86.

الفصل الخامس

آثار سياسة تجنيد المتطوعين على
الأوضاع العامة لإيالة الجزائر

اتبعت السُلطة الحاكمة في الجزائر خلال العهد العثماني سياسة استراتيجية ذات طابع عسكري تمثلت في تجنيد المُتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية من جهة وكذا تجنيد المُتطوعين من القبائل المحلية من جهة أخرى، وذلك لفائدة الجيش الجزائري بشقيه النظامي والغير نظامي (الاحتياطي)، ومن هذا المُنطلق تجدر الإشارة إلى أن سياسة التجنيد قد أثرت سواء بالسلب أو الإيجاب على الأوضاع العامة في إيالة الجزائر، وذلك إبتداءً من بداية انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية سنة 1519م، بحيث ترتب عن هذه السياسية نتائج على عدة مجالات ومستويات، ومن هذا المُنطلق نطرح مجموعة من التساؤلات وهي كالاتي: فيما تمثلت الآثار الناجمة عن سياسة تجنيد المُتطوعين في الجزائر العثمانية؟ وكيف أثرت هذه الأخيرة على الأوضاع العامة في الإيالة؟.

أولاً: الآثار الإيجابية:

1- الجانب العسكري:

1-1- تحرير المُدن والحُصون التابعة لإيالة الجزائر:

بعد أن رَبط خير الدين بربروس (1519-1535) الجزائر بالدولة العثمانية سعى بدوره إلى تحرير العديد من المُدن والحُصون التي كانت تحت الإحتلال الإسباني في تلك الفترة، وبهذا الخصوص نجد بأنه قام بتحرير حصن البنيون بتاريخ 27 ماي 1529م، وذلك بعد أن شُن مجموعة من القصف المكثف بواسطة فرقة المدفعية التابعة للجيش الجزائري أنذاك¹، ثم قام الجيش الجزائري بتحرير مدينة بجاية من يد الإسبان في جوان 1555م بقيادة البيلرباي صالح رايس (1552-1556)، حيث بلغ عدد أفراد الجيش الذي شارك في تلك المعارك التي خاضها ضد الإسبان بحوالي ثلاثون ألف (30000) جُندي وقد كان خليط ما بين النظامي والاحتياطي، بحيث كان من بينهم فرقة زواوة والعديد من الفرق المحلية الاخرى (قبائل المخزن)، كما تم تعزيزه بوحدات من الأسطول البحري الجزائري، حيث ساهمت الأمطار التي تساقطت على ميناء مدينة بجاية في تسهيل حركة مرور السفن الحربية الجزائرية التي وصلت بسرعة خلف القلاع الإسبانية، ليتمكن الجيش الجزائري بفضل ذلك العمل من الإطاحة بالإسبان ودحرهم وبالتالي الاستلاء على أغلب

¹ - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص ص 214-217.

قلاعهم العسكرية، كما تم القضاء على أغلب جنود الحامية الإسبانية ببجاية في شهر سبتمبر 1555م، وهو بذلك ما يمثل تاريخ تحرير المدينة الكلي من الإسبان¹.

وفي جانب آخر من مساهمة الجيش الجزائري في تحرير المدن المحتلة من قبل الإسبان، نعود بالزمن إلى سنة 1786م التي تمثل سنة إخلال الإسبان ببنود معاهدة الصلح المبرمة بينها وبين إيالة الجزائر، والمتمثلة في بُد إخلاء مدينة وهران والمرسى الكبير، وعلى إثر ذلك الوضع قرر الداوي محمد بن عثمان باشا(1766-1791) فرض حصار عسكري من جهة البر والبحر على مدينة وهران وهذا بمساعدة الباي محمد الكبير (1779-1797)²، حيث تم تسخير حوالي مئة وخمسون ألف (150000) جندي كان مُشكل من الفرق النظامية من جهة على رأسها فرقة الإنكشارية ومن الطوبجبة وفُرسان السباهية، وعدد كبير من جنود الزواوة وفُرسان المخزن³، لكن ما حدث لم يكن في الحسبان، بحيث توفي الداوي محمد بن عثمان باشا(1766-1791)، وذلك قبل تحقيق غايته المنشودة وهي تحرير مدينتي وهران والمرسى الكبير من الإسبان⁴، وقد تطرق "ابن سحنون" إلى وفاته فقال: "... فلم نشعر بشيء حتى أتانا الخبر بأن قد مات السلطان المُعظم والملك المكرم السيد محمد بن عثمان - أفاء الله عليه ظلال الأمان - يوم الثلاثاء التاسع من ذي القعدة، وهو إذ ذاك أول من يوليو...⁵، وحسب "دوغرامون" فإن وفاة الداوي محمد بن عثمان باشا(1766-1791) كان يوم 12 جويلية 1791م، وقد أضاف أيضًا بأن سبب وفاته هو مرض الزحار (الالتهاب المعوي) الذي كان يُعاني منه الداوي في أيامه الأخيرة، وفي إشارة منه إلى أن الشخص الذي خلفه هو "حسن" الذي كان يتولى وظيفة الخزانة⁶.

¹ - ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص ص 103-104.

² - عبد الرؤوف بن قاصير، " الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر ونتائجها (1775-1792م)"، مجلة المعيار، المجلد 27، ع04، السنة 2023، ص 822.

³ - ميمن داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 109.

⁴ - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص ص 520-526.

⁵ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. تق: المهدي البوعبدلي، ط1 عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص 307-308.

⁶ - De Grammont, OP.Cit, p.341.

ونتيجة للحصار الذي فرضه الباي محمد الكبير (1779-1797) على مدينة وهران والمرسى الكبير والمعارك المتواصلة، قبلت إسبانيا على إثرها أخيراً الصلح الذي كان في 09 ديسمبر 1791م، وكان ذلك بمراعاة الشروط التالية:

- 1- أن تتسحب مملكة إسبانيا من مدينة وهران والمرسى الكبير، دون قيد أو شرط.
- 2- أن تدفع إسبانيا لخزينة الإيالة إتاوة سنوية قدرها مائة وعشرون ألف (120000) فرنك.
- 3- أن تُرجع إسبانيا لإيالة الجزائر كل القنابل والمدافع والذخيرة التي غنمتها عند احتلالها الثاني لمدينة وهران والمرسى الكبير سنة 1732م.
- 4- أن تحمل سفينة إسبانية بصفة رسمية إلى استانبول مفتاحين ذهبين كرمز للاستسلام والخروج من مدينة وهران والمرسى الكبير، مع جرتين من ماء عُيون وهران للسلطان العثماني أناداك سليم الثالث (1789-1808) كبشرى للصلح الذي قام بين البلدين (إيالة الجزائر وإسبانيا)¹.

وفي هذا الصدد نجد بأن جلاء الإسبان من مدينة وهران يوم 17 دسمبر 1791م، أما فيما يخص دخول محمد الكبير (1779-1797) إلى المدينة على رأس جيش من المجاهدين الجزائريين قد كان يوم 24 فيفري سنة 1792م²، لكن مع حلول ذلك الفتح العظيم، والذي بموجبه استرجعت إيالة الجزائر مدينتي وهران والمرسى الكبير وبالتالي استكمال سيادتها الترابية أخيراً بعد مدة طويلة قُدرت بثلاثة قرون من الزمن (1505-1792)، يذكر محمد بن يوسف الزياني في مؤلفه فيقول: "... الحمد لله فتحت وهران وأعادها الله للمسلمين، وخرج منها الكُفار أدلة صاغرين، في سعادة المُعظم، السلطان الأعظم،... السيد سليم (نصره الله) في دولة المُعظم الأرفع والهمام الأنفع، حسن باشا أيده الله على يد محيي الدين كثير الغزو والجهاد، وقامع أهل البغي والفساد، محمد باي وفقه الله بتاريخ الرابع من رجب سنة 1206هـ"³.

وخلاصة القول بالنسبة لهذا العنصر الخاص بدور ومساهمة عناصر الجيش الجزائري سواء النظامي والاحتياطي في تحرير المدن والحصون الجزائرية من الإحتلال الإسباني نجد بأن السلطة العثمانية بالجزائر

¹ - عبد الرؤوف بن قاصير، المرجع السابق، ص 822.

² - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 527.

³ - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح. تق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 268.

قد جندت جميع أفراد الجيش النظامي والاحتياطي من فرق زواوة وقبائل المخزن من أجل تحقيق سيادتها الكاملة على كل شبر من الإيالة.

1-2-1- توحيد الإيالة من التشتت الداخلي:

لقد شهدت السلطة الحاكمة بالجزائر خلال العهد العثماني على فترات معينة اضطرابات خطيرة مست جهاز السلطة، بحيث واكبها قيام العديد من التمردات والعصيان في بعض المناطق من الإيالة، حيث بدأت في بايلك الشرق ثم إنتقلت شُعلة التمرد إلى المناطق الواقعة في غرب الإيالة، فظهرت مجموعة من التمردات كانت قد شنتها الطرق الصوفية، وأخرى تزعمها المرابطون والعلماء وأخرى تزعمتها بعض القبائل المحلية¹.

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا سوف نستثني الثورات الخاصة بالطرق الصوفية التي تطرقنا إليها في الفصول السابقة أمثال: ثورة ابن الأحرش في بايلك قسنطينة وثورة الدرقاوي في بايلك الغرب، وثورة التيجاني، والتي شارك فيها الجيش الجزائري بجميع فرقة من أجل إخمادها كما رأينا سابقا بالرغم من أنه دفع الثمن غالياً في ما يخص عدد الضحايا من الجانب المؤسسة العسكرية، وعليه نطرح التساؤل التالي: كيف تصدى الجيش الجزائري لمختلف ثورات القبائل المحلية؟.

1-2-1-1- إخماد ثورة ابن الصخري:

لمعرفة أسباب هذه الثورة نعود بالزمن إلى الوراء قليلاً وبالتحديد إلى فترة حكم مراد باي قسنطينة (1622-1637)، حيث قام هذا الأخير بمحاولة الحد من نفوذ أسرة بوعكاز الذواودة حُكام جنوب بايلك قسنطينة(الصحراء الشرقية)، وذلك من خلال القبض على شيخ العرب محمد بن الصخري وجماعة من أعيان الأسرة وسجنهم، بعد اتهامهم بالعصيان ومحاولة الانفصال على سلطة البايك (بايلك قسنطينة)، ثم أرسل مراد باي (1622-1637) رسالة إلى باشا الجزائر آنذاك المدعو علي باشا(1637-1640) يستأذنه في قتل الشيخ وابنه ومرافقيهم، فكان جواب علي باشا(1637-1640) قاسياً حيث وافق على طلب الباي

¹ محمد بك، " الأفعال الإجرامية والتجاوزات في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 05، ع03، السنة 2019، ص 478.

مراد (1622-1637)، فنفذ هذا الأخير الحكم على الشيخ وابنه وستة (06) من أعيان الأسرة وقد كان ذلك يوم الأربعاء 01 صفر 1047 هـ الموافق لجوان 1637 م¹.

وبعد عام من ذلك الإعدام، قام أخ الضحية (شيخ العرب) المسمى أحمد بن الصخري في سنة 1638م بتنظيم كافة العرب الرُّحل والحنانشة وجميع القبائل الأخرى المستوطنة من حدود إيالة تونس إلى أبواب مدينة الجزائر، وذلك من أجل رفع لواء الثورة على السلطة العثمانية بالجزائر، وقد سار هذا الأخير نحو عاصمة بايلك الشرق قسنطينة على رأس قواته فأخضعها²، وعلى إثر ذلك تجمع الجيش الجزائري الذي بلغ نحو عشرة آلاف (10000) جندي نظامي وإحتياطي لمواجهة الثوار، وإلتقى الجمعان في منطقة كجال الواقعة بين قسنطينة وسطيف، وقد كانت الغلبة من جانب الثوار بقيادة أحمد بن الصخري، وكان من بين القتلى كاتب الباي، أما مراد باي (1622-1637) فقد فرّ من المعركة ولم يتم القبض عليه³.

وفي السنة الموالية (1639م) أرسل علي باشا (1637-1640) من مدينة الجزائر جيش آخر من أجل الانتقام لهزيمة معركة كجال، في حين كان في انتظار هذه القوات جيش آخر من قوات القبائل النائرة على السلطة العثمانية بالجزائر، ويذكر أن أحد المرابطين كان قد تدخل وفرض على الثوار قبول الهدنة بشروطهم وقد تم الإتفاق على مايلي:

-تخلي الباشا على مُطالبه الثوار بضريبة للزّمة.

-عودة القوات العسكرية للسلطة العثمانية بالجزائر من حيث أتت والتعهد بعدم العودة ثانية.

-أن يستدعوا جميع الكراغلة إلى مدينة الجزائر، وأن يعيدوا لهم مناصبهم وألقابهم التي حُرّموا منها تعسفاً.

-التعهد بإعادة بناء الباستيون وكل ملحقاته التي هُدمت وعطلت عملها⁴.

¹ - جميلة معاشي، الأسر المحلية...، المرجع السابق، ص 339.

² - أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 84.

³ - محمد عطية، "ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 07، ع01، السنة 2022، ص 629.

⁴ - أوجان فايسات، المصدر السابق، ص 89.

1-2-2- إخماد تمرد فليسة:

لقد شنت قبائل فليسة¹ الخاضعة لبابليك التطري، حملة تمرد وعصيان ضد السلطة العثمانية بالجزائر، وقد إنجّر عنها وقوع حرب بينهما، ويعود السبب تلك المواجهة الدامية بين السلطة الحاكمة وقبائل فليسة هو رفض هذه الأخيرة دفع اللزمة السنوية²، وزيادة على ذلك فقد مارست قطع الطريق وسلب القبائل المجاورة الموالية للسلطة الحاكمة بالجزائر، وفي هذا الصدد يصف "الزهار" قبيلة فليسة فيقول: "... وقع قبل هذه الحوادث وكانوا أناسا جهلة لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين وكان فيهم من يتبع الكتاب والسنة... فكانوا لا يخافون الله ولا يخشون الأمير..."³.

وحسب ذات المصدر فإن تلك المواجهات العسكرية التي جمعت قبائل فليسة وفرقة الانكشارية قد خلفت خسائر مادية وبشرية معتبرة من كلاً الجانبين، لكن في الأخير استسلمت تلك القبائل وطلبوا الأمان من السلطة الحاكمة وتعهدوا بدفع الزكاة والعشور كل سنة وانتهى العصيان والتمرد⁴، بحيث تمكن الجيش الجزائري من إخماد ذلك التمرد الذي دام حوالي سبع (07) سنوات كاملة، وذلك بمساعدة قبائل المخزن التابعة لبابليك الشرق بعد أن جندتها صالح باي (1771-1792) الذي وقف بالمرصاد لتلك القبائل المتمردة⁵، وأخضعهم بقوة السلاح، وبعد مشاورات سرية توصلوا إلى شروط الصلح التالية:

- كل قبيلة من فليسة تدفع غرامة تقدر بمئة (100) ريال بوجو تُقدم لقائد سباو.

- أن لا تقوم السلطة الحاكمة بجباية الضرائب من قبائل فليسة.

- أن لا تتدخل السلطة الحاكمة في إقليم فليسة.

¹ - اشتملت قبائل فليسة على عدة بطون وعشائر، حث يخضع بعضها إلى سلطة بابليك الغرب والبعض الآخر إلى سلطة بابليك التطري، ونظرا لخطورتها كان يعين لها قائد عام، وتضم هذه القبائل 21 بطن... للمزيد راجع: كاميلية دغموش، المرجع السابق، ص 108.

² - هي عبارة عن ضريبة سنوية تدفعها القبائل الغير مخزنيه إلى السلطة الحاكمة، وقد ألغيت عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م. راجع: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 42.

³ - الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 28.

⁴ - المصدر نفسه، ص 28.

⁵ - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 527.

- كل فرد أصله من فليسة، ويقوم بجريمة السرقة أو أية جنحة خارج حدود منطقة فليسة، ينفذ فيه الحُكم دون تدخل من القبيلة¹.

1-2-3- إخماد تمرد بلاد الجنوب:

لقد كانت الناحية الجنوبية للإيالة سائرة أيضا في طريق التمرد والعصيان، وقد حدث هذا بعد اعتلاء الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) الحكم سنة 1766م²، لكن بوصول صالح باي (1771-1792م) إلى الحكم سنة 1771م قام بإخضاع تلك البلاد بواسطة مجموعة من الفرق العسكرية سواء النظامية من الإنكشارية أو الاحتياطية من قبائل المخزن الذين كان يُطلق عليهم إسم (القوم)، حيث نجد في سنة 1187هـ الموافق لـ 1773م قيام صالح باي (1771-1792) بمهاجمة المتمردين الذين جاھروا بالعداء والعصيان للسلطة الحاكمة بالجزائر، وهذا في كل من أفلوا وتاجموت والأغواط وفي الأخير نجد بأن تلك القبائل الجنوبية قد اضطرت في الأخير إلى إعلان الخضوع له وللسلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر³، وهذا ما أشار إليه محمد الصالح بن العنتري بقوله: "... الذي تمهدت له الأوطان في عصره ونال من الخيرات ما لم يناله واحد من البيات قبله ولا بعده، وداس كل الأوطان العامرة والفقراء..."⁴، ولم يكتفي صالح باي (1771-1792) بمنطقة الأغواط بل تعدى ذلك إلى أعماق الصحراء وبالتحديد إلى تقرت، حيث يضيف محمد الصالح بن العنتري حول ذلك فيقول: "... وكان قد وصل إلى تقرت أقصاء (كذا) وطن الصحراء، لم يصل إليها البايات السابقين (كذ) ولا أدركوها المتأخرين (كذا) إلا صالح باي وصلها وأقام عليها سبعين يوما حتى طوعها..."⁵.

ومن جهة اخرى قام الباي محمد الكبير (1779-1797) بإخضاع نواحي الأغواط والعمور والزناخرة والأربع سنة 1199هـ الموافق لـ 1785م، وهذا بأمر من الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791)

¹ -نادية فتيسي، المرجع السابق، ص74.

² - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص236.

³ - علي طالبي، حليلي بن شرقي، "جغرافية منطقة الاغواط وأثرها في رسم علاقة التمرد ضد السلطة العثمانية (ما بين سنتي 1730-1145هـ/1830-1245هـ)"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 06، ع02، السنة 2022، ص 369.

⁴ - محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 83.

⁵ - المصدر نفسه، ص62.

مقابل أن تكون تحت إمرته¹ فخضعوا له وأطاعوه ففرض على تلك القبائل ضرائب باهضة تدفع سنوياً²، أما فيما يخص الأسباب العامة لتلك التمردات فقد تمخضت في مختلف الأزمات الاقتصادية التي كانت دائماً هي المحرك الأساسي لحوادث العصيان، وقد زاد تأثيرها بعد أن لحقت الأزمات الزراعية التي عمت مختلف مناطق البلاد، بالإضافة إلى السياسة الضريبية للمحلات وقمعها لمختلف قبائل الرعية والخاضعة للسلطة الحاكمة بالجزائر³.

1-3-1- حماية الثغور البرية من التدخلات الأجنبية:

1-3-1-1- مساهمة الجيش الجزائري في مختلف المعارك ضد سلاطين المغرب الأقصى:

تعود بداية العلاقات التي جمعت حكام الجزائر العثمانيين والأشراف السعديين بالمغرب الأقصى إلى مُنتصف القرن السادس عشر (16) ميلادي، وهو بذلك تاريخ تأسيس الدولة السعدية⁴، وطوال ذلك القرن تقريباً كانت العلاقات بين البلدين متوترة والحروب مشتتة بينهما، بحيث أن كل طرف كان يسعى للتوسع على حساب الآخر، وقد أرغم بايلربايات الجزائر السلاطين السعديين على الوقوف عند نهر ملوية كحد فاصل بين البلدين⁵، وبوصول محمد بن الشريف العلوي (1640-1658)⁶ إلى سدة الحكم في المغرب الأقصى اتفق الطرفان وبالتحديد في أواسط القرن السابع عشر (17) ميلادي على اعتبار وادي تافنا⁷ إلى

¹ - علي طالبي، حليلي بن شرقي، المرجع السابق، ص ص 369-370.

² - عبد الرحمان بن محمد الجبالي، المرجع السابق، ص 237.

³ - محمد بك، المرجع السابق، ص 481.

⁴ - تأسست الدولة السعدية سنة 1509م، وقد بدأ نفوذ الأشراف السعديين في بلاد درعة في المغرب الأقصى، في الوقت التي كانت الشواطئ المغربية عرضة للأطماع البرتغالية والإسبانية، وينحدر السعديون من سلالة علي بن أبي طالب، واستمرت في حكم بلاد المغرب الأقصى إلى غاية سنة 1640م، لتقوم محلها دولة أخرى شريفة هي الدولة العلوية... للمزيد راجع: شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1977، ص 167.

⁵ - محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط1، عكاظ الجديدة، المملكة المغربية، 2011، ص 437.

⁶ - تولى الحكم من (1050-1069هـ/1640-1658م) وهو الابن الأكبر من أولاد الشريف بن علي... للمزيد راجع: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، ط2، دار الرشاد الحديثة، المملكة المغربية، 1994، ص 20.

⁷ - عقدت معاهدة تافنا بتاريخ 01 جوان 1654م/16 رجب 1064هـ، ووقعت بن محمد بن الشريف (1640-1658) وأحمد باشا (1653-1655)، على اعتبار وادي تافنا حداً لا يجوز عبوره من الطرفين... للمزيد راجع: قادة دين، " الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، مجلة عصور جديدة، المجلد 07، ع27، السنة 2017، ص 214.

الشرق من وجدة كحد فاصل بينهما¹، لكننا نجد مع اعتلاء المولى إسماعيل (1672-1727)² العرش العلوي في سنة 1672م، اتجهت العلاقات بين البلدين إلى التوتر من جديد، وذلك في ظل الأطماع العلوية للتوسع شرقاً على حساب الأراضي الجزائرية³، حيث قام المولى إسماعيل (1672-1727) بإلغاء جميع المعاهدات التي أبرمها أخويه⁴ من قبل مع حكام الجزائر، وعليه فقد تميزت فترة حكمه بكثرة النزاعات والاعتداءات على الجهة الغربية للإيالة الجزائرية⁵.

وفي هذا الصدد نتطرق إلى ذكر أهم معركة حدثت بين المولى إسماعيل (1672-1727) والجيش الجزائري وهي "معركة المشارع"⁶، "وقد تحدث "محمد الضعيف" عن هذه المعركة فقال: "... في السابع عشر شعبان عام 1103هـ/1725م قدم على مكناس... وفي يوم الأربعاء رابع رمضان نزل مولاي زيدان بوادي فاس وبالغد نزل بسبو، ونزلت محلة فاس هنالك معه، ومن الغد وهو يوم السبت سابع رمضان العام رحلوا من سبو، وفي السابع والعشرين منه وقع القتال بينهم وبين الترك ومات القائد العربي بن صالح وغيره وهرب بعض رماة فاس..."⁷، لكن المولى إسماعيل (1672-1727) لم يتقبل هزيمته في معركة المشارع، بحيث نجد أنه قد واصل غاراته لتحقيق أماله التوسعية على الجهة الغربية الجزائرية، وقد دامت حملاته

¹ - محمد القبلي، المرجع السابق، ص 437.

² - هو السلطان المؤيد المنصور الملك المظفر بُويع بالخلافة بعد موت أخيه المولى الرشيد يوم الأربعاء سنة 1082هـ/1672م... للمزيد راجع: محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تج. تعل. تق: أحمد العماري، ط1، دار المآثورات، المملكة المغربية، 1986، ص58.

³ - محمد علي داهش، "العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث" حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ع18، جامعة الموصل، السنة 1995، ص 164.

⁴ - وهما الأول محمد بن الشريف، والأخ الثاني هو المولى الرشيد الذي تولى الحكم من (1075 - 1082هـ/1664-1672م)، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العلوية في المغرب الأقصى. راجع: إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص24.

⁵ - عمر بن قايد، "أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، السنة 2012، ص145.

⁶ - لقد وقعت هذه المعركة بين المولى إسماعيل والجيش الجزائري، وقد انهزم فيها المولى إسماعيل وجيشه سنة 1103هـ/1692م، على نهر ملوية، والتي كانت عبارة عن سلسلة من المعارك بدأت شرق تلمسان ثم استمرت عبر فترات من الزمن... للمزيد أنظر: محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص 76.

⁷ - المصدر نفسه، ص 76.

العسكرية لمدة ست وثلاثين (36) سنة، وفي الأخير استقرت الحدود الجزائرية المغربية على وادي ملوية إلى غاية وفاته سنة 1727م¹.

وعليه نجد بأنه بعد وفاة المولى إسماعيل (1672-1727) في سنة 1727م، حدثت صراعات داخل الأسرة الحاكمة العلوية إلى غاية وصول المولى محمد بن عبد الله (1757-1790)² إلى سدة الحكم، وقد عُرف عنه انتهاج سياسة الإنفتاح على دول العالم وسياسة السلم مع الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791)³، لكننا نجد في عهد المولى العلوي سليمان (1792-1822)، قد أعاد الصراع مع حكام إيالة الجزائر من جديد، حيث قام بعدة حملات عسكرية على منطقة الجنوب الغربي للإيالة الجزائرية، لكن جهوده لم تأتي ثمارها وهذا بفضل قوة الجيش الجزائري ودفاعه المستميت على كل شبر من تراب الإيالة وبالتالي المحافظة على الحدود البرية مع سلطة الأشراف العلويين إلى وادي ملوية كما كانت من قبل وذلك إلى غاية الإحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر سنة 1830م⁴.

1-3-2- مساهمة الجيش الجزائري في مختلف المعارك ضد بايات إيالة تونس:

لقد تميزت العلاقات الجزائرية التونسية خلال العهد العثماني بالعديد من الصراعات والتدخلات العسكرية فيما بينهما، وهذا في إطار سياسة توسيع النفوذ لكل طرف على حساب الآخر، حيث نجد من خلال اطلاعنا حول الموضوع أن قيام ذلك الصراع في الكثير من الأحيان كان بسبب قضية الحدود بين الإيالتين، وذلك بقيام معركة السطارة سنة 1037هـ الموافق لـ 1628م، والتي تُعد من أكبر المعارك التي

¹ - المكي جلول، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من (631 إلى 1263هـ/1847-1234م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1993، ص 115-118.

² - ولد بمكناس سنة 1134هـ/1722م، عُرف عنه سياسة الانفتاح مع الدول الأوربية وكذا الدول الإسلامية، حيث تلقى البيعة من أهل فاس ومختلف الأقاليم، حكم ما بين (1757-1790م)... للمزيد راجع: إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 86.

³ - عبد القادر الميلى، العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال (القرن الثاني عشر هجري/الثامن عشر ميلادي) - مقارنة سياسية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2016/2017، ص 212.

⁴ - ميمى داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 116.

دارت بين الإيالتين، لكونها كانت الأولى بعد استقلال تونس عن الجزائر سنة 1587م، وبالتالي فاتحة لسلسلة من الحروب والصراعات الطويلة بين الجانبين¹.

ومن بعدها جاءت قضية وصاية حكام الجزائر على بايات تونس عن طريق التدخل في شؤونهم الداخلية، وذلك بالوقوف مع مختلف البايات في صراعاتهم الأسرية على السلطة والحكم، وفي هذا الصدد قام الجيش الجزائري بتنصيب الباي محمد باشا (1675-1696) على حكم إيالة تونس ضد منافسه الداوي أحمد شلبي في سنة 1086هـ الموافق لـ (1675م)²، وفي سنة 1700م قام باي تونس مراد الثالث (1699-1702) المعروف "ببوبالة" الذي حاول بدوره أن يُخضع إيالة الجزائر لسلطته، لكننا نجد بأن الجيش الجزائري قد وقف له بالمرصاد في معركة جوامع العلمة قرب سطيف فقام بإفشال مخططه وإرغامه على العودة إلى تونس³، غير أن الوضع بين الإيالتين لم يتوقف هنا، حيث نجد بأن حكام إيالة الجزائر قد تدخلوا مرة أخرى في شؤون الداخلية لإيالة تونس، وهذا بعد وفاة الباي حسين بن علي تركي (1705-1735) في سنة 1740م، وقام الجيش الجزائري بمساندة ابن أخيه علي باشا (1740-1756) وتم تنصيبه على إيالة تونس مقابل إقراره بتبعية تونس إلى إيالة الجزائر⁴، لكن في سنة 1756م قام الداوي علي باشا بوصباغ (1754-1766) بإعلان الحرب على باي تونس علي باشا (1740-1756)، وتنصيب مكانه أبناء عمه محمد الرشيد⁵ وعلي⁶، وهذا ما تم في الأخير، أي بعد أن عاشوا في المنفى هروباً من ابن عمهم الباي علي باشا لما يُقارب ربع قرن من الزمن (1740-1756).

¹ محمد عطية، الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية 1587-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2014/2015، ص 64.

² ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 61.

³ ميمم داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 116.

⁴ وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 163.

⁵ هو ابن حسين باي تولى الحكم إيالة تونس سنة 1756م بمساعدة الجزائريين وقد ساهم في تحسين أحوال الإيالة بعد أن أهلكتها الحروب الداخلية المتوالية توفي سنة 1759م... للمزيد راجع: حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1995، ص 154.

⁶ هو ابن حسين باي حيث سار على خطة والده في ترقية البلاد وعمرائها، وفي إيامه وقع خلاف مع قنصل فرنسا أدى إلى قطع العلاقات مع فرنسا وإشهار الحرب بين الدولتين، والسبب في ذلك أن فرنسا ألحقت جزيرة كورسيكا لملكها سنة 1768م، وقد توفي سنة 1782م... للمزيد راجع: حسن حسيني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 155.

وتجدر الإشارة إلى أن إيالة تونس كانت في تلك الفترة في حالة شبه تبعية لإيالة الجزائر منذ 1756م¹، ومن مظاهر تلك التبعية نذكر بأن حاكم إيالة تونس علي باي (1759-1782) قد كان حريصاً على دوام السلام مع الداوي محمد بن عثمان (1766-1791)، حيث كان المبادر إلى تهنتته بالولاية في أفريل 1766م، لكن الداوي تأخر في الرد فيما يخص تلك التهنته مما جعل الباوي علي (1759-1782) يشعر بالإهانة²، وزيادة على ذلك فقد أرسل علي باي (1759-1782) سنة 1179هـ/1766م إلى إيالة الجزائر حوالي ألفين وأربعمائة وسبعة وسبعون (2477) مطن زيت أي ما يقابل نسبة 62,19% من جملة الزيوت التي صرفها قائد الغابة المسمى محمد بن العيفة، كما بعث أيضاً أثناء عام 1181هـ/1767-1768م في إطار "هدية الجزائر" ألفين وخمسمائة واثنى عشر (2512) مطن زيت بواسطة القايد علي بن عياد، لكن هذه المجاملات وغيرها من الأمور الدبلوماسية لم تحجب حالة التوتر القائمة أنداك بين الإيالتين³، وبالرجوع إلى ما قاله "أحمد بن أبي الضياف" فإن الباوي علي ورعيته كانوا يُقاسون مرارة من تبعيتهم لولاة الجزائر وقسنطينة، لأنه لا حول ولا قوة له تجاههم، ومخافة نقتهم لاسيما ولديهم يونس باي⁴ الطالب بثار أبيه⁵.

¹- ترجع تبعية إيالة تونس إلى حكام الجزائر إلى الهجوم الذي قام به الجيش الجزائري على تونس سنة 1754م، حيث كانوا يُريدون تنصيب أحد أبناء الحسين الباوي المقتول من طرف ابن أخيه علي باشا، وقد تم ذلك ونصب علي باي تونس، وابرهم الجزائريون معاهدة مخزية ومن شروطها:

- ألا يُسلح حصن الكاف.

- أن العلم التونسي عندما يرفع، لا ينبغي أن يكون إلا في وسط الساري.

- يرسل بايات تونس ضريبة سنوية تتمثل في حمولة سفينة من الزيت وعددا كبيرا آخر من الهدايا... للمزيد راجع: حمدان بن عثمان خوجا، المصدر السابق، ص 124-125.

²- عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، ط1، دار الأمل، الجزائر، 2017، ص 236.

³- ابراهيم السعداوي، "أسباب التوتر بين أتراك الجزائر وحكام تونس"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع37-38، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ديسمبر 2008، ص 142.

⁴- هو ابن علي باشا (1740-1756م)، وقد كان ذا منزلة عند أبيه، وكان اخويه سليمان ومحمد يغبطانه على تلك المنزلة من أبيهم حتى أفسدوا العلاقة بينهم وخرج يونس إلى قسنطينة حيث اختبئ هناك إلى أن توفي بها... للمزيد راجع: حسن حسيني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 153.

⁵- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 37.

وعليه فقد كانت الفكرة الرئيسية التي واكبت عهد علي باي (1759-1782) وابنه حمودة باشا (1782-1814) هي الخروج من تلك التبعية المُذلة¹ وإعداد العُدّة كما ينبغي لها، حيث حاول حمودة باشا وضع حدا لتطلعات حكام الجزائر وابعاد نظرهم عن فكرة التوسع في الأراضي التونسية²، حيث سعى إلى وقف دفع ضريبة الزيت التي كانت تتوجه إلى الجزائر، وحسب "الزهار" فإن حمودة باشا الحسيني (1782-1814) مَنع هذه الضريبة السنوية، فوَقعت الفتنة بينه وبين حكام الجزائر³.

لقد فرض الباي حمودة باشا الحسيني (1782-1814) حصارًا على مدينة قسنطينة سنة 1806م، وقد دام ذلك الحصار سبعة عشر (17) يومًا، حيث وصل المدد من مدينة الجزائر بجيش قوامه فرقة الإنكشارية والمدفعية، تساعدهم مجموعة من فرسان زاوة وقبائل المخزن، فوَقعت معركة كبيرة بين الجانبين الجزائري والتونسي، حيث أجبرت حمودة باشا (1782-1814) على الإنسحاب إلى تونس، وبالتالي تم فك الحصار المضروب على مدينة قسنطينة⁴، وقد إستمر الوضع على حالة إلى غاية تدخل سلطة الباب العالي لفض النزاع القائم، وتم على إثرها ضبط الحدود البرية بين الإيالتين سنة 1821م⁵.

2- الجانب الديني:

لقد انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني ظاهرة الأوقاف بأنواعه⁶ بشكل كبير جدًا، وقد شمل العديد من الفئات الإجتماعية القاطنة في مختلف مناطق الإيالة، وبصفة أكبر نجد مدينة الجزائر، حيث

¹ يُرجع "ابن العطار" سبب التبعية إلى قوة داي الجزائر محمد بن عثمان باشا وكذا صالح باي قسنطينة، ويذكر أن إيالة تونس وعمالتها كانت تحت القهر. راجع: الحاج أحمد بن مبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص 124-125.

² حنفي هلايلي، "محاولة إيالة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي بين الطموحات الاستراتيجية والإخفاق السياسي"، مجلة الحوار المتوسطي، ع05، 2013، ص62.

³ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص96.

⁴ ميمم داود، الجيش الجزائري...، المرجع السابق، ص 118.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 95.

⁶ يُعرف الوقف أو الحبس بأنه من الصدقات الجارية التي تتفع صاحبها بعد موته، وقد كان يتم الوقف في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال تحبيس الأفراد والجماعات للمنافع والأموالك العقارية سواء كانت إقتصادية كالمنازل والحوانيت وعلويات أو زراعية كا البحيرة أو الجنة...لخ، في حين تكون هذه المنافع لصالح مجموعة من المؤسسات الخيرية التي كانت منشرة بكثرة على مستوى مدينة الجزائر، وعليه فإن الوقف ينقسم إلى نوعين وهما:

أ-الوقف الأهلي: وهو الوقف الذي لا يتحول صرف منفعته على المصلحة العامة التي وُقِف من أجلها إلا بعد انقراض العقب وانقطاع نسل الواقف كما حددهم في نص عقد وقفه.

تنافس فيه الجميع، وقد كان ذلك لفائدة المؤسسات الخيرية، فالواقفون لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب ففيهم الرجال والنساء على حد سواء، في حين سوف نسلط الضوء في دراستنا هذه على أوقاف المؤسسة العسكرية وعلى رأسها الجيش الإنكشاري الذي عرف مشاركة واسعة في مجال الوقف، دون أن ننسى مشاركة العناصر النظامية الأخرى مثل: فرسان السباهية، وهذا ما يطرح في أذهاننا السؤال التالي: فيما تمثلت هذه الأوقاف؟ وماهي المؤسسات الخيرية التي وُقت من أجلها؟.

2-1- أوقاف الجيش الإنكشاري:

من أجل دراسة نصيب فئة الإنكشارية من التحبب نجد دراسة الباحثة وافية نفطي والمتعلقة بالأوقاف حيث تطرقت من خلالها إلى أمر مهم فذكرت بأن أكبر نسبة من أحباس الإنكشارية قد وصلت إلى حوالي مئة واثني عشر (112) حبسًا، وقد ضمت كل الرواتب العسكرية ابتداءً من أصغر رتبة وهي البولداش (الجُندي البسيط) إلى أعلى رتبة وهي الأغا¹، ومن جهتنا فقد عثرنا على مُختلف الوثائق الخاصة بالوقف² بالنسبة للجيش الإنكشاري، وهي تلك الموجودة على مستوى رصيد سلسلة المحاكم الشرعية بالأرشفيف الوطني الجزائري ببنر خادم، الجزائر العاصمة والتي يمكن إجمالها في الجدول التالي:

ب-الوقف الخيري: وهو الوقف الذي تعود منفعته مباشرة إلى جهة الخير التي وُقت من أجلها مثل: المساجد والفقراء والزوايا... إلخ... للمزيد راجع: فهيمة عمريوي، "إسهام الجيش الإنكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي"، مجلة العلوم الإنسانية، ع41، السنة 2014، ص 71.

¹ - وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ

الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والأثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة 01، السنة الجامعية: 2016/2017، ص 150.

² - تنوعت مؤسسات الأوقاف التي كانت موجودة بالجزائر خلال العهد العثماني، لكننا يمكن تحديدها في ست مؤسسات معروفة آنذاك من خلال وثائق المحاكم الشرعية وهي: أوقاف الحرمين الشريفين، أوقاف مؤسسة سبل الخيرات التي كانت تصرف عائداتها على المساجد الحنفية، أوقاف الجامع الأعظم والمساجد المالكية، أوقاف مؤسسة بيت المال، أوقاف المرابطين والمعوزين من الجنود، أوقاف المرافق العامة والتكنات... للمزيد راجع: محمد بوشنافي، "أوقاف الموظفين والجنود بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلع 01، ع01، السنة 2015، ص 286.

الجدول رقم 8: يمثل مجموعة أفراد الإنكشارية بمختلف رتبهم العسكرية حسبوا أملاكهم ضمن الوقف الخيري من خلال سجلات المحاكم الشرعية بالأرشفيف الوطني الجزائري:

اسم الواقف ورتبه	نوع الوقف	مكان تواجده	المستفيد منه أو الموقوف عليه	محرر عقد الوقف	تاريخ العقد
السيد عمر يُلداش ¹	عقار زراعي متمثل في خمس 5/1 الجنة ²	الكاينة بفحص بني مسوس	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين	القاضي الحنفي	أواسط ذو القعدة 1136هـ/1724م
السيد ابراهيم الإنجشاري الحفاف ³	عقار زراعي متمثل في بحيرة ⁴ القرنون وبحيرة الخرشف	الكاينة بفحص بني مسوس	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين	قاضي المالكية	السنة: 1186هـ/17 م73
السيد محمد الإنجشاري بن مصطفى ⁵	عقار زراعي متمثل في قطعة أرض تُعرف بالأربعين الوطاء	الكاينة ببني مسوس خارج باب جديد	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين، وقد تطرقت الوثيقة إلى ذكر أبعاد القطعة من طول وعرض	القاضي الحنفي	السنة: 1142هـ/17 م30

1- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 2/37، الوثيقة رقم 35.

2- لقد ارتبطت تسمية أراضي الفحص بمُصطلح جَنَّة، والتي تعني المكان المستور لنكاثف أشجاره وتضليله بالتفاف الأغصان من حوله، وجمعها جنان، ويُشترط في الجنة أن تحتوي على أشجار النخيل والعنب، وإن لم يتوفر هذا الشرط فإنها عندئذ تسمى حديقة... للمزيد راجع: سامية بن قويدر، "لمحة عن ديار فحص مدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة المفكر، المجلد 01، ع01، السنة 2017، ص 44.

3- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 2/37، الوثيقة رقم 15.

4- يعتبر مُصطلح البحيرة فهي تصغير لكلمة بحرة التي تعني الفجوة من الأرض، وكذلك الوادي الصغير والروضة العظيمة مع السعة والأوقية يستتبع فيها الماء، لذلك نجد بأن معظم أراضي الحامة التي كان يطلق عليها بحاير، لأنها كانت عبارة عن مستنقعات مُشبعة بالمياه، استصلحت فيما بعد واتخذت للزراعة... للمزيد راجع: سامية بن قويدر، المرجع السابق، ص 45.

5- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 2/37، الوثيقة رقم 12.

السنة: 1136هـ/17 م24	القاضي الحنفي	لفائدة مسجد حضر باشا	الكاينة بفحص الأبيار خارج باب جديد	عقار زراعي متمثل في جنة	السيد محمد بلكباشي ¹
السنة: 1137هـ/17 م25	القاضي الحنفي	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين	الكاينة في أعلى جامع المعلق داخل مدينة الجزائر المحروسة	عقار إقتصادي متمثل في جميع الدار	السيد محمود بلكباشي بن الحاج حسين ²
السنة: أواسط شهر ذي الحجة 1195هـ/1781م	القاضي الحنفي	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين	الكائن بسوق السراجين داخل مدينة الجزائر المحروسة	عقار إقتصادي متمثل في جلسة حانوت	السيد ابراهيم التركي الجريتلي البلكباشي ³
السنة: أوائل شهر ربيع الثاني 1118هـ/1707م	قاضي الجزائر	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين	الكائن بمكان غير معروف في الوثيقة	عقار زراعي متمثل في جنة	السيد الحاج باكير أغا ابن والي التركي ⁴
السنة: في أواسط شهر شعبان 1130هـ/1718م	القاضي الحنفي	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين	الكاينة بسوق الشبارلية	عقار إقتصادي متمثل في دار	السيد محمد أغا بن محمد ⁵
السنة: في شهر ربيع الأول 1155هـ/1743م	القاضي الحنفي	لفائدة فقراء الحرمين الشريفين	الكاينة بحوانيت ابن رابحة	عقار إقتصادي متمثل في دار	السيد مصطفى أغا بن محمد أغا التركي ⁶

- 1- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 2/9، الوثيقة رقم 02.
- 2- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 1/9، الوثيقة رقم 08.
- 3- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 1/19، الوثيقة رقم 44.
- 4- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 1/5، الوثيقة رقم 60.
- 5- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 1/5، الوثيقة رقم 23.
- 6- أ.و.ج، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 38، الوثيقة رقم 66.

التعليق على الجدول:

من خلال هذا الجدول يُمكننا القول بأن جُل الأوقاف الخاصة بالجيش الإنكشاري قد تم توجيهها لفائدة فقراء الحرمين الشريفين وذلك بإعتبارها مؤسسة قائمة بذاتها، حيث كانت تتولى شؤون جميع فقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة، والملاحظة الثانية تتعلق بالشيء المُوقوف غالبًا ما يكون عقار اقتصادي أو زراعي، وهذا بالنظر إلى الثروة التي كان يحوزها أفراد الجيش الإنكشاري.

2-2- إحصانات أغا العرب (الصبايحية):

نجد من خلال اطلاعنا على وثائق المراسلات العثمانية الموجودة في المكتبة الوطنية الجزائرية رسالة من السيد الحاج ممش في مدينة إزمير إلى يحي أغا العرب (الصبايحية) بالجزائر بتاريخ 05 ذي القعدة 1241هـ الموافق لـ (10 جوان 1826م)، وهي عبارة عن قائمة بمجموعة من الإحصانات قام بإرسالها يحي بن مصطفى أغا العرب (1818-1828) إلى مدينة إزمير لفائدة بعض التجار الفقراء واليتامى وغيرهم، ومن أجل التوضيح أكثر عن محتويات تلك الإحصانات وضعنا الجدول التالي:

الجدول رقم 9: يمثل مجموعة الأموال التي أرسلها يحي أغا العرب (1818-1828) إلى مدينة إزمير لفائدة التجار واليتامى وغيرهم¹.

اسم الشخص	حصته من الأموال (الصدقة)
ابن حجي عثمان أغا	ثلاثمائة (300) قرش.
أستاذ الأيتام	ثلاثمائة (300) قرش.
مصطفى أغا	مئتان (200) قرش.
ابن أمين شاوش	خمسائة (500) حزام بالذهب+ألف (1000) قرش
الحاج ممش (صاحب الرسالة)	خمسائة (500) حزام بالذهب.

التعليق على الجدول:

من خلال هذا الجدول نجد بأن يحي بن مصطفى أغا (1818-1828) كان من أثرياء رجال الحكومة على مستوى الإيالة، وهذا بالنظر إلى قيمة الصدقة التي بعثها إلى مدينة إزمير لفائدة التجار الفقراء واليتامى يمكننا القول بأن ذلك المنصب (أغا العرب) كان يُدّر على صاحبه أموال كبيرة، حيث لم يكن يحي أغا بخيلاً، بل على العكس من ذلك فإنه قام بإنفاقه على المحتاجين.

¹ م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 166.

ثانياً: الآثار السلبية:

1- الجانب السياسي:

1-1- الانقلاب العسكري على السلطة:

في مُستهل الحديث حول هذا العنصر الذي يُوحى لنا من الوهلة الأولى أنه إجراء خطير قامت به فرقة الإنكشارية على مستوى الإيالة، حيث كان الجُند أو كما يطلق عليهم الأوروبيون تسمية "المليشيا" في بداية القرن السادس عشر (16) ميلادي يعملون كأفراد من الجيش في خدمة البيلرباي فقط تاركين إدارة الإيالة إلى الحاكم الفعلي وهو البيلرباي، لكن مع نهاية القرن السادس عشر (16) وبداية القرن السابع عشر (17) ميلادي، وجدنا بدورنا بأن فرقة الإنكشارية قد بدأت تتدخل في جُل الشؤون السياسية وأصبحت تُعطي أهمية للسلطة على مستوى الإيالة¹.

في حين يُمكن إعطاء تفسير لذلك الانقلاب إلى تعفن نظام الباشوات وسخط الرعية عليهم، لأن همهم الوحيد كان جمع الأموال وتحصيلها بشتى الطرق والوسائل، خاصة إذا علمنا أن مدة حكمهم كانت لا تتجاوز ثلاث سنوات فقط²، ومع ذلك لم تبدأ المشاكل الحقيقية للسلطة العثمانية بالجزائر إلا بعد سنة 1659م، أي عندما استولى الجُند على مقاليد السلطة في الإيالة ولم يبق للباشا ممثل السلطان العثماني بالجزائر أي تأثير³، حيث سُمح له بالإشراف على بعض الأمور التشريعية فقط لا غير، على أن يتولى مقابل ذلك أغا الإنكشارية الحكم في الإيالة لمدة شهرين من الزمن حتى لا يستبد به، وبذلك فقد غيرت ثورة 1659م الحكم في الجزائر من الباشوية إلى ما أصبح يُسمى بـ "الجمهورية العسكرية"، وهذا ما يُعد بحسب اطلاعنا على الأحداث إلاّ انتقاماً من طائفة رياس البحر الذين ازداد نفوذهم في مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر (16) والسابع عشر (17) ميلادي⁴.

¹ - رجاء رهيوي، ديات الجزائر صور وأبعاد (1671-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية: 2008/2007، ص 87.

² - عمار عمورة، موجز..، المرجع السابق، ص 99.

³ - رجاء رهيوي، المرجع السابق، ص 87.

⁴ - عبد الهادي رجائي سالم، الدبلوماسية الجزائرية في الفترة العثمانية (1518-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2020/2019، ص 57.

في حين نجد أن أول أولئك الأغاوات وحامل لواء الثورة كان الأغا خليل (1659-1660)¹ والذي قام بدوره برّد مبعوث السلطان العثماني من حيث جاء وأثار غضب الصدر الأعظم²، وقد تولى الحكم بعد عزل إبراهيم باشا (1655-1659)، حيث اتفقت المؤسسة العسكرية (الإنكشارية) على تعيينه في الحكم لمدة شهرين فقط، لكن بعد مرور شهرين رفض خليل أغا (1659-1660) الاستقالة مما كلفه ذلك حياته إذ ثار عليه الجيش الإنكشاري وأعدموه فوراً، وبعد مقتل خليل أغا على يد الإنكشارية، أُسندت هذه المرة الأغوية إلى ابن عمه رمضان بلوكباشي (1660-1661)، وهو المعروف بإسم "يورك رمضان"، وفور اعتلاءه السلطة بالإيالة قام بتوزيع العطايا على الجيش الإنكشاري بمختلف الرُتب العسكرية، وذلك رغبة منه في توطيد سلطته من جهة، ومن جهة أخرى ليتقاضي مصير ابن عمه خليل أغا، لكنه في الأخير نجده قد لقي نفس مصير ابن عمه، وذلك عندما أزداد التشبث في الحكم³.

بعد المقتلة التي راح ضحيتها رمضان أغا (1660-1661)، قام الديوان بانتخاب وتعيين حاكم جديد للإيالة، فوقع اختيارهم على معزول أغا كان يُدعى "شعبان"، والجدير بالذكر أنه لم يكن أصله من الأتراك، بل كان واحد من الأعلاج وبالتحديد برتغالي الأصل⁴، حيث تولى شعبان أغا الحكم خلال أعوام (1661-1665)، وفي عهده كانت قوة رياس البحر قد عادت إلى سابق عهدها، فأكثر الغارات على سواحل وسفن الدول الأوروبية، وخاصة الفرنسية منها، فحاول الفرنسيون الانتقام لتلك الهجمات، فقاموا باحتلال ميناء جيجل سنة 1664م، وفي هذا الصدد يذكر صاحب مخطوط أسماء حكام الجزائر فيقول: "... أخذوا الكُفار جيجل عام 1074 الربيعة وسبعين بعد الألف، وأخذها المسلمين من عند الكفار عام 1075 الخمسة وسبعين بعد الألف..."⁵، بعد هذا سمع شعبان أغا (1661-1665) بنية بعض قادة الجيش

¹ - هو خليل البلوكباشي، وقد كان المُحرك الأساسي في عملية الانقلاب العسكري التي حدثت ضد نظام الباشوات، حيث يعد من أبرز أعضاء الديوان وأكبرهم نفوذاً، ويعود في أصوله إلى إحدى القبائل التركمانية (بيوروكان)، التي كانت تعيش على الترحال في "بر الترك"، وقد عرف بالأغا للدلالة على منصبه الرفيع فقط. راجع: أمين محرز، أوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م) دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفاتر المواجهات، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 02، السنة الجامعية: 2019/2020، ص 101.

² - عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 28.

³ - أمين محرز، أوجاق الإنكشارية...، المرجع السابق، ص 104.

⁴ - Boyer Pierre, « la révolution dite des "Aghas" dans la régence d'alger (1659-1671) », in: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°13-14, 1973, p.165.

⁵ - مؤلف مجهول، أسماء حكام...، المصدر السابق، و01.

الإنكشاري بإعادة إبراهيم باشا (1655-1659) إلى الحكم مرة أخرى، فقرر قتله لكن أعوان هذا الأخير سبقوه إذ انقلبوا عليه وأخرجوا إبراهيم باشا من سجنه، وكان أول عمل قام به هو إعدام شعبان أغا سنة 1665م، لكننا نجد بأنه بعد مقتل شعبان أغا (1661-1665) أسند الحكم إلى معزول أغا آخر يدعى الحاج علي (1665-1671)¹، حيث كان قد أدى فريضة الحج، وهذا ما أكسبه مكانة مرموقة في نظر العامة، ثم ثارت المؤسسة العسكرية بقيادة أغا الإنكشارية في سبتمبر عام 1671م، فقام باغتيال الحاج علي أغا (1665-1671)².

من خلال اطلاعنا حول هذا الموضوع نجد بأن عهد الأغاوات قد تميز بمحاولة فصل إيالة الجزائر عن الدولة العثمانية³، في حين استمر حكمهم في إيالة الجزائر حوالي اثني عشر (12) سنة⁴، وبالتالي فإنها قد مثلت مرحلة سيطرة الإنكشارية التامة والمطلقة على دواليب الحكم بطريقة فوضوية، وذلك بالنظر إلى طبيعة التكوين الخاص بهذه الفئة الذي يميل إلى القواعد العسكرية بعيداً كل البعد عن كل ما يتعلق بالأمور الإدارية، وبالتالي فقد فسحت المجال للانهايار الاقتصادي والاجتماعي على مستوى الإيالة على حد سواء⁵.

1-2- اغتيال حكام الإيالة:

لقد اعتبرت ظاهرة الإغتيال التي طالت حكام الإيالة على يد فرقة الإنكشارية ماهي إلا مظهراً من مظاهر هيمنة تلك الفرقة على الحياة السياسية للجزائر خلال العهد العثماني، وتتمثل سيطرة الإنكشارية على أمور الحكم من خلال عزل حاكم وتنصيب آخر مكانه، وبدورنا فقد وجدنا أن ذلك الإجراء قد بدأ منذ

¹- تولى الحكم عام 1665م، وهو أول من جمع بين السلطتين العسكرية والمدنية، وأول من أطلق عليه لقب "الحاكم"، وقد تميزت فترة حكمه بهدوء نسبي، حيث حرص خلالها على توثيق العلاقات بين دولته وحكومة فرنسا، وفي الأخير تأمر الديوان على إغتياله ونفذوا فيه القتل في عام 1671م، وقد دفن بناحية برج نافورة الواقع شمال شرقي مدينة الجزائر. راجع: خيرة بن بلة، "حكام الجزائر في العهد العثماني من خلال الكتابات الأثرية"، مجلة أثار، المجلد 11، ع02، السنة 2013، ص 35.

²- Boyer Pierre, la révolution..., op.cit, p.p.166-167.

³- أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004، ص 132.

⁴- يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 12.

⁵- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ط1، (د.م.ج)، الجزائر، 1995، ص 18.

الفترات الأولى لتأسيس الإيالة الجزائرية¹، ولتوضيح هذا الأمر أكثر يجب الإشارة إلى أنه في عهد البايريات والباشوات قد تميزت الأوضاع العامة بالهدوء نسبياً، حيث لم يقتل إلا البيلرباي محمد تكلري سنة 1556م، حيث ترجع ظروف إغتياله إلى الفوضى التي حدثت بعد وفاة البيلرباي صالح رايس (1552-1556) بوباء الطاعون سنة 1556م وهو يُحاصر مدينة وهران، ولهذا عمدت الميليشيا إلى إختيار واحداً من الأعلاج يُدعى حسن قورصو سنة 1556م، وهو بدوره كان يُعد من أصحاب عروج وخير الدين بربروس القدامى وذلك من أجل اكمال مشروع تحرير مدينة وهران من قبضة الإسبان، وفي خضم تلك الأوضاع المضطربة جاءت سفينة من إستانبول تحمل أوامر من السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566) تقضي برفع الحصار والعودة إلى مدينة الجزائر، وقد كان ذلك نتيجة تخوف السلطة العثمانية بالإستانة جراء تعين حسن قورصو على حكم الإيالة، بحيث اعتبرت ذلك التصرف اغتصاباً للسلطة، فعملت على إرسال البايرباي محمد تكلري لحكم إيالة الجزائر، وبوصول هذا الأخير إلى ميناء مدينة الجزائر اصطدم برفض الميليشيا له².

وفي هذا الصدد يتطرق هايدو (De Haëdo) إلى طريقة اغتيال البيلرباي محمد تكلري فذكر أنه بعد مقتل حسن قورصو من طرف محمد تكلري سعى القائد يوسف حاكم يَسر قرب تلمسان، والذي كان مُقرب إلى حسن قورصو إلى الانتقام وهذا ما أنجزه بالفعل³، حيث تلقى كل الدعم من الإنكشارية الذين سخطوا من تصرفات محمد تكلري، وزيادة على ذلك فإن حسن قورصو كان محبوباً من طرف الجيش الإنكشاري كُله، حيث أخبرهم القائد يوسف عن خُططه وطلب منهم دعمه وعدم إعاقته على تحقيق هدفه المنشود وهو قتل البيلرباي محمد تكلري بيده⁴، لهذا يعتبر القائد يوسف بمثابة أداة لا غير يتحكم فيها المُتمردين (الإنكشارية) على سُلطة البيلرباي محمد تكلري⁵، وقد كان له ذلك عندما تتبع في أحد المرات محمد تكلري عند هُروبه إلى "زاوية سيدي يعقوب" وقد دخل إلى المُصلى وبيده رمحاً، وقد وجه إليه ثلاث أو أربع ضربات بالرمح (الحرية) وتركه مُلقى على الأرض، وعندما لحقي به الإنكشارية أشادوا بعمله هذا وذهبوا معه إلى مدينة الجزائر، وبالتالي فقد مات محمد تكلري الذي لم يدم حكمه إلا لثلاثة (03) أشهر

¹ - مبارك شودار، "لمحة عن الأوضاع السياسية للجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع04، ديسمبر 2016، ص 227.

² - جبور ميلودية، المرجع السابق، ص ص 91-92.

³ - De Haëdo, histoire..., op.cit, p.109.

⁴ - Devoulx, A. « assassinat du pacha Mohammed tekelerli », in R.A, N°15 Alger, 1871, p.82.

⁵ - Ernest Watbled, « Documents inédits sur l'assassinat du pacha tekelerli », in R.A, N° 15, Alger, 1871, p.339.

لا غير (من أول أكتوبر حتى نهاية ديسمبر 1556م)، وقد كان عمره آنذاك خمسون (50) سنة، وقد دفن خارج باب الواد في القبة¹.

بينما في عهد الأغوات فنجد أنهم قُتلوا كُلهم على يد الإنكشارية، بينما في عهد الدايات فنجد أن الداوي² هو عبد لعبيده، وهو مشغول دائماً في إحباط المؤامرات التي تُهدد حياته وبالتالي فقد كان يعيش دائماً في حالة فقدان للثقة من الأشخاص الذين من حوله³، فمثلاً نجد أن أربعة وعشرون (24) داياً اعتلوا كرسي الحكم في إيالة الجزائر منذ أكتوبر 1711م إلى غاية 04 جويلية 1830م فقد اغتيل منهم ستة عشر (16) داياً، حيث يوجد من بينهم من حكم ليوم واحد في دار السلطان، وهذا ما يُبين لنا شدة الصراع الذي كان قائماً على السلطة وبالتالي تأزم الحكم⁴، وهذا ما سنحاول استعراضه في هذا الجدول الموالي:

الجدول رقم 10: يوضح مجموعة الدايات الذين تعرضوا للاغتيال من طرف فرقة الإنكشارية⁵.

اسم الداوي	فترة حُكمه	طريقة اغتياله
الداوي بابا حسن	(1682-1683م)	أُعدم من طرف الإنكشارية بإيعاز من ميزومورتو.
الداوي الحاج شعبان	(1688-1695م)	أُعدم خنقاً بعد تعذيب شديد.
الداوي الحاج مصطفى	(1700-1705م)	أُعدم خنقاً.
الداوي محمد بكداش	(1707-1710م)	أُعدم خنقاً من طرف العامة.
الداوي دالي براهيم	(1710م)	قُتل في الساحة بعد رميه بالقنبلة.
الداوي محمد بن حسن	(1718-1724م)	قُتل بالرصاص قُرب البحرية.
الداوي ابراهيم كوتشوك	(1745-1748م)	قُتل مسموماً.
الداوي محمد بن بكير	(1748-1754م)	أُعدم خنقاً في قصر الجنينة.

¹- De Haëdo, histoire..., op.cit, p.p.109-110.

²- يذكر رينوا الذي يعتبر حارس القنصل الفرنسي بالجزائر الأتراك يطلقون تسمية "أفندي" على الداوي، وهو ما يعني بالربّ في لغتهم، أما الأهالي فيسميه بتسمية "بابا" وهو يعني الأب باللغة العربية، أما الأوروبيون فيطلقون عليه تسمية "الراعي الكبير" الذي يعني السيد الكبير حسب لغتهم. راجع:

- M. Renaudot, tableau du royaume de la ville d'alger, quatrième édition, librairie universelle de p. mongie ainé, paris, 1830, p.83.

³- Shaw, op.cit, p.155.

⁴- كمال فيلالي، المرجع السابق، ص 277.

⁵- حنيفي هلايلي، "التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 09، ع01، مارس 2018، ص 16.

الداي مصطفى باشا	(1798-1805م)	قُتل ذنبًا بعد أن قُطع لسائه ¹ .
الداي أحمد باشا	(1805-1808م)	قُتل رميًا بالرصاص أثناء مُحاولته الهُروب من القصر.
الداي علي الغسال	(1808-1809م)	أُجبر على شُرب السُم فرفض ذلك فأُعدم خنقًا.
الداي الحاج علي	(1809-1815م)	قتل خنقًا في الحمام.
الداي محمد الخرناجي	(1815م)	أُعدم خنقًا في قصر الجنيّة.
الداي عمر باشا	(1815-1817م)	أُعدم خنقًا ² .

وتعليقًا على الجدول نلاحظ أن طريقة الإغتيال الأكثر انتشارًا في صفوف الدايات³ هي الشنق حتى الموت، وعليه فإن الإعدام خنقًا من أسوء الاغتيالات التي تلحق بالأشخاص على مر التاريخ، وهذا لكونها تطبق فقط على المجرمين والقتلة، ومن جهة أخرى نجد أن تلك الاغتيالات قد توقفت خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر (18) ميلادي أي من سنة (1754-1805م)، ويعود تفسير هذا إلى شخصية الحكام الثلاثة اللذين حكموا في هذه الفترة وهم: الداي علي بوبصاع (1754-1766)، الداي محمد بن عثمان باشا (1766-1791)، والداي حسن باشا (1791-1798)، حيث شهدت الإيالة في عهدهم إلى حد ما استقرار سياسي نسبي خاصة في عهد الداي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) الذي حكم الإيالة لمدة تزيد عن ربع قرن من الزمن (25 سنة)، وبذلك يعتبر أطول من حكم الجزائر إلى يومنا هذا.

¹ - يذكر مؤلف مخطوط أسماء حكام الجزائر بأن عسكر الإنكشارية قتل الداى مصطفى باشا (1798-1805م) والخرناجي الذي كان معه في الزنقة أو الشارع وهذا بتقطيع أجزاء من أعضائهم، يوم 05 جمادى الثاني عام 1220 هـ الموافق لـ (1805م). راجع: مؤلف مجهول، أسماء حكام...، المصدر السابق، و05.

² - لقد تطرق رينوا (M. Renaudot) إلى قضية اغتيال الداى عمر باشا فقال لقد اقتحم الإنكشارية سنة 1817م مكان إقامة الداى عمر باشا (1815-1817م)، ثم جروه بالسلاسل إلى مكان الإعدام العلني أين تم خنقه بطريقة غير إنسانية. راجع:

- M. Renaudot, op.cit, p.p.93-94.

³ - ينطرق شاو (Shaw) إلى الحديث عن كيفية تنصيب الداى الجديد للإيالة وهذا من خلال إجراء عملية انتخاب جيش أفراد الميليشيا الأعضاء على مستوى الديوان، حيث يسأل أغا الأنكشارية بصوت عال : من تريد الميليشيا أن تنتخب في منصب الداى، وعلى إثرها يعطي كل واحد صوته ومن يجمع أغلبية الأصوات يكون هو الداى، ثم يرتدي هذا الأخير القفطان الذي يعتبر رمزا للسلطة والحكم. راجع:

- Shaw, op.cit, p.153.

2- الجانب الاقتصادي:

2-1- العجز المالي للخزينة:

ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م، وقد كانت في حاجة ماسة إلى العتاد العسكري بشقيه المادي والبشري، وفي هذا الصدد نجد في سنة 1525م أن السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566) قد سمح بدوره بتجنيد متطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح الإيالة، وقد تم التكفل بجميع مصاريف التجنيد، لكن بعد سنة 1671م أصبحت السلطة العثمانية بالجزائر تتحمل لوحدها جميع المصاريف الخاصة بعملية تجنيد المتطوعين¹، ومن تلك المصاريف نذكر على سبيل المثال لا للحصر: تأجير الأرض التي كانت تُقام عليها خيمة التجنيد (الأوطاق)، وهذا بالإضافة إلى النفقة على المتطوعين الجُدد المقيمين في الخان، وكذلك دفع مُرتبات الدائيات والإمام والعاملين المُساعدين اللذين كانوا يُشرفون على السير الحسن لعملية التجنيد²، وزيادة على ذلك نذكر نفقات كراء سفن لرعايا أجنب لنقل أولئك المتطوعين إلى مدينة الجزائر... الخ، وحتى لا ننسى مجموعة الهدايا الثمينة التي كانت تبعثها حكومة الإيالة إلى عدد من رجال الدولة العثمانية مثل القبودان باشا ومساعديه وكذلك حُكام الأقاليم التي تنظم فيها عمليات التجنيد، في حين كانت تعتبر تلك الهدايا بمثابة مكافأة على المجهودات المبذولة من أجل تسهيل عملية التجنيد³، وهذا بالإضافة إلى جرايات الجُند التي كانت تمثل في الغالب مبالغ ضخمة تُدفع إما في أجزور شهرية أو منح ومكافآت طارئة وهذا ما سبق وذكرناه في الفصول السابقة لا داعي لتكراره في هذا العنصر⁴.

وفي جانب آخر من النفقات العسكرية نجد نوع آخر من النفقات وهو الخاص بعملية التسليح، حيث نذكر في هذا الخصوص شراء الداوي محمد بن عثمان (1766-1791) من بريطانيا⁵ يوم 25 مارس 1778م خمسين (50) مدفعا وزنها ألف وأربعة وسبعون (1074) قنطار وخمسة وسبعون (75) رطلاً، وهو

¹ - بوشيبه ذهبية، المرجع السابق، ص 364.

² - خليفة خماش، تجنيد المتطوعين...، المرجع السابق، ص 31.

³ - حنيفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 18.

⁴ - ناصر الدين سعيدي، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 121.

⁵ - بتاريخ 01 جويلية 1707م شهدت إنجلترا تحولاً سياسياً، وهذا بعد اتحاد العروش والبرلمانات كل من (إنجلترا وإسكتلندا وويلز) مشكلة بذلك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وسيتم استعمال هذه التسمية بعد عام 1707م إلى يومنا هذا. راجع: سلوان رشيد رمضان، " إشكالية العلاقات البريطانية الجزائرية (1580-1816م)", مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 33، ع 01، السنة 2016، ص 147

العدد والوزن اللذان تم عليها عقد الصفقة التجارية بين الحكومتين مقابل خمسة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وسبعون (5373) كيلة من الذهب على نسبة خمسين (50) كيلات للقنطار الواحد، حيث يتبين لنا هنا أن الداوي محمد بن عثمان (1766-1791) تبنى سياسة تدعيم الجانب العسكري بالمعدات العسكرية¹، وكذلك نجد بأن الباوي محمد الكبير (1779-1797) قد اشترى هو كذلك حوالي مئتان وخمسون (250) قنطاراً من البارود وبعض المُستلزمات الحربية الأخرى من الدول الأوروبية بجبل طارق بأموال طائلة، وكذلك شراء السلطة الحاكمة حوالي ألف (1000) مدفع من الإسكندرية عن طريق الوكيل الحاج محمد أغا².

وعليه نجد بأن غالبية نفقات خزينة الإيالة كانت مُوجهة دائماً نحو تدعيم الجانب العسكري، وذلك ضمن مشروع سياسة التجنيد في إطارها العام، وفي هذا الصدد نتطرق إلى ذكر مجموع نفقات المرافق العامة الخاصة بمرافق الدفاع مثل: الحصون، الأسوار، الثكنات، السجون، وتجديد التجهيزات الحربية، حيث كانت السلطة العثمانية بالجزائر تقوم بجلب الأهالي للعمل في هذه الأبراج والأسوار والثكنات في إطار ما يسمى "بالسخرة"، وعلى سبيل المثال نجد بأن التحصينات الدفاعية عن مدينة وهران تطلبت إقامة العديد من المتاريس، حيث كلف كل واحد منها الخزينة نحو أربعة آلاف (4000) ريال³.

3- الجانب الاجتماعي:

3-1- سوء العلاقة بين الإنكشارية والأهالي:

تعتبر فرقة الإنكشارية التي تم تشكيلها من العناصر التي تم تجنيدها من مختلف أقاليم الدولة العثمانية، وذلك في إطار سياسة التجنيد المنتهجة من طرف حكام الإيالة، وبالتالي فإنها قد شكلت لفيف أجنبي حقيقي، بحيث كانت تخضع تلك الفرقة العسكرية إلى قوانين خاصة بها تُنظم شؤونها الداخلية على مستوى الثكنات، أما على مستوى المدينة فقد سُمح لهم النظام بارتكاب الفضائح ضد الأهالي، مما أدى إلى إنتشار مجموعة من التمردات والاضطرابات على المستوى الداخلي للإيالة⁴، مما أثر على سلوك جنود فرقة الإنكشارية وهذا ببروز "روح التعالي والاستعلاء على الأهالي"، وحسب شالر فإن أخط الأتراك قدرًا وأوضعهم شأنًا يرفض باحتقار أية فكرة للمساواة بينه وبين الأهالي، مُوضِّحاً أن القاعدة التي ورثها الأتراك جيلاً عن

¹ عبد الرحمان بن محمد الجليلي، المرجع السابق، ص 263.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 144.

³ شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص 248.

⁴ عبد الله شريط، محمد الميللي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، الجزائر، 1965، ص 123.

جيل هي القائلة "بأن التركي وُلدَ لِيَحْكُمَ ويتولى عجلة القيادة والسلطة والفرد الجزائري المحلي وُلدَ لِيُخضع"¹، وقد جاء في مذكرات إليزابيت بروتون (Elisabeth broughton)² التي عاشت في مدينة الجزائر لمدة ست (06) سنوات، بحيث ذكرت بأن فئة الإنكشارية قد اعتبرت نفسها هي الطبقة الأرستقراطية الوحيدة في البلاد، وهذا دون أية اعتبار للطبقات الأخرى الموجودة هناك³.

وزيادة على ذلك فقد فرضوا عليهم مظاهر الخُضوع والاحترام، حيث كان الفرد من الأهالي إذا صادف أحد اليولداش في الشارع يقوم بتحيته بلقب " أفندي" والتي تعني باللغة التركية " سيدي"⁴، وفي هذه النقطة يذكر شاو (Shaw) فيقول أن السلطنة العثمانية هي المسؤولة عن إعطاء جُنود الإنكشارية كل تلك الحقوق والامتيازات الكبيرة، والتي جعلت هذا الأخير يفعل ما يحلوا له ضد الأهالي⁵، وقد نكر الورثيلاني في رحلته عن ظلم عسكر الإنكشارية في مدينة قسنطينة فقال: "... وهذه المدينة مبنية على كهف... وفيها قسبة عظيمة وعسكر من الترك بقدر حالها وباي سطوته عظيمة وحاله كبير وعساكره كثيرة... مددها قوي وظلمها كثير..."⁶، ومن شدة طغيان وتجبر فرقة الإنكشارية على الأهالي وصل بهم الأمر إلى قتل بعض الأشخاص من الأهالي، وهذا ما نجده في الرسالة التي قام ببعثها الحاج أحمد باي (1826-1837) إلى الداوي حسين باشا (1818-1830)، وهذا بتاريخ 30 شوال 1244هـ الموافق لـ (03 ماي 1829م)، وقد

¹ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 54.

² - إليزابيت بروتون هي ابنة القنصل الإنجليزي بالجزائر هنري ستاني فورد بلانكي، وقد عاشت في مدينة الجزائر حوالي ست (06) سنوات في الفترة الممتدة من (1806-1812م)، حيث قامت بتأليف مذكرات حول إقامتها بمدينة الجزائر، وهي عبارة عن كتاب يحتوي من جزئين، وقد جاء بعنوان " ست سنوات من الإقامة في الجزائر" وقد نشر هذا الكتاب في لندن سنة 1839م. للمزيد راجع:

- Zakia Zahra, «alger vue par la filie d'un consul anglais au debut du xixe siecie :Elisabeth broughton» in: arabe historical review for ottoman studies, N°28, 2003, p.174.

³ - ibid, p.176.

⁴ - حنيفي هلايلي، " الحياة الإجتماعية للجيش الإنكشاري في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار الفكري، ع06، السنة الرابعة، ديسمبر 2004، ص ص 136-137.

⁵ - Shaw, op.cit, p.183.

⁶ - الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد 01، ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008، ص 791.

جاء فيها قيام بعض جنود الإنكشارية بارتكاب جرائم القتل¹ في حق بعض الأشخاص من الأهالي على مستوى مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق².

ويذهب جون ب- وولف إلى اعتبار أن الطبيعة المعيشية التي جاؤوا منها هي السبب الأول الذي تحكم في طباعهم، في حين يُرجع أصولهم من طبقات المجتمع السفلي مُعربًا بأنهم كانوا أميين وجاهلة وغير مُنضبتين وطائشين³، وهذا ما تطرق له "شالر" أيضًا في حديثه عن أصل المُجندين من الإنكشارية فقال بأنهم من الأشرار اللذين كانوا يخرجون من السجون وينتمون إلى أخط الطبقات الإجتماعية في تلك البلاد⁴، ومما زاد في الطين بلة هو اتساع تلك الهوة بين الرعية وجُنود الإنكشارية خاصة في أواخر العهد العثماني بالجزائر، وذلك من خلال أنها أصبحت مبنية على الظلم الشديد الذي تعرض له الأهالي جراء تجبر تلك الفرقة، مما أدى ببعض الدايات إلى محاربتهم والقضاء عليهم في الكثير من المرات كان آخرها في عهد الداوي علي خوجا (1817-1818) سنة 1817م، حيث تم القضاء عليهم كما رأينا سابقًا وذلك بمساعدة جُنود الزواوة وقبائل المخزن وبعض أهالي مدينة الجزائر⁵.

وقد تطرق مسلم بن عبد القادر في كتابه أنيس الغريب والمسافر إلى ظلم فئة الإنكشارية وهو الذي عايش فترة الدخول الفرنسي إلى الجزائر سنة 1830م، وبالتالي فشل الإنكشارية في صدّهم، وقد أرجع ذلك إلى ظلمهم وقال بأن الله سبحانه وتعالى أخذلهم أمام أعدائهم، وقيد هذا في قصيدة وهذا ما جاء فيها⁶:

في فج من محرم بتها ظفر

بعد قتال ذريع نال الوطر

جمعهم والباشا في أكباله

¹ - للمزيد حول هذا الأمر والمتعلق بجرائم القتل التي قام بها أفراد فرقة الإنكشارية ضد الأهالي يرجى الاطلاع على الملحق رقم (14).

² - م.و.ج، المجموعة: 1642، الوثيقة رقم 30.

³ - جون ب- وولف، المرجع السابق، ص 101.

⁴ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 52.

⁵ - ميمن داود، الفرق الإنكشارية...، المرجع السابق، ص 44.

⁶ - مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 33-34.

أسلبهم الله ملكهم في حاله

بعد العصيان والطغيان فلهم

أموالهم أخذها والأسلحة

غراب السبين نص في حرج العقاب

قد اطمأن قلبه من العقاب

خلال الجوفمد رجله

لما طوى ملك الأتراك رحله

أدبهم ربهم لما طغوا

عرفهم بغدرهم لما بغوا

كأنهم ما كانوا في عز وما

تملكوا دهرًا طويل المنتهى.

3-2-مشكلة الكراغلة:

لقد عُرف عن فرقة الإنكشارية في الدولة العثمانية الانضباط والصرامة في أداء مهامهم الموكلة إليهم، وعليه فقد مُنعوا من الزواج، وذلك لكي يتفرغوا للأعمال الحربية فقط، لكن مع وصول السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520) إلى الحكم سمح للجيش الإنكشاري بالزواج، وذلك شريطة أن يكون الجندي الإنكشاري قد كُبر في السن، وفي غالب الأحيان قد أنهى خدمته العسكرية، لكن بالنسبة لإيالة الجزائر نجد بأن مسألة الزواج بالنسبة للإنكشارية قد اعتبرت حق مكتسب، وذلك بُغية البعض منهم في إقامة أسرة كغيرهم من فئات المجتمع، حيث شملت تلك المُصاهرات حتى من فئة اليولداش¹، والواضح كذلك أن فئة الإنكشارية قد عملت على مُصاهرة مختلف الطوائف الموجودة، لكن ما يُلاحظ عليهم بشكل

¹ - عائشة غطاس، "مظاهر من الحياة اليومية للجيش الإنكشاري في الجزائر في أواخر العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع35، تونس، نوفمبر 2007، ص 307.

كبير أنهم تزوجوا من العائلات الغنية والتي تتمتع بالجاه والسلطة، وذلك طمعاً في امتلاك النفود والسلطة من جهة وتكوين أسرة كغيرهم من فئات المجتمع الأخرى¹.

في حين أن الجندي البسيط "اليولداش" المُقبل على الزواج فقد كان مضطراً للحصول على إذن كتابي من أغا الإنكشارية، والذي بموجبه يتم توقيع القاضي على العقد، بعد ذلك يرسل الكاهية معه شاوش إلى السيد "أشجي باشي" وهو الشخص المكلف بالتموين، الذي بدوره يثطب الجندي المتزوج من قائمة الجنود العُزاب، والتالي يُحرم هذا الأخير من كل الامتيازات التي كانت توفرها السلطة للجنود العُزاب، إلا أنه بإمكانه استعادة كل امتيازاته السابقة بمجرد تطبيق زوجته أو عند وفاتها².

ونجد في المقابل من ذلك تشجيع السلطة العثمانية بالجزائر على إبقاء الجندي الإنكشاري أعزب من دون إقامة علاقة زواج، حيث قامت بمنح مجموعة من الإمتيازات والإغراءات لمن لا يرغب في الزواج، وهي:

-الإقامة في إحدى الثكنات مجاناً³.

-الحصول على أربع خبزات يوميا بدون مقابل.

-شراء اللحم بثالث سعره من السوق.

-تولي بعض الوظائف المهمة مثل: الخوجا ووظيفة بيت الماجي⁴.

لكن السؤال المحير هنا هو: لماذا سعت السلطة العثمانية بالجزائر على إبقاء الجندي الإنكشارية أعزب دون زواج؟.

¹ - جميلة معاشي، "اندماج الإنكشارية في المجتمع الجزائري: مدينة قسنطينة نموذجاً"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع37-38، السنة التاسعة عشر، ديسمبر 2008، ص 232.

² - محمد بوشنافي، الجيش الإنكشاري...، المرجع السابق، ص 122.

³ - لقد تطرقت الباحثة عائشة غطاس إلى قضية مهمة والتي تتعلق بطرد الجنود المتزوجين من الثكنات، وذكرت خلاف ذلك بالاعتماد على الوثائق التي درستها، وذكرت أن هناك من الجنود الذين تزوجوا خارج مدينة الجزائر في المدن التي كانوا يقيمون بها أي أثناء خدمتهم بالثكنات، وتعطي مثالا بأحد الجنود اليولداش كان متزوجا بمدينة المدية وكان يقيم بثكنة الخراطين. راجع: عائشة غطاس، مظاهر...، المرجع السابق، ص 308.

⁴ - حنيفي هلايلي، الحياة الإجتماعية...، المرجع السابق، ص 134.

للإجابة على هذا السؤال في البداية يجب أن نفهم بأن طبيعة الحكم في إيالة الجزائر كان عبارة عن حكم عسكري مُطلق بغض النظر عن بعض الآراء والتفسيرات الأخرى التي تقول بعكس ذلك وهذا حسب رأي على الأقل، خاصة إذا علمنا بأن إيالة الجزائر كانت عبارة عسكرية بالنسبة للدولة العثمانية فإنه من غير الممكن أن تسمح بإقامة علاقات أسرية بين أفراد الجيش، بحيث أن هؤلاء الجنود يزيد ارتباطهم بأهاليهم وبالتالي يتخلون عن مهامهم العسكرية ويبدأ انشغالهم بالأمر العائلية، وعليه يمكن إضافة ثلاث أسباب أخرى: الأول والثاني اقتصادي نفعي، حيث يتمثل السبب الأول في أن السلطة الحاكمة كانت تعتبر نفسها الوريث الوحيد والشرعي لكل جندي إنكشاري أعزب يتوفى أو يقع في الأسر، أما السبب الثاني فهو يتعلق بالأجور التي تبقى تدفع للأيتام من أبناء الجنود المتوفين كما رأينا سابقاً، وهذا ما يُعرض الخزينة إلى خسائر مالية من دون فائدة، أما السبب الثالث: فهو اجتماعي وسياسي محض ويتعلق بتخوف السلطة العثمانية بالجزائر من تزايد أعداد الكراغلة داخل المجتمع، وهذا ما يهدد استقرارها على المستوى السياسي كالمطالبة بحقهم في السلطة بإعتبار أن أباؤهم من العثمانيين¹.

وعليه فقد أعتبرت المشكلة الكُرغولية هاجساً لدى السلطة العثمانية بالجزائر، لأنها عملت على إحداث الفوضى في المجتمع من خلال قيامهم بالتمردات والثورات على السلطة الحاكمة²، وقد ظهرت أول ثورة للكراغلة في عهد الباشوات وذلك بسبب سياسة الإقصاء والتهميش المنتهجة ضدهم³، حيث إندلعت تلك الثورة عام 1630م بمدينة الجزائر، حيث قام الكراغلة بالتواطؤ مع فرقة الزواوة العاملة في الجيش، وبالتحالف كذلك مع جماعة الحضر (الأهالي المقيمين بمدينة الجزائر) بشن ثورة على السلطة الحاكمة، لكن

¹ - حنفي هلايلي، الحياة الإجتماعية...، المرجع السابق، ص 134.

² - نجد في هذا الشأن رسالة من السيد خليل أغا نوية بجاية إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) مؤرخة في 17 جمادى الأولى 1243هـ الموافق لـ (05 ديسمبر 1827م)، وقد جاء فيها وقوع مشاجرة بين شابين أحدهما من أولاد العرب (الأهالي) والأخر كُرغولي ليس مُسجل في دفتر الجُند، حيث قام هذا الأخير بطعن الشاب الآخر بيطغانه محدثاً له جرحاً كبيراً، ثم فر إلى عند عمه الذي لم يخبر الديوان عم حصل، وبعد تسعة (09) أيام من الواقعة التقى به شاوش النوبة فمسكه، لكن الشاب الكُرغلي قام بقتله من خلال أنه أطلق عليه النار بواسطة بشطولته وهرب إلى القبائل. راجع: م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 242.

³ - سيد أحمد بن نعماني، "الأرشيف العثماني المحفوظ في الجزائر وثيقة عهد الأمان 1748م أنموذجاً"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع15، السنة 2018، ص 272.

تلك المحاولة لم يتم لها النجاح، وهذا لتفطن السلطة الحاكمة لتلك المؤامرة، وقد تمكنت من قمعها بعد تفجير مخازن البارود بحصن الإمبراطور، ومقتل عدد كبير من الثوار (الكراغلة)، وقد كان من نتائجها:

- منع فئة الكراغلة من تولي المناصب الحساسة في حكومة الإيالة.

- تم نفي العديد من الكراغلة خارج أسوار مدينة الجزائر، وبالتحديد في منطقة وادي الزيتون بنواحي الأخضرية (التابعة حاليا لمدينة البويرة)، وذلك من أجل ابعاد خطرهم عن عاصمة الإيالة¹.

لكن مع مرور الوقت وبالتحديد مع بداية القرن الثامن عشر (18) ميلادي نجد بأن السلطة العثمانية بالجزائر قد شرعت في قبول فئة الكراغلة في الجيش الإنكشاري، لكن ذلك لا يعني أنهم قد تحصلوا على نفس الحقوق التي تمتع بها آباءهم، بدليل أنهم كانوا يُعتبرون في المؤسسة العسكرية كجُنود من الدرجة الثانية، وعليه فقد كانوا محرومين من تقلد العديد من المناصب الإدارية السامية في الحكومة، مثل: وظيفة المُترجم داخل الديوان ووظيفة وكيل الأوقاف، ووظيفة المُحاسب في الخزينة، ومن الوظائف العسكرية الأخرى الحساسة، والتي تحتل المكانة العالية مثل: الوحدة الخاصة بحماية دار مقر الديوان المسماة "النوبجية" ومنصب "أغا السبايحية" أو منصب "وزير الباشا" وغيرها².

3-3- إنتشار الآفات الإجتماعية:

لقد ساهمت مجموعة الإجراءات التي إنتهجتها السلطة العثمانية بالجزائر في سبيل إبقاء الجُندي الإنكشاري أعزب من دون زواج شرعي إلى اختلال مجتمعي رهيب تمثل في جملة من الآفات الإجتماعية والتي نذكر منها³:

3-3-1- فاحشة الزنا:

تعتبر فاحشة الزنا من الموبقات السبع التي حذرنا منها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، وهذا في قوله: "وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا"⁴، وقوله أيضاً: "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

¹ - محمد بوشنافي، الجيش الإنكشاري...، المرجع السابق، ص 124.

² - محمد بن جبور، "الأوضاع الإجتماعية للانكشارية الجزائرية وعلاقتهم بالطرق الصوفية قبيل الإحتلال الفرنسي"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع22، السنة 2014، ص 190.

³ - أحمد بحري، "العادات الإجتماعية في جزائر الدايات"، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 15، ع23، ماي 2014، ص 463.

⁴ - سورة الإسراء، الآية /32.

مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ¹، غير أن هذا التحذير الشديد من الله سبحانه وتعالى للعباد من الوقوع في هذه الفاحشة لم يمنع من انتشارها على مستوى مختلف مناطق إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، بحيث كثر البغاء²، وهذا لأنه كان يُقام تحت غطاء المشروعية، بحيث كان يُسمى بالبغاء الرّسمي أو المُقنن وقد كان يُشرف على تلك العملية شخص يدعى المزوار³.

في حين أن البغاء الرّسمي كان عبارة عن تجارة يُجنى ثمارها لصالح خزينة الإيالة، وبدورنا فقد وجدنا بأن المزوار كان له التصرف المطلق في كل النساء اللواتي يعمّن هناك⁴، وقد تم ذلك بإتباع الطريقة التالية: وهي إذا أرادت فتاة من فتيات الأهالي أن تُصبح "عاهرة" أن تقوم بتسجيل اسمها في سجلات المزوار، بحيث ليس لوالديها الحق بمنعها في ذلك، وبالتالي تُصبح بعدها عاهرة بالنسبة للجُنود العُزاب، ولا يمكنها بذلك أن تتعامل مع الأشخاص الأهالي إلاّ بإذن المزوار لأنها أبرمت عقداً معه، والذي بدوره قد حجب حريتها الشخصية⁵.

غير أن الشيء الذي يدعوا إلى الحيرة في هذا النوع من البغاء هو ترخيصه من طرف السُلطة العُثمانية بالجزائر، حيث تم التكفل على تنظيمه المزوار ومجموعة من المساعدين له، حيث أشار وليم

1- سورة الأعراف، الآية /33.

2- يقال بغى الرجل أي عدل عن الحق، واستطال عليه وهو الظلم، وبغت المرأة أي زنت وجمعها بغايا أي المرأة الزانية الفاجرة، وقيل أيضاً هو اتصال جنسي مقابل أجر مادي أو حتى بغير أجر... للمزيد راجع: ليلي خيراني، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1818-1830) دراسة مُسفاة من مصادر أرشيفية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2012/2013، ص 97.

3- ويُلقب كذلك برئيس الشرطة وهو المُكلف بحفظ النظام نهائاً ولبلاً بالمدينة، وقد كان يعمل تحت أمرته مجموعة من الحُراس اللذين يزودونه بالأخبار حول كل شاردة وواردة في المدينة، وقد كانت مهمته الرئيسية هي الإشراف على الدعارة الرّسمية، ويذهب المزوار إلى الداى كل يوم ليطلعه على أحوال المدينة في الليلة السابقة، وقد كان يأخذ أرباحاً مُعتبرة خاصة من الرسوم التي يأخذها من النساء المومسات والتي تقدر بحوالي ألفين (2000) قرش كل شهرين... للمزيد راجع: ياسين بودريعة، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800) دراسة إقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفتر التراكات، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2016 / 2017، ص 264.

4- أ. ليسور. و- ويدا، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تح، تعل، تق، تر: محمد جيجلي، ط1، شركة دار الامة، الجزائر، 2002، ص 66.

5- صالح عباد، المرجع السابق، ص 313.

سبنسر إلى هذا فقال بأن المومسات كُنَّ مُستخدمات من طرف السلطة العثمانية بالجزائر ويدفعن ضريبة تذهب لصالح خزينة الإيالة نظير عملهنَّ¹، وقد تطرق حارس القنصل الفرنسي "رينوا" (M. Renaudot) الذي كان متواجد بمدينة الجزائر إلى قضية النساء المومسات، فذكر بأنهم كانوا يتواجدون بأعداد كبيرة من أجل ممارسة مهنة البغاء، حيث أبدى استغرابه من ذلك الفعل الشنيع الذي يتعارض مع عادات المسلمين، وأضاف قائلاً بأن هذه المهنة كان يُشرف عليها المزوار الذي يحتفظ بقائمة للنساء المومسات، وأن لكل امرأة سعر خاص بها، وذلك نظرًا لجمالها عن باقي النساء الأخريات².

ولا شك أن ذلك الإجراء (البغاء) قد كان معمولاً لسد حاجيات الجنود العُزاب، وكذلك حاجيات غيرهم من الأجانب والأهالي على حد سواء³، وعلى ما يبدو فإن الحمامات⁴ لم تخلوا هي الأخرى من هذه الممارسات، حيث ذكر الشويهد أن المصطلح الذي كان يطلق على اللواتي يمتهن هذه المهنة "بالقحاب"، وذكر أن الوقت المخصص لدخول الحمام بالنسبة للسكان المدنيين فحددت الفترة ما بين الظهر إلى العصر، أما بخصوص بنات الهوى فإن موعد دخولهم الحمام يكون من العصر إلى المغرب، وقد سُجل هذا القرار عام 1157هـ الموافق لـ1744م⁵.

ويبدو أن ذلك البغاء المقنن لم يكن كافيًا لبعض أفراد المؤسسة العسكرية في مختلف مناطق الإيالة، وهذا بالنظر إلى تسجيل مجموعة من ممارسات البغاء الغير مقنن الذي طال النساء في البيوت، فذكر تيدنا في هذا الصدد حادثة الزنا التي وقعت من طرف زوجة أحد رجال المجلس مع أحد القادة العسكريين وهذا على الساعة الحادية عشر ليلاً وفي غياب زوجها، مما دفع بالباي بإصدار عقوبة في حقهما، فأمر بشنق المرأة في الحين أمام بيتها، وبجلد شريكها 400 جلدة بعد تغريمه 600 سكة⁶، وفي هذا الصدد أيضًا جاء

¹ - وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 120.

² - M. Renaudot, op.cit, p.77.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 172.

⁴ - بالإضافة إلى الحمامات فقد كانت الحفلات أيضًا مكانا لانتشار فاحشة الزنا، حيث كان المزوار يقوم بتنظيم هذه الحفلات في بعض الأيام من الشهر في ديار مختلفة، وقد كان يسمح فيها لجميع الفئات الإجتماعية بالدخول، حيث كان يوفر لها الموسيقيون والراقصات، كما كانت تُقام العديد من الحفلات الليلية من طرف العرب واليهود أيضًا، وذلك بعد حصولهم على رخصة من السلطة الحاكمة بالإيالة... للمزيد راجع: محمد بك، المرجع السابق، ص 498.

⁵ - عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)، تح.تق.تعل: ناصر الدين سعيدوني، ط1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص ص 128-129.

⁶ - تيدنا، مذكرات تيدنا، ضمن كتاب: عميروبي أحميدة (مترجم)، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 101.

في مخطوط أشعار الإنكشارية حول جُندي إنكشاري دخل إلى منزل أحد الأهالي بدعوة من امرأة، لكن عند ممارسته لفاحشة الزنا معها فاجئه بعد ذلك زوج تلك المرأة في عقر داره فانها عليه بالضرب المبرح¹، وعليه فقد جاءت هذه الأحداث في القصيدة التالية وهي بالعامية الجزائرية:

-كُنَّا فِي خَمْسَةِ وَلَا خَمْسَطَاش دَخَلْنَا وَاحِد الدَّار

-وَطَلَعْنَا لِلْفُوق أَوْرِيحْنَا شُوِيَه

-اسْتَتِينَا صَحَابِنَا لَقَعْدُوا فِي الطَّرِيق يَلْحَقُوا بِنَا

-بِالصَّح بِالْخَف شُفْتَتِي غَيْر أَنَا يَا وَاحِد لَعَمِي

-وَيِن كُنْتَ عَلِي بَالِي يَصْرَالِي هَكَذَا؟

-وَاش صْرَالِي رُحْتَ لِلصَّلَاة بِلَا وَضُوء؟

-وَاش جَابِنِي لَوْكَان مُرْتَك مَا طَلَبْتَش هَذَا!

-وَإِذَا مَا أَمْنَتَش سَقْسِي مَخْلُوقَتِكَ كَلْشِي تَعَاوُدُه².

وفي هذا الصدد أيضًا يشير أحمد بوضربة في مُذكراته إلى السلوك المخزي الذي كان يقوم به الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1837) طوال المدة التي سبقت دخول الفرنسيين إلى الجزائر، حيث قال: "... كما أنه اختطف عنوة عددًا من بنات الأصول لإشباع مُجونه، وكان السكان يشكون منه إلى الجزائر في كل يوم تقريبًا، وبما أنه كان يدفع الضرائب كاملة في حينها ومعها هدايا ثمينة... فإن الباي كان يغمض عينيه عن الشكايات..."³.

إلا أن هذا لا يعني أن حكومة الإيالة قد تساهلت عن إنتشار هذه الفاحشة في المُجتمع، بل عملت على التشدد في محاربة البغاء الغير رسمي، ومعناه النساء اللاتي كُنَّ يمارسن الفاحشة في سرية تامة،

¹ - ابراهيم خوجا، ألبوم بأشعار الإنكشارية، رقم المخطوط: 1817، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر، و01.

² - مراح ليلي، بوحبيب حميد، " صورة الجزائر من خلال مخطوط لأشعار الإنكشاريين بالجزائر العثمانية (1516-1830)", مجلة دراسات تاريخية، المجلد 10، ع02، السنة 2022، ص 291.

³ - محمد العربي الزبيري، مُذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1981، ص 119.

وبالتالي فلم يُكفَّ مُسجلات في سجلات المزوار، وعليه فأى امرأة تخون زوجها أو يُقبض عليها متلبسة بممارسة الفاحشة مع أحد المسحيين أو اليهود، فإن عقابها كان الموت المُحتم، وهذا ما نجده في رسالة صالح باي (1771-1792) إلى وكيل الباستيون بتاريخ 1192 هـ الموافق لـ 1779م بشأن قيام قائد القالة بقتل امرأة على إثر اتهامها بممارسة فاحشة الزنا مع الطبيب القالة الفرنسي، وقد ذكر صالح باي (1771-1792) بأن هذا الأمر لا يجوز لأنه ظلم، فقد كان لابد على القائد أن يتأكد أولاً قبل قيامه بهذا الفعل ضد المرأة¹.

أما بخصوص عُقوبة من يُقبض عليه بممارسة هذه الفاحشة في حقها ممارسة هذه الفاحشة فإنه يُحكم عليه بالموت غرقاً، والذي يتم من خلال وضعه في كيس مع حجر ثم يُرمى في البحر وبهذا يكون عقاباً له على فعلته²، وفي هذا الصدد أيضاً ذكر رينوا (M. Renaudot) عقوبة إحدى النساء الأهالي مارست فاحشة الزنا مع شاب من الأتراك، فكانت عُقوبتها أن عُلفت برقبته حجر وألقوا بها في البحر لتموت غرقاً³، وفي نوع آخر من العقوبات⁴ نتطرق إلى ما ذكره الأسير تيدنا فقال: "... وخلال هذا الوقت حصل حادث مؤلم أثار غضب الباي، إذ وُجد مسيحياً يشغل الطحين في الطاحون المجاور للسرايا مع امرأة في وقت لا يجعل مجالاً للشك في أنه مذنب فقاده الذي فاجأه متلبساً بجريمته إلى سيدي⁵ الذي لم يتمكن من إمساك غضبه ضد هذا البائس، وحكم عليه بتعليقه من أرجله في باب السجن، لكي يعطي درساً لكل العبيد الآخرين وكذلك المرأة..."⁶.

¹ - م.و.ج، المجموعة: 1641، الوثيقة رقم 66.

² - محمد بوشنافي، القضاء والقضاء في الجزائر خلال العهد العثماني، ج1، ط1، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 114.

³ - M. Renaudot, op.cit, p.69.

⁴ - يضيف رينوا (M. Renaudot) بأنه بسبب العدد الكبير من جرائم الزنا التي كثرت في المدينة أصبح القضاء يميلوا إلى تسليط عقوبات مالية وغرامات تجاه مرتكبو الفاحشة بدل العقوبات الجسدية، وهذا بغية تحقيق أرباح لفائدة خزينة الإيالة... للمزيد راجع:

- M. Renaudot, op.cit, p.69.

⁵ - هو باي بايلك الغرب محمد بن عثمان الكردي، يلقب بالكبير والأكل والمجاهد المنصور، أمه جارية اسمها زائدة، وأبوه هو أبو اسحاق الحاج عثمان بن ابراهيم الكردي، حيث كان خليفة على مليانة، ثم ارتقى فأصبح بايا على تيطري وأحوازها، قام الباي محمد بن عثمان الكردي بفتح مدينة وهران التي كانت بيد الإسبان سنة 1792م، وقد توفي عثمان الكردي بمدينة معسكر ودفن بها، وهذا بعد أم مكث في الحكم قرابة تسعة أعوام. راجع: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تح، تق: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص15.

⁶ - تيدنا، المصدر السابق، ص71.

لكننا نجد بأنه في عهد الداوي علي خوجا (1817-1818) قد تم القضاء على ظاهرة البغاء الرّسمي(المقنن) الذي انتشر في صفوف الإنكشارية بمختلف رتبهم العسكرية، وبالتالي تم طرد النساء الباغيات من داخل الثكنات، بل وحتى من مدينة الجزائر نفسها وأرسلهم إلى شرشال¹، لكن عند تولي الداوي حسين باشا (1818-1830) السّطة بالإيالة قام بإلغاء كل المراسيم والإجراءات التي أتى بها الداوي السابق، حيث سمح للمومسات بالرجوع مرة أخرى إلى مدينة الجزائر بعدما طردوا إلى شرشال، والأكثر منه دهشة وغرابة أنه قد تكفل ببناء حيًا خاصًا بهن لممارسة مهنتهن²، وهذا ما ذهب إليه الزهار في قوله: "... وأول أعماله الخسيسة وأي حساسة أنه بنى قنطرة الزنا، بعدما هدمها من قبله وأباحها لأبناء جنسه..."³.

وعليه يمكن تفسير الخطوة التي قام بها الداوي حسين باشا(1818-1830)، هي الرّغبة الملحّة في نظرنا على كبح شهوة الجنود الانكشاريين ومنعهم من التسلط على بيوت الأهالي وممارسة فاحشة الزنا سواء كان هذا برضا النساء المحليات أو دونه، لكن هذا الإجراء لم ينجح كليًا، وذلك بتواصل سلسلة الاعتداءات المتكررة من قبل جنود الإنكشارية على النساء المحليات، وهذا ما نجده في الرسالة التي بعثها مصطفى أغا نوبة مستغانم إلى إبراهيم أغا العرب، بتاريخ 03 ربيع الأول 1244هـ الموافق لـ(12 سبتمبر 1828م)، حيث جاء فيها معاقبة أربعة(04) من جنود الإنكشارية بعد أن رُفعت شكوة في حقهم من قبل امرأة، حيث قاموا بالاعتداء عليها جنسيًا⁴.

3-3-2- الشذوذ الجنسي:

لقد عصفت الآفات الغير الأخلاقية بالمجتمع الجزائري، وهذا خلال العهد العثماني فعلى غرار نقشي أفة البغاء بنوعيه المقنن والغير مقنن، نجد كذلك نقشي أفة الشذوذ الجنسي في صفوف الجنود، وذلك بالرغم من أن الشريعة الإسلامية تدين وتستنكر كل علاقة جنسية خارج مؤسسة الزواج، ويزداد الموقف الديني صرامة وشدة في العلاقات الجنسّمثلية لتعارضها مع المشيئة الإلهية والتي لا تؤدي إلى الإنجاب، وهذا لقوله تعالى: "وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ

¹ - محمد بوشنافي، الداوي علي خوجا...، المرجع السابق، ص 04.

² - محمد بوشنافي، "الداوي حسين وسقوط الإيالة الجزائرية (1818-1830)، مجلة عصور، ع06-07، السنة جوان - ديسمبر 2005، ص 100.

³ - الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 144.

⁴ - م.و.ج، المجموعة:3190/الملف01، الوثيقة رقم 282.

الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون(81)¹، وبالتالي فإن هذا الفعل يمثل تمرد على الحكم الإلهي والقانون الاجتماعي في الوقت نفسه².

بالرغم من أنها كانت توجد تسهيلات من السُلطة العثمانية بالجزائر كما ذكرنا سابقاً لنشر الرذيلة في أوساط المُجتمع الجزائري من خلال بناء حارات خاصة بممارسة البغاء، إلا أن جُنود الإنكشارية قد تعلقوا بممارسة الشُدود الجنسي، والراجح أن تلك الأفة كانت مستوردة وليست محلية، أي أنها من الآفات الدخيلة على المجتمع الجزائري آنذاك، بحيث أنها من الممكن بحسب اطلاعنا أنها جاءت مع المُجندين المُتطوعين اللذين وصلوا إلى الإيالة في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر(16) وبداية القرن السابع عشر(17) ميلادي، خاصة إذا علمنا أن عمليات التجنيد أصبحت لا تراعي حسن التربية الدينية كما في السنوات الأولى من التجنيد وبالتحديد في العقود الأولى من القرن السادس(16) عشر ميلادي³، وقد عبر عن هذا هايدو الذي عاش أسيراً في إيالة الجزائر خلال النصف الأول من القرن السابع عشر(17) ميلادي، وهذا بقوله بأن الإنكشارية كانوا يستمرون في الانغماس في الشهوات ولا سيما الشذوذ الجنسي وهو ما تعلق بالأطفال المسيحيين الأسرى، حيث كانوا يشترونهم ويفعلون معهم الشذوذ، هذا بالإضافة إلى أطفال اليهود والأهالي على حد سواء، وفي أغلب الأحيان يأخذوهم من عائلاتهم بواسطة السلطة التي كانت بين أيديهم⁴.

وفي هذا الصدد فقد سجلت لنا وثائق الأرشيف حادثة مؤسفة على حد عملنا، والتي تتعلق بإرسال السلطان العثماني سليم الثالث (1789-1808) لمجموعة من الأشقياء واللصوص يتراوح عددهم ما بين أربعون(40) أو خمسون(50) شخص، إلى إيالة الجزائر ل يتم تجنيدهم، وهذا كنوع من العقاب لهم لما أحدثوه من خراب في قرية درمنجيل الواقعة بجزيرة قُبرص، وهذا رغبة منه في إصلاحهم وتهذيب نفوسهم⁵ ؟ !.

وعليه فقد حظيت أفة الشذوذ باهتمام كبير من قبل الكُتاب الغربيين بحيث أن بعضهم حاول ربطها بالجانب الأخلاقي لفرقة الإنكشارية في الإيالة خصوصاً أنهم غير متزوجين ويعيشون في جماعة، لهذا فإنهم كانوا مُعرضون دون أدنى شك إلى الانحراف الجنسي، فكانوا مهتمين بالاحتفاظ سرّاً بالخليلات والتردد

¹ - سورة الأعراف، الآية/80-81.

² - كمال بركات، عبد القادر بوعقادة، " جرائم الانحراف الجنسي في مجتمع المغرب الإسلامي من خلال وصف إفريقيا للوزان(10هـ/16م) - قراءة في البواعث والإجراءات -"، مجلة عصور جديدة، المجلد 10، ع02، جوان 2020، ص 40.

³ - حنيفي هلايلي، الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 135.

⁴ - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.71.

⁵ - أ.و.ج، سلسلة خط همايون، العلبة/06 العدد/3374، التاريخ: 1219هـ.

على المعاهر¹، وقد أصبحوا لا يبالون بتأناً بما يمارسونه من شذوذ جنسي وأصبحوا يفعلونه علنياً، حتى وصل بهم الحال إلى التغني به وذكر أسمائهم في القصائد التي تتناول ممارساتهم الجنسية الشاذة، وعليه فقد أورد أحد الممارسين لأفة الشذوذ اسمه عمر دون خجل أو حياء في نهاية قصيدته التي يروي فيها صراعه مع البراغيث في أحد غرف الفنادق².

ومن جهته فقد أشار فانتور دي بارادي إلى هذه النقطة بالذات وهذا بقوله أن المُجندين كانوا يقومون باستئجار عُرف على مستوى الفنادق ويصطحبون معهم الأطفال الصغار باللين أو بالقوة خاصة أبناء اليهود إلى هذه الأماكن للممارسة الشذوذ³، أو إدخالهم إلى الثكنات بإعتبارها أماكن حصانة لا يستطيع أحد الدخول إليها إلا الإنكشارية دون سواهم، هذا ما جعل الأطفال سواء من الأهالي أو اليهود لا يستطيعون الخروج من منازلهم بسبب خوفهم من الإنكشارية⁴.

وقد ذهب هايدو إلى القول بأن الشذوذ الجنسي قد استغل في المجتمع الجزائري خلال الفترة التي قضاها أسيراً في مدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر (17) ميلادي، حيث ذكر أن الزوجات أصبحن يتجولن في المدينة دون اعتبار لأزواجهن لأن هؤلاء مهتمون فقط بممارسة الشذوذ مع الأولاد الصغار⁵، في حين نجد أن ممارسة الشذوذ كانت تتم داخل الثكنات العسكرية أيضاً، حيث أنه كثيراً ما يلجأ الجنود الإنكشارية (اليولداش) إلى أخذ الأطفال إلى الثكنات ليصبحوا في متناول العسكر، مع العلم أن الثكنات كانت مناطق حرة لا تدخلها الحكومة⁶.

إذن فالشذوذ الجنسي هو آفة اجتماعية خطيرة عصفت بالمجتمع الجزائري مع بداية القرن السابع عشر (17) ميلادي إلى غاية الإحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر سنة 1830م، لكنها ظلت مقتصرة على أماكن معينة خاصة على مستوى المدن الكبيرة في الإيالة، وعلى الرغم ما تميزت به آفة الشذوذ الجنسي من مُجاهرة في ممارستها، يمكننا إرجاعه إلى تمركز الحاميات العسكرية في المدن دون غيرها من الأماكن.

¹ - جون ب- وولف، المرجع السابق، ص 162.

² - جميلة معاشي، الإنكشارية...، المرجع السابق، ص 137.

³ - Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII Siècle, mémoire et observation rassemblés et présentés par Joseph, Ed Sindbad, Paris, 1983, p.128.

⁴ - Venture de Paradis, Alger..., op.cit, p.84.

⁵ - De Haëdo, Topographie..., op.cit, p.176.

⁶ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 313.

3-3-3- شرب الخمر:

لقد نهت الشريعة الإسلامية عن شرب الخمر لما فيه من ضرر للصحة الجسمية وتغييراً للعقل الذي كرم به بنو آدم عن غيره من المخلوقات، وهذا لقوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"¹.

فالخمر إذن يُعدُّ أم الكبائر والخبائث التي ما إن قام الشخص بشربه حُجب عقله، وبالتالي يقع في كل الكبائر دون أن يعلم، وتجدر الإشارة هنا أن السلطان العثماني سليم الثاني (1566-1574) قد أباح شرب الخمر للانكشارية، فانتشرت بذلك الحانات على مستوى الثكنات العسكرية بأعداد كبيرة²، وعلى إثر هذا نجد أن السلطة العثمانية بالجزائر قد أعطت الصفة القانونية لإقامة الخمارات خارج أسوار مدينة الجزائر، بحيث كان يُديرها العبيد أو الأسرى فقط، وذلك مقابل أداءات سنوية تتناسب وكمية الخمر التي يبيعونها، أما فيما يخص رواد تلك الحانات أو الخمارات فهم غالباً ما كانوا من الأسرى أو الجند الإنكشاري الذي كان يعتبرها متنفساً لما كان يُلاقيه من حياة العزوبة والعمل العسكري المرهق من الناحية البدنية والنفسية على حد سواء³، وفي هذا الصدد ذكر شالر بأن حكومة الإيالة كانت تسمح بفتح الخمارات التي كان يُديرها اليهود من أجل تسلية الجنود، حيث كان يسمح لهم بتناول الخمر والكحول بدون قيد، بشرط ألا تقع فضائح مشينة أمام العامة من الناس، وكل تجاوز يخل بهذا الشرط يُعرض صاحبه لأقسى العقوبات⁴.

في حين ذكر كاتكارت أنه في السابق كانت توجد حانات في كل ثكنة عسكرية لكنها في الأوقات الأخيرة مُنعت بسبب قيام أعمال الشغب والاضطرابات التي كانت تقع فيها، حيث عثر ذات مرة على عبد شفق ذات مرة عند باب إحدى الثكنات، عند باب البحر فأغلقت على إثرها حانة الثكنة، ومُنع أيضاً بيع الكحول في جميع الثكنات المتواجدة على مستوى مدينة الجزائر⁵، وقد تواجدت أيضاً هذه الحانات على مستوى السجون وقد كان يديرها عبيد مسيحيون يدفعون لحكومة الإيالة رسوماً كبيرة ويستخدمون عدداً من العبيد يتراوح عددهم ما بين خمسون (50) إلى تسعون (90) عامل⁶، وعليه تجدر الإشارة إلى أن تلك

1- سورة المائدة، الآية/90.

2- محمد بك، المرجع السابق، ص 486.

3- أحمد سلطاني، " الحوانيت والمرافق العامة في مدينة الجزائر العثمانية"، مجلة الحوار المتوسطي، ع07، ديسمبر 2014، ص 318.

4- وليام شالر، المصدر السابق، ص 55.

5- جيمس لاندر كاتكارت، المصدر السابق، ص 100.

6- المصدر نفسه، ص 101.

الخمارات كانت تدر على أصحابها أرباحًا طائلة في حالة التزامهم بالتواضع والطيبة والرصانة، وتوجد أمثلة عن العديد من الخمارين استطاعوا أن يجمعوا خلال سنوات قليلة مبالغ ضخمة من أجل تحرير أنفسهم من الأسر¹.

غير أن أفة شُرب الخمر لم تقتصر على الموظفين البُسطاء من الجنود بل شملت أيضًا الموظفين الساميين من البايات على مستوى الإيالة، وهذا ما ذكره الأسير تيدنا عن الباي محمد بن عثمان الكردي (1779-1797) فقال بأن الباي أمره ذات مرة بأن يُحضر زجاجتين من الخمر لكل منهما²، ونجد أيضًا في رسالة محمد باي قسنطينة (1818-1819) إلى الداوي حسين باشا (1818-1830) وهي تتعلق بهُروب محمود خليفة الباي من بايلك الشرق قسنطينة في ليلة الأربعاء الخامس من شهر رمضان بعد أن شوهد من قبل العامة من الناس بأنه قد كان يشرب الخمر في نهار رمضان³.

لكن من جهتنا نجد بأن ذلك الفعل لا يمكن تعميمه على جميع البايات، فعلى سبيل المثال لا للحصر فقد عُرف عن الشيخ أحمد باي (1826-1837) منعه شرب الخمر وهذا ما أكده أسيره شلوصر الذي أشار بدوره أن من حق الرجل المسلم أن يتناول جميع المشروبات ولا يستثنى منها إلا الخمر، وقد كان شرب الخمر أو بيعه ممنوعًا في زمن أحمد باي (1826-1837)، وإذا وُجد مسلم يشرب الخمر فإنه يتلقى نضير ذلك خمسمائة (500) ضربة بالعصا في رجليه⁴، ويضيف شلوصر قائلاً بأنه شُهد إعدام ليهودي كان يبيع الخمر⁵.

وبالتالي يمكن القول حسب ما توصلنا إليه بأن كل الفئات الساكنة في المدن سواء ما تعلق الأمر بأفراد المؤسسة العسكرية من جنود الإنكشارية، وكذلك الأسرى وبعض أصحاب المناصب العليا في الإيالة

¹ - المازري بديرة " حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر"، مقال في كتاب جماعي حول: " الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1988، 99.

² - تيدنا، المصدر السابق، ص 81.

³ - م.و.ج، المجموعة: 1642، الوثيقة رقم 13.

⁴ - من الأشياء الغربية التي تلاحظ في الجزائر هي أن تجد الحاكم أو الباي يعاقب الأفراد على انتهاك القانون بشرب الخمر، ثم ترى الحاكم أو القاضي أو الباي مع مجموعة من الأصدقاء والزملاء في حالة سكر.. للمزيد راجع: المازري بديرة، المرجع السابق، ص 99.

⁵ - فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر. تح: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 81.

تقريباً انساقت وراء شُرب الخمر، وهذا ما يمكن تفسيره ربما بالتزرف والنُفود والمشاكل والهُموم التي تفرضها المعيشة في المدن بفعل نقص الوازع الديني، وهذا ما نجده بشكل قليل ربما أو مُنعدم في المُجتمع الريفي الذي يَكثُر فيه المُصلحين والزُهاد من جهة، وبسبب غياب المصادر التي تطرقت إلى الحديث عن أفة شرب الخمر في الأرياف خارج المدن من جهة أخرى وهذا حتى نكون منصفين في الحكم إلى حد ما.

3-3-4- تعاوي الدخان:

لقد انتشرت أفة تعاوي الدخان بالجزائر خلال العهد العثماني، وذلك بالنظر إلى إنتشار أماكن تعاوي الدخان بمختلف أنواعه، وقد كانت تُقام عادة وراء دكانة المقهى بعيداً عن الأنظار، وهي بالتالي فقد مثلت مُلتقى المُدمنين على تلك الأفة من المدنيين والعسكريين على حد سواء¹، حيث انتشرت ظاهرة تعاوي الدخان بشكل رهيب لدى المجتمع الجزائري بداية من القرن السادس عشر (16) ميلادي، وذلك منذ التواجد العثماني بالجزائر، حيث جاء العُثمانيون بالترجيلة وشاع إستعمال السبسي للدخان ونحوه²، ومن جهة أخرى فقد اتُخذت كذلك المقاهي المكان المخصص الذي يقصده الرجال ويقضون فيه الساعات تلوى الأخرى في شرب فنجان من القهوة اليمنية والجلوس للتدخين، وقد كان جنود الجيش الإنكشاري يُطيلوا الجلوس في المقهى إما لتبادل الحديث وإما للتجارة³، وبخصوص المقاهي في الجزائر فقد كانت موجودة بكثرة تزيد عن اللزوم⁴.

وقد كان من أشهر أنواع الدخان الذي تم تعاطيه على مستوى الإيالة نجد تعاوي الحشيش أو ما يطلق عليهم بإسم المحشاشة حيث يتم تعاطي هذا النوع من الدخان وفق الخطوات التالي: حيث تُوضع حصيرة من سعف النخيل يجلس عليها الحشاشون وبعض الكؤوس والفناجين وقطعة مسطحة من الرخام لتحضير الحشيش، وقد كان يستعمل الحشاش قوقعة جوز الهند كغليون بقضيبيين يوضع على النار فتنتشر رائحتها بين الحشاشين ويمرر الغليون على الجالسين لكل دوره، وبعد دورتين أو ثلاث يتلقى الحشاش مبلغاً

1- جميلة معاشي، الإنكشارية...، المرجع السابق، ص 132.

2- طوبال فاطمة الزهراء، " ظاهرة التدخين في الكتابة التاريخية في العهد العثماني مخطوط" محدد السنان" لابن الفكون أنمودجا"، مجلة الراصد العلمي، ع05، ماي 2018، ص 85.

3- ليلي أقران، الحياة اليومية بمدينة الجزائر من خلال سجل التراكات (1111-1113هـ/1699-1701م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2016/2017، ص ص 86-87.

4- المازري بديرة، المرجع السابق، ص 100.

بسيطاً من المال، ويكون راضياً به لأنه هو نفسه مدمن على تعاطي الحشيش¹، وصنع الحشيش يكون عادة من العرب من منطقة بسكرة بالتحديد، وبعضهم كان يأتي من تونس والمغرب الأقصى².

3-4- إنتشار وباء الطاعون:

لقد تعرضت الجزائر خلال العهد العثماني للعديد من الأوبئة الفتاكة والتي حصدت عدد كبير من الأرواح، خاصة ما تعلق الأمر بوباء الطاعون الذي أعتبر بمثابة وباء مُستورد ومُستوطن في نفس الوقت أي كان يأتي دائماً من المشرق وعلى رأسها أقاليم الدولة العثمانية، وذلك من خلال الممارسات التجارية بين الإيالة والمدن العثمانية أو عملية تجنيد المتطوعين المستمرة إلى إيالة الجزائر، وعليه فقد أنتشر هذا الوباء في شكل فترات زمنية متقطعة وهي على النحو التالي:

- طاعون عامي 1557 و 1575م: وتصفه الباحثة فلة موساوي القشاعي بالظاهرة العامة بعد أن اجتاحت مناطق جديدة ظلت بعيدة عن الإصابة به، كما تشير الباحثة نفسها أن القرن السادس عشر (16) ميلادي بمثابة فترة تأصل وتجذر لوباء الطاعون في مناطق عديدة منها: مدينة الجزائر وضواحيها وجهات وهران وتلمسان وبعض النواحي من الشرق الجزائري مثل عنابة وقسنطينة، كما تذكر لنا هذه الدراسة بأن سنة 1572 هي أكثر السنوات تأثراً بوباء الطاعون، مما سبب هلاك ثلث أهالي إيالة الجزائر، وبالتالي فقد ظل طيلة القرن السادس عشر (16) ميلادي وخصوصاً في الربع الأخير منه³.

- طاعون عام 1654م: وقد عرف بوباء قونيا، حيث تم نقله من طرف البحارة العثمانيون إلى شمال إفريقيا واستمر لمدة ثلاث (03) سنوات حيث ذهب ضحيته حسب بعض المصادر ما يقارب العشرة آلاف (10000) أسير مسيحي ونحو ثلث أهالي إيالة الجزائر⁴.

¹ - جميلة معاشي، الإنكشارية...، المرجع السابق، ص 132.

² - محمد بك، المرجع السابق، ص 500.

³ - فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2001، ص 138.

⁴ - عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص ص 377-378.

- طاعون عام 1664م: يذكر ابن العنتري بأن وباء الطاعون قضى على خلق كثير من الناس¹، وقد عبرت الباحثة فلة موساوي بأن القرن السابع عشر (17) ميلادي قد تميز بتعاقب وباء الطاعون واستمرار الجزائريين في المعاناة من ويلاتِه بسبب استمراره في كل من إيالة تونس ومصر وطرابلس الغرب².

- طاعون الفترة من 1756 إلى 1786م: وقد وصل هذا الوباء إلى إيالة الجزائر عن طريق البحر، حيث قدمت إلى إيالة الجزائر مجموعة من الجنود المتطوعين كانوا مُصابون بالطاعون من مدينة إزمير على ظهر سفينة إنجليزية باتجاه مدينة الجزائر، وهذا ما أدى إلى تفاقم الوضع الصحي في مدينة الجزائر³، وبالتالي فإنه يعتبر من أطول وأشرس الأوبئة التي أصابت الإيالة بشكل عام، فترجع من خلاله عدد سكان مدينة الجزائر إلى حوالي خمسة آلاف (5000) نسمة، وقد عرفت المدينة الدمار والخراب خلال عام 1778م، وحسب الإحصائيات المتوفرة فقد توفي بسبب هذا الوباء حوالي ستة عشر ألف (16000) نسمة⁴.

- طاعون أعوام: 1787-1790م: وقد تسبب في موت ثلثي أهالي مدينة عنابة وأدى أيضًا إلى هلاك أكثر من ستة عشرة ألف (16000) شخص بمدينة الجزائر من المسلمين والأسرى واليهود⁵، حيث عُرف باسم الوباء الكبير لطول فترة بقاءه في الإيالة؛ ويذكر "الزهار" أنه أتى من بر الترك في مركب مع رجل يُدعى ابن سماية⁶، وتفيدنا وثيقة أرشيفية حول ذلك الوباء وانتشاره في الإيالة⁷ وهي عبارة عن رسالة من صالح باي (1771-1792) إلى وكيل الباستيون سنة 1787م وهذا ما جاء فيها: "... من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع أموره إليه المعظم الأرفع الهمام الانفع مولانا السيد صالح باي أعزه

1- محمد الصالح ابن العنتري، مجاعات قسنطينة، تح، وتق: رابح بونار، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974، ص 48.

2- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 139.

3- رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية وأثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية: 2021/2020، ص 269.

4- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1791-1830)، (ط.خ)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 328.

5- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 89.

6- الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 78.

7- من أجل معرفة حيثيات هذه الوثيقة يرجى الاطلاع على الملحق رقم (15).

الله تعالى بمنه أمين إلى خديمتنا قبطان القالة السلام على من أتبع الهدى... فإن الحاجة دعتنا إلى الطبيب الذي عندكم فلا بد أن تبعثه إلينا ويأتي معه بجميع الأدوية خصوصاً دواء المرض الكبير...¹.

- طاعون أعوام: 1817-1822م: ولقد ساهمت عملية تجنيد المتطوعين كذلك في تسرب وباء الطاعون عام 1817م إلى إيالة الجزائر، وهذا ما أشار إليه مؤلف مخطوط أسماء حكام الجزائر فقال: "... وبعد ذلك أت الوباء للجزائر في رمضان عام 1232التنين وتلاتين ومأتين وألف ثم بعد جلب العسكر...²، وهذا من خلال سفن كانت تنقل المتطوعيين قادمة من الأقاليم العثمانية أين أنتشر الوباء في مدينة الجزائر مخلِّفاً هلاك ما يقارب خمسون (50) شخص يومياً، ولقد تميز وباء طاعون تلك الأعوام بخطورته وانتشاره الواسع، وارتبط ظهوره بحركة الأسطول الجزائري واحتكاكه الدائم بموانئ المشرق التي كانت المصدر الأول لمختلف الأوبئة ومن بينها وباء الطاعون سواء كان ذلك بغرض التجارة أو نقل المجندين³، وقد استمرت وطأته سنوات 1818-1819م إلى غاية 1822م، وعليه يجب التذكير هنا بأن إنتشار هذا الوباء بالقرى والأرياف كان سببه فرار الناس من المدن واحتماءهم في هذه الأرياف مما ساهم في انتقال الوباء معهم وهم لا يعلمون⁴، كما عرفت مناطق الغرب الجزائري أيضاً وباء الطاعون سنتي 1818 و1819م خصوصاً مدينة وهران التي بلغ عدد الضحايا بها حوالي سبعة آلاف (7000) ضحية مما ساهم وسهل بدوره في انتشار العدوى التي أصابت الثكنات أيضاً؛ ويفيدنا "الزهار" بإشارة إلى عدد ضحايا وباء الطاعون بقوله: "وكان الوباء قد اشتعلت ناره؛ وفي يوم سفرنا وقت الضحى وصلت مائة جنازة"⁵.

من خلال اطلاعنا على الأوضاع الصحية للإيالة خلال السنوات الثماني الأخيرة (1822-1830م) من العهد العثماني بالجزائر نجد بأن وباء الطاعون قد اختفى نهائياً من الجزائر ويمكن إرجاعه إلى عدة عوامل منها:

- قيام ثورة إنفصال اليونان سنة 1821م، وبالتالي فقد صار الحوض الشرقي للبحر المتوسط عبارة عن ساحة صراع حامي الوطيس بين الأسطول العثماني من جهة ونظيره اليوناني من جهة أخرى، وذلك ما

¹ - م.و.ج، المجموعة: 1641، الوثيقة رقم 84.

² - مؤلف مجهول، أسماء حكام...، المصدر السابق، و05.

³ - رشيد حفيان، المرجع السابق، ص 270.

⁴ - علي مخطاري، " الطاعون في الجزائر بين 1700-1830"، مجلة آفاق فكرية، المجلد 09، العدد 02، السنة 2021، ص 121.

⁵ - الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 144.

أدى إلى انخفاض كبير في عمليات التجنيد الخاصة بالمُتطوعين لصالح الجزائر، وعليه فقد خفف هذا الوضع من وطأة إنتشار الوباء في الإيالة.

- قلة الجنود المُتطوعين القادمين من أقاليم الدولة العثمانية، إذ سُجل في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني للجزائر تراجع عدد المُجندين من المشرق، خاصة بعد أن قام السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) بالقضاء على فرقة الإنكشارية في الحادثة المشهورة بإسم "الواقعة الخيرية" سنة 1826م.

-الحصار المفروض على الإيالة سواء من خلال الحملة الإنجليزية الأمريكية سنة 1824م، وكذا الحصار الفرنسي الطويل الذي إمتد من (1827-1830م)، حيث منع الجنود المتطوعين من التنقل إلى الجزائر مباشرة أو الخروج منها، وهذا بفعل الحجر الصحي الذي كان يطبق على المُتطوعين الجدد، ومعنى ذلك أن الجنود المُتطوعين لصالح الجزائر كان يتم نقلهم من أقاليم الأناضول إلى تونس أولاً، وبعدها يتم إخضاعهم إلى مدة الحجر الصحي وعند انقضاء المدة يتم إدخالهم إلى الجزائر عبر الحدود البرية¹، وبالتالي فقد كان الحصار الفرنسي على الجزائر (1827-1830م) بمثابة سد منع تنقل الوباء الذي كان يأتي دائماً من المشرق، في حين يعود سبب تنقله إلى الجزائر بالدرجة الأولى وبحسب اطلاعنا إلى الجنود المُتطوعون الذين جاؤوا من مختلف أقاليم الدولة العثمانية، وذلك في إطار سياسة التجنيد المُنتهجة من طرف السلطة العثمانية بالجزائر.

¹ - رشيد حفيان، المرجع السابق، ص 269.

خاتمة

من خلال دراستي لموضوع: سياسة تجنيد المتطوعين في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م، والذي يُعتبر من المواضيع الهامة في تاريخ الجزائر خلصت في الأخير إلى جُملة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- بعد سُقوط غرناطة سنة 1492م رمت إسبانيا بكل ثقلها نحو التوسع جنوب الحوض المتوسط، وذلك رغبة منها في إرجاع ضفتي المتوسط بحيرة مسيحية، وهذا راجع إلى أن إسبانيا قد أصبحت وريثة الكنيسة الكاثوليكية في بداية العصر الحديث، وبالتالي عملت على شن مجموعة من التحرشات على سواحل شمال إفريقيا تحت ما أطلقت عليه "بحروب الاسترداد"، وذلك لأن الحضارة الرومانية في الفترة القديمة كانت تسيطر على ضفتي " بحر الروم"، وقد تحقق لها مشروعها ولو جزئياً في إخضاع العديد من المُدن الساحلية ومن بينها: المرسى الكبير 1505، وهران 1509، بجاية 1510، طرابلس 1510م، وهذا في الوقت الذي كانت تعاني فيه منطقة المغرب الأوسط من الانقسامات والاضطرابات السياسية والإقتصادية والإجتماعية خاصة ما تعلق الأمر بالصراعات الأسرية على السلطة (الدولة الزيانية).

- ظهر الأخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط نتيجة الاستغاثة التي تلقوها من قبل أهالي بجاية وعلى رأسهم أحمد ابن القاضي، وذلك من أجل تخليصهم من الإسبان الذين أعاثوا الفساد في المدينة وفرضوا عليهم دفع الضريبة السنوية، لهذا نجدهم قد حققوا العديد من الانتصارات على القوات الإسبانية في عرض البحر المتوسط، وكذا في البر وذلك بمُساعدة القبائل المحلية، وقد تم تحرير العديد من المُدن الساحلية أمثال: جيجل، الجزائر، وقد فشلوا في تحقيق هدفهم المنشود وهو تحرير مدينة بجاية الذي سوف يتحقق مستقبلاً على يد صالح رايس (1552-1555) سنة 1555م.

- نجد بأن الوجود العثماني بالجزائر كان نتيجة ضرورة حتمية نظراً للظروف التي كانت تعيشها الجزائر داخلياً، حيث واجه خير الدين مجموعة من التمردات الداخلية من قبل القبائل المحلية المُعارضة لحكمه، وخارجياً التهديدات الخارجية والمتمثلة في الإسبان، وعليه فإن تلك العوامل وغيرها جعلت خير الدين يفضل الاستجداد بالدولة العثمانية التي تمكنه دون أدنى شك في المحافظة على سلطته أولاً وعلى وحدة الجزائر الترابية ثانياً والحفاظ على دينها الإسلامي ثالثاً.

خاتمة

-ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م، وقد تم ذلك بعد إستجابة السلطان العثماني سليم الأول(1512-1520) لطلب أهالي مدينة الجزائر، فقام هذا الأخير بتعيين القائد خير الدين بربروس أول حاكم عثماني على إيالة الجزائر وبهذه المناسبة قام السلطان بالعديد من الإجراءات بالنسبة للإيالة ومن أهمها: إرسال حوالي ألفي(2000) إنكشاري وأربعة آلاف من المُتطوعيين، كما فتح باب التجنيد على مصرعيه في وجه كل الرعايا التابعين للدولة العثمانية.

- تطور نظام التجنيد عبر العصور التاريخية وصولاً إلى ما نعرفه اليوم، وذلك من خلال أن قوة الجيش كانت بمثابة العامل الأول الذي ساهم في قوة الحضارات والأمم، وعلى سبيل المثال نجد في الفترة القديمة أن قوة وحجم عدد أفراد الجيش هو المعيار الذي يقاس به قوة تلك الحضارة أو الدولة مثل الحضارة اليونانية أو الحضارة الرومانية التي استطاعت بفضل نظام التجنيد أن تجمع العديد من الأفراد التابعين للمستوطنات الرومانية لصالح الجيش الروماني، والذي مكنها في الأخير من السيطرة على العديد من بقاع العالم آنذاك.

- تواجدت أنواع عديدة من أنظمة التجنيد حول العالم، الأول ويتعلق الأمر بالتجنيد على أساس التطوع وهذا ما نجده في بعض الدول ومن أهمها الدولة العثمانية في الفترة الحديثة وكذا الولايات التابعة لها، أما النوع الثاني فإنه يتعلق بنظام التجنيد على أساس الإلزام (الإلزامي)، ويتم هذا من خلال فرض دولة من الدول ما أصبح يُعرف بمُصطلح "الخدمة العسكرية" على أفرادها سواء كانوا رجال أو نساء بهدف تعويض أي نقص قد يحصل في نظام التجنيد الأول وهو التطوع، في حين يكون تحت شروط معينة ومن أهمها: السن والقُدرة البدنية وغيرها...إلخ، وفي هذا الصدد نجد بأنه قد طبقت السُلطة العثمانية بالجزائر خلال العهد العثماني لنظام تجنيد على أساس التطوع، وقد فتحت بذلك المجال لكل الأفراد المُتواجدين في مختلف الأقاليم التابعة للدولة العثمانية أو حتى بالنسبة للقبايل المحلية الموجودة في الإيالة، وذلك للتطوع في الجيش الجزائري بشقيه النظامي والغير نظامي (الاحتياطي).

- تشكل في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني مؤسسة التجنيد وهي عبارة عن مؤسسة عسكرية ضمت العديد من الشخصيات التي كانت تُسير عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح الجيش الجزائري، وقد كان في مُقدمتهم الوكيل الذي كان يعتبر بمثابة سفير إيالة الجزائر لدى الباب العالي، وقد كان يتكفل بجميع مصالح الإيالة الجزائرية السياسية والإقتصادية والعسكرية وفي مقدمتها عملية تجنيد المتطوعين.

خاتمة

-لقد أولت السُلطة العثمانية بالجزائر لعملية تجنيد المُتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية كل التسهيلات اللازمة من أجل إنجاز تلك العملية، وذلك من خلال تعيين مجموعة من المُوظفين الذين كانوا يسهرون على تجنيد المُتطوعين بكل الطُرق الإغرائية وهم الذين عُرفوا بإسم "الدائيات"، بالإضافة إلى ذلك كانوا يُغدقون أولئك المُتطوعين بالمال والتكفل بكل ما يشتهون من مأكُل ومشرب إلى حين وُصولهم إلى إيالة الجزائر .

-نجد من خلال الإحصائيات التي قُمتُ بها تراجع كبير في عدد المُجندين على مستوى إيالة الجزائر خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني، وذلك راجع إلى جُملة من العوامل الداخلية والخارجية والتي ساهمت بدورها في عرقلة عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العُثمانية لصالح الجيش الجزائري، إلا أن ذلك الوضع لم يمنع مؤسسة التجنيد من إبتكار مجموعة من الطرق التي مكنتها من إكمال مشروعها العسكري، وذلك إلى غاية سُقوط مدينة الجزائر تحت الإحتلال الفرنسي وتوقيع الداوي حسين باشا (1818-1830) لمُعاهدة الإستسلام مع القائد الفرنسي دي برمون في 05 جويلية 1830م.

-عملت السُلطة العثمانية بالجزائر على تشكيل جيش نظامي (الإنكشارية-الطوبجية-فرسان الصباحية) من الأفراد المُجندين من أقاليم الدولة العثمانية، وذلك راجع إلى عدم ثقتها في العنصر المحلي الذي كان بدوره يملك كل المقومات التي من شأنها أن تساعد في الانقلاب على السُلطة الحاكمة، وبالتالي ما يمثل بالنسبة لي انتهاء التواجد العُثماني في المنطقة، بل قررت مُقابل ذلك الاعتماد عليهم ضمن الجيش الغير نظامي(الاحتياطي)، وذلك من أجل امتصاص البعض من غضبهم تجاه ذلك التهميش الذي لحقهم في تولي المناصب العليا في سواء في الإدارة أو الجيش.

- ساهمت سياسة تجنيد المُتطوعين في الجيش الجزائري إلى تغيير البنية المُجتمعية على مستوى إيالة الجزائر، وذلك من خلال بروز فئة جديدة عُرفت "بالكراغلة" وقد تواجدت في العديد من المُدن التي شهدت تمركز للحاميات العسكرية الخاصة بالإنكشارية، بحيث طالبت فئة الكراغلة بالمساواة بالحقوق مع أبناء عُمومتهم العثمانيين فقبولت بالرفض من طرف السُلطة العثمانية بالجزائر نتيجة صلتهم القريبة من الأهالي المحليين باعتبارهم أحوالهم، لكن ذلك لم يمنع من اعتلاءهم مناصب سياسية وعسكرية عُليا باستثناء منصب حاكم إيالة سواء الباشا أو الداوي.

-لقد تم تجنيد فرق زواوة في الجيش الاحتياطي، وذلك للفاعلية العسكرية التي كانوا يمتازون بها من خلال عملهم كفرق مُرتزقة عبر فترات طويلة من التاريخ، خاصة إذا علمنا أنهم كانوا يمثلون العنصر

خاتمة

العسكري لدى الدولة الحفصية، لذلك سعت مؤسسة التجنيد بالجزائر إلى الاعتماد على خدماتهم العسكرية خلال العهد العثماني.

-اعتمدت السُلطة العثمانية بالجزائر على العديد من القبائل المحلية وأطلقت عليها تسمية " قبائل المخزن" وهذا حين تم توظيفها في الجيش الاحتياطي بُغية تعويض النقص الحاصل في عدد جنود الجيش النظامي في بعض الفترات من العهد العثماني بالجزائر.

- ساهمت سياسة تجنيد المتطوعين في إفشال مُخطط إسبانيا في جعل منطقة الشمال الإفريقي بحيرة مسيحية، وذلك من خلال تحرير الجيش الجزائري كل الحُصون والمُدن التي تم السيطرة عليها من قبل الإسبان، وقام أيضًا للتصدي لمختلف الحملات الأوروبية من أجل إخضاع مدينة الجزائر، وذلك من خلال تظافر جهود كل الفرق العسكرية سواء النظامية أو الاحتياطية بشقيها البري أو البحري.

-بفضل سياسة تجنيد المتطوعين تمكنت السلطة العثمانية بالجزائر من رسم الحُدود الجُغرافية لأول مرة في المنطقة، وذلك بفضل حماية الثغور البرية مع بايات إيالة تونس من جهة وسلاطين المغرب الأقصى من جهة أخرى، مع العمل على توحيد الإيالة من التشتت الداخلي الذي كان يحدث بفعل التمردات التي كان يقودها شيوخ القبائل من جهة أو شيوخ الطرق الصوفية من جهة أخرى.

- عمل المُجندين في الإيالة على إحداث انقلابات عسكرية على السلطة الحاكمة، وبالإضافة إلى ذلك نجد بأن جل الدايات الذين حكموا الإيالة قد راحوا ضحية الاغتيالات التي طالتهم من قبل فرقة الإنكشارية لأنها كانت تمثل حجر الزاوية بالنسبة للمنظومة العسكرية للجيش الجزائري خلال العهد العثماني.

-إن ما يُعاب على السُلطة العثمانية بالجزائر هو سماحها بإقامة أولئك المُجندين لمختلف الفواش تحت غطاء المشروعية، وهذا الأمر لا يُعقل بالنظر إلى ديانة المُجتمع والسلطة الإسلامية، التي لا تقبل بأي حال من الأحوال تلك التجاوزات الشرعية، لكننا وجدنا بأن السُلطة العثمانية بالجزائر كان همها الوحيد هو العمل على إبقاء الجُندي الإنكشاري أعزب من دون زواج، وذلك بُغية تحقيق مجموعة من المكاسب السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

-لقد ساهمت عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية في تجديد الدم العثماني بشكل مُستمر بالإيالة، وعليه يُمكننا القول بأن سياسة تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية هي العامل الأول والأبرز

خاتمة

بحسب اطلاعي الذي مكن من إستمرار التواجد العثماني بالإيالة لمدة تزيد عن ثلاثة قرون من الزمن (1830-1519).

-في الأخير يُمكنني القول بنجاح السياسة التي إنتهجتها السلطة العُثمانية بالجزائر بخصوص تجنيد المتطوعين سواء القادمين من أقاليم الدولة العُثمانية الذين ساهموا بدورهم في إبقاء السلطة الحاكمة بالجزائر تحت يد أشخاص عثمانيين الأصل، أو المُتطوعين المحليين (الكراغلة-فرق زاوة-قبائل المخزن) الذين ساهموا أيضًا في مُوازنة القوة العسكرية بالإيالة حتى لا ينفرد بها الجيش النظامي وعلى رأسه فرقة الإنكشارية التي كانت في كل مرى على التحكم في مقاليد الحكم في الإيالة.

هذه جُملة من النتائج التي تمكنت من الوصول إليها من وراء هذا البحث، والذي نأمل أن نكون قد وفقنا فيه ولو في جزء صغير، فإن أصبنا فمن الله سبحانه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

الملاحق

الملحق رقم (01)

تمثال القائد خير الدين بربروس في منطقة باشكتاش الساحلية (تركيا)¹



¹ - بالتصرف من قبل الباحث، وقد ألتقطت هذه الصورة على الساعة 16:00 عصرًا من يوم 14 جانفي 2024.

الملحق رقم (02)

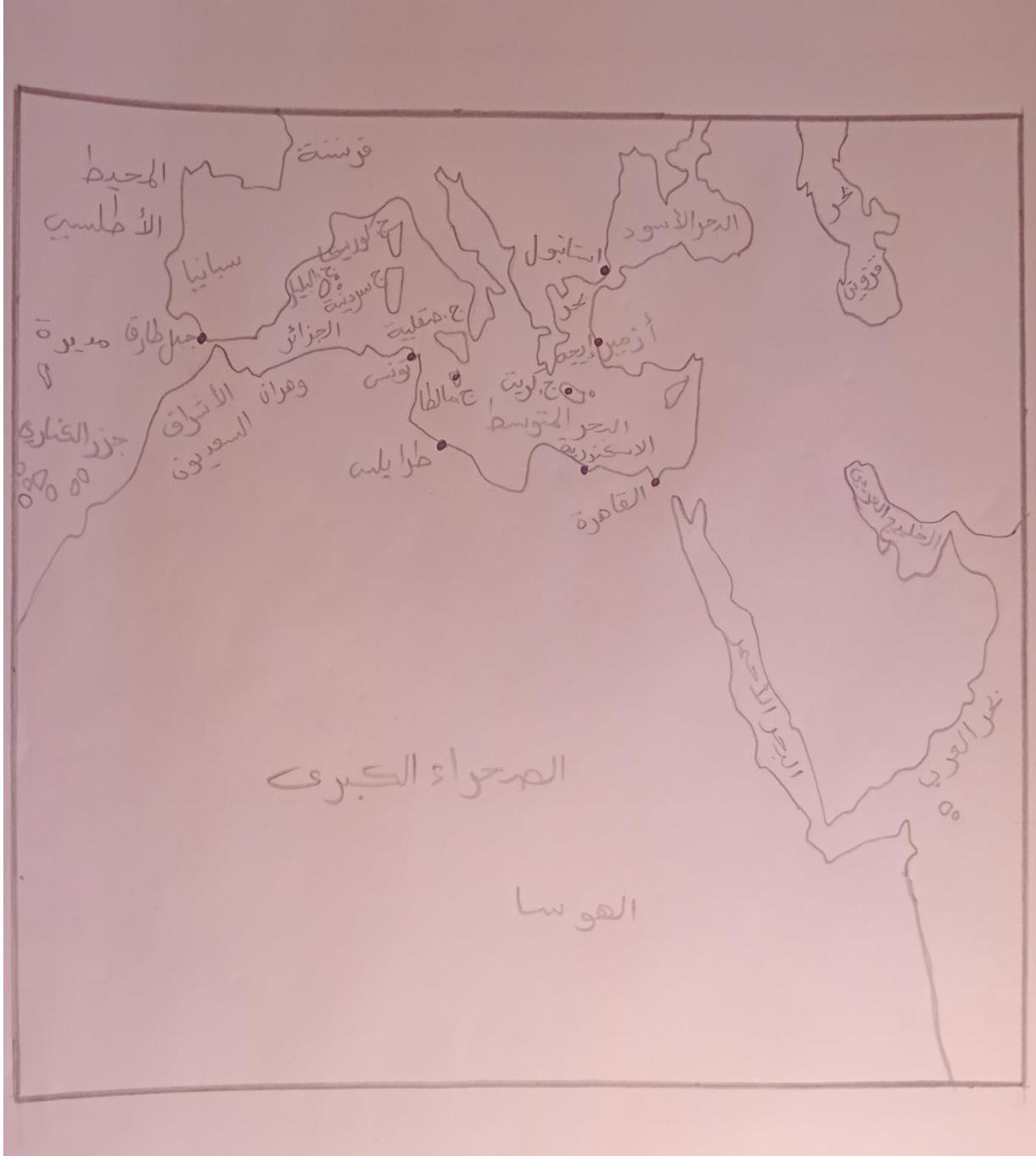
ضريح القائد خير الدين بربروس في منطقة باشكتاش الساحلية (تركيا)¹



¹ - بالتصرف من قبل الباحث، وقد ألتقطت هذه الصورة على الساعة 16:15 عصرًا من يوم 14 جانفي 2024.

الملحق رقم (03)

خريطة بأسماء المدن العثمانية التي كان يقيم فيها وكلاء إيالة الجزائر¹



¹- بتصرف.

الملحق رقم (04)

طلب تعيين وكيل لإيالة الجزائر بمصر¹

٤٤٤

ايها الامراء الكرام كبير الكرام العجم ذوالقدر والاحتياج صاحب العز والاحتشام المختص بخدمه غياث الملك المنان
دولتكم وحملتموه ولوالدكم كثير الاطعم والكرم اقدم سلكها في حقه فتركها بن الحرف العياض المكنون
محل وملا لجنته باجتماع وجود وجهه تغيبه من اوقات الساعات والادوات التي من كونه مصون وما من
والجفتين مسمي ورر على الاعداد مظفر منصور امير بحمة سيد الانبياء والتمسليين لظها
وكرما ومن جانبا لسواك الفشيف الذي كرم بغير العز وبقا الدولة بدعو مفتح بخالض
الذمات لبله وفضلا وفرد ورذالك فيه صاحب خذ ولا الحاج محمود بيت الماز فاختار الزيادة
بيت الله الخوا ~~استجاب الحاج~~ في عاينة الفرح والسرور ونحو في زيادة الفرح والسرور
وبغيره الذي كان وكيلك سابقا المسمى السير محمد الفرح في خدمته في سنة ثمان مائة
واحقور وكنت في ذلك حياته ايضا قبل موته نحو الاعداء عشر او اثني عشر سنة في خدمته
بما تخر الفترات والحاج قد ير بيت ما لا يعرفه من حور وسائر الحاج بغيره لا استخدام
ولذلك صدر انما في جملة من من نصبي وكيلك في صوف ولا في دولتكم وحملتموه ولوالدكم اقدم من
مرحبا من سعادتك ان فيلت في وكيلك ينبغي كسبها فيك تعطيني مكتوبه لا فيك الحاج
محررا باشا توصية معصوم بها ان اخرج عثمان جانبا لاي به شخصه قد جعلته وكيلك
في موت الحاج من تسليم امواله ليه وبعثها الى ورود بيت المال فيفج التسليم وبهذا
الذي اعادة الفتيان بعهدة ورثة اهل الاوج والهنطور من بعض اموال التركة التي
تنظر بيد الوارث بعد اخذ تركة التسليم وورثه خذ يسلم ورود او موجه من
كل من عنانك فيني ابرك عنانك ~~عنانك~~ ما خسر عنانك بخدمته وكافة الاوجاف
لمنصور مضمون او مرمو ما بالاطم واحسان دولتكم عنانك ولوالدكم وكافة
خد امه وحملتموه ولوالدكم كثير الاطعم والكرم اقدم سلكها في حقه فتركها بن الحرف
في شعبان ١٠٤٣ هـ

المربوع خذ منكم
الحاج عثمان
جانبا لاي وكيل
الجزاير

¹ - م. و. ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 249.

أمير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد
عناية الملك المنان دولتو مرحمتلو ولي النعم كثير الطف والكرم أفندم سلطانم لحضرتك جناب الحق
الفياض المطلق جل وعلا لجناب أفندم وجود رحمة تقيه من افات السماوات والاراضين من كونه مصون
ومأمون وبالجهتين مسرور وعلى الاعداء مظفر ومنصور، أمين بحرمة سيد الانبياء والمرسلين لطفا وكرما
ومن جانب سؤلك الشريف الداعي لكم بطول العمر وبقاء الدولة فهو مقيم بخالص الدعاء ليله ونهاره وقد
ورد لطرفه صاحبكم وخدمكم الحاج محمود بيت المال قاصد الزيارة بيت الله الحرم واجتماعنا في غاية
الفرح والسرور ونحن في زيادة الفرح والسرور وبعده الذي كان وكيلكم سابقا المسمى محمد المجروقي قد
سار إلى رحمة الله فان الله وانا إليه راجعون وكنت في قليكم حياته ايضا قبل موته بنحو الاحدى عشر أو
اثنى عشر سنة بخدمة مفاخر الغزات والمجاهدين بيت مال الاوجاق المنصور وسائر الحاج بطريق
الاستخدام ولذلك صدر اتفاق جملة من ذكر بنصبي وكيلنا ينبغي لسيادتك تشير بمكتوبك لاختيك الحاج
محمد علي باشا توصية مفهومها أن الحاج عثمان جانبلاط به شهر قد جعلته وكيل في هم جوت الحاج
من تسليم أموالهم ليده وحفضها إلى ورود بين المال يقع التسليم وبهذا الذكر افادة للقيام بهمة ورثة اهالي
الاوجاق والمنصور من حفظ أموال التركة إلى أن تتصل ليد الوارث بعد أخذ تذكرة التسليم ومرتجى خدمكم
ورود أمر موجه من طرف عنايتكم ابكرم فاخر من عناية خدمة وكالة الاوجاق والمنصور مضمن أمر
وفرمان اللطف واحسان دولتو عنايتلو ولكافة خدامه مرحمتلو ولي النعم كثير الطف والكرم أفندم سلطانم
لحضرتك ما ذكر في 15 شعبان سنة 1243 هـ

المربوط بخدمتكم

الحاج عثمان

جانبلاط وكيل

الجزاير

الملحق رقم (05)

تجنيد عدد من المتطوعين وإرسالهم إلى إيالة الجزائر¹

٢٠٢
ولتلو عنائتلو وحملو سودتلو وليي النع مندو الاحسان والكرم اجندم سلطانم الحفوق
جناب الخف صبغاصه وتعلي جل شانه حافضاه من الامن والامان
مبارك ومسعود به عز و افعال وعنايت واجلال موجب دعوات عرضي
حال شاك الاحسان بهنزا الدعوة سبعت احد مغدار من نوات البلاد اشرا
ممكن تيد تد ارك الوضو مغارند صايرتو بخصا به ساشطي رجب احسن
تخير بها اجتنسار و هم المولى على علم عالم اراي عزارتك وجود طرف
الثقة من حصن توجه مكاتبك عن غيب غفلة وهو المربي من باب امر وعبر مسان
د ولتلو عنائتلو وحملو وليي النع اجندم صلواتكم الحفوق
المهمه تخدتم
مرالحاج
احمد الكا
مكداره
١٣

¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 202.

إعادة كتابة الرسالة:

دولتو عنايتلو مرحمتلو سودتلو ولي النعم مبدول الاحسان والكرم افندم سلطانم لحضرتك جناب الحق سبحانه وتعالى جل شأنه حافظا في سر الامن والامان مبارك ومسعود في عز واقبال وعناية واجلال موجب دعوات عرض حال شاكر الاحسان بهذه الدفعة مبعث احد مقدار من نبوات اليلداس لار ممكن مرتبة تدارك الوصول مقارنه صايرة تريخها في 13 شهر رجب خديمكم العاجز أرسال صادر صير وريته بيان عريضة المربوط بخدمتكم لتحريرها اجتيال وبمن المولى محاط علم عالم أراي وزارتك وجود طرف الثنا من حسن توجه مكاتبكم عن غير غفلة وهو المرتجى من بابكم أمر وفرمان دولتو عنايتلو مرحمتلو ولي النعم أفندم سلطانم لحضرتك في 13 رجب سنة 1242

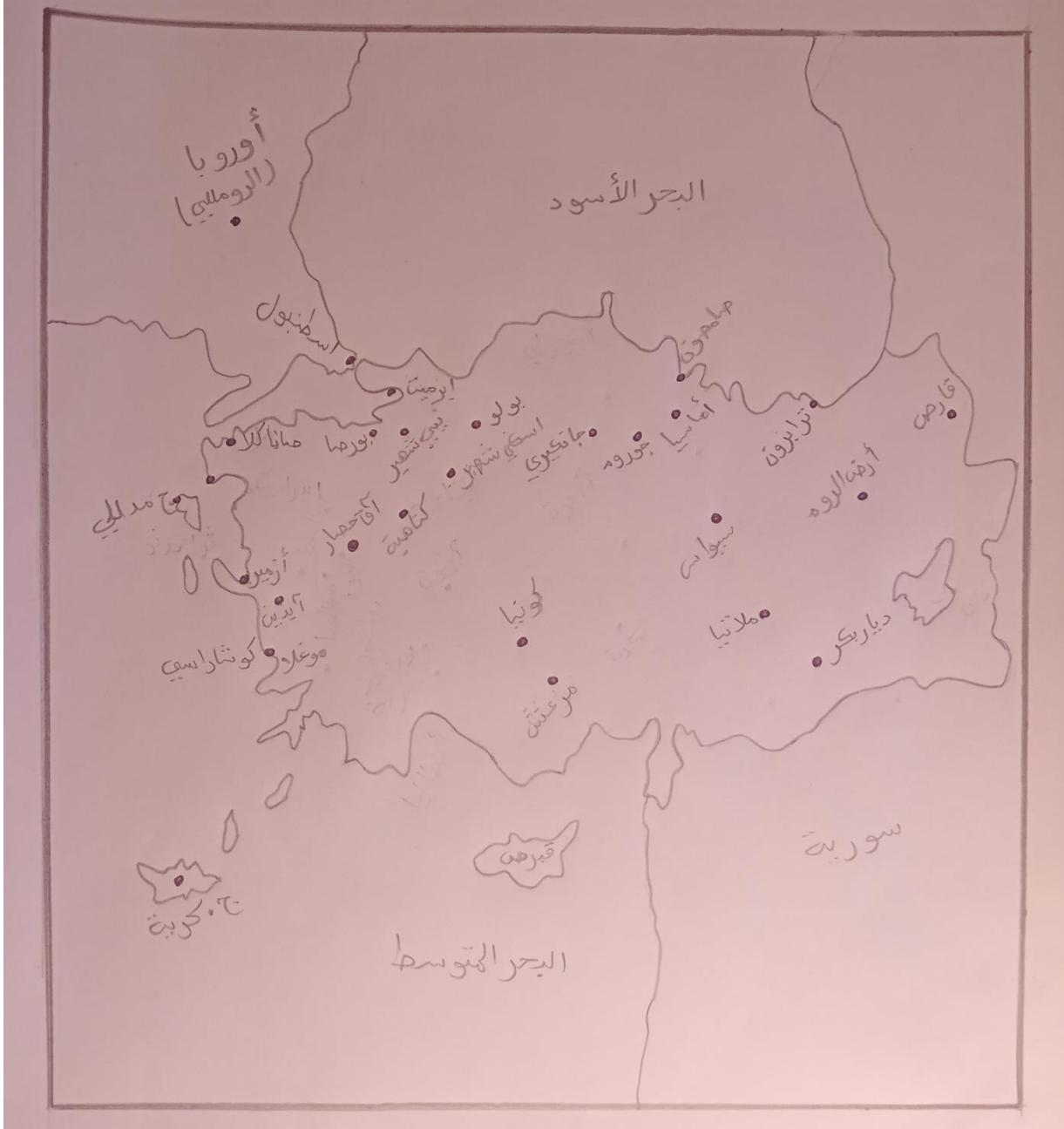
المربوط بخدمتكم

سر الحاج أحمد الاي

تكراره حالا

الملحق رقم (06)

خريطة بأسماء أهم المدن العثمانية التي كان يُجند منها المتطوعين لصالح إيالة الجزائر¹



¹- بتصرف.

الملحق رقم (07)

حول تخلي باش دائي عن وظيفته¹

١٧٣٤
 سعادتك ملو مشرتلو را بتلو احوال اعز سلمك انتم حضرة
 ذات حدسي سماك عالية الحياء ومصر مولات لازمة بكل ان اذكار جميلة رطب اللسان
 ترغب لها بيتك متواحد ووزان واتهم قد بلغني احد فطحة مكتوبك وارد وواجر ونجبي
 عابيتك ممنون واجر حاصل ومفود ما سر مدنية مانصه من الحاج اهد بلغني منه امانة
 وبعيني زرا بالصلاة وبسماك وشفق ديار تليس بطنه الادعية على موجب الفايده
 ليلاي واهل وجماعت سبعينته بزقان سدانية للرب تونسر وضعت بدعا الامانة
 لابن المرادك وجمته تعالى وتونسر ايضا ليدكر الشريعة الوصول
 ويوصلها
 بالقدوم لجنابك وفداك قد دخلت سفرة مريكان التي لم تحت يلد از ميريان ايلين
 واحدة وعشيرة صاحب الفذ كرا ملافتة مع فمدار وفاهته مريكان ليبيد، بلي
 على بطنه السنته المباركة ان اضهرت الحمار به نظره المور لغسرك الاستخار
 وعلى كمال حال منهور ومطبو واعداء الدير منصور ومومن وكيفية الحمار به
 قد خربت بها وبل النع ايتدوز حفرة تعصلا بتي ر كتابه لا يحتاج الي
 ان شاء الله تعالى معلوم علوشك انك ساعيتند لظروم خالو سعادتك قد خالو
 عدم الابعاد ومتوارد وقوعه استخار عابيتك اشعار ياد وتنشيط
 العزاد همتك ما مول ومستحق حبيته مدرع ربيع الثلث
 المخلص
 السيد الحاج
 خليل سائني
 از ميريان

¹ - م. و. ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 235.

سعدتو مرتلو رافتلو أخي الاعزم سلطانم حضرة ذات حسن سماتك عالية الجاه ومهر مولات لازمة في كل ان اذكار جميلة وطب اللسان مرتغب لها ببيتك مترصد وفكران ولتعلم قد بلغني احد قطعة مكتوبك وارد وواجل وبتخبي غافيتك ممنون وافر حاصل ومقدما من مدينة مانصه من الحاج احمد بلغني منه امانة وهي زرابي الصلاة وبساط وشقق ديار بكير بهذه الدفعة على موجب القايمة ليدي واصل ولما كانت سفينة بزركان سردانية لطرف تونس وضعت بها الامانة لابن المرابط تعالى ومن تونس ايضا لديك الشريفة الوصول وبوصولها وان المقيم بمدينة ازمير باش داي عازم بالقدوم لجنايبكم وقد كانت دخلت سفونة مريكان لآكن لم تمكث ببلد ازمير الا ليلة واحدة وعزيمة صاحبي الذي ذكرنا ملاقته قمندار فرقاطة مريكان بعزمه فهزله راسه لم يعده بلى او نعم ولما يجد الموجبة لطرفكم عزمنا ومن شان حوادث السفرية استخباركم فحمد الله تعالى بهذه السنة المباركة ان ظهرت المحاربة نصره المولى لعسكر الاسلام وعلى كل حال منصور ومظفر واعداء الدين مقهور ومدمر وكيفية المحاربة واخبرت بها ولي النعم افندمز لحضرته تفصيلا بتحرير كتابه لا يحتاج على بيان واستفقاد طبع مروتك سياق تحرير قايمة خلوص علوك بادي وصيد ان شاء الله تعالى معلوم علو شأنك ساعتيند لطرف خاطر سعادتك ظاهر عدم الابعاد ومتوارد وقوعه انتظاري فيتك اشعار تنشيط الفؤاد همتك مامول ومسترجى محبانه مدر في 17 ربيع الثاني سنة 1243هـ

المخلص

السيد الحاج

خليل ساكن

ازمير

الملحق رقم (08)

حول رفض صاحب سفينة فرنسية نقل المتطوعين إلى الجزائر¹

١٥٣

دوتلو عننا يتلورا اجتلو عطلو وتلورا وليي النع صيني العظم اعندم سلكتانغ
 نقل الادبعة استنجي نا احد سعيينة و نسييس لهورب دوتلو كملد لى عي نى حالى هذا النع
 مائة وخمسة نورا يلد اشترار كما بالتجى العسائر المذكورة في اولهم للسعيينة الابد ستة
 عشرا اوسبعة عشرا يوم مكثنا من قنات تدارى عسكر اخر فبتد اركنا يلد اشترار اخرى
 اجملة مائة وخمسة عشرا نورا يلد اشترار بحد يد مبلغهم وخمسة اخرى بمر عيني اليلد اشترار
 واعلم وليي النع ان الوفاي بيتنا عفة الرأ على سوار الكونكوكه خمسة عشرا يوما
 وخمسة ايام طوبى بخاركو نورا نورا العسائر بالغا ما بلغ بكون السبع عي
 وفدتا دي الوقت بايام ومسا نكلم فيهما السعيينة المذكورة بالقيام بعندولنا
 بعذر واطهي وارا وچا وينا ميا شرة قيامه مع الكونيو حبة فبهما البايك ووخاوة
 جاوزا ما كما ذكرت لكون نورا عي ونا منذ وتين يلد العسكر ستة اوسبعة عشرا يوما
 ما كيني بالمر سوا نهم سفينة مكث وانامة وكلمنا نكلمه بالسبع چا وينا بانه لم يؤذرك
 من الاكابر وعلى فغنى الوقت والحان لو ما كان سعي الاثقلين والبر نسييس كمن ميسى
 لكننا نكلم غيرهم ولا الا ان الضربة واقعة من هذا التعويى الهادر ونا سبعة
 هذا القول كلبا نستاج سعيينة الا يقع الجور والاذى من هذا الوجه ويستويج
 لنا ابادته محتصة من كمن وسعاد نك تكلم سيادتك فنسلونا ما كيني
 وتكلمه ان يعيدك بمكتوب لغوان نسه كمن جنا لا زنجاع الفرار الوافح
 ورتجى عي ك اليا من بايك العالى ومان مفتي الاى دوتلو عننا يتلورا
 وليي النع اعندم لخصتك منتطى الاى عي
 سر
 السير الحاج
 خليل

¹ - م. و. ج، المجموعة: 3190/الملف 01، الوثيقة رقم 153.

دولتو عنايتلو رافتلو عطوفتلو ولي النعم سني الهمم افندم سلطانم لحضرتك هذه الدفعة استجرنا احد سفينة فرنسيس لصوب دولتكم فلذلك عرض حالي هذا لنقل مائة وخمسة نفر يلدش لار كما بالتحريير العساكر المذكورة نزولهم للسفينة الا بعد ستة عشر او سبعة عشر يوم مكثها من شان تدارك آخر فيتداركنا يلدش لار اخرين الجملة مائة وخمسة عشر نفر يلدش لار جديد مبلغهم وخمسة آخرين من عتيق اليلدش لار واعلم ولي النعم ان الوفاق بيننا في عقد الكراء على منوال الكونطرده خمسة عشر يوما وخمسة ايام صوبه كاركو تمام نزول العساكر بالغا ما بلغ يكون السفر عرما وقد تادى الوقت بأيام ولما نكلم قبطان السفينة المذكورة بالقيام يعتذو لنا بعذر واهي مرارا ويجاوبنا مباشرة قيامه مع الكونيوه صحبة قبطان البايك وبوخاوته جاوزانا كما ذكرت لك بتحريير عرض حالي ومنذ تنزيل العسكر ستة او سبعة عشر يوما ماكتين بالمرسى مكث واقامة وكلما نكلمه في السفر يجاوبنا بانه لم يؤذن له من الاكابر وعلى مقتضى الوقت والحال لو ما كان سفن الانكليز والفرنسيس محترمين لكنا ننتظر غيرهم الا ان الضرورة واقعة من هذا التعويق الصادر ومناسبة هذا القول كلما نستاجر سفينة الا يقع الجور والاذى من هذا الوجه ويستوجب لنا افادة مختصة من طرف سعادتكم تكلم سيادتكم فنسلونا وتكلفه ان يفيدك بمكتوب لفرانسة طرفنا لارتفاع الضرر الواقع ومرتجى عبدك العاجز من بابك العالي فرمان مقتضى الامر دولتو عنايتلو ولي النعم افندم لحضرتك منتهى الامر في 02 صفر 1241هـ

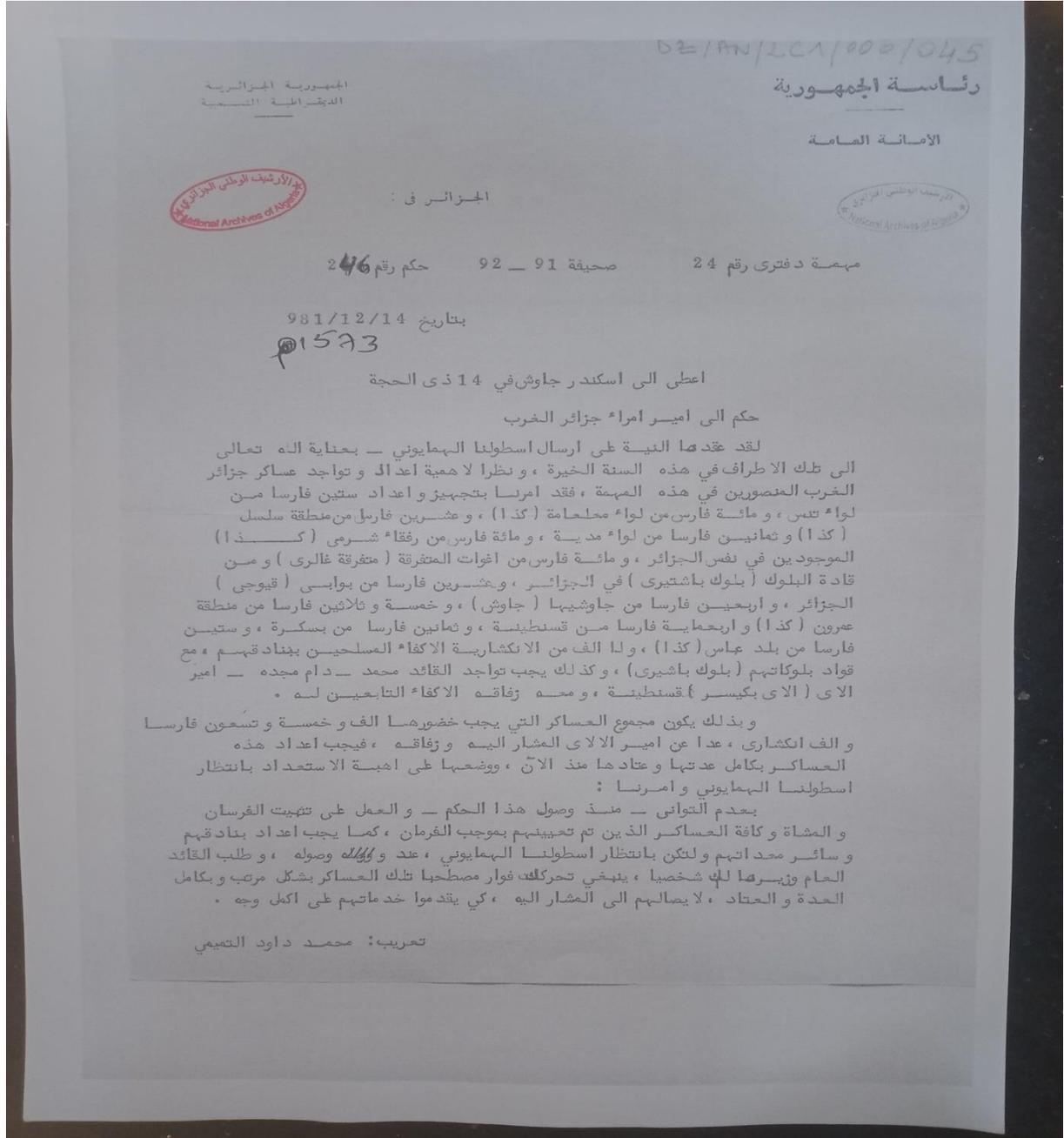
سره

السيد الحاج

خليل

الملحق رقم (09)

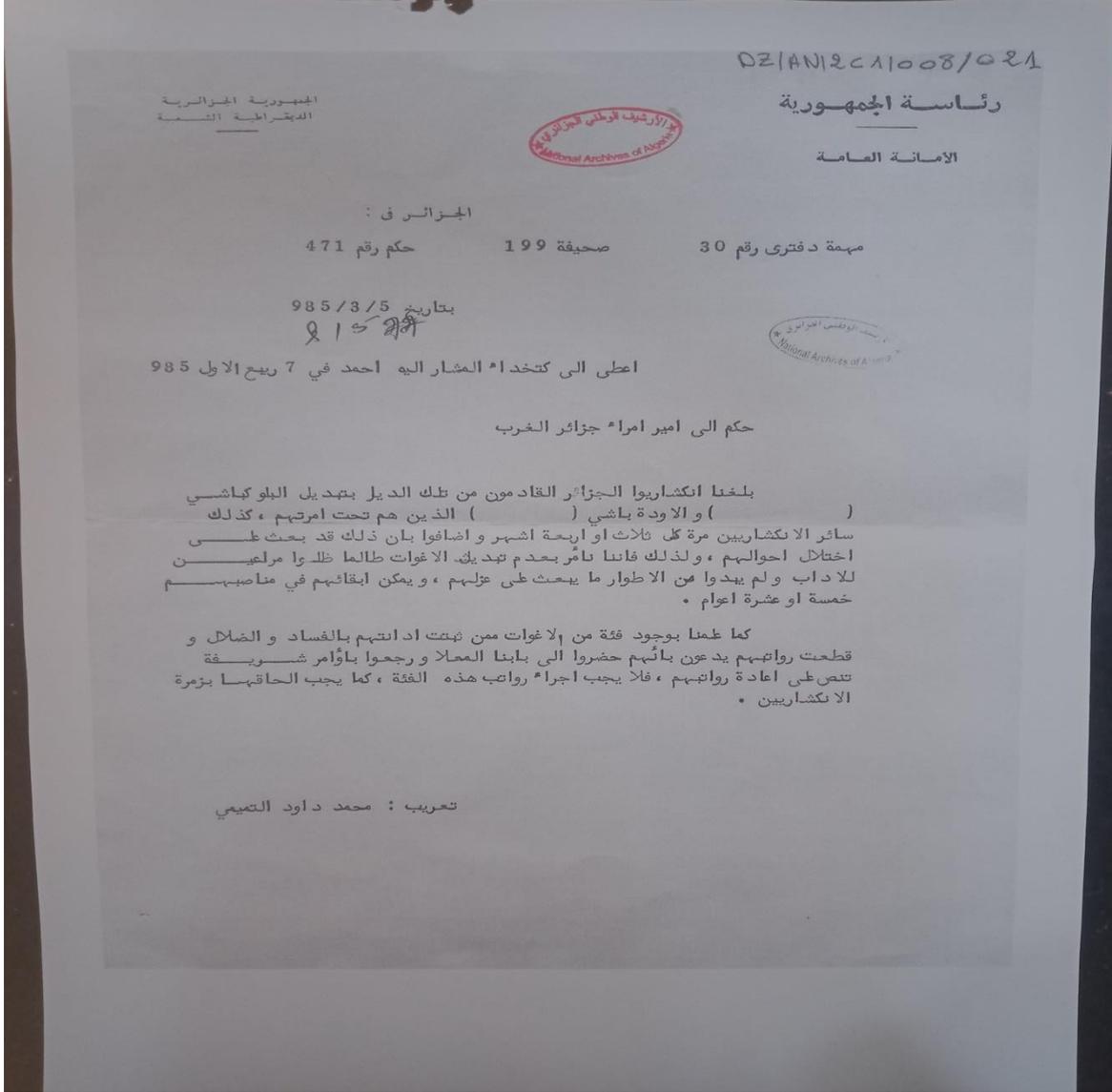
فرمان إلى أمير أمراء جزائر الغرب بشأن إرسال مجموعة من عساكر الإيالة في الحروب العثمانية مع الدول الأوروبية¹



¹ - أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 24، صحيفة 91-92، حكم رقم 246، التاريخ: 981هـ.

الملحق رقم (10)

مدة حكم الأغوات في إيالة الجزائر خلال القرن السادس عشر (16) ميلادي¹

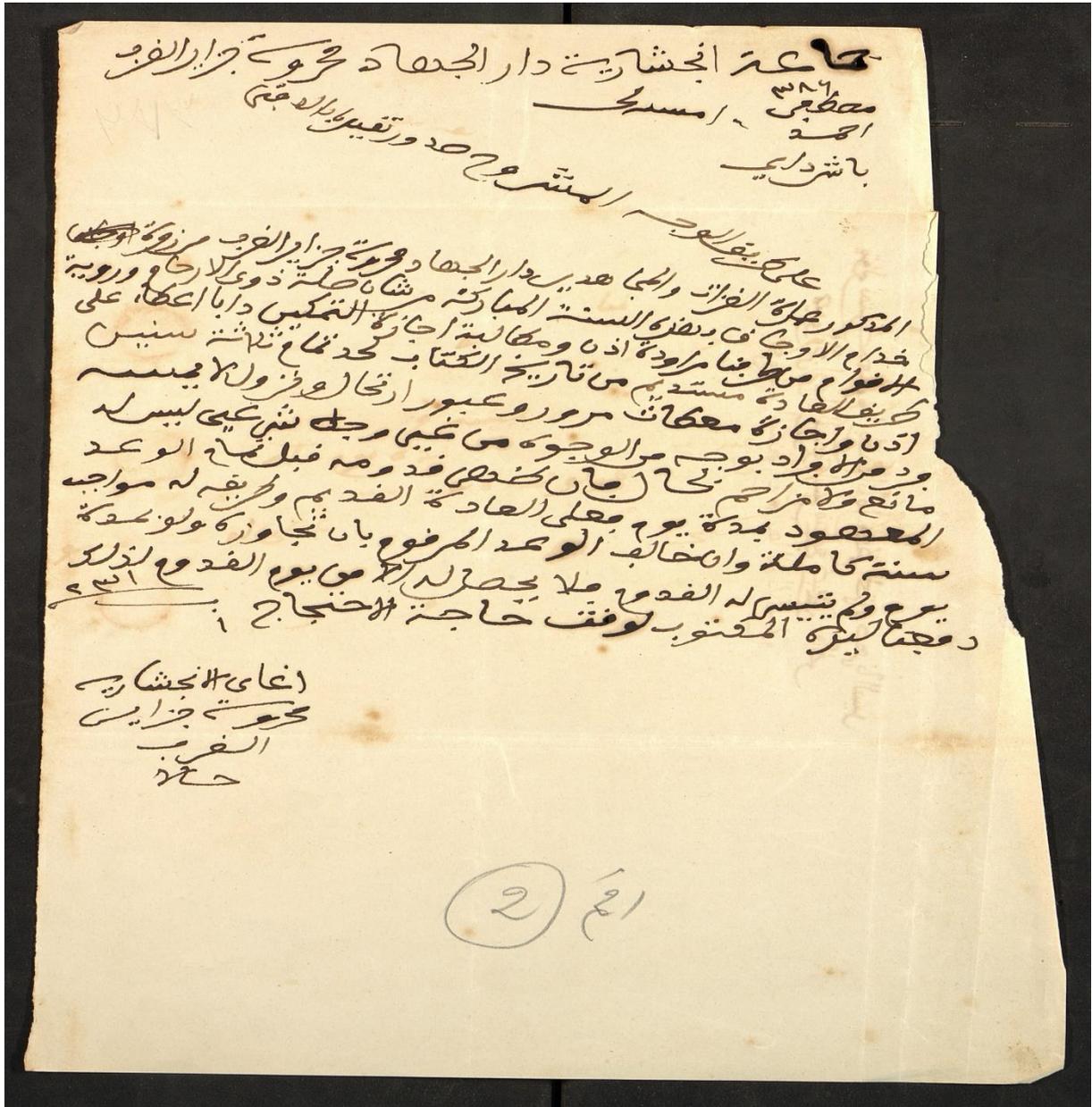


¹ - أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 30، صحيفة 199، حكم رقم 471، التاريخ: 985هـ.

الملحق رقم (11)

رخصة سلمت من طرف أغا الإنكشارية لفائدة مجموعة من الجنود وذلك لزيارة عائلاتهم في مختلف أقاليم

الأناضول¹



¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 02، الوثيقة رقم 02.

جماعة انجشارية دار الجهاد محروسة جزاير الغرب مصطفى احمد باش داي على طريق الوجه المشروح صدور تقييد بالدفتري المذكور عمارة العزات والمجاهدين دار الجهاد محروسة جزاير الغرب من زمرة خدام الاوجاق بهذه السنة المباركة من شان صلة ذوى الارحام وروية الاقوام من طرفنا مراودة اذن ومطالبة اجازة التمكين دابا اعطاء على طريق العادة مستديم من تاريخ الكتاب لحد تمام ثلاثة سنين اذن واجازة معطات مرور وعبور ارتحال ونزول لا يمسه فرد من الافراد بوجه من الوجود من غير وجه شرعي ليس له مانع ولا مزاحم بحال فان ظهر قدومه قبل تمام الوعد المعهود بمدة يوم فعلى العادة القديم وطريقه له مواجبه سنة كاملة وان خالف الوعد الموقوم بان تجاوزه ولو بمدة يوم ولم يتيسر له القدوم فلا يحصل له الامن يوم القدوم لذلك دفعنا ليده المكتوب لوقت حاجة الاحتجاج سنة 1231هـ

أغاي الانجشارية

محروسة جزاير

الغرب

حالا

الملحق رقم (12)

رخصة أعطيت لبعض الجنود من الإنكشارية لأداء فريضة الحج¹

جماعة الإنكشارية من دار الجهاد بحرمته جزائر غرب
 (12) على وجه المشروع تغييراً بالحق
 المذكور بحدة الغزاة والمجاهدين دار الجهاد بحرمته جزائر الغرب من فروع
 خدام الأوجاق بعض السننة التي حوتها بنيت في بيت الله الحرام
 وزيارته روضة حرمه سيد الأناص صهر الله عليه وسلم من شأنها من
 كفاية من روضة أزيبي واجتازة طلب التتميم دأباً ملخصاً على وجه
 العادة القديمة من تاريخ الكتاب كد فناء ثلاثة سنين أزيبي
 رخصة معطاة للمرور والعبور والأرخال والنقل والاقسامه إذا ثبت بوج
 من التوجس من غير موجب نهي محلي وليس له مانع أو موانع بما يظن
 التقدم فيل أنفضه الوعد المذكور جعل في العادة القديمة له
 معاجيب سننة كامله وان جاوز الوعد المرفوع يا عالم يتيسر له
 الحان يجمع يوم كخوفه بلهعداد بمعنا ليرة المكتوب كوقت حاجته
 حاجت حاج
 جمادى الأولى سنة
 محسبي داري
 والى حرمته
 جزائر الغرب

¹ - م. و. ج، المجموعة: 3190/الملف 02، الوثيقة رقم 12.

إعادة كتابة الرسالة:

جماعة الانجشارية دار الجهاد محروسة جزاير الغرب على طريق وجه المشروح تقييده بالدفتر المذكور عمدة الغزات والمجاهدين دار الجهاد محروسة جزاير الغرب من زمرة خدام الاوجاق بهذه السنة الميمونة بنية حج بيت الله الحرام وزيارة روضة حضرة سيد الانام صلى الله عليه وسلم من شأنها من طرفنا مراودة ازين واجازة طلب التمكين دابا مخلصا على طريق العادة القديمة من تاريخ الكتاب لحد تمام ثلاثة سنين ازين رخصة معطات للمرور والعبور والارتحال والنزول لا تمسه اداية بوجه من الوجوه من غير موجب شرعي وليس له مانع او مزاحم فان ظهر القدوم قبل انقضاء الوعد المذكور فعلى طريق العادة القديمة له مواجب سنة كاملة وان جاوز الوعد المرقوم فان لم يتيسر له الحال فمن يوم لحوقه فلهذا دفعنا ليده المكتوب لوقت حاجة الاحتياج في 21 جمادى الاولى سنة 1238

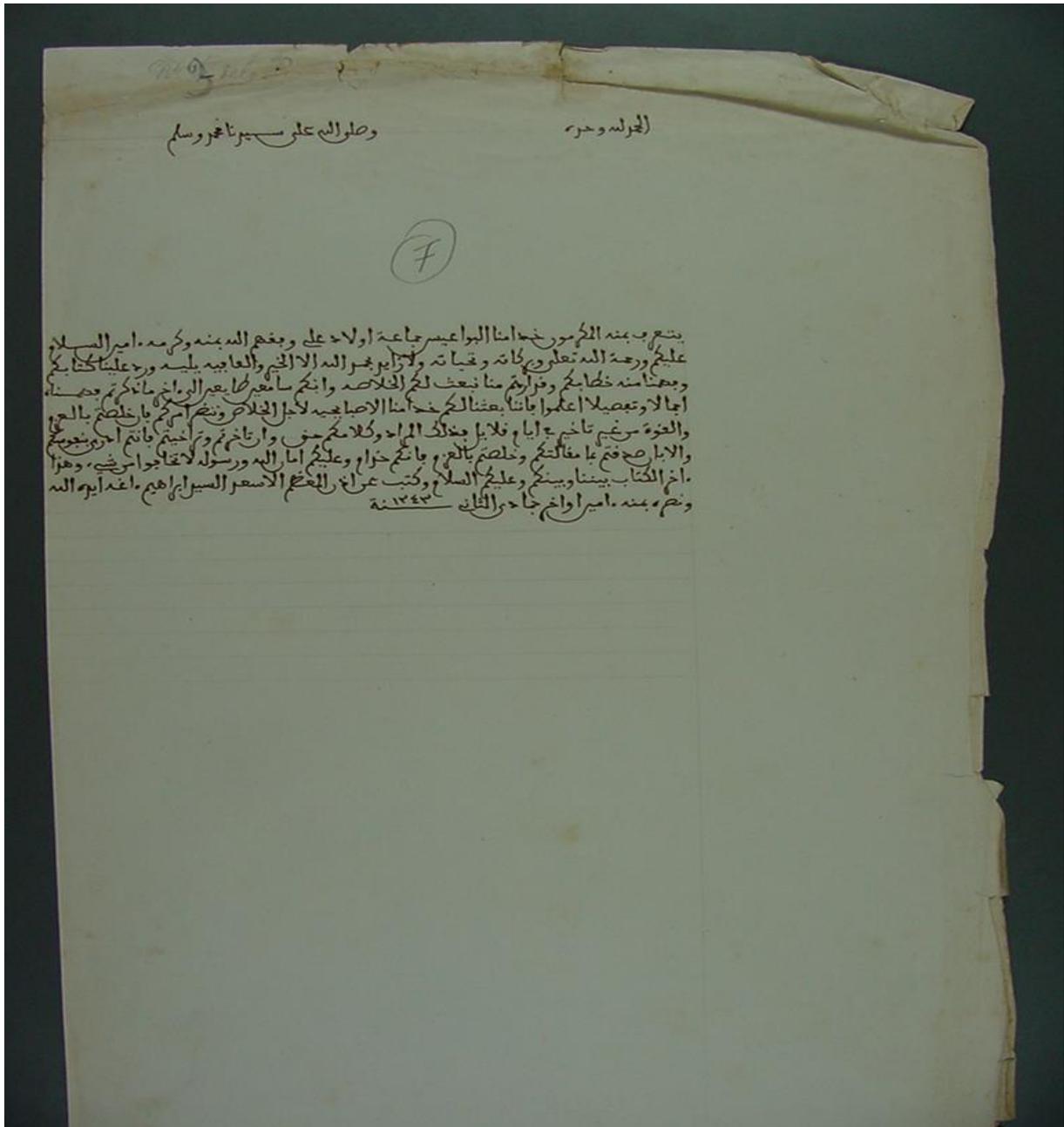
حسين داي

والي محروسة

جزاير الغرب

الملحق رقم (13)

ارسال عدد من فرسان الصبايحية إلى قبائل أولاد علي من أجل استخلاص الضرائب¹



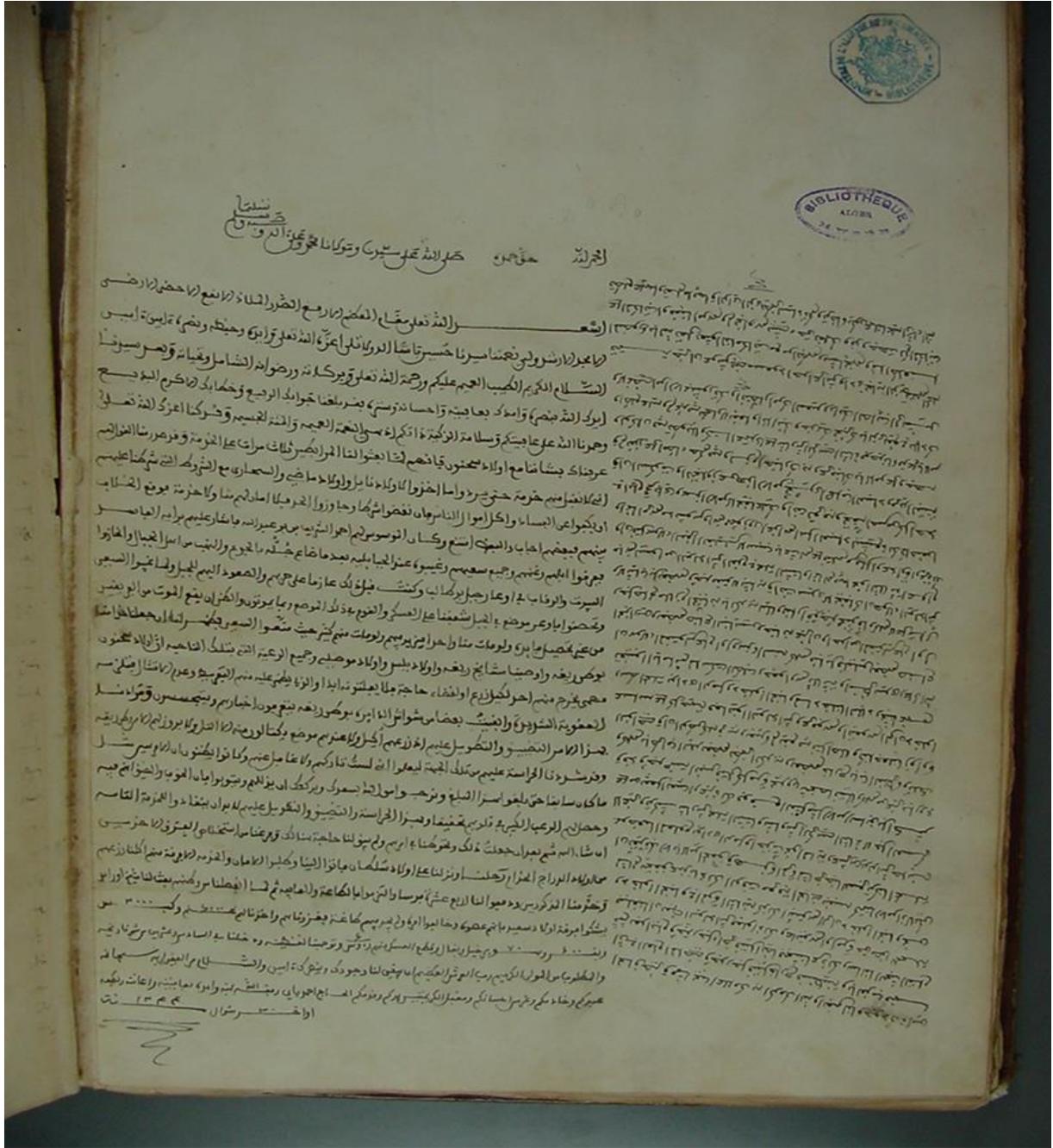
¹ - م.و.ج، المجموعة: 3190/الملف 02، الوثيقة 07.

إعادة كتابة الرسالة:

يتعرف بمنه المكرمون خدامنا البواعيس جماعة أولاد علي وفقهم الله بمنه وكرمه أمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ولا زير بحمد الله الا الخير والعافية يليه ورد علينا كتابكم وجهنا منه خطابكم وقرارتم منا نبعث لكم الخلاصة وانكم سامعين طابعين الى اخر ما ذكرتم فهمناه اجمالا وتفصيلا اعلموا فاننا بعثنا لكم خدامنا الاصباحية لأجل الخلاص وننظر امركم بان خلصتم بالعزم والقوة من غير تأخير في أيام قلائل فذلك المراد وكلامكم حق وان تأخرتم وتراخيتم فانتم أدرى بنفوسكم وإلا بان صدقتم بما مقالتم وخلصتم بالعزم فانكم خدام وعليكم امان الله ورسوله لا تخافوا من شئ وهذا اخر الكتاب بيننا وبينكم وعليكم السلام وكتب عن اذن المعظم الأسعد السيد ابراهيم اغا ايده الله ونصره بمنه أمين اواخر جمادى الثاني سنة 1243هـ

الملحق رقم (14)

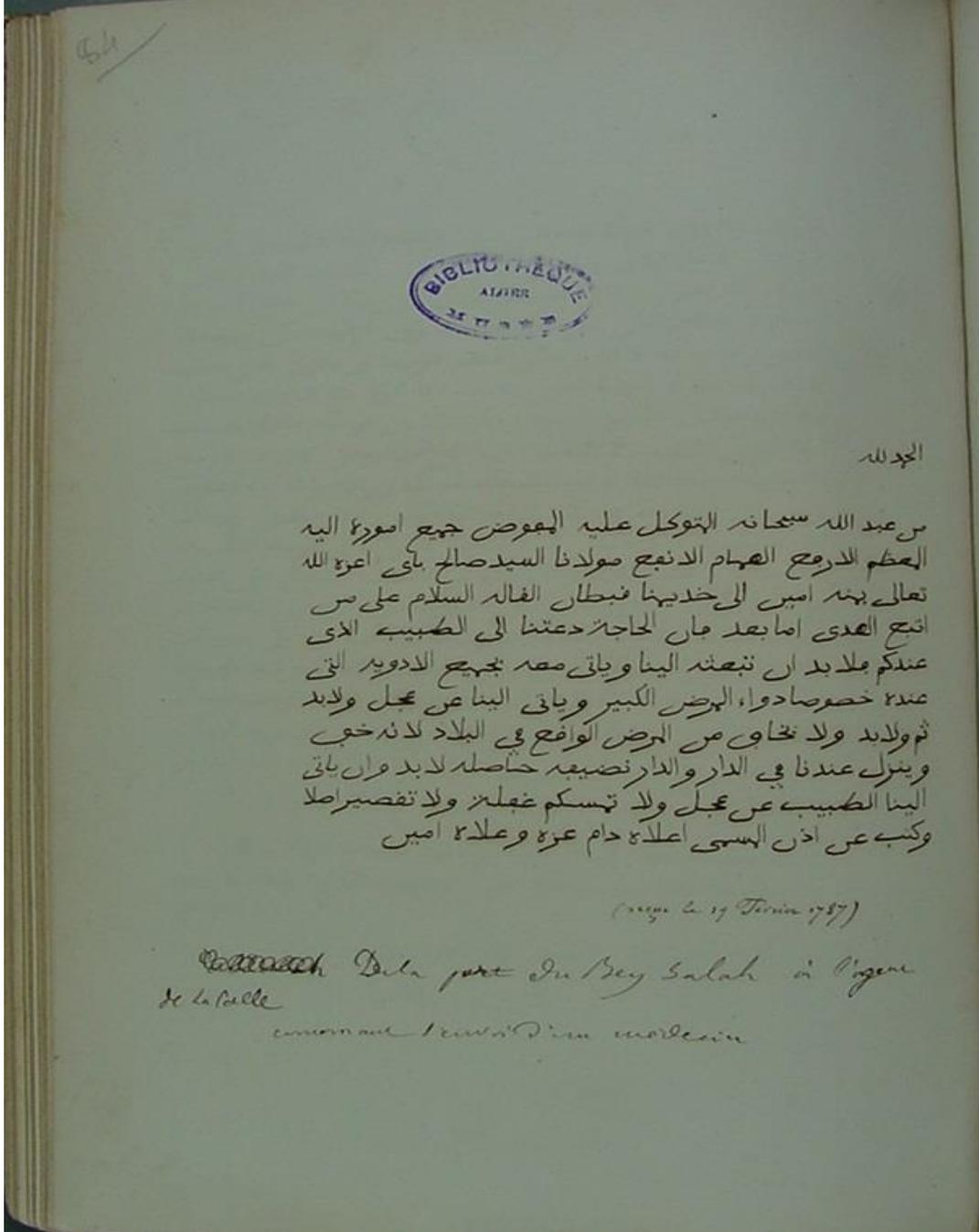
قيام بعض الجنود من الإنكشارية بقتل أشخاص من الأهالي في مدينة قسنطينة عاصمة بايك الشرق¹.



¹ - م.و.ج، المجموعة: 1642، الوثيقة رقم 30.

الملحق رقم (15)

حول إنتشار وباء الطاعون في مدينة قسنطينة سنة 1787م¹



¹ - م.و.ج، المجموعة: 1641، الوثيقة رقم 84.

إعادة كتابة الرسالة:

الحمد لله

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع أموره إليه المعظم الارفع الهمام الانفع مولانا السيد صالح باي اعزه الله تعالى بمنه امين الى خديمتنا قبطان القالة السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الحاجة دعتنا الى الطبيب الذي عندكم فلا بد ان تبعثه الينا ويأتي معه بجميع الادوية التي عنده خصوصا دواء المرض الكبير ويأتي الينا عن عجل ولا بد ثم ولا بد ولا يخاف من المرض الواقع في البلاد لانه خف وينزل عندنا في الدار والدار نضيفه حاصله لا بد وان يأتي الينا الطبيب عن عجل ولا تمسكم غفلة ولا تقصير اصلا وكتب عن اذن المسمى اعلاه دام عزه وعلاه امين

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

أولاً: الوثائق الغير منشورة:

1- وثائق الأرشيف الوطني ببئر خادم-الجزائر العاصمة (أ.و.ج):

1-1- رصيد خط همايون:

رقم العلبة	رقم (العدد) الوثيقة	التاريخ
01	390	1203هـ
05	55760	1205هـ
06	3374	1219هـ
07	16872	1231هـ
	48827	1230هـ
	44477	1230هـ
	31139	1230هـ
08	48979	1231هـ
09	40543	1236هـ
	22517	1234هـ
	22556	1232هـ
	34746	1236هـ
	38548	1237هـ
10	17216	1239هـ
11	22531	1240هـ
	22559	1240هـ
	32928	1240هـ
	32910	1240هـ
	40066	1240هـ
	39706	1240هـ
	22555	1240هـ
	28565	1241هـ

قائمة المصادر والمراجع

1241هـ	39315	12
/	58522	22
1246هـ	22530	/

1-2- رصيد المحاكم الشرعية:

رقم الوثيقة	رقم العلبة
.60،23	1/5
.08	1/9
.02	2/9
.44	1/19
.35،15،12	2/37
.66	38

1-3- رصيد دفتر مهم:

التاريخ	رقم الحكم	رقم الصحيفة	المهمة دفترية
978هـ	603	/	رقم 14
981هـ	246	92-91	رقم 24
982هـ	882	323	رقم 24
985هـ	471	199	رقم 30
985هـ	430	183	رقم 30
990هـ	326	/	رقم 46

2- وثائق الأرشيف الوطني التونسي (أ.و.ت):

رقم الوثيقة	رقم الملف	رقم الصندوق	نوع السلسلة
01	348	220	السلسلة التاريخية
03	348	220	السلسلة التاريخية

3- وثائق أرشيف ولاية قسنطينة-المدينة الجديدة علي منجلي-قسنطينة (أ.و.ق):

3-1- رصيد الوثائق والمراسلات المأخوذة من أرشيف تونس:

-الرسالة رقم: 12، 16، 19، 72.

3-2- رصيد سجلات المحاكم الشرعية:

- سجل الزواج والطلاق: السجل 03، بتاريخ (1211هـ/1218هـ).

4-الرصيد العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية-الحامة-الجزائر العاصمة (م.و.ج):

رقم الوثيقة	الملف	المجموعة
.84، 66	/	1641
.04، 13، 21، 30، 03	/	1642
.54، 38، 12، 33، 41، 42، 43، 23	/	1903
،54، 41، 34، 32، 29، 30، 31، 20، 23، 13، 18، 19 ،80، 93، 94، 95، 101، 77، 76، 73، 74، 70، 55، 56، 57، 58، 59، 61، 67 ،115، 126، 125، 123، 122، 121، 102، 104، 108 138، 137، 133، 132، 146، 144، 143، 153، 151، 150، 159، 165، 166، 1 71، 176، 183، 185، 186، 188، 190، 191، 193، 194، 195، 196، 197، 20 212، 223، 235، 238، 240، 241، 242، 1مكرر، 202، 203، 205، 206، 207 ،261، 244، 246، 249، 259 ،342، 326، 328، 275، 282، 290، 295، 303، 311، 314، 315، 320، 321 ،456، 464، 344، 370، 371، 377، 380، 381، 397، 405	الأول	3190
،12، 10، 09، 04، 03، 02	الثاني	

02، 05، 09، 18، 22، 34، 46، 48، 58، 61، 03، 01، 08، 12، 21، 34، 44،	الأول	3204
07،	الثاني	
10،	الأول	3206
05، 02، 16، 38، 21،	الثاني	

ثانيا: المخطوطات:

- خوجة ابراهيم، ألبوم بأشعار الإنكشارية، رقم المخطوط: 1817، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر.
- خوجة حسان، تاريخ بايات وهران، رقم المخطوط: 1634، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر.
- المظماطي علي بن داود الشريف البوعناني، شرح تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار، رقم المخطوط: 218/07، مكتبة المسجد النبوي الشريف، المملكة العربية السعودية.
- مؤلف مجهول، أسماء حكام الجزائر، رقم المخطوط: 1637، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر.
- مؤلف مجهول، تاريخ مجيء الإسبانيين في المرة الثانية والثالثة إلى الجزائر، رقم المخطوط: 2285، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر.
- مؤلف مجهول، قاموس الألفاظ العسكرية، رقم المخطوط: 249، قسم المخطوطات، م.و.ج، الحامة، الجزائر العاصمة، الجزائر.

ثالثا: مصادر أولية منشورة (مطبوعة):

1- باللغة العربية:

- أ. ليسور. و- ويلي، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تح، تعل، تق، تر: محمد جيجلي، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2002.
- ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مرا وتح: يحي بوعزيز، (ط.خ)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- ابن العنتري محمد الصالح، مجاعات قسنطينة، تح، وتق: رابح بونار، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974.
- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، (د.ت).
- أصاف حضرة عزتو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1995.
- الأغواطي الحاج ابن الدين، رحلة الأغواطي في شمال أفريقيا والسودان والدرعية، تر. تح: أبو القاسم سعد الله، (ط.خ)، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- التلمساني ابن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، ضبط وتعل: خير الدين سعيدي الجزائري، ط1، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
- التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تح، تق: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د.ت).
- التمكروتي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تح، تق: محمد الصالحي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2007.
- الجزائري محمد بن الأمير عبد القادر، تُحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية - عرزوزي وجاويش - الإسكندرية، مصر، 1903.
- الجزائري محمد بن ميمون، التُّحفة المرضية في الدولة البكْدَاشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1981.
- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجمانني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. تق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
- الرِّباطي محمد الضعيف، تاريخ الضعيف، تح. تعل. تق: أحمد العماري، ط1، دار المآثورات، المملكة المغربية، 1986.
- الزبيري محمد العربي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1981.

- الزهار الحاج أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تح: احمد توفيق المدني، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974.
- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: تق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
- الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)، تح: تق: تعلق: ناصر الدين سعيدوني، ط1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- العسقلاني أحمد بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- الفاسي الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981.
- المرّاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: درا: يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهران من الأعراب كبنّي عامر، تح: تق: محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017.
- الورثيلاني الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد 01، ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008.
- بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، تر: تعلق: محمد دراج، ط2، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق: تعر: أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974.

- بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، تر. تق. تعل: أبو العيد دودو، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- بن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان، ج2، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.
- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تق، تعر، تح: محمد العربي الزبيري، منشورات (ANEP)، الجزائر، 2005.
- روسو البارون الفونص، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الإحتلال فرنسا للجزائر، تر. تح: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، (د.ت).
- زاده طاشكبرى، الشقائق العثمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1975.
- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعر، تق: اسماعيل العربي، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1982.
- شلوصر فندين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر. تح: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- فايسات أوجان، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية (1517-1837)، تر. تعر: أحمد سيساوي، مرا. تق: هارون حمادو، ط1، دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2019.
- كاثكارت جيمس لاندر، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: اسماعيل العربي، (د.م.ج)، الجزائر، 1979.
- كربخال مارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989.
- كوبريلي محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، تر، وتق: أحمد السعيد سليمان، أحمد عزت عبد الكريم، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ب)، (د.ت).
- كيري ماثيو، مُختصر في تاريخ الجزائر، تر: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2014.

قائمة المصادر والمراجع

- لهارد أنكه، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، نقله إلى العثمانية: علي رشاد، ترجمة إلى العربية: محمود علي عامر، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2017.
- مالتسان هاينريش فون، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، تر. تق: أبو العيد دودو، (ط.خ)، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصدير، تعل: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934.
- هابنسترايت ج.أو.، رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ- 1732م)، تر. تق. تعل: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، (د.ت).
- ابن العطار الحاج أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة، تج. تعل. تق: عبد الله حمادي، ط1، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011.
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، دراء، تج: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تق، تج، تعل: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2013.
- الوفرائي محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تصحيح: السيد هوداس، تم طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي سنة 1888.
- تيدنا، مذكرات تيدنا، ضمن كتاب: عميراوي أحميدة، (مترجم)، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2003.
- حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تج، تر: محمد حرب، تسنيم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، إسطنبول، تركيا، 2017.
- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تج، تق: رابح بونار، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1974.

-مؤلف مجهول، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، درا، تح: رياض بولحبال، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2010/2009.

2-باللغة الأجنبية:

-Don Diego de Haëdo, histoire des rois d'alger, Tr : De grammont, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1881.

-Don Diego de Haëdo, Topographie et histoire générale d'Alger, imprime à Valladolid en 1612 Traduit de l'espagnol par: MM. le Dr. Monneret et A. Berbrugger en 1870.

-Eloy Martín Corrales, Muslims in Spain 1492-1814 Living and Negotiating in the Land of the Infidel, Tr: Consuelo López- Morillas, BRILL, LEIDEN, Boston, USA, 1983.

-Laugier de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer et de ses revenus, police, justice, politique et commerce, Amsterdam ,1725.

-M. Renaudot, tableau du royaume de la ville d'alger, quatrième édition, librairie universelle de p. mongie aîné, paris, 1830.

-M.Walsin Esterhazy, domination turque dans l'ancienne régence d'alger, librairie de charles gosselin, paris, 1840.

-Pierre Dan, Histoire de barbarie et de ses corsaires, seconde édition, Imprimeur & Libraire ordinaire du roi, au Palais, aux Armes du Roi & de la Ville. , paris, 1646.

-Sander Rang, Ferdinand Denis, fondation de la régence d'alger, histoire des Barberousse, J. anglé, éditeur, et la librairie orientale de Mme dondy-dupré, paris, 1837.

-Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Tr : de l'anglais J. Mac Caethy, chez Marlin éditeur, Paris, 1830.

-Venture de Paradis, Alger au XVIIe siècle, édité par e fagnan, tadolphe Jourdan 4, place du gouvernement, Alger, 1898.

-Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII Siècle, mémoire et observation rassemblés et présentés par joseph, Ed sindbad, Paris, 1983.

رابعاً: المراجع:

1- باللغة العربية:

- إدريس فاضلي، المدخل إلى تاريخ النُظم، ط1، (د.م.ج)، الجزائر، 2006.
- أديب سمير، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط1، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، 1997.
- أزوتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مرا، تتق: محمود الأنصاري، المجلد 01، منشورات مؤسسة فيصل لتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988.
- الأمير بهاء، الدولة العثمانية والمغرب، ط1، (د.ن)، (د.ب)، 2020.
- التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989.
- الجمل شوقي عطاالله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1977.
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، (د.م.ج)، بن عكنون، الجزائر، 1994.
- الحسن عيسى، الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الإنهيار، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009.
- الحُصري ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1960.
- الحويلي عزام، الدولة العثمانية، ج2، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2015.
- الرديني يوسف عبد الكريم طه مكي، المؤسسة العسكرية العثمانية (دراسة تاريخية)، ط1، دار الحامد، عمان، الأردن، 2014.
- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1972.
- الزغبى محمد عبد المالك، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، ط1، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2010.

قائمة المصادر والمراجع

- الزواوي أبو يعلي، تاريخ الزواوة، مرا وتعل: سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
- السليمانى أحمد، النظام السياسى الجزائرى فى العهد العثمانى، (د.ن)، الجزائر، 1993.
- السنوسى الشيخ أحمد الأطرش، تاريخ الجزائر فى خمسة قرون، ط1، البصائر الجديدة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.
- السورى أبى مصعب، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ط1، بيت المقدس للنشر، (د.ب)، 2019.
- الشطشاط على حسين، نهاية الوجود العربى فى الأندلس، ط1، دار قوباء، القاهرة، مصر، 2001.
- الشناوى عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتزة عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1980.
- العبيدى على وآخرون، صفحات من تاريخ الجزائر (الوسيط/الحديث/المعاصر) دراسات تاريخية، ج1، ط1، النشر الجامعى الجديد، الجزائر، 2020.
- العسلى بسام، خير الدين بربروس والجهاد فى البحر (1470-1547)، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980.
- العقاد صلاح، المغرب العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993.
- العقاد عباس محمود، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2015.
- القبلى محمد، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط1، عكاظ الجديدة، المملكة المغربية، 2011.
- الكعاك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحديث إلى الاحتلال الفرنسى، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، 2003.
- المدنى أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط1، (ش، و، ن، ت)، الجزائر، (د.ت).

- المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- المصعبي فاطمة بنت عبد الله، الصرّة: دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام(1171هـ/1758م)، ط1، مركز تاريخ مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2018.
- الملي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، ط1، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت).
- إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر: جناح مسعود، مرا: حاج مسعود، دار القصبّة للنشر، الجزائر، 2007.
- إيقانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، تر: يوسف عطا الله، مرا وتق: مسعود ضاهر، ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1988.
- إينالجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد. م. الأرنؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 2002.
- بحري أحمد، الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الإجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج2، ط1، دار الكفاية، الجزائر، 2013.
- بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان، دخول الأتراك العُثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد سماعي، الجزائر، 1972.
- بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، ط1، دار الأمل، الجزائر، 2017.
- بن صالح قارة مبروك، تاريخ المدن والقبائل بالجزائر، مطابع رويغي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
- بن عامر أحمد، الدولة الحفصية (صفحات خالدة من تاريخنا المجيد)، ط1، دار الكتب الشرقية، سوسة، تونس، 1972.
- بن عتو بليروات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

- بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، ج1، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016.
- بن عميرة محمد، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، ط1، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- بن نادر الطيب، الجزائر حضارة وتاريخ (الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف)، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.
- بوشنافي محمد، الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016.
- بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني، ج1، ط1، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
- بوعبد الله جخدان، سقوط الدولة العثمانية في الجزائر نهاية القرن 18 وبداية القرن 19، ط1، دار الأيام، عمان، الأردن، 2018.
- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، (د.م.ج)، بن عكنون، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحي، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ط1، طُبِعَ بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
- بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830)، (ط.خ)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط1، (د.م.ج)، بن عكنون، الجزائر، 1999.

قائمة المصادر والمراجع

- بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.
- بوكراع لياس، الجزائر الرعب المقدس، تق: إرقيه بورج، تر: خليل أحمد خليل، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2003.
- بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ت).
- تميم نزار خالد، تاريخ الصناعة العسكرية وأهميتها في الفتوحات الإسلامية، ط1، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، 2019.
- جباره تيسير، تاريخ الدولة العثمانية (1280-1924م)، ط1، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، فلسطين، 2015.
- جليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.
- حداد حليم ميشال، عاطف عيد، قصة وتاريخ الحضارات العربية (تونس والجزائر) بين الأمس واليوم، النشر في جميع أنحاء العالم، بيروت، لبنان، 1998.
- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج3، ط2، دار الرشاد الحديثة، المملكة المغربية، 1994.
- حساني مختار وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 10هـ / 16م، (ط.خ)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.
- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، منشورات دار الحضارة، الجزائر، 2009.
- حسنين إبراهيم محمد، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2013.
- حسنين إبراهيم، سلاطين الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر 2014.

- حليم إبراهيم بك، الثُحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1988.
- حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، (ط.خ)، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013.
- حماش خليفة، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)، ط3، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2021.
- حماش خليفة، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، ط1، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2012.
- حماش خليفة، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب في العهدين العثماني والاحتلال الفرنسي (بالخزانة الحسينية والمكتبة الوطنية بالرباط)، ط2، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
- خلاصي علي، البحرية الجزائرية عبر التاريخ، المتحف المركزي للجيش، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، (د.ت).
- خلاصي علي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.
- خلاصي علي، جيجل تاريخ وحضارة، ط1، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2011.
- خنوف علي، السُلطة في الأرياف الشمالية لبابلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- خنوف علي، تاريخ منطقة جيجل قديماً وحديثاً، ط1، دار منشورات الأنيس، الجزائر، 2011.
- دحمانى توفيق، دراسة في عهد الأمان، ط1، الدار العثمانية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- دراج محمد، الجزائر في المصادر العثمانية، ط1، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر، 2017.
- دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)، تصدير: ناصر الدين سعيدوني، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

قائمة المصادر والمراجع

- درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- دوالي خديجة، الإدارة والقضاء في الجزائر العثمانية (1519-1830م)، ط1، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2022.
- راشد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004.
- ريمون أندري، المُدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1991.
- زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، دار موفم للنشر، الجزائر، 2010.
- سالم أحمد، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2011.
- سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تعر: عبد القادر زباديه، د.ط، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007.
- سحري محمد الطاهر، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2008.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.
- سعد الله أبو القاسم، مُحاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال)، ط3، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1982.
- سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1791-1830)، (ط.خ)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

قائمة المصادر والمراجع

- سعيدوني ناصر الدين، المهدي البوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012.
- سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، البصائر الجديدة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، ط2، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- سيدهم فاطمة الزهراء، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي، ج8، العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
- شريط عبد الله، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، الجزائر، 1965.
- شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، تر: جمال حمادنة، (د.م.ج)، الجزائر، 2007.
- شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (1519-1830)، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016.
- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.
- صحراوي فتيحة، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830)، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016.
- طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013.

- طوباش عثمان نوري، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة، تر: محمد حرب، ط1، دار الأرقم للنشر، إستانبول، تركيا، 2016.
- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط1، دار هومة، الجزائر، 2012.
- عبد القادر نورالدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.
- عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ط1، (د.م.ج)، الجزائر، 2013.
- عبد الوهاب حسن حسيني، خلاصة تاريخ تونس مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1995.
- عبيد مصطفى، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، (د.ت).
- علي عبد الله نبيل، الدولة العثمانية، ج2، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2018.
- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962- الجزائر خاصة-، ج2، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
- عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر، الجزائر، 2002.
- عيسى أحمد عبد العزيز علي، تاريخ العرب الحديث، ط1، مكتبة بستان المعرفة، مصر، 2012.
- غطاس عائشة وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، (ط.خ)، منشورات المركز الوطني للدارسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، جامعة دمشق، 1969.
- فراد محمد أرزقي، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية (1749-1949)، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.

- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، 2003.
- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 910-1206هـ / 1505-1792م، دار هومة، الجزائر، 2012.
- فيرو شارل، تاريخ جيجلي، تر: عبد الحميد سرحان، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2010، ص 09. - سليمان أحمد، تاريخ المدن الجزائرية، ط1، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- فيلاي كمال، تاريخ المغرب الحديث من فتح القسنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453-1837م)، ط3، دار الكسندر، قسنطينة، الجزائر، 2018.
- قازان نزار، سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية، ط1، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.
- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ط1، منشورات ميديا بلوس، الجزائر، 2005.
- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، (ط.خ)، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1987.
- كمالي اسماعيل، سكان طرابلس الغرب، تعر. تع: حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1997.
- كوران أرجمنت، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.
- كيرسي إدوارد شيفرد، تاريخ الأتراك العثمانيين، تر: أحمد سالم سالم، ط1، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، الدوحة، قطر، 2019.
- لويس برنارد، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تعر، تعل: سيد رضوان علي، ط2، الدر السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 1982.
- مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993.

- محرز أمين، الجزائر في عهد الأغاوات (1659-1671)، ط1، البصائر الجديدة، باب الزوار، الجزائر، 2013.
- مصطفى أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1986.
- معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بابلك الشرق الجزائري (من القرن 10هـ - 16م) إلى (13هـ - 19م)، (د.م.ج)، الجزائر، 2014.
- مياسي ابراهيم، قبسات من تاريخ الجزائر، ط1، دار هومة، الجزائر، 2010.
- نجم زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2010.
- هاشم هشام سوادي، تاريخ العرب الحديث (1516-1918) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن، 2010.
- هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- هلايلي حنفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007.
- وولف جون ب.، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر، تعل: أبو القاسم سعد الله، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1998.
- يحيوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة الاندلسيين (1492-1610م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011.
- أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- الطيب لسوس، قائمة مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2021.

2- باللغة الأجنبية:

- A. Berbrugger, les époques militaires de la grande kabilie, bastide, libraire-éditeur, Paris, 1857.
- A. Devoulx, TACHRIFAT Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p.58.
- A. Djevad Bey, état militaire ottoman depuis la fontion de l'empire jusqu'à nos jours, tr du turc : Georges Macridés, ernest leroux éditeur, paris, 1882.
- De grammont, Histoire d'alger sous la domination turque (1515-1830) Erneste le toux, éditeur 28, rue Bonaparte, paris, 1887.
- E.Cat, histoire de l'Algérie Tunisie- Maroc, adolphe jourdan ,libraire-éditeur, Alger, 1889.
- Ernest Mercier, histoire de constantine, J.Marle et f. biron , imprimeurs-éditeurs, constantine, 1903.
- L.Collas, l'empire ottoman jusqu'a la révolution de 1909, félix alcan, éditeur, paris, (s.d).
- Marcel Emerit, Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 21, année, N. 1, 1966.
- Moulay Belhamissi, marine et marins d'alger (1518-1830), tome01, bibliothèque nationale d'algerie, Alger, 1996.
- Mouloud Gaid, L'Algérie sous les turcs, 2eme édition Mimouni, Alger, 1994.
- Tal Shuval, la ville d'alger vers la fin du XVIIIe siècle. Population et cadre urbain, CNRS Édition, Paris, 1998.

خامسا: الرسائل والأطروحات الجامعية:

1- باللغة العربية:

- أقران ليلي، الحياة اليومية بمدينة الجزائر من خلال سجل التركات(1111-1113هـ/1699-1701م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية:2016/2017.

قائمة المصادر والمراجع

- التمالي عائشة، التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، السنة الجامعية: 2016/2015.
- العبد عزالدين، التجنيد الإلزامي في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير في الفقه الإسلامي، جامعة صباح الدين الزعيم، تركيا، (د.ت).
- العمر بديع، الجيش الروماني البري في الفترة الإمبراطورية 31ق.م- 284م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2010.
- الغازي أماني بنت جعفر بن صالح، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السنة الجامعية: 2004.
- الميلىق عبد القادر، العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال (القرن الثاني عشر هجري/الثامن عشر ميلادي- مقارنة سياسية)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجبالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2017/2016.
- أمقران حليلة، موقع المخزنية في النظام العثماني في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية: 2005/2004..
- بن جبور محمد، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م، رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2003/2002.
- بن عمار مصطفى، التحول السياسي في الجزائر العثمانية (1710-1830)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2016/2015.
- بن عمار مصطفى، الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2010/2009.

قائمة المصادر والمراجع

- بُودريعة ياسين، الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800) دراسة إقتصادية ومقاربة اجتماعية من خلال دفتر التركات، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2016/2017.
- بوديرة حياة، الملكية والمجتمع في منطقة فرجيوه خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2011/2012.
- بوسعيد أحمد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أحمد دراية، أدرار، السنة الجامعية: 2017/2018.
- بوطبة محفوظ، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2017/2018.
- بولجنت كيسة، المظاهر الحضارية في مدينة الجزائر بين القرنين (12-13هـ/18-19م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2018/2019.
- جلول المكي، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من (631 إلى 1263هـ/1234-1847م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1993.
- جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني (1520-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2017/2018.
- حفيان رشيد، الكوارث الطبيعية وأثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية: 2020/2021.
- حماش خليفة، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة (1798-1830م)، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988.

- خطاب فطوم، التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية (1800-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي الياابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2015/2014.
- خيراني ليلي، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1818-1830) دراسة مُسقة من مصادر أرشيفية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2013/2012.
- داود ميم، الثكنات الإنكشارية بمدينة الجزائر دراسة تاريخية ومعمارية وفنية - الثكنات العليا والسفلى نموذجاً-، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2008/2007.
- داود ميم، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية- تنظيمه وعدته- (1518-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2016/2015.
- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2014/2013.
- دكاني نجيب، الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وُردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر 10هـ- السادس عشر ميلادي 16، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2002/2001.
- رحموني عبد الجليل، العلاقة بين السلطة المركزية البايلكات في الجزائر العثمانية (1520-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة جيلالي الياابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2020/2019.
- رهيوي رجاء، ديات الجزائر صور وأبعاد (1671-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية: 2008/2007.
- سالمى عبد الهادي رجائي، الدبلوماسية الجزائرية في الفترة العثمانية (1518-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2020/2019.

قائمة المصادر والمراجع

- سحابات زهيرة، الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني (1628-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي الياابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2020/2019.
- سحابات زهيرة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية (1518-1671)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي لياابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2015/2014.
- سرحان حليم، الأزياء العسكرية الزيانية والعثمانية بالجزائر (633-1246هـ/1235-1830م) من خلال النصوص التاريخية والوثائق الأثرية، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2016/2015.
- سعيدي خير الدين، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، السنة الجامعية: 2019/2018.
- سقور سناء عارف، عهد البكلركي (إمرة الأمراء) في إيالتي الجزائر (1518-1587م) وطرابلس الغرب (1551-1606) - دراسة مقارنة-، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، السنة الجامعية: 2018.
- شلبي شهرزاد، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني المؤسسات المالية أنموذجاً (1798-1830م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخصر، باتنة 01، السنة الجامعية: 2019/2018.
- شودار مبارك، الحملات الأوروبية على الإيالة الجزائرية وانعكاساتها فيما بين (1671-1830) في الأرشيف الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي الياابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2020/2019.
- شويتام أرزقي، المُجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2006/2005.

قائمة المصادر والمراجع

- صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية: 2011/2012.
- عطية محمد، الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية 1587-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجبالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2014/2015.
- عمريوي فهيمة، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م دراسة اجتماعية - إقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2008/2009.
- عمريوي فهيمة، أوقاف الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر من 1009 إلى 1246هـ/1600-1830م، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2017/2018.
- عياشي بلقاسم، العلاقات الاجتماعية والإقتصادية بين الجماعات السكانية لمجتمع المدينة في الجزائر العثمانية، أطروحة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2018/2019.
- غراف هجيرة، السلطة والمؤسسة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1671م)، أطروحة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران 01، السنة الجامعية: 2020/2021.
- فتيسي نادية، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1830م/1179-1245-1246هـ) - الأوضاع السياسية والإقتصادية نموذجاً -، أطروحة دكتوراه (ل.م.د) في التاريخ العام، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، السنة الجامعية: 2017/2018.
- فلوح عبد القادر، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1233-1246هـ/ الموافق لـ 1818-1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2004/2005.

- قاسمي زيد، قيادة سيباو (1132هـ/1720م-1247هـ/1857م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2007/2006.
- كرميش عزوز، الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أحمد بن بلة، وهران 1، السنة الجامعية: 2016/2015.
- كشرود حسان، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659م إلى 1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2008/2007.
- كعوان فارس، النظام العثماني والفئات الإجتماعية في الجزائر " الكراغلة نموذجا" (1629-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2005/2004.
- كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الاوسط، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية: 2007/2006.
- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1990/1989.
- لعبيدي علي، الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2019/2018.
- مبارك فاهيمة، بلاد زواوة في ظل الحكم العثماني (1511-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2016/2015.
- محرز أمين، أوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م) دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفاقر الموجبات، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، السنة الجامعية: 2020/2019.

قائمة المصادر والمراجع

- مُصطفى أحمد نعمة، النظام الحربي في الدولة العثمانية (1298-1908)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة النيلين، السودان، السنة الجامعية: 2017.
- معاشي جميلة، الإنكشارية والمجتمع ببابليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2008/2007.
- مقصودة محمد، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2014.
- موساوي القشاعي فلة، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2001.
- ميلودي محمد، الموظفون في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه (ل، م، د) في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2019/2018.
- ميلودية جبور، ظاهرة الإغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر 1519-1830، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران 01، السنة الجامعية: 2015/2014.
- نفطي وافية، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة 01، السنة الجامعية: 2017/2016.
- يُوسفي صرهودة، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر (1700-1830)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، السنة الجامعية: 2018/2017.

2- باللغة الأجنبية:

- Charles-André Blain, Questions de sources : les janissaires ottomans dans les récits de voyage européens au XVIIIe siècle, Mémoire grade de de maître ès arts en histoire, Département d'histoire Faculté des arts et des sciences, Université de Montréal, 2017.

- Nahum Weissmann, Les Janissaires étude de l'organisation militaire des ottomans, Thèse pour le doctorat d'université présentée a la faculté des lettres de Paris, Paris, 1983.

سادسا: الدوريات:

1-باللغة العربية:

- أبلالي أسماء، "التحريشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م - قراءة في الدوافع والنتائج-"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع02، جامعة غرداية، 2017.
- أجتو علي، "الدولة الجزائرية الأولى" PEA (1830-1514) دراسة مؤسسية-الوضع العامة للمغرب الأوسط قبل قيام ال PEA وحتى مغادرة خير الدين الجزائر سنة 1533"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، ع02، السنة 1994.
- التميمي عبد الجليل، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، ع06، تونس، جويلية/ يوليو 1976.
- السعدوي ابراهيم، " أسباب التوتر بين أتراك الجزائر وحكام تونس"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع37-38، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، دسمبر 2008.
- الشمري غازي جاسم، " النظم العسكرية في صدر الإسلام والدولة الأموية"، مجلة عصور، مج12، ع01، جوان 2013.
- الطريفي طلال بن خالد، " ضريبة الغلمان(الدوشرمة) في عصر الدولة العثمانية"، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع38، السنة 2019.
- العايبي محمد، بن موسى، " المجموعات العسكرية غير النظامية الداعمة للجيش التونسي (1574-1831م)"، مجلة الإحياء، المج21، ع28، جانفي 2021.
- العبيدي سمير عبد الرسول، " الحملات الإسبانية على الموانئ الجزائرية (1505-1510)"، مجلة العميد، المج08، ع31، السنة الثامنة، 2019.
- الغربي غالي، " ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن التاسع عشر"، مجلة الدراسات التاريخية، المج07، ع01، 1997.

- المشهداني مؤيد محمود حمد، رمضان سلوان رشيد، " أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)", مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج05، ع16، مارس 2013.
- الواعر صبرينة، " الغزو الإسباني للمدن والموانئ الجزائرية وهران والمرسى الكبير أنموذجا 1505-1792", مجلة البحوث التاريخية، المج04، ع01، مارس 2020.
- آيت حبوش حميد، " الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر العثمانية", مجلة القرطاس، ع02، جانفي 2015.
- بالحاج معروف، " أوضاع الجزائر الإجتماعية والإقتصادية خلال القرنين 16 و17م", مجلة الآداب، ع12، أكتوبر 2007.
- بحري أحمد، " العادات الإجتماعية في جزائر الدايات", مجلة الحضارة الإسلامية، المج15، ع23، ماي 2014.
- بخدة الطاهر، " دور العثمانيين الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة", مجلة عصور جديدة، ع11-12، خريف- شتاء (فبراير)، 2013-2014.
- بركات كمال، بوعقادة عبد القادر، " جرائم الانحراف الجنسي في مجتمع المغرب الإسلامي من خلال وصف إفريقيا للوزان(10هـ/16م)- قراءة في البواعث والإجراءات-", مجلة عصور جديدة، المج10، ع02، جوان 2020.
- بكرة مريم رزاق، " أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعاث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث", مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج1، ع03، نوفمبر 2015.
- بك محمد، " الأفعال الإجرامية والتجاوزات في الجزائر خلال العهد العثماني", مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المج05، ع03، السنة 2019.
- بلال مريم، محمد دراج، العلاقات العسكرية بين الدولة العثمانية وإيالة الجزائر (1520-1830) التجنيد العسكري أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المج04، ع02، سبتمبر 2021.

- بلرنب منصور، " المؤسسات السياسية والإدارية الجزائرية في العهد العثماني (الجزء الثاني)", المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، المجلد 02، ع02، ديسمبر 1996.
- بلعربي خالد، مقنونيف شعيب، " ثورة التيجانية في بايلك الغرب الجزائر إبان القرن التاسع عشر-دراسة تاريخية أنثروبولوجية-"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 17، ع01، جانفي 2021.
- بلقاسم حدة، بعارسية صباح، " دور الهدايا السلطانية في تزويد إيالة الجزائر بالمعدات الحربية في العهد العثماني (926-1246هـ/1520-1830م)", مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، ع25، السنة 2023.
- بن أشنهو عبد الحميد، " الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط"، مجلة الأصالة، ع08، السنة الثانية ماي- جوان، 1972.
- بن بلة خيرة، حكام الجزائر في العهد العثماني من خلال الكتابات الأثرية، " مجلة آثار"، المجلد 11، ع02، السنة 2013.
- بن جبور محمد، " الوضع الاجتماعي للانكشارية الجزائرية وعلاقتهم بالطرق الصوفية قبيل الإحتلال الفرنسي"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع22، السنة 2014.
- بن جبور محمد، "التنظيم العسكري لإيالة الجزائر من خلال الكتابات الفرنسية (1671-1830)", المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، المجلد 02، ع01، جوان 2020.
- بن رمضان أحمد، " زاوية من عهد الفينقيين إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية"، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد 04، ع08، 2016.
- بن عتو بلبروات، " الداوي محمد بن عثمان باشا وسياسته (1766-1791)", مجلة عصور، ع06-07، جوان - ديسمبر 2005.
- بن عتو بلبروات، " بجاية من الإحتلال الإسباني إلى التحرير العثماني 1510-1554"، مجلة عصور الجديدة، ع7-8، خريف- شتاء 2012-2013.

- بن قاصير عبد الرؤوف، " الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر ونتائجها (1775-1792م)", مجلة المعيار، المجلد 27، ع04، السنة 2023.
- بن قويدر سامية، "لمحة عن ديار فحص مدينة الجزائر في العهد العثماني"، مجلة المفكر، المجلد 01، ع01، السنة 2017.
- بن نعماني سيد أحمد، "الأرشف العثماني المحفوظ في الجزائر وثيقة عهد الأمان 1748م أنموذجاً"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع15، السنة 2018.
- بن نعماني سيد أحمد، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض الوثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر" مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 01، ع01، جانفي 2013.
- بن يوسف نبيلة، "الرقابة والضبط في إيالة الجزائر العثمانية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع13، 2017.
- بوجلال قدور، "ثورة ابن الشريف في بايلك الغرب 1805-1813م"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04، ع02، سبتمبر 2021.
- بوحوص شهيناز، "الفرق العسكرية الجزائرية في جيش الإحتلال الفرنسي (1830-1990)", مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 05، ع03، السنة 2022.
- بودريعة ياسين، "أغا العرب بالجزائر المنصب السامي والطموح السياسي خلال مرحلة الدايات (1671-1830م)، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 07، ع01، السنة 2023.
- بوساحة الطيب، "نشأة وتطور الجيش الروماني من العهد الملكي إلى الإمبراطوري (التركيبية والتجنيد)", مجلة الإحياء، مج 21، ع28، جانفي 2021.
- بوشنافي محمد، "الداي علي خوجا وإصلاحاته (1817-1818)", مجلة عصور، ع03، جوان 2003.
- بوشنافي محمد، "تجنيد المتطوعين للجيش الإنكشاري الجزائري أثناء العهد العثماني من خلال الوثائق"، مجلة عصور جديدة، ع13، ربيع (أبريل) 1435هـ/2014م.

- بوشنافي محمد، "الداي حسين وسقوط الإيالة الجزائرية (1818-1830)، مجلة عصور، ع06-07، السنة جوان-ديسمبر 2005.
- بوشنافي محمد، "أوقاف الموظفين والجنود بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، المجلد01، ع01، السنة 2015.
- بوشيبية ذهبية، "الجيش الإنكشاري في إيالة الجزائر بين ثنائية المصادر المحلية والأجنبية"، مجلة مقون، المجلد08، ع04، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، جانفي 2018.
- بوشيبية فايزة، "التنظيم الإداري في بايلك التيطري خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد11، ع01، السنة 2010.
- بوطبة لخصر، "الصراع المسيحي الإسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16م-الإحتلال الإسباني للمدن الساحلية الجزائرية نموذجاً-"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع10، ديسمبر 2018.
- جبيري عمر، "العقيدة العسكرية للجيش العثماني في الجزائر من خلال نظام الدفشمرة أنموذجاً (1518-1830)"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد05، ع09، جوان 2019.
- جعني زينب، "ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807)"، مجلة عصور جديدة، ع18، أوت 2015.
- جوامع سالم، "الأخوة بربروس بين شرق وغرب المتوسط مطلع القرن 16م- قراءة جديدة في النشأة والمنجزات-"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد03، ع03، جوان 2020.
- جوامع سالم، زريوح عبد الحق، "أل بربروس وأل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16م (مقاربة تاريخية أنثروبولوجية)"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد16، ع02، جوان 2020.
- حراش مايسة، عبد المجيد قدور، "وُكلاء الجزائر في مدن الأناضول خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق الأرشيفية"، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد08، ع01، جامعة أم البواقي، مارس 2021.
- حماش خليفة، "تبادل الهدايا بين الجزائر والباب العالي في العهد العثماني"، مجلة دراسات أدبية وإنسانية، ع01، أبريل 2004.

- حمّاش خليفة، "تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع20، جانفي 2017.
- خدوجة بوشناق، "نظام التجنيد وحمل السلاح عبر التاريخ"، مجلة دراسات تراثية، ع05، ج1، السنة 2014.
- خروبي فتيحة، "بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين (1563-1792)"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، المجلد01، ع01، السنة 2014.
- داهش محمد علي، "العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث" حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ع18، جامعة الموصل، السنة 1995.
- داود ميم، "الفرق الإنكشارية في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع01، جانفي 2019.
- داود ميم، "تنظيم الجيش الاحتياطي بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية ودوره في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية"، مجلة عصور، ع32-33، جانفي-مارس، 2017.
- دريدي ريمة، "شخصية يحي أغا قائد الجيش الجزائري (1818-1828م)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد02، ع01، السنة 2020.
- دوالي خديجة، "إسهامات الكراغلة في بناء الجزائر العثمانية"، مجلة الخلدونية، المجلد10، ع01، السنة 2017.
- دوالي خديجة، "الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية (911-917هـ / 1505-1511م)"، مجلة القرطاس، ع06، جوان 2017.
- دين قاده، "الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، مجلة عصور جديدة، المجلد07، ع27، السنة 2017.
- رحموني عبد الجليل، "الجيش النظامي في الجزائر العثمانية من خلال المجلة الإفريقية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد08، ع01، جوان 2016.

- رشيد رمضان سلوان، " إشكالية العلاقات البريطانية الجزائرية (1580-1816م)", مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 33، ع 01، السنة 2016.
- رفاف شهرزاد، " القبيلة خلال العهد العثماني ديناميكية الخضوع والتمرد (نموذج قبائل الغرب الجزائري)", مجلة المعيار، المجلد 25، ع 53، السنة 2021.
- سعد الله أبو القاسم، "النشاط العسكري والتجاري للجزائر في القرن 18م (12هـ)", المجلة التاريخية المغربية، ع 33-34، تونس، جوان 1984.
- سعيداني محفوظ، " القوى المحلية دورها في تثبيت الحكم العثماني في بلاد المغرب (ق 18- 19م)", مجلة دراسات تراثية، ع 05، السنة 2014.
- سعيدوني ناصر الدين، " الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس- طرابلس الغرب)", حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع 31، السنة 2010.
- سعيدوني ناصر الدين، " فحص مدينة الجزائر-نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال -", مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 01، ع 01، السنة 1986.
- سعيدوني ناصر الدين، " وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها", المجلة التاريخية المغربية، ع 07-08، تونس، جانفي 1977.
- سعيدي خير الدين، " دراسة تحليلية لكتاب مرآت الجزائر لعلي رضا باشا الجزائري من العهد العثماني إلى الاحتلال الفرنسي", مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، ع 27، السنة 2018.
- سلطاني أحمد، " الحوانيت والمرافق العامة في مدينة الجزائر العثمانية", مجلة الحوار المتوسطي، ع 07، ديسمبر 2014.
- سمراء غربية، "الشباب والتجنيد التطوعي دراسة في علم الاجتماع العسكري", مجلة الحقيقة، ع 34، (د.ت).
- شعباني بدر الدين، الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 02، ع 04، جويلية 2020.

- شودار مبارك، "لمحة عن الأوضاع السياسية للجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع04، ديسمبر 2016.
- شوقي عبد الكريم، "الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي"، المج12، ع01، مجلة الحوار المتوسطي، أبريل 2021.
- شويتام أرزقي، " دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519-1830)", مجلة آفاق وأفكار، المج03، ع04، السنة 2013.
- شيخ فطيمة، "الداي حسين آخر شخصية عثمانية تحكم الجزائر"، مجلة الحوار المتوسطي، المج06، ع02، السنة 2015.
- صحراوي عبد القادر، "ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع15-16، مارس 2017.
- صديقي بلقاسم، "بدايات الوجود العثماني بالجزائر (1505-1519)", مجلة مشكلات الحضارة، المج08، ع02، جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2020.
- صديقي بلقاسم، بن يطو عبلة، "الإدارة المركزية والإقليمية بالجزائر العثمانية (1519-1830)", مجلة المفكر، المج07، ع01، السنة 2023.
- طالبي علي، بن شرقي حليلي، "جغرافية منطقة الاغواط وأثرها في رسم علاقة التمرد ضد السلطة العثمانية (ما بين سنتي 1730-1145هـ/1830-1245هـ)", المجلة التاريخية الجزائرية، المج06، ع02، السنة 2022.
- عامر محمود، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات تاريخية، ع117-118، كانون الثاني-حزيران، سنة 2013.
- عباس تركي، "الأدوار العسكرية والأمنية لفرقة زواوة خلال العهد العثماني 1519-1830"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المج04، ع01، جانفي 2022.

- عبو ابراهيم، " الثورات المحلية ضد الحكم العثماني بالجزائر ثورة ابن الأحرش -أنموذجا-، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، المجلد 01، ع01، السنة 2015.
- عطية محمد، " محن الجزائر في عهد الداوي عمر (1815-1817) ومواقفه منه"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع13، جوان 2017.
- عطية محمد، " ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 07، ع01، السنة 2022.
- عقيب محمد السعيد، مقدم عمر، " قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 09، ع02، 2018.
- عقيب محمد السعيد، " دور خيرالدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر"، مجلة البحوث والدراسات، ع13، السنة 09، شتاء 2012.
- عمريوي فهيمة، " الداوي علي خوجا (1817-1818) وأثار سياسته على الحكم العثماني بالجزائر"، مجلة الباحث، المجلد 14، (ع.خ)، السنة 2022.
- عمريوي فهيمة، " مظاهر من التنظيم العسكري في الجزائر أثناء الفترة العثمانية- مؤسسة المحلة أنموذجا-، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع02، جويلية 2019.
- عمريوي فهيمة، " إسهام الجيش الإنكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي"، مجلة العلوم الإنسانية، ع41، السنة 2014.
- غطاس عائشة، " مظاهر من الحياة اليومية للجيش الإنكشاري في الجزائر في أواخر العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع35، تونس، نوفمبر 2007.
- فلوح عبد القادر، " دور وكلاء الجزائر في تجنيد المتطوعين لصالح إيالة"، المجلد 01، ع02، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جويلية 2019.
- كنتور رابح، " التأثيرات الإجتماعية والإقتصادية بين العثمانيين والجزائريين (1519-1830)"، المجلة المغربية للمخطوطات، المجلد 15، ع01، أكتوبر 2019.

- كنتور رايح، " الجيش الإنكشاري في الجزائر بين 1519-1830"، مجلة أفكار وأفاق، المجلد 09، ع02، السنة 2021.
- كنيوة هيبه، شافو رضوان، " مساهمة البحرية الجزائرية في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر 17م"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 12، ع02، السنة 2021.
- محرز أمين، "إطلالة جديدة على كراغلة واد الزيتون"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 06، ع02، ديسمبر 2022.
- مختاري علي، " الطاعون في الجزائر بين 1700-1830"، مجلة أفاق فكرية، المجلد 09، العدد 02، السنة 2021.
- مراح ليلي، بوحبيب حميد، " صورة الجزائر من خلال مخطوط لأشعار الإنكشاريين بالجزائر العثمانية (1830-1516)", مجلة دراسات تاريخية، المجلد 10، ع02، السنة 2022.
- مروان محمد عمر، " الإنكشارية قوة الدولة العثمانية وضعفها"، المجلة العلمية لكلية التربية، المجلد 02، ع08، جامعة مصراتة، ليبيا، يونيو 2017، ص 336.
- معاشي جميلة، " اندماج الإنكشارية في المجتمع الجزائري: مدينة قسنطينة نموذجاً"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع37-38، السنة التاسعة عشر، ديسمبر 2008.
- معروف محمد، " مفهوم المخزن"، مجلة أمل، المجلد 15، ع33، السنة 2008.
- مقنوش كريم: " الصراع الجيوسراتيجي على قاعدة المرسى الكبير في البحر الأبيض المتوسط - قراءة تاريخية-، دورية كان التاريخية، ع37، السنة العاشرة، سبتمبر 2017.
- مواس نورة، " التجنيد عند الرومان أوائل العهد الإمبراطوري الثاني"، مجلة هيروdot للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، ع02، جويلية 2021.
- ناقل عائشة، ولد النبية كريم، " فرق الصبايحية واستغلالها داخل الاستراتيجية الاستعمارية في الجزائر (1830-1845)", المجلة الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، المجلد 12، ع01، نوفمبر 2019.

- ناقل عائشة، ولد النبية كريم، "استغلال وظيفة أغا العرب في بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1845م)", مجلة أفاق فكرية، المجلد 10، ع01، السنة 2022.
- هجيرة غراف، "مسار العلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية من خلال أنموذج إيالة الجزائر العثمانية"، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 2، ع04، ديسمبر 2020.
- هلايلي حنفي، "محاولة إيالة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي بين الطموحات الاستراتيجية والإخفاق السياسي"، مجلة الحوار المتوسطي، ع05، 2013.
- هلايلي حنفي، "أضواء جديدة حول تكتات الجيش الإنكشاري في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 09، ع03، ديسمبر 2018.
- هلايلي حنفي، "التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 09، ع01، مارس 2018.
- هلايلي حنفي، "الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 21، ع01، 2006.
- هلايلي حنفي، "الحياة الإجتماعية للجيش الإنكشاري في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار الفكري، ع06، السنة الرابعة، ديسمبر 2004.
- هلايلي حنفي، "فقدان الأهمية العسكرية للجيش الجزائري أواخر العهد العثماني - الأسباب والنتائج"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 03، ع02، جويلية 2021.
- يوسف إلهام، صقر ولاء علي، التشكيلات العسكرية العثمانية في الجزائر (1518-1587)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 41، ع01، السنة 2019.
- يوسف أمير، "الواقع الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)", مجلة قضايا تاريخية، ع01، السنة 2016.
- يوسف صرهودة، "وكلاء إيالة الجزائر في أزمير أواخر الحكم العثماني: دراسة في الأدوار والمهام"، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، المجلد 21، ع02، جامعة باتنة 1، ديسمبر 2020.

قائمة المصادر والمراجع

- يُوسفي صرهودة، "مكانة وظيفة أغا العرب في إدارة إيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 15، ع02، السنة 2022.
- الحاج موسى بن عمر، " محطات تاريخية حول الإنتقال السياسي للجزائر من الحكم الزياني إلى النظام العثماني"، مجلة الباحث، ع16، (د.ت).
- المازري بديرة" حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر"، مقال في كتاب جماعي، حول: الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1988.
- أمين محمد، "ملاحظات حول سياسة التهميش ووضع المهتمشين بولاية الجزائر العثمانية"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع25، زغوان، تونس، أوت 2002.
- بن قايد عمر، "أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، السنة 2012.
- داود ميمم، "تكنات الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر دراسة تاريخية ومعمارية وفنية لتكنة العليا"، مجلة آثار، المجلد 13، ع02، جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2015.
- رزايقية حنان، "العلاقات الجزائرية-التركية بين الإرث التاريخي والتحديات الراهنة"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع10، جانفي 2017.
- شعوب كامل نصيف، "التعاون العسكري الجزائري العثماني (1792-1830)"، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 27، ع06، جامعة بغداد، 2016.
- طوبال فاطمة الزهراء، "ظاهرة التدخين في الكتابة التاريخية في العهد العثماني مخطوط" محدد السنان" لابن الفكون أنموذجا"، مجلة الراصد العلمي، ع05، ماي 2018.

2-باللغة الأجنبية:

- Berbrugger. A , « la mort du fondateur de la régence d'Alger», in R.A, N°04, Alger, 1860.

- Berbrugger. A, « Les casernes des Janissaires à Alger », in R.A, N°03, Alger, 1858.
- Boyer Pierre, « la révolution dite des "Aghas "dans la régence d'alger (1659-1671) », in: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°13-14, 1973.
- Boyer Pierre, « Le problème Kouloughli dans la régence d'Alger », in: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°08, 1970.
- Deny.J, « les registres de solde des janissaires conservés à la bibliothèque nationale d'alger», in R.A, N°61, Alger, 1920.
- Devoulx, A. « assassinat du pacha Mohammed tekelerli», in R.A, N°15 Alger, 1871.
- Devoulx, A. « Les casernes des Janissaires à Alger », in R.A, N°03, Alger, 1858.
- Devoulx, A. « recherches sur la coopération de la régence d'alger a la guerre de l'indépendance grecque (d'après des documents inédits) », in R.A, N°01, Alger, 1856.
- Ernest Watbled, « établissement de la domination turque en Algérie », in R.A, N° 17, Alger, 1943 .
- Ernest Watbled, «Documents inédits sur l'assassinat du pacha tekelerli», in R.A, N° 15, Alger, 1871.
- Jacques Lanfey, « Les ZAWA (IGAWAWEN) d'ALGERIE centrale. Essai onomastique et ethnographique », in: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°26, 1978.
- Kamel Filali, « du don et du present dans l'affirmation du pouvoir ottoman en algerie (1519-1830) », in: arabe historical review for ottoman studies, N°36, 2007 .
- Marcel Colombe, « contribution à L'étude du Recrutement de L'odjak D'Alger Dans les derniers années de la régence », in R.A, N° 87, Alger, 1943.
- Robin. N « note sur l'organisation militaire et administrative des tures dans la grande kabylie», in R.A, N°17, Alger, 1873.

-Zakia Zahra, «alger vue par la filie d'un consul anglais au debut du xixe siecie :Elisabeth broughton» in: arabe historical review for ottoman studies, N°28, 2003.

سابعاً: الموسوعات والمعاجم:

1-باللغة العربية:

- أبادي مجد الدين الفيروز، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، مج1، ط1، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008.
- البيطار فراس، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013.
- الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996.
- الشرقاوي أحمد وآخرون، جغرافية الممالك العثمانية، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2018.
- الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.
- المصري حسين مجيب، معجم الدولة العثمانية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2004.
- المغلوث سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، الكويت، 2014.
- أنور خضر عادل، أطلس تاريخ الجزائر، مرا: ناجي يحي، ط4، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2017.
- أوزتونا يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (1231-1922م)، تر: عدنان محمود سلمان، مرا وتثق: محمود الأنصاري، المج3، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010.

قائمة المصادر والمراجع

- بوصفصاف عبد الكريم وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004.
- تميم أسيا، الشخصيات الجزائرية مئة شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- حلاق حسان، صباغ عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999.
- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مرا: عبد الرزاق محمد حسن بركات، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.
- عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008.
- عوض سامي، مُعجم المُصطلحات العسكرية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015.
- كواتي مسعود، محمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومنتجة، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010.
- مسعود جبران، معجم الرائد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992.
- وهمان محمد أحمد، مُعجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1990.
- ابن المنظور محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).
- صالح سعداوي صالح، مصطلحات التاريخ العثماني معجم موسوعي مصور، المج01، دار الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة السعودية، 2016.
- 2-باللغة الأجنبية:**

-Mohammed Ben Cheneb, Mots turks ei persans conserves dans le parler algérien, ancienne maison; - Jocrd an jule8 carbonel imprimeur- libraire-éditeur, Alger, 1922.

ثامناً: الملتقيات والمؤتمرات:

- بوغدادة الأمير، "دور الأتراك العثمانيين في إنشاء مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة- الجيش أنموذجا- (1520-1830)", السجل العلمي لأعمال الملتقى الدولي - العلاقات الجزائرية التركية-، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 18-19 فبراير 2014.

- جميلة معاشي، " الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير"، أعمال الملتقى العلمي الأول -سسيولوجية الهجرة في تاريخ الماضي والحاضر، جامعة منتوري -قسنطينة، ماي 2008.

- حسن سعد نيفين مصطفى، دور الاخوين خير الدين باربروس وعروج في مقاومة الاستعمار الإسباني في شمالي إفريقيا، المؤتمر الدولي الخامس بعنوان "العرب والترك عبر العصور"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، مارس 2013.

تاسعاً: البحوث في المواقع الإلكترونية:

- أبو القمبز هشام، جدد شبابك بالتطوع، النسخة الأولى 2006- 2007، صيد الفوائد للنشر www.saaid.net، ص 11.

- أبو سويلم سندس، مفهوم التجنيد الإجباري، موقع موضوع الإلكتروني، التوقيت: 15:11، 2022/04/04.

- السرجاني راغب، " الجيش وتطوره في النظام الإسلامي"، موقع قصة الإسلام الإلكتروني، تاريخ النشر 16 ماي 2010- 12:07، تاريخ الاطلاع 12 جوان 2022- 11:34.

- عبد الرزاق أميرة، تسلسل تاريخي حكايات التجنيد المصريين من الفراعنة لمحمد علي، موقع شبابيك الإلكتروني، الساعة 15:00 زوالاً، يوم الخميس 2022/03/31م.

- عبد اللطيف خالد محمود، نظام التجنيد وتطوره عبر العصور، جريدة الصدى الإلكترونية، صحيفة موريتانية مستقلة شاملة صدر أول عدد لها عام 1998، 25 دسمبر 2017.

-موقع مجرة الإلكتروني، <https://hbrarabic.com>، تاريخ الإطلاع: 13 جوان 2022، الساعة: 16:22.

الفهارس

فهرس الأشكال:

الشكل رقم 1: يوضح انقسام البربر منذ بداية تاريخهم إلى مجموعة من القبائل : 213

الشكل رقم 2: يُمثل مُخطط التكوين المجتمعي للقبيلة في إيالة الجزائر خلال الفترة العثمانية: 226

فهرس الجداول:

- الجدول رقم 1: يمثل عدد المُجندين المتطوعين بإيالة الجزائر خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر (19) ميلادي..... 148
- الجدول رقم 2: يمثل بعض الإحصائيات الخاصة بأعداد المُجندين من أقاليم الدولة العثمانية خلال سنوات العقد الثالث (1825-1830م) من القرن التاسع عشر (19) ميلادي : 149
- الجدول رقم 3: يُمثل قيم العُملة المتداولة بالجزائر خلال العهد العثماني مقارنة بالعملة الأجنبية : 171
- الجدول رقم 4: يمثل قائمة بمتروكات بعض الجنود المُتوفين من نوبة مستغانم بيعت وُسُلمت مبالغها للحاج والي أغا : 177
- الجدول رقم 5: يمثل أهم من شغل منصب أغا الصبايحية في إيالة الجزائر خلال (1789-1830م) : 196
- الجدول رقم 6: يُوضح أهم النوبات التي جندت عناصر من الكراغلة للخدمة فيها : 208
- الجدول رقم 7: يُوضح أعداد القوات المخزنية الذين جُندوا في فترة حكم حسن باي (1827-1831) آخر بايات وهران حسبما ذكره أسترهازي (Esterhazy) وهي : 238
- الجدول رقم 8: يمثل مجموعة أفراد الإنكشارية بمختلف رُتبهم العسكرية حسبوا أملاكهم ضمن الوقف الخيري من خلال سجلات المحاكم الشرعية بالأرشييف الوطني الجزائري: 255
- الجدول رقم 9: يمثل مجموعة الأموال التي أرسلها يحي أغا العرب (1818-1828) إلى مدينة إزمير لفائدة التجار واليتامى وغيرهم : 257
- الجدول رقم 10: يُوضح مجموعة الدايات الذين تعرضوا للاغتيال من طرف فرقة الإنكشارية : ... 262

- إبراهيم باشا 261, 262 ,
 ابن الأحرش 104, 105, 106, 107, 108, 246, 353, 357, 382
 ابن الشريف الدرقاوي 105, 108, 110, 349, 382
 ابن العنتري 107, 285, 323, 324
 ابن المفتي 26, 327
 ابن المنظور 56, 64, 364
 أحمد الثالث 74, 75, 193
 أحمد الشريف الزهار بن 105, 106, 111, 113, 123, 132, 142, 220, 248, 255, 278, 286, 325
 أحمد بن سالم التيجيني 111
 أرزقي شويتام 55, 98, 104, 126, 212, 235, 236
 أرطغرل 29, 30, 49
 أرناؤوط أحمد 69, 83
 أسترهازي 239, 240, 368
 اسحاق 277
 إسماعيل بن أحمد الإنكشاري 205
 إسماعيل كمال 205
 الباي بوكابوس 110
 الباي محمد الكبير 70, 226, 238, 244, 245, 249, 267, 332
 الباي محمد المقلش 110
 الباي محمد باشا 253
 الباي مصطفى العجمي 109, 110
 الحاج أحمد باي ح 128, 137, 184, 197, 209, 237, 268, 276
 الحاج بكطاش 156
 الحاج حسين 48, 49, 50, 51, 78, 82, 92, 103, 125, 258, 380
 الحاج حسين خوجة 82
 الحاج خليل أفندي 68, 69, 71, 80, 82, 84
 الحاج مصطفى خوجة 75
 الداى أحمد باشا 74, 265
 الداى أحمد شلبي 253
 الداى الحاج علي باشا 115
 الداى بابا حسن 264
 الداى حسن باشا ل 134, 133, 73
 الداى حسين باشا ط, ك, م, س 68, 67, 66
 69, 71, 72, 73, 74, 76, 78, 79, 80
 82, 84, 88, 90, 92, 93, 94, 95
 103, 104, 112, 115, 116, 117
 118, 120, 122, 125, 126, 127
 128, 133, 134, 135, 137, 143
 144, 145, 174, 175, 176, 177
 182, 183, 184, 185, 197, 198
 220, 222, 268, 272, 278, 282, ش
 الداى دالي براهيم 264
 الداى شعبان 208, 219
 الداى عبيدي باشا 164, 197

- 340, 341, 347, 349, 350, 352, , الداي علي الغسال 265 ,
 354, 357, 358, 362, 368, 380, , الداي علي خوجا, 66, 112, 113, 114,
 382, 383, 392 149, 181, 212, 219, 269, 278,
 , الرباط 43, 326 , 352, 357
 , الرومي 52, 93 , الداي عمر باشا, 66, 79, 112, 131, 132,
 , الشيخ أحمد التيجاني 110 , 133, 135, 138, 139, 182, 265
 , الشيخ سالم التومي 39, 43, 44, 45 , الداي محمد الخزناجي 265 ,
 , الفيروز آبادي 56 , الداي محمد بكداش 197, 264 ,
 , القالة ك, 318, 286, 277 , الداي محمد بن بكير 264 ,
 , القسطنطينية ع, 338, 34, 21, 20 , الداي محمد بن حسن 264 ,
 , الكاردينال خيمينيس 26 , الداي محمد بن عثمان باشا ع, 75, 74, 73,
 , الماركيز قوماريس 25 , 130, 131, 136, 142, 170, 176,
 , المدية 209, 240, 241, 271 , 189, 244, 249, 252, 265, 351
 , المرسي الكبير, 23, 25, 28, 188, 219, ق, 334
 358 , الدولة الزيانية, 20, 28, 46, ق, 334
 , المشرفي 27, 28, 325 , الدولة العثمانية, أ, ب, د, هـ, ك, ل, ف, 21,
 , المغرب, 1, 2, أ, د, ع, 20, 21, 23, 24 , 29, 30, 32, 41, 48, 49, 50, 51, 52,
 , 38, 37, 36, 34, 33, 29, 28, 27, 25 , 53, 54, 55, 63, 65, 67, 68, 70, 71,
 , 85, 77, 53, 50, 48, 47, 46, 41, 39 , 72, 73, 74, 76, 77, 78, 79, 81, 83,
 , 115, 111, 108, 106, 105, 104 , 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92,
 , 205, 204, 191, 188, 146, 130 , 93, 96, 101, 104, 114, 115, 119,
 , 255, 251, 250, 219, 215, 206 , 121, 122, 123, 124, 125, 127,
 , 329, 326, 279, 275, 262 , 128, 129, 132, 138, 136, 135,
 , 338, 337, 335, 333, 331, 330 , 139, 140, 141, 142, 143, 145,
 347, 350, 355, 359, 360, 379, 388 , 147, 149, 150, 153, 154, 155,
 , المغرب الأوسط, أ, د, 20, 21, 23, 24, 25 , 156, 157, 158, 159, 160, 161,
 , 53, 46, 41, 39, 38, 36, 29, 27 , 187, 191, 193, 196, 204, 205,
 379, 333, 204, 188 , 208, 211, 217, 231, 243, 262,
 , الملك الأمير أوثون 122 , 266, 267, 270, 284, 287, 288,
 , الملك مينا 58 , 326, 327, 329, 330, 331, ش, ث,
 , 339, 337, 335, 334, 333, 332 ش, ث,

- المولى إسماعيل 250, 251, 252 ,
 المولى محمد بن عبد الله 252 ,
 النمسا 55, 73, 93, 96, 121 ,
 الوفراني 37, 327 ,
 إليزابيت بروتون 268 ,
 اليونان 32, 67, 74, 121, 122, 143, 160, 287, 382, 383
 أمين محرز 6, 55, 88, 98, 146, 147, 168, 206, 209, 210, 261
 إنجلترا, ح, 266
 أورخان 153, 154, 155, 156, 157, 180, 193
 أورشليم 33 ,
 إيزابيلا 22 ,
 باب الواد 45, 189, 194, 264 ,
 باب عزون 45, 165, 194, 196, 384 ,
 بايزيد الثاني 33, 41 ,
 بايلك التيطري 171, 194, 199, 209, 217, 236, 241, 353
 بايلك الشرق, ك, 104, 105, 106, 128, 171, 194, 199, 237, 246, 239
 247, 269, 282, 316, 339, 353, 382
 بايلك الغرب, م, 108, 109, 111, 194, 199, 209, 238, 246, 248
 277, 351, 352, 354
 بجاية 26, 28, 36, 37, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 115, 208, 210, 215, 219,
 272, 243, 332, 351, 380
 بحر الروم 24, ق
 بحر إيجيه 92, 144, 157 ,
 بريطانيا 266 ,
 بسكرة 1, 2, 6, 99, 128, 141, 149, 210, 218, 237, 284, 364
 بلاد الأناضول 29, 30, 157 ,
 بلاد الهند 24 ,
 بلغاريا 160 ,
 بني صاف 238 ,
 بيار دان 147, 170, 171 ,
 بيدرو نافارو 26, 27, 28, 37, 43 ,
 تيدنا 275, 277, 282, 327 ,
 جبال جرجرة 214 ,
 جبل طارق 23, 78, 92 ,
 جزر البليار 46 ,
 جزيرة كريت 74, 78, 92, 95 ,
 جزيرة مديلي 31, 32 ,
 جعفر باشا 172 ,
 جنكيري 91 ,
 جنوة 35 ,
 جوروم 91 ,
 جيجل 36, 37, 38, 41, 42, 44, 106, 210, 215, 235, 261, 334, 335,
 380
 حاجي خليفة 49, 50, 52, 328 ,
 حسن قورصو 263 ,
 حسين باي 116, 117, 253 ,
 حلق الواد 35, 36, 37, 128 ,
 حمودة باشا الحسيني 105, 218, 219, 255 ,
 خليل سر قلق 68 ,
 خوجة حسان 108, 109 ,

- عبد الحميد الأول 67, 75, 130 ,
 عبد الله بن إسماعيل 108 ,
 عبيد الشراقة 239, 240 ,
 عثمان الثاني 123 ,
 عثمان باي 107 ,
 عثمان بن أرطغرل 153 ,
 عثمان بولدانلي 79 ,
 عرب أحمد 141 ,
 عروج 30, 33, 34, 35, 36, 37, 39, 40,
 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49,
 263, 327
 عزيز سامح التتر 31, 36, 42, 248, 285 ,
 علاء الدين 30, 41, 153, 155 ,
 علج علي باشا 141 ,
 علي باشا 166, 165, 138, 114, 73, س,
 384, 254, 253, 247, 246, 212, 176
 فاطمة بنت رايح الجيجلي 205 ,
 فاننور دي باردي 85 ,
 فرديناند 22, 39 ,
 فلة موساوي القشاعي 284, 285 ,
 كاتكارت 104, 163, 164, 167, 281,
 282, 326
 محمد الذباح 209, 217 ,
 محمد الرابع 66, 161 ,
 محمد الصالح بن العنتري 107, 232, 236,
 249
 محمد الضعيف 251, 324 ,
 محمد الفاتح 21, 31 ,
 محمد الكبير التيجاني 110 ,
 محمد باي بك 282, 245 ,
- خير الدين ب, ه, س, 30, 31, 32, 33, 34,
 35, 40, 44, 45, 47, 48, 49, 50, 51,
 55, 104, 112, 129, 165, 194, 207,
 217, 219, 222, 227, 243, ق, ر,
 296, 297, 324, 325, 330, 345,
 347, 349, 355, 364, 380
 دوغرامون ع, 33, 244
 دوفال 126 ,
 دوفو ع, 122
 رمضان بلوكباشي 261 ,
 رينوا 264, 265, 275, 277 ,
 زاهو بن كبيسة 26 ,
 سليم الأول 38, 41, 49, 50, 51, 52, 53,
 270, 146, 129, 128, 55, 349,
 سليم الثالث 73, 123, 131, 196, 245,
 279
 سليم الثاني 141, 281 ,
 سليمان القانوني 52, 55, 63, 76, 146,
 217, 263, 266
 سيمون بفايفر 115, 127, 206 ,
 شاو ع, 148, 265, 268
 شريف عبد الله قرمانلي 72 ,
 شلوصر 282, 283 ,
 صالح باي 207, 248, 249, 255, 277,
 286, 318, 338
 صالح رايس 43, 146, 219, 243, 263, ق,
 صرهودة يوسف 66, 68, 77, 78, 102,
 197, 198, 229, 230
 عبد الجليل التميمي 50, 52, 282, 339,
 360

- محمد بلكباشي 258 ,
 محمد بن الشريف العلوي 250 ,
 محمد بن الصخري 246 ,
 محمد بن سليمان الإنكشاري 205 ,
 محمد بن مصطفى 165 ,
 محمد تكلرلي 263 ,
 محمد جاوش 78, 135 ,
 محمد خسرو باشا 79, 116, 139, 145 ,
 محمد علي باشا 80, 300 ,
 محمود أفندي 76 ,
 محمود الثاني 67, 88, 117, 118, 123, 124, 125, 127, 132, 137, 138, 139, 140, 144, 145, 150, 154, 176, 177, 287
 محمود باي 79 ,
- محمود بن حاتم خوجة 74 ,
 مراد الأول 157, 158, 187, 193, 384 ,
 مراد باي 246, 247 ,
 مسلم بن عبد القادر الجزائري 108 ,
 مصطفى الثالث 73, 74, 130, 136, 142 ,
 مصطفى باشا 107, 108, 119, 131, 134, 150, 176, 264, 265
 مصطفى كرموسي 67, 95 ,
 مولاي العربي الدرقاوي 109 ,
 نابليون 73, 105, 126 ,
 هابنسترايت 164, 327 ,
 هايدو س, 37, 38, 44, 146, 164, 167, 179, 216, 218, 263, 279, 280
 ياسين بودريعة 197, 274 ,
 يعقوب بن يوسف 31 ,

فهرس الأماكن والبلدان:

,140 ,139 ,138 ,137 ,134 ,133	أدرنة93 ,
,185 ,173 ,145 ,144 ,143 ,142	أراغون21 ,
383 ر, 255	أرزيو238 ,
, 93, 159, 160	أرض الروم91 ,
البحر الابيض المتوسط215 ,	أرمينيا160 ,
البحر الأحمر59 ,	إزميت91 ,
البرتغال21 ,	إزمير66, 69, 71, 73, 74, 76, 77, 78, 79, 80, 82, 83, 84, 85, 90, 92, 94,
البنين43, 44, 46, 243 ,	103, 119, 120, 121, 122, 125,
البوسنة والهرسك160 ,	126, 127, 133, 134, 135, 138,
الجزائر العاصمة بي, 69, 107, 109, 168,	139, 140, 150, 183, 185, 196,
378 ,323 ,322 ,320 ,276 ,256 ,176	259, 285, 368
الجزيرة العربية60 ,	إسبانيا21, 23, 24, 25, 43, 47, 85,
الحاسي237 ,	146, 245, ت
أولكون78, 68 ,	إسطنبول49, 50, 66, 70, 74, 78, 95,
أيدن88 ,	131, 142, 328, 329
بولو91 ,	إسكي شهير91 ,
تلمسان20, 21, 24, 27, 46, 47, 48 ,	إفريقيا20, 22, 23, 25, 31, 32, 33, 43,
49, 113, 218, 251, 263, 333, 340	47, 49, 93, 113, 214, 225, 279,
تنس141 ,	325, 326, 327, 329, 333, 350,
تونس ط, ل, 33, 35, 36, 37, 40, 42, 49,	364, 381
,94 ,93 ,85 ,79 ,78 ,74 ,70 ,52 ,50	الإسكندرية29, 40, 49, 58, 68, 70, 71,
,117 ,116 ,115 ,114 ,106 ,105 ,95	78, 79, 80, 94, 95, 105, 118, 121,
,151 ,147 ,142 ,128 ,127 ,118	125, 127, 267, 324, 329, 334,
,213 ,208 ,206 ,185 ,180 ,164	335, 337, 343
,252 ,250 ,247 ,234 ,219 ,218	الباب العالي ط, ل, 66, 68, 69, 70, 71,
,284 ,282 ,270 ,255 ,254 ,253	,114 ,92 ,90 ,88 ,84 ,79 ,76 ,75
,327, 326 ,322 ,305 ,ت, 287 ,285	,132 ,131 ,127 ,121 ,117 ,116

- عين ماضي 110, 111 ,
 غرناطة 20, 22, 35, 38, ق, 340
 فتشا 88 ,
 فرجيوة 229, 237, 342 ,
 فرنسا 66, 67, 88, 93, 94, 105, 120, ,
 126, 128, 143, 150, 184, 191,
 253, 262, 326
 قارص 91 ,
 قرطاجنة 26 ,
 قرمان 91 ,
 قريوت 91 ,
 قسنطينة 6, 7, ح, ط, ك, ع, ف, 20, 34,
 99, 102, 105, 106, 107, 108, 113,
 114, 117, 128, 138, 141, 144,
 167, 177, 185, 200, 201, 205,
 207, 209, 210, 215, 218, 222,
 226, 229, 231, 235, 236, 237,
 246, 247, 254, 255, 268, 271,
 276, 282, 283, 285, 316, 317,
 322, 327, 328, 324, 323, ,
 347, 343, 342, 338, 334,
 348, 358, 363, 364
 قشتالة 21 ,
 قشنديل 93 ,
 قفقاسيا 91 ,
 قلعة بني راشد 189 ,
 قلعة بني عباس 189 ,
 قلعة سلطان 80 ,
 قونية 91, 30 ,
 مالطا 76 ,
- 329, 330, 332, 333, 337, 339,
 344, 349, 355, 357, 360, 388
 دلس 216, 46 ,
 دمياط 71 ,
 رشيد 52, 71, 78, 145, 266, 285, 286,
 287, 343, 350, 355
 رودس 33, 55, 88, 150, 160 ,
 روسيا 74, 75, 91, 121, 142, 143
 روما 59, 117 ,
 رومانيا 143 ,
 ساقر 78, 96, 134 ,
 سطيف 107, 253 ,
 سيواس 91 ,
 شرشال 44, 278 ,
 شمال إفريقيا أ, 20, 24, 38, 53, 79, 86,
 109, 214, 224, 285, ق, 350, 352
 صامصون 91 ,
 صربيا 160 ,
 صقلية 88 ,
 صوفيا 93 ,
 طرابزون 91 ,
 طرابلس 26, 28, 52, 74, 78, 93, 111,
 114, 115, 116, 205, 206, 215,
 338, 355
 طليطلة 20, 26 ,
 طوقات 91 ,
 عنابة 36, 37, 141, 155, 210, 218, ,
 284, 286, 335, 338
 عين البيضاء 237 ,
 عين الزيتون 237 ,

مصر , 21, 29, 32, 36, 40, 41, 47, 49,	مالقره 93 ,
50, 52, 53, 56, 58, 59, 71, 79, 80,	مدينة الجزائر ,ج, هـ, ط, ل, ن, ع, 26, 32,
91, 93, 94, 105, 114, 115, 118,	33, 39, 43, 44, 45, 46, 47, 50, 51,
121, 125, 159, 250, 268, 277,	53, 74, 76, 90, 93, 94, 95, 96, 97,
324, 325, 327, 329, 330, 334,	99, 104, 105, 113, 116, 119, 123,
335, 337, 339, 343, 362, 363, 364	126, 128, 129, 138, 140, 143, 151,
معسكر 277, 238, 109, 108, 99,	159, 161, 162, 163, 164, 165, 166,
مقدونيا 160 ,	172, 176, 178, 181, 184, 185, 186,
مليانة 277 ,	189,
مملكة الصرب 93 ,	
موره 144 ,	190, 205, 198, 195, 194, 192,
ميلة 236, 108 ,	211, 212, 215, 216, 220, 222,
واد الزيتون 358, 209, 206 ,	244, 247, 255, 256, 257, 258,
وادي الزهور 107 ,	260, 262, 263, 266, 268, 269,
وادي مينا 109 ,	271, 273, 274, 275, 278, 280,
واردار 31 ,	281, 282, 284, 285, 286,
وهران ,م, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 38,	325, 331, 334, 336, 337, 343,
46, 73, 89, 99, 109, 110, 111,	346, 348, 349, 352, 355, 359,
146, 176, 177, 196, 204, 215,	363, 382,
238, 239, 240, 244, 245, 263,	
267, 277, 284, 287, 323, 325,	مستغانم, 178, 175, 174, 116, 113, 99,
333, 342, 344, 347, 350, 368	218, 238, 278, 368

- الموحدين 24, 53, 227 ,
 المورسكيين 35, 36, 38, 379 ,
 اليهود 26, 212, 279, 280, 281 ,
 أولاد أحمد 239 ,
 أولاد العباس 239, 240 ,
 أولاد بوغرارة 239, 240 ,
 أولاد خضرة 240 ,
 أولاد خويدم 239, 240 ,
 أولاد سلامة 239, 240 ,
 أولاد عبد النور 238 ,
 أولاد قويدر 240 ,
 إيلولن 221 ,
 بنو زيان 27 ,
 بني سليمان 196, 199 ,
 بني شقران 239, 240 ,
 بني عامر 27, 227 ,
 بني غدو 239, 240 ,
 دوي الحسن 199 ,
 زارزة 237 ,
 زواغة 215, 216, 229 ,
 زواوة ,و, 36, 89, 114, 148, 207, 213 ,
 215, 216, 218, 219, 220, 221 ,
 222, 223, 224, 230, 243, 246 ,
 255, ت, ث, 347, 351, 357, 387 ,
 392
 سجرارة 239, 240 ,
 شارب الريح 239, 240 ,
 عكرمة 239, 240 ,
 فكرينة 237 ,
 فليسة 209, 248, 249, 388 ,
 قايى 29 ,
 مدفون 237 ,
 مسلولة 237 ,
 هاشم الشلف 199 ,

فهرس المحتويات:

اهداء

شكر وتقدير

..... مقدمة.

..... أسباب إختيار الموضوع:

..... أ-الأسباب الذاتية:

..... ب-الأسباب الموضوعية:

..... الإطار الزمني والمكاني للموضوع:

..... إشكالية الدراسة:

..... منهج الدراسة:

..... هيكل الدراسة:

..... التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

..... أولا: المصادر الأولية الغير منشورة (الأرشيف):

..... 1- الأرشيف الوطني الجزائري ببيئر خادم (أ.و.ج):

..... أ-دفتر خط همايون:

..... ب-فرمانات مهمة دفتري:

..... ج- سجلات المحاكم الشرعية:

..... 2-الأرشيف الوطني التونسي (أ.و.ت):

..... 3-الأرشيف الولائي بقسنطينة (أ.و.ق):

..... أ-وثائق المراسلات الأرشيفية:

..... ب- سجلات المحاكم الشرعية:

..... 4- أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة-الجزائر العاصمة (م.و.ج):

أ-الوثائق العثمانية:
ب-المخطوطات:
ثانيا: المصادر الاولية المنشورة (المطبوعة):
1-المصادر العربية:
2-المصادر الأجنبية:
الدراسات السابقة:
الصعوبات:
الفصل التمهيدي: الإخوة بربروس ودورهم في انضمام الجزائر للدولة العثمانية 19
أولا: التحرشات الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط: 21
1-الأسباب والدوافع: 21
1-1-الأسباب الدينية: 21
1-2-الأسباب السياسية: 22
1-3-الأسباب الاقتصادية: 23
2-احتلال الإسبان لبعض مدن المغرب الأوسط: 24
ثانيا: استنجد أهالي المغرب الأوسط بالإخوة بربروس: 28
1-أصل ونشأة الإخوة بربروس: 30
1-1-أصلهم: 30
1-2-نشأتهم: 33
2-نشاطهم بسواحل الحوض المتوسط: 34
1-2-الجهاد البحري ضد الأساطيل المسيحية: 34
2-2-نقل المورسكيين إلى الضفة الجنوبية للمتوسط: 35
3-تحرير بعض مدن المغرب الأوسط: 36

36	3-1-1- تحرير مدينة جيجل:
42	3-2- محاولة تحرير مدينة بجاية للمرة الثانية:
43	3-3- تحرير مدينة الجزائر:
47	ثالثا: الجزائر إيالة عثمانية:
47	1- دوافع خير الدين في إحقاق الجزائر بالدولة العثمانية:
48	2- بعثة الحاج حسين إلى السلطان العثماني:
51	3- تنصيب خير الدين على رأس السلطنة العثمانية بالجزائر:
54	الفصل الأول: عملية تجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية لصالح إيالة الجزائر.
56	-أولا: مُصطلح التجنيد: المفهوم والنشأة والتطور:
56	1- مفهوم التجنيد:
56	1-1- نُغمة:
57	1-2- إصطلاحًا:
57	2- نشأة نظام التجنيد وتطوره عبر العصور:
58	2-1- التجنيد في الفترة القديمة:
60	2-2- التجنيد في الفترة الوسيطة:
61	3- أساليب التجنيد وأنواعه:
61	3-1- التجنيد التطوعي:
63	3-2- التجنيد الإجباري (الإلزامي):
63	ثانيا: وكلاء الجزائر ودورهم في عملية تجنيد المتطوعين:
64	1- مفهوم الوكيل:
64	1-1- نُغمة:
64	1-2- اصطلاحا:

- 1-3- مفهوم مُصطلح الوكيل على ضوء الدراسة: 65
- 2- مهام وكلاء الجزائر في بعض الأقاليم العثمانية: 65
- 1-2- المهام الاستخباراتية: 65
- 2-2- المهام الدبلوماسية: 67
- 3-2- المهام الإقتصادية: 67
- 4-2- المهام الدينية: 70
- 5-2- المهام العسكرية: 71
- 3- الخان (الوكالة) ودورها في عملية التجنيد: 75
- 1-3- تعريف الخان (الوكالة): 76
- 2-3- موظفي الخان (الوكالة) ومسيرتها: 77
- 4- عملية تجنيد المتطوعين: 84
- 1-4- المسار التنظيمي لعملية التجنيد: 84
- 2-4- طرق التجنيد وأشكاله: 86
- 1-2-4- التجنيد الرسمي: 86
- 2-2-4- التجنيد الغير رسمي: 88
- ثالثا: ترحيل الجنود المتطوعين إلى إيالة الجزائر: 90
- 1- مدن وأقاليم تجنيد المتطوعين: 90
- 1-1- أقاليم قارة آسيا: 90
- 2-1- أقاليم قارة أوروبا: 92
- 3-1- أقاليم قارة إفريقيا: 92
- 2- عملية نقل المتطوعين والظروف المحيطة بها: 93
- 1-2- نقل المتطوعين بواسطة السفن الأوروبية: 93

94	2-2-نقل المُتطوعين بواسطة السفن الإسلامية:
95	2-3-نقل المُتطوعين بواسطة السفن الجزائرية:
96	3-وُصول المُتطوعين إلى مدينة الجزائر والشُّروع في تسجيلهم:
96	3-1-تسجيل المُتطوعين الجُدد لدى المقاطعجي:
97	3-2-العقاد العسكري الخاص بالمُتطوعين الجُدد ومهامهم:
99	الفصل الثاني: العوامل المتحكمة في تجنيد المُتطوعين لصالح الإيالة
100	أولاً: عراقيل عملية التجنيد:
100	1-العراقيل الداخلية:
100	1-1- تراجع الوضع المالي:
102	1-2-إنتشار وباء الطاعون:
103	1-3- قيام ثورات الطرق الصوفية:
104	1-3-1- ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق:
107	1-3-2- ثورة ابن الشريف الدرقاوي:
110	1-3-3- ثورة التيجاني:
111	1-4- سياسة التصفية للداي علي خوجا:
114	1-5- هُروب الجُند من الإيالة:
118	2-العراقيل الخارجية:
118	2-1- رفض أصحاب السفن الأجنبية نقل المُتطوعين:
120	2-2- قيام ثورة اليونان:
122	2-3- إلغاء الجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية:
125	2-4- الحصار الفرنسي على الجزائر:
128	ثانياً: تسهيلات عملية تجنيد المُتطوعين لصالح الإيالة:

- 1-تقديم الهدايا لمختلف الشخصيات النافذة في الدولة العثمانية: 128
- 1-1- سلاطين بني عثمان: 128
- 1-2-رجال الدولة في الباب العالي: 131
- 1-3-القبودان دريا: 132
- 1-4- وُكلاء إيالة الجزائر: 133
- 1-5- الدائيات: 134
- 2- تطبيق حُكام الإيالة للفرمان السلطاني: 135
- 2-1- فرمان بإجراء الاحتفالات بمناسبة ولادة أبناء سلاطين بني عثمان: 135
- 2-2- الامتثال لأوامر ونواهي السلطان العثماني: 137
- 3- التعاون العسكري الجزائري العثماني: 139
- 3-1-تجهيز عساكر الإيالة للمشاركة إلى جانب الأسطول الهمايوني في مختلف معاركه: 139
- 3-2- مشاركة الأسطول الجزائري في الحرب الروسية- العثمانية: 140
- 3-3- مشاركة الأسطول الجزائري في حرب إنفصال اليونان: 142
- ثالثاً: الإحصائيات الخاصة بأعداد الجنود المتطوعيين في الإيالة: 144
- 1-أعداد المُجندين خلال القرن السادس عشر(16) ميلادي: 145
- 2-أعداد المُجندين خلال القرن السابع عشر(17) ميلادي: 145
- 3-أعداد المُجندين خلال القرن الثامن عشر(18) ميلادي: 146
- 4- أعداد المُجندين خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر(19) ميلادي: 147
- الفصل الثالث: الجيش النظامي وهياكله على مستوى إيالة الجزائر 151
- أولاً: فرقة الإنكشارية: 152
- 1-فرقة الإنكشارية: المفهوم والأصل: 153
- 1-1- مفهوم مُصطلح الإنكشارية: 153

153	1-1-1-1 لغة:
153	1-1-2-1 اصطلاحا:
154	1-2-1 أصل فرقة الإنكشارية:
156	1-3-1 قانون السلطان مراد الأول لتنظيم فرقة الإنكشارية:
157	1-4-1 نظام الدفشمة:
160	2-تنظيم فرقة الانكشارية في إيالة الجزائر:
161	2-1-1 ثكنات الإنكشارية:
163	2-1-1-1 ثكنة المقرين:
163	2-1-2-1 ثكنة باب عزون:
164	2-1-2-3 ثكنة صالح باشا و ثكنة علي باشا:
164	2-1-2-4 ثكنة أوسطى موسى:
165	2-1-2-5 ثكنة يالي:
165	2-1-2-6 ثكنة إسكي (القديمة) و ثكنة يني (الجديدة):
166	2-2-رتب الإنكشارية ونظام الترقية:
166	2-2-1-البيولداش:
167	2-2-2-إسكي يولداش:
167	2-2-3-الأوضاباشي:
167	2-2-4-بولوكباشي:
168	2-2-5-وكيل الحرج:
168	2-2-6-الكاهية:
168	2-2-7-أغا:
169	2-2-8-منسول أغا:

- 170 2-3-أجور ومُرتبات الانكشارية:
- 178 3-خصائص فرقة الإنكشارية:
- 178 3-1- اللباس:
- 178 3-2- الأحكام القضائية بالنسبة للإنكشاري:
- 180 3-3- الرخص المُعطاة لجنود الإنكشارية:
- 180 3-3-1- رخصة بخصوص زيارة ذويهم وعائلاتهم:
- 182 3-3-2- رخصة بخصوص أداء مناسك الحج:
- 184 ثانيا: فرقة الطُوجية:
- 184 1-فرقة الطُوجية (المدفعجية): المفهوم والأصل:
- 184 1-1- مفهوم الطُوجية:
- 184 1-1-1- لُغة:
- 185 1-1-2- إصطلاحًا:
- 185 1-2- الأصل التاريخي لفرقة الطُوجية:
- 186 2-عناصر فرقة الطوجية:
- 186 2-1-صُناع المدافع:
- 187 2-2-صُناع البارود:
- 188 2-3-مستعملو المدافع:
- 189 3-المهام العسكرية لفرقة المدفعجية:
- 189 ثالثًا: فرقة فُرسان الصبايحجية:
- 190 1- فرقة الصبايحجية: المفهوم والأصل:
- 190 1-1- مفهوم فرقة فُرسان الصبايحجية:
- 190 1-1-1- لُغة:

190	1-1-2-إِصْطِلَاحًا:
191	1-2-الأصل التاريخي لفرقة فرسان الصبايحية:
192	2-طريقة تجنيد فرسان الصبايحية (السبايحية):
192	2-1-توزيع أملاك التيمار والزعاميت:
193	2-2-تجنيد قدماء عناصر الإنكشارية:
194	3-أنواع فرق فرسان السبايحية (الصبايحية):
194	3-1-فرقة فرسان الصبايحية الأتراك:
197	3-2-فرقة فرسان الصبايحية الأهالي:
197	4-مهام فرقة فرسان الصبايحية:
198	4-1-حماية الحواضر الكبرى:
198	4-2-تطبيق العدالة والأمن:
198	4-3-حماية الداي وأعوانه:
201	الفصل الرابع: الجيش الاحتياطي وهيكله على مستوى إيالة الجزائر
202	أولاً: فرقة الكراغلة:
202	1- الكراغلة: المفهوم والنشأة:
202	1-1- مفهوم مُصْطَلَح الكراغلة:
202	1-1-1-لُغَة:
203	1-1-2-إِصْطِلَاحًا:
204	1-2- نشأة وتطور فئة الكراغلة في إيالة الجزائر:
208	2- تجنيد فرقة الكراغلة في الجيش الجزائري:
208	2-1-دوافع تجنيد فرقة الكراغلة:
210	2-2-دور فرقة الكراغلة في الجيش الجزائري:

211	ثانيا: فرقة زاوة:
211	1-مُصطلح زاوة: المفهُوم والأصل التاريخي:
211	1-1-مُفهوم مُصطلح زاوة:
211	1-1-1-لُغة:
212	1-1-2-إِصطلاحًا:
212	1-2-الأصل التاريخي لزاوة:
215	2-تجنيد فرقة الزاوة في الجيش الجزائري:
215	2-1-دوافع تجنيد فرقة زاوة:
216	2-2-الدور العسكري لفرقة زاوة:
220	3-التنظيم العسكري لفرقة زاوة:
220	3-1-المهام العسكرية المُوكلة لفرقة زاوة:
221	3-2-الرواتب والامتيازات الخاصة بفرقة زاوة:
222	ثالثا: فرق قبائل المخزن:
222	1-مُصطلح المخزن: المفهُوم والأصل التاريخي:
222	1-1-مفهُوم المخزن:
222	1-1-1-لُغة:
224	1-1-2-إِصطلاحًا:
225	1-2-الأصل التاريخي للمخزنية (قبائل المخزن):
227	2-تجنيد قبائل المخزن في الجيش الجزائري:
227	2-1-دوافع التجنيد وعوامله:
229	2-2-التنظيم الإداري لقبائل المخزن:
231	2-3-المهام العسكرية لقبائل المخزن:

- 3- الفرق العسكرية المخزنية: 232
- 3-1- قبائل الزمول (العبيد): 233
- 3-2- قبائل الدواير: 233
- 3-3- القوم: 234
- 4- أهم القبائل المخزنية في البايكات الثلاث: 235
- 4-1- القبائل المخزنية التابعة لبايك الشرق: 235
- 4-2- القبائل المخزنية التابعة لبايك الغرب: 236
- 4-3- القبائل المخزنية التابعة لبايك التيطري: 238
- الفصل الخامس: آثار سياسة تجنيد المتطوعين على الأوضاع العامة لإيالة الجزائر . 240
- أولا: الآثار الإيجابية: 241
- 1- الجانب العسكري: 241
- 1-1- تحرير المدن والحُصون التابعة لإيالة الجزائر: 241
- 1-2- توحيد إيالة من التشتت الداخلي: 244
- 1-2-1- إخماد ثورة ابن الصخري: 244
- 1-2-2- إخماد تمرد فليسة: 246
- 1-2-3- إخماد تمرد بلاد الجنوب: 247
- 1-3- حماية الثغور البرية من التدخلات الأجنبية: 248
- 1-3-1- مساهمة الجيش الجزائري في مختلف المعارك ضد سلاطين المغرب الأقصى: 248
- 1-3-2- مساهمة الجيش الجزائري في مختلف المعارك ضد بايات إيالة تونس: 250
- 2- الجانب الديني: 253
- 2-1- أوقاف الجيش الإنكشاري: 254
- 2-2- إحسانات أغا العرب (الصبايحية): 257

258 ثانيا: الآثار السلبية:
258 1- الجانب السياسي:
258 1-1- الانقلاب العسكري على السُلطة:
260 1-2- اغتيال حكام الإيالة:
264 2- الجانب الاقتصادي:
264 1-2- العجز المالي للخزينة:
265 3- الجانب الاجتماعي:
265 1-3- سوء العلاقة بين الإنكشارية والأهالي:
268 2-3- مشكلة الكراغلة:
271 3-3- إنتشار الآفات الإجتماعية:
271 1-3-3- فاحشة الزنا:
276 2-3-3- الشذوذ الجنسي:
279 3-3-3- شرب الخمر:
281 4-3-3- تعاطي الدخان:
282 4-3- إنتشار وباء الطاعون:
..... خاتمة
296 الملاحق
319 قائمة المصادر والمراجع
366 فهرس الأعلام:
373 فهرس الأماكن والبلدان:
376 فهرس القبائل:
366 فهرس الأشكال:

367 فهرس الجداول:

378 فهرس المحتويات:

392 الملخص:

الملخص

تعالج هذه الدراسة موضوع جوهرى يتعلق بـ " سياسة تجنيد المتطوعين في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م"، وهو بذلك يعد من الموضوعات المهمة في تاريخ الجزائر الحديث لأنه يُوضح بشكل مفصل السياسة التي انتهجتها السلطة العثمانية بالجزائر في إعداد جيشها العسكري، وقد تم ذلك على ناحيتين الأولى والتي تعلق بتجنيد المتطوعين من أقاليم الدولة العثمانية، أما الثانية فقد تجسدت من خلال تجنيد المتطوعين من القبائل المحلية بالإيالة وعلى رأسها فرقة زواوة وقبائل المخزن، لكن القاسم المشترك بين الناحيتين هي تطبيق السلطة العثمانية لمجموعة من القوانين الصارمة من أجل التحكم في سير عملية التجنيد الخاصة بأولئك المتطوعين، لأن الهدف الأسمى الذي سعت إلى تجسيده من خلال انتهاجها لهذه السياسة هو لتحقيق الأمان والاستقرار للإيالة وحمايتها من مختلف الأخطار الخارجية التي كانت تُواجهها في كل وقت وحين.

الكلمات المفتاحية: التجنيد، التطوع، الجيش، الأناضول، القبائل المحلية، إيالة الجزائر، العهد العثماني.

ABSTRACT:

This study deals with a fundamental topic related to "The policy of recruiting volunteers in the Algerian army during the Ottoman era 1519-1830", which is thus one of the important topics in the modern history of Algeria because it explains in detail the policy pursued by the Ottoman authority in Algeria in preparing its military army, and this was done on two sides, the first was related to recruiting volunteers from the regions of the Ottoman Empire, and the second was embodied through the recruitment of volunteers from the local tribes in the Eyalet, led by the Zawawa Division and the Makhzen tribes, but The common denominator between the two sides is the application of the Ottoman authority to a set of strict laws in order to control the recruitment process for these volunteers, because the ultimate goal that it sought to embody through its adoption of this policy is to achieve safety and stability for the province and protect it from the various external dangers that it faced at all times.

Keywords: Conscription, Volunteer, Army, Anatolia, Local tribes, Algerian regency, Ottoman Era.